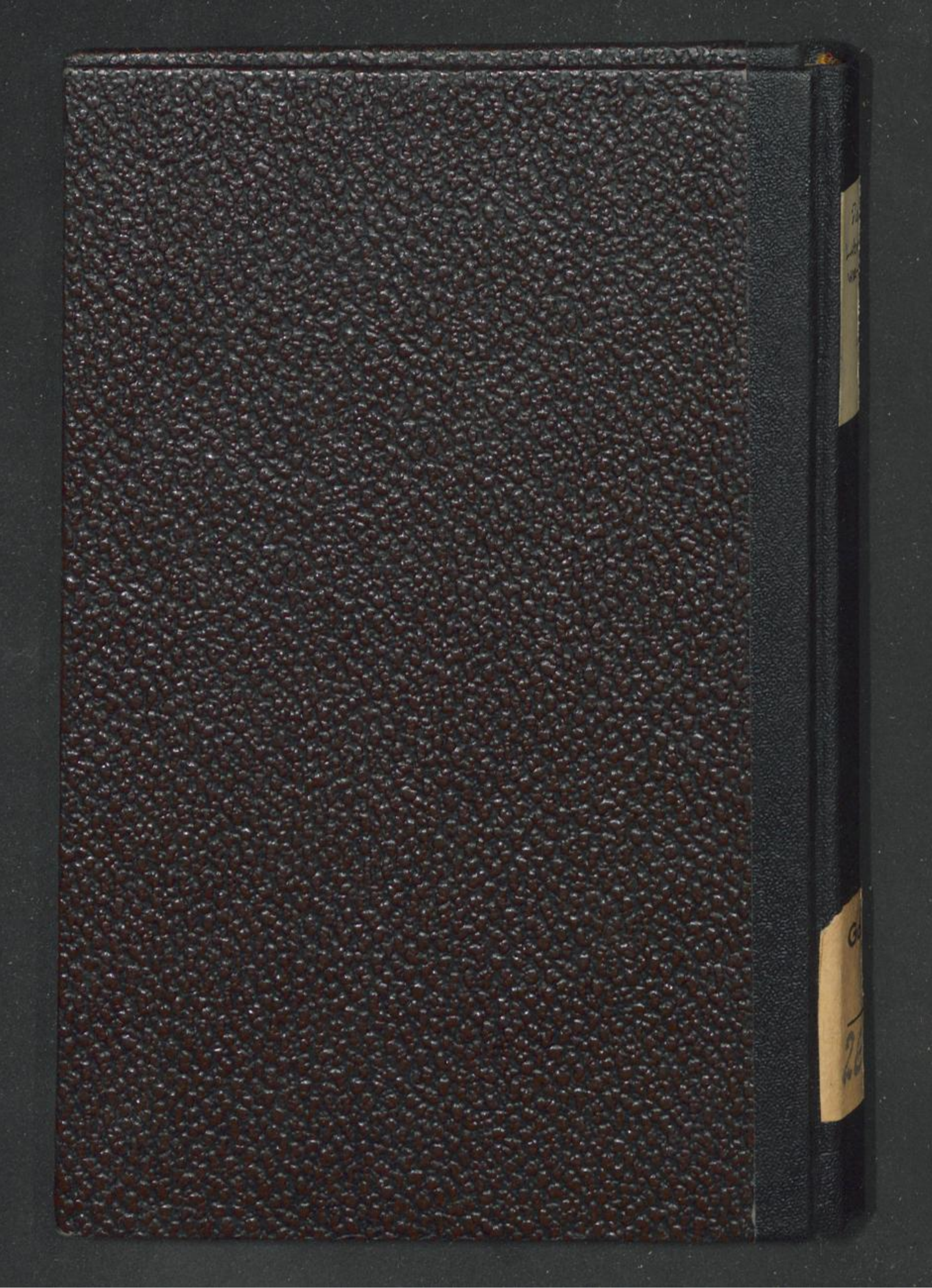
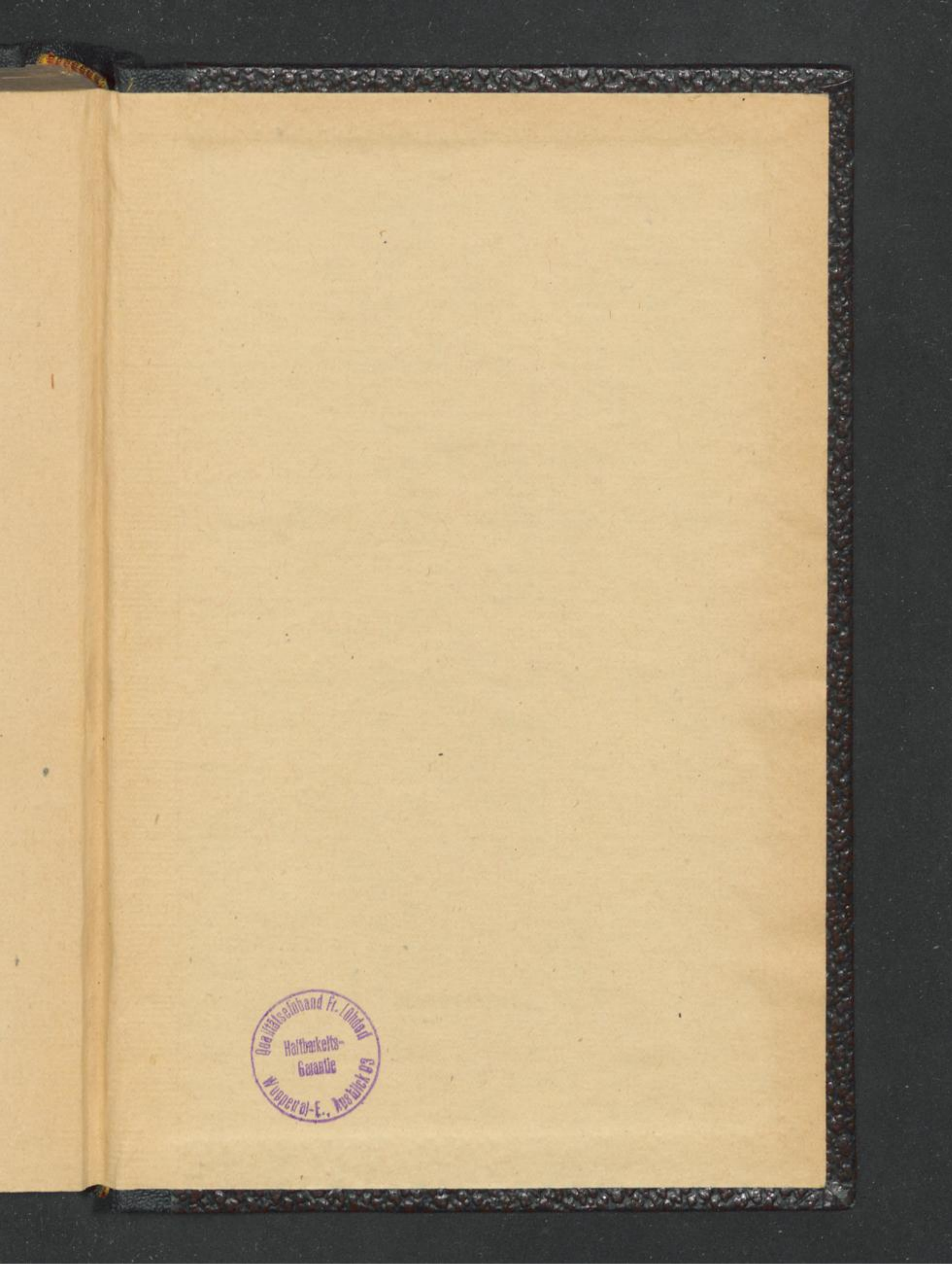
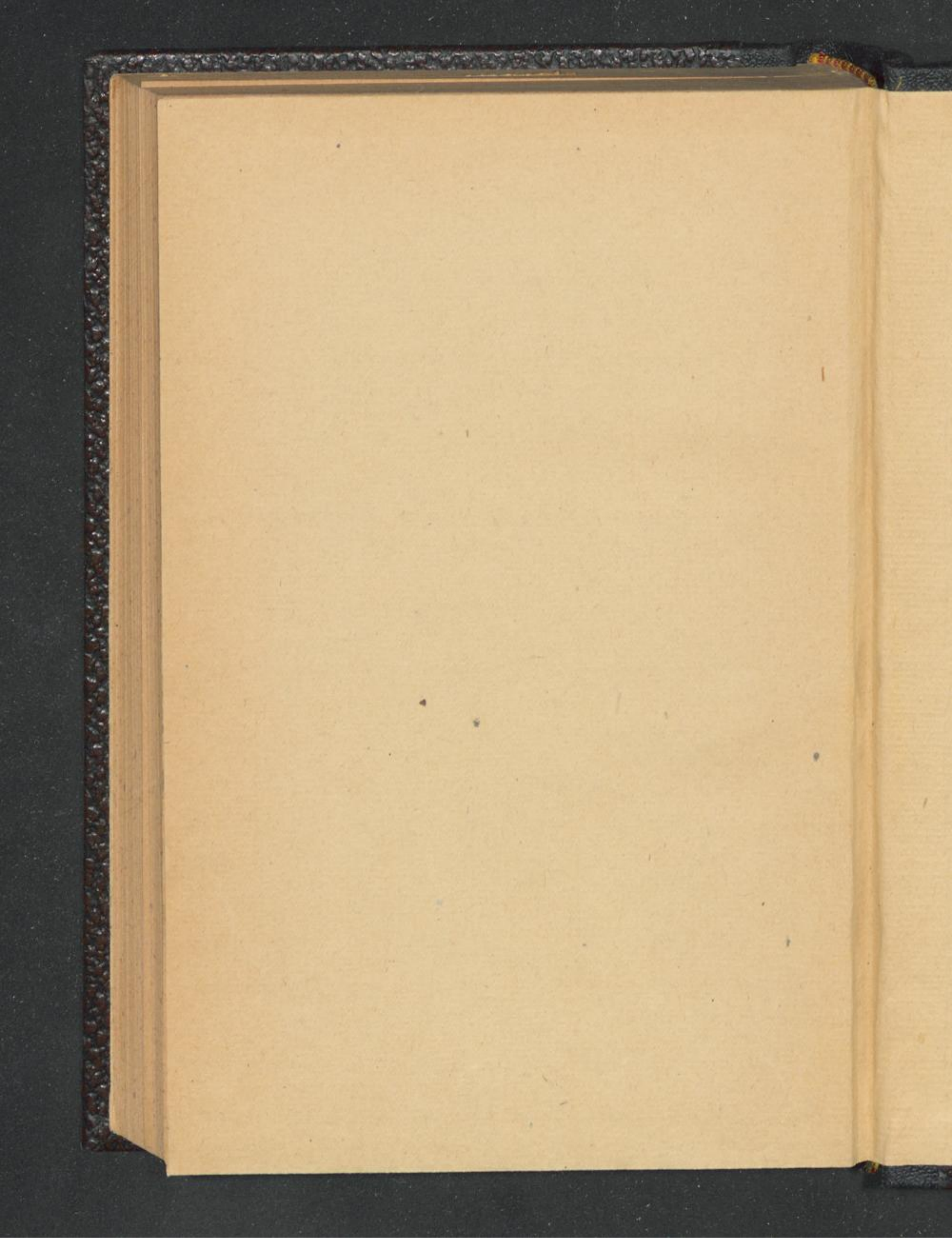
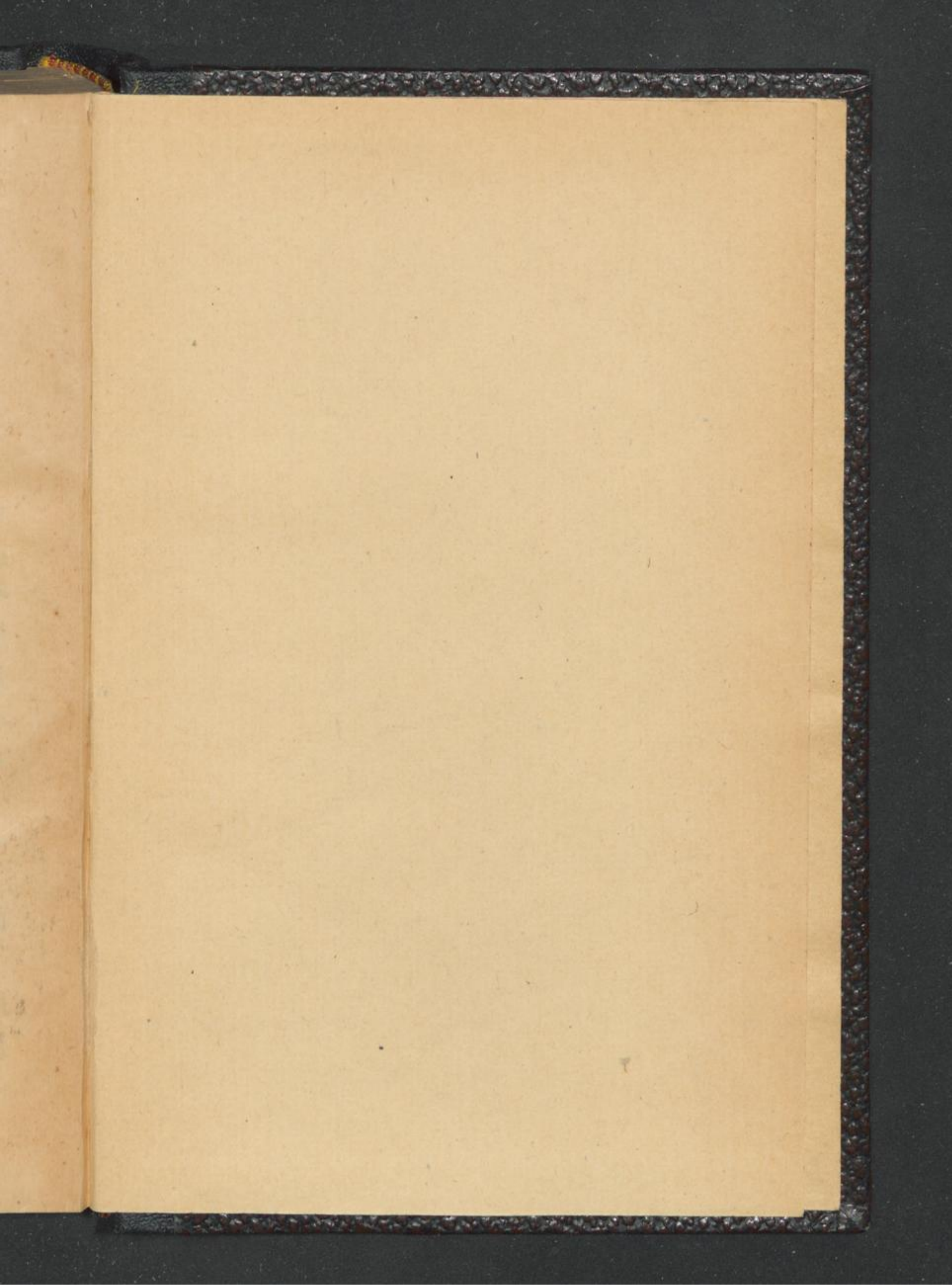
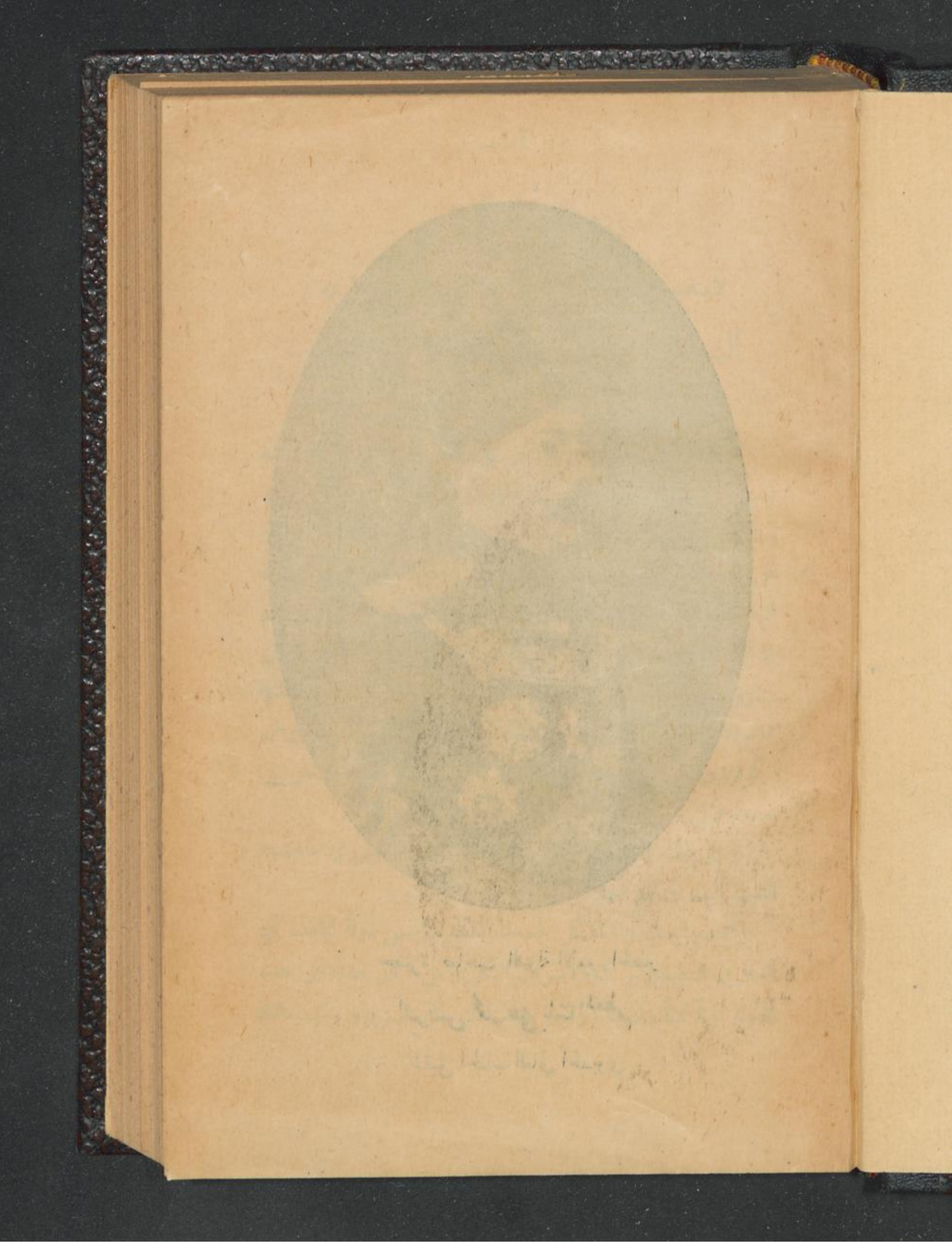



Haltbarkeits-
Garantie









حضرة صاحب الدولة الامير الخطير

البرنس محمد علي باشا المعظم

شقيق الجناب العالي الخديوي

تقدمة الكتاب

لاعتاب حضرة الامير الخطير دولتلو افندم حضرتلري

البرنس محمد علي باشا المعظم

شقيق الجناب العالي الخديوي

أريد كلبناني سوري هام بارض فرعون وطنه الثاني هيامه بارض فينيق وطنه الاول ان ارفع الى مقامك السامي كتابي هذا الذي وضعته لخدمة وطني الاول عربوناً لحب مواطنيّ لك ولاعترافهم بجميلك على هذا الوطن الذي رفعته بحبك له الى المقام السامي الذي رفعت اليه وطنك . فانك اليوم لهم بمنزلة نقطة لدائرة واسعة النطاق تربطهم بها اسلاك من اوتار قلوبهم تنقل اليهم كهرباء حبك فيتناقلونه من مشرق الغزالة الي مغربها . فاذا نطق أحدهم بكلمة فيك تناقلتها هذه الاسلاك من بابل ووطن الانباط الي أرض فرعون وارض كولمبوس . وامتزج صداها بانفاسهم . فكانت نفثة كل صدر من صدورهم

وعلى ذلك فتقدمتي هذه انما هي تقدمة كل سوري حاجته اليتيمة اليك ان تعلم اخلاصه لك واقراره بجميلك .

أتقدم اليك وانا اذكر لجدك العظيم مؤسس دولة الادب في القطرين الشقيقين تركه لاسرتك الكريمة من آثار فضله على هذه الدولة ارثاً ثميناً زاد شأناً وقيمة بانصرافك الي تعزيزه واشتغالك

بالادب كواحد من دعاته الذين وقفوا اقلامهم على نصرته . واذكر لك خاصة انك شقيق « العباس » الذي بلغت دولة الادب بعنايته من المنعة ما لم تبلغه بعناية الرشيد والمأمون مع انهما اعظم من قام على نصرة هذه الدولة من بني العباس الذين هم فخر بني قحطان جميعاً . اذكر ذلك فتشجعني الذكرى ويجرئني ما خصيتني به من الالتفات السامي بصفتي احد خدمة هذه الدولة على ان اخاطبك مخاطبة اديب لامير الادب .

ويقيني ان جمعك بين الامارتين امارة الحسب وامارة الادب يشفع بي لديك في وقفتي بين يديك على سمو قدرك وغضاضة قدري . فانه ليس في جلال الامارة الاولى ما يحول دون تجلي جمال الثانية بابهى مظاهرها بتنازل صاحبها الى قبول تقدمة من احد خدمتها . ولا سيما ان لي من تقاليد البيت الذي نشأت فيه ما الفت معه العمل لما يجمل في اعين الناس من حسن الذكر لي ولقومي والسعي الى الظهور بمظهر المقرّ بالفضل لمفضل يستحب بذل النفس في سبيل خدمته ولا سيما اذا كان المفضل انت والمفضل عليهم نحن .

بولس مسعد

تمهيد

مما لا نزاع فيه ان حب الوطن أشد الخلال الفطرية رسوخاً في قلب الانسان وابعدها زوالا منه . وهو والتدين سجيتان متلازمتان لا انفصال لاحداهما عن الاخرى لانهما من مظاهر ارتباط المعلول بالعلة أو المخلوق بالخالق . ولذلك قيل فيهما : « حب الوطن من الايمان » وبعبارة اجلى أن حب الوطن ليس من الصفات الاكتسابية التي تحرز بالتلقين بل هو خلة طبيعية محضة ترضع مع اللبن وتنشأ في الدم. ومن ثم فهو من مظاهر الحياة لانه متولد من العناصر التي تتوقف هذه الحياة عليها دون غيرها . ولذلك فالاغلب ان يلازم صاحبه من المهد الى اللحد فلا ينتزعه من قلبه الا ماغلب عليه من المؤثرات الطبيعية. وهو يشتد ويضعف بحسب اشتداد هذه المؤثرات او ضعفها. فمهما توالت الاسباب الطارئة التي لاترجع عن قرب اوعن بعد الى هذه المؤثرات ومهما اشتدت وطأتها عليه لا تقوى على استئصاله . وما نراه عادة من زوال او ضعف العاطفة الوطنية من صدور المهاجرين سيه تقادم العهد على هجرتهم لوطنهم وانقطاع كل صلة لهم به فتناسلوا في ديار الغربة وضعف الدم الوطني في اعقابهم على تراخي الايام او تلاشت جراثيمه فتلاشى معها حبهم لوطنهم

وليست الحال كذلك عند المغتربين من أهل لبنان وسوريا . فان

بدء هجرتهم لايرجع الى ابعد من اواسط القرن الماضي . والفترة التي انقضت الى اليوم على تلك الهجرة غير كافية لزوال الدم الوطني منهم تماماً وحلول الدم الاجنبي محله ولا سيما ان اتصالهم بالوطن لم يزل وثيق العرى بدليل ماشهدناه في السنوات الاخيرة من حنينهم اليه وجهاد فئة كبيرة منهم في سبيل اصلاحه

فاذا تقرر ذلك كان من البديهي ان السواد الاعظم منهم يشوقهم ان يزيدوا الماماً بشؤون هذا الوطن ومعرفة باحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتظل علاقاتهم به متينة متصلة الحلقات . ولا سيما ان الطبيعة خصته بمزايا جمة ومميزات جليلة لم تتوفر لغيره من بقاع الارض. وعلى الاخص جبل لبنان فقد جعلت له مركزاً مخصوصاً بين سائر جبال الدنيا . وميزته عليها من كل وجه .

ولما كان ما وضع الى اليوم من الكتب في شؤون لبنان وسوريا قاصراً على مباحث عامة لاتتناول الا الجزء اليسير من المعلومات والافادات التى لابد لكل من يهمه أمر هذه البلاد ان يكون ملماً بها الماماً تاما سواء كان من أهل العلم أومن أهل التجارة أوغيرهم. لذلك رأيت ان انشىء كتاباً اضمنه كل ماتهم معرفته من هذا القبيل سداً للفراغ الذي احدثته في العهد الاخير الحكومة العثمانية البائدة في تاريخ نهضة سوريا العلمية .

ولقد شرعت منذ عدة سنوات بالبحث في الشؤون الوطنية وتوسلت

بالتردد الى ديار الشام لاحراز ماكنت اجهله من أمورها. فنشرت كثيراً من المقالات المتتابعة في هذا الشأن . والحقتها بعدة كتب ونشرات قصرت البحث فيها على المسائل الوطنية البحتة. وكان كتابي « لبنان والدستور العثماني » الذي اصدرته سنة ١٩٠٨ اول كتاب في موقف لبنان الحاضر . وقد تناول ما كان مطوياً الى ذلك الحين من تاريخ لبنان الحديث واستقلاله من أقدم ازمنة التاريخ الى اليوم . ثم اتبعته « بدليل لبنان » وبعد ان انشأت منه ما يقرب من مئة صفحة تركته لسواي وآثرت ان انفرد بانشاء دليل عام للبنان وسوريا. ثم انشأت نشرة في تاريخ العلائق السياسية والتاريخية بين القطرين الشقيقين المصري والسوري بعنوان «مصر وسوريا» وهي خلاصة ماسيجيء في الجزء الثاني من «دليل لبنان وسوريا» الذي نحن في صدده واهديتها الى ادباء مصر وسوريا ايقافاً لهم على ما كان قديماً بين البلادين من العلائق الودية والمصالح المشتركة وتوثيقاً لعرى الالفة والاتحاد بين الشعبين المتجاورين

وفي اثناء ذلك كنت اواصل العمل في الدليل العام المشار اليه آنفاً. وما زلت اجاهد في هذا السبيل مدة ثلاث سنوات متواصلة حتى أتيت على آخره من غير ان يتطرق الي شيء من الضجر الذي يعرو احياناً المشتغلين بحرفة الادب في بلادنا الشرقية حيث كثيراً ما يكون انصراف المرء اليها من دواعي نكده وضيق سبل الرزق في وجهه. وعدتي الوحيدة في هذا الجهاد المستمر حبي لوطني. ولا أكون

مبالغاً اذا جاهرت هنا بأنه كثيراً ما كان هـذا الحب يذهب بي الى استرخاص حياتي في سبيل الخدمة الوطنية التي عاهدت النفس على ادائها بوضع هذا الكتاب

على اني لا أذكر ذلك من قبيل المفاخرة . فكثيرون من أبناء الوطن سبقوني الى تضحية أنفس ما لديهم فى هذا السبيل. وانا احقر من ان اتشبه بهم . ولكنني أريد بذلك ان اوقظ في صدور مواطني الكرام الشعور الوطني الحي واذكرهم بافتقار البلاد الى أناس يجاهدون ويتفانون في خدمتها لعل الذكرى تبعث فى صدورهم روح الوطنية الصادقة فيعملون لاحياء هذه البلاد ورفع منزلتها الى المستوى الذي تصلح فيه ان تكون وطناً لايخجل خاصتهم فى ديار هجرتهم يوم يذكر امامهم ان يقول واحدهم فيه « هذا وطني » ...

ذلك ماحدا بي الى انشاء هذا الكتاب ولا سيما ان البلاد لم تزل محرومة من الكتب الوطنية التي تتناول مايتعلق بشؤونها الخاصة من المباحث العلمية والتاريخية والعمرانية . وما وضعه الاوربيون من هذا القبيل مفرغ فى قالب غريب لايتفق مع مشارب أهل البلاد ولا يلتئم مع أحوالهم وحاجاتهم .

ولما كانت مباحث هذا الكتاب اقتضت ان يكون ضخماً وافياً بالمرام لايقل عدد صفحاته عن نحو ٢٠٠٠ صفحة رأيت ان أقسمه الى أربعة أجزاء كبيرة. نخصيت الجزئين الاول والثاني بالمدارس الوطنية. وتسهيلا

لاستفادة الطلبة به وطدت النية على ان أقدم الى هذه المدارس عدداً من نسخه مجاناً بعد تسديد نفقة الطبع مما يباع من النسخ التي تعرض للبيع فى مكاتب مصر وسوريا . وجعلت الجزئين الاخيرين دليلا عاما يتناول ما يفتقر عامة الناس وخاصتهم الى معرفته من المعلومات المفيدة فى كل باب ومطلب

وهذا بيان ما يتضمنه كل جزء من الاجزاء الاربعة :

الجزء الاول

في جغرافية لبنان وسوريا الطبيعية والسياسية مع ما ينطوي تحت هذا العلم من المباحث التجارية والصناعية وما يتعلق بطبيعة الارض والنباتات والحيوانات والسكان والاديان والطوائف واللغات القديمة والحديثة . وهو يتناول ايضاً مباحث جايلة في نهضة سوريا العلمية وتاريخ صحافتها والاسباب المؤدية الى رقيها وغير ذلك مما يشوق القارىء معرفته من شؤونها

الجزء الثاني

في تاريخ لبنان وسوريا بحسب الادوار والاعصر التي مرت عليهما على مثال الكتب التاريخية التي يتلقنها طلبة العلم في المدارس الاوربية الكبرى . وفيه خلاصة ما قيل في اصول القبائل والامم الاولى التي نزلت الديار السورية وملكتها . وقد جرينا فيه على خطة سهلة

المآخذ وضمناه آراء اشهر علماء التاريخ في ماجرى بديار الشام من الحوادث وما توفر لها من اسباب الرقي في ما سلف من الدهر. وتعليلهم لاسباب انحطاطها في الفترات السابقة واللاحقة لعصر استقلالها الوطني. وما تخلل من هذه الفترات اعصر رقيها الاجنبي ولاسيما في ولاية اليونان والرومان والعرب وغيرهم. مع ذكر الوسائل التي تذرع بها الفاتحون للتداخل في شؤونها وبسط سيادتهم عليها. وما كان يحسن باهلها التوسل به لدرء مخاطر الفتح وويلاته عنها. ووصف حال البلاد في كل عصر من اعصر استقلالها التام او النوعي وصفاً تنجلي فيه للقارىء مكانة كل شعب من شعوبها من المنعة والقوة او الضعف والانحطاط مما كان يتخذه الفاتحون مقياساً لدرجة تمكن سلطانهم منها في آبان ضعفها او ضعف املهم ببسط سيادتهم عليها في آبان سطوتها. ولم نغفل عن تاريخها الحديث ففصلناه تفصيلاً وافياً بما لايدع مجالاً لذي قد بصير ان يقول فيه كلمة لو. بحيث يتألف من مجموع هذه المباحث التاريخية قواعد اساسية لفلسفة تاريخ البلاد الشامية. واتماماً للفائدة قد زيناه بكثير من الرسوم التي تمثل فئة كبيرة من مشاهير لبنان وسوريا ولا سيما من كان لهم صلة متينة بما جاء في هذا الجزء من الحوادث التاريخية الخطيرة.

الجزء الثالث

يتضمن كل مايهم القارىء الالمام به من امور فلسطين وجوبي لبنان.

وسوريا من الوجه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. فقد وصفنا فيه كل مدينة وقرية ومزرعة وصفاً تاماً من حيث موقعها وهوائها وشوارعها وطرقاتها وابنيتها وآثارها القديمة وتاريخها قديما وحديثاً . وذكرنا من اشهر ونبغ من اهلها . ووصفنا طرق البلاد وسككها الحديدية وما يبدو للعين هناك من المناظر الطبيعية وما في كل بقعة تخترقها من المعادن والينابيع والآثار وغيرها. وتكلمنا على جبال البلاد وسهولها وانهرها وقبائلها وشعوبها وعدد سكانها وغير ذلك مما اجملناه في الجزء الاول ووعدنا باستيفاء الكلام عليه في الاجزاء التالية. وعلى الجملة فقد ضمنا هذا الجزء كثيرا من المعلومات والافادات التي لا غنى لاحد عن الاحاطة بها مهما كان راسخ المعرفة في شؤون لبنان وسوريا . وشفعنا كل ذلك برسوم تمثل اشهر الآثار القديمة والابنية العمومية الفخمة والمناظر الطبيعية وبخارطات عن كل مقاطعة من مقاطعات البلاد بحيث جرينا في وضع هذا الكتاب على نفس الخطة التي يتبعها الاوربيون عند مايراد وضع دليل عملي علمي تجاري تتناول فوائده خاصة القوم وعامتهم على السواء .

الجزء الرابع

ان هذا الجزء مماثل للجزء الثالث كل المماثلة من حيث المعلومات المفيدة التي يتضمنها والطريقة التي اتبعناها في وضعه . الا انه يختلف عنه بكونه يتناول معلومات ومباحث تتعلق بشمال لبنان وسوريا الى

مابين النهرين في حين ان الجزء الثالث يتناول شؤون فلسطين وجنوب لبنان وسوريا . وهو آخر اجزاء هذا الكتاب.

***

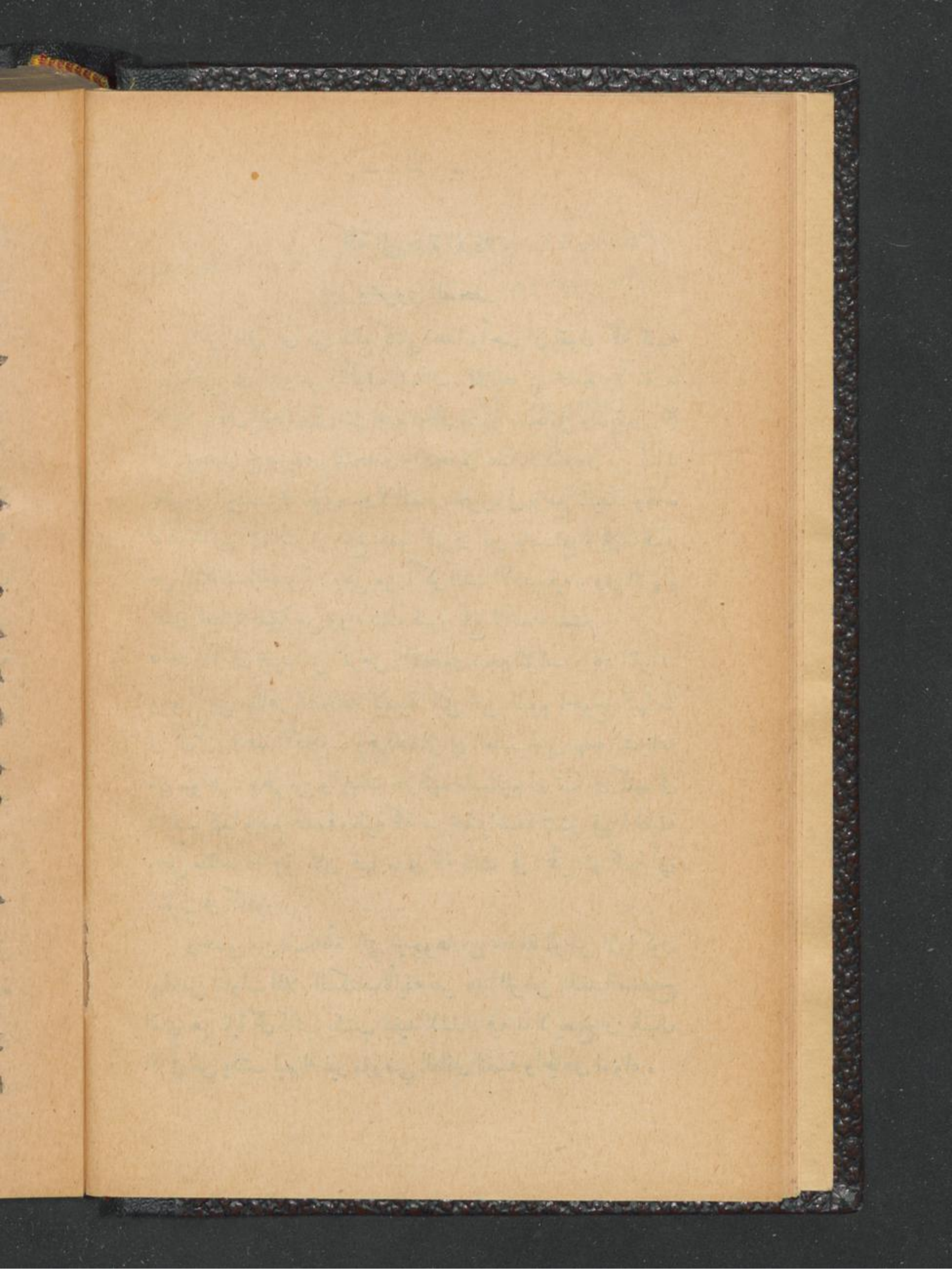
وسنلحق هذا الكتاب بقاموس تاريخي نجمل فيه مافصلناه في هذه الاجزاء الاربعة. وقد هيئنا له منذ اليوم جميع المواد اللازمة بحيث نتمكن من اعداده للطبع متي فرغنا بعون الله من طبع هذا الكتاب .

كلمة الى حملة الاقلام
ومحرري الصحف

اعز اماني الى من طالع كتابي هذا وأحب أن يقول كلمة فيه ان يخرج فى نقده عن المألوف المبتذل . فلا يطري مجاملة ولا ينقد تحاملا . فان المجاملة فى مثل هذه الحال مشينة بالمجامل والمجامل كما ان التحامل محط بقدر المتحامل والمتحامل عليه. فكثيرون من كتابنا يطرون المؤلف مجاملة وحياء لا لفضل احرزه فى وضع تأليفه. وهذه عادة شائعة فى الشرق ضاع معها الفرق بين ماصلح و بين ما فسد من المؤلفات العصرية . وهي من أكبر آفات الادب فيه . وفي الابهام الذي يحيط بالحقيقة من وراء ذلك ضرر بليغ لاتحمد مغبته .

فالنقد اذا كان مجرداً عن الغرض والتحامل شجع المؤلف وافاد القراء. وهو اجمل مظاهر الشجاعة الادبية التي نحن اليوم احوج اليها منا فى كل آن. وحملة الاقلام — وهم قادة الرأي العام — اولى بهذه الشجاعة من سواهم . ولهم من واجبات حرفتهم مايستلزم ان تكون كلمتهم فى تأليف كهذا وضع لخدمة وطنية كلمة صريحة واضحة تتمثل فيها الحقيقة باجلي مظاهرها ولو كان فيها ما فى كلمة مالك فى الخمر أو كلمة أبي الطيب فى كافور ...

وحسبي من المكافأة التي ارجوها من خدمة الوطن ان اكون ول من تناولت اقلام الكتاب تأليفه عن هذا الوطن بالنقد الصحيح الذي هو غاية كل كاتب يكتب ليفيد لاليقال فيه ما لا يصح ان يقال الا في من يكتب ليتم له غير مايرضي العاقل لنفسه والجاهل لسواه .



اسماء سوريا

سميت سوريا في ازمنة مختلفة باسماء متعددة كآرام وبلاد عاموريا والشام وسوريا وعربستان او صور ستان

اسم آرام

ان اسم آرام الذي أطلق على سوريا هو من آرام حفيد نوح وآخر أولاد سام وقد سمي اولاده آراميين الى اوائل التاريخ المسيحي وكان يفهم به في الازمنة القديمة لبنان وسوريا وما بين النهرين وفي الكتاب المقدس البلاد الواقعة فى الشمال الشرقي من فلسطين اي دمشق وضواحيها وملحقاتها وقد ترجم فى النسختين اليونانية واللاتينية لفظة سوريا . واول ما اشتهر في القرون الاولى ثم أخذ بالتلاشي منذ استيلاء اليونان على الشرق وما ظهرت النصرانيـة حتى اضمحل تماماً وصار مرادفا في اعتبار اهل الدين للفظة وثني لما كان مشهوراً عن الآراميين قبل مجيء المسيح من التوغل فى عبادة الاوثان . الا انه كثيراً ما ذكره مؤرخو اليونان والرومان في تأليفاتهم كاسم خاص بالسوريين دون غيرهم وقد توارى مع تواري الوثنيين عند الفتح العربي

اسم كنعان

أطلق هذا الاسم على معظم لبنان وسوريا عصوراً طوالاً نسبة الى كنعان بن حام بن نوح وكان يراد به ارض الميعاد خاصة اي الجهة الممتدة من الاردن الى البحر المتوسط ثم أطلق على لبنان ولا سيما

على أرياف فينيقيه المأهولة بالكنعانيين كما سيجيء (انظر تاريخ سوريا) والفينيقيون انفسهم حتى في مستعمراتهم الافريقية كانوا يسمون بلادهم في عهد مستحدث بلاد كنعان

اسم شام

كان هذا الاسم يطلق أولاً على دمشق خاصة لانها كانت مركز الساميين ثم اطلق على بلاد سوريا بأكملها . والعرب هم اول من سمى به هذه البلاد بعد استيلائهم عليها. وفي هذه التسمية اقوال اصحها ماذهب اليه ابو الفداء امير حماة في كتابه تقويم البلدان من انه مأخوذ من اسم سام بن نوح واصله في العبرانية والسريانية شام او شم بالشين المعجمة . وقيل سميت هكذا تشبيها لها بالشامات لان فيها بقعاً مختلفة الالوان تشبه الشامات . وقيل ايضاً انها دعيت شاماً لان بعض الكنعانيين من سلالة سام بن حام تشاءم اليها اي اتاها وهي عن يسار الكعبة كما سميت بلاد اليمن هكذا لوقوعها عن يمينها وهو رأي ضعيف

اسم سوريا

اختلف العلماء في هذا الاسم فنهم من يذهبون الى انه عريق فى القدم ومنهم من يقولون بحداثته ويذهبون الى ان اول من أطلقه علي بلاد الشام انما هم اليونان وأولهم هيرودوتوس المؤرخ الشهير . وقد تغلب هذا الاسم على السوريين بعد فتوحات الاسكندر . ولفظة سوري

او سوريا في رأي هيرودوتوس من اشوري وفي رأي مؤرخي اليونان من اسوري او من صور عاصمة الديار الشامية في العهد القديم بابدال الصاد بالسين لعدم وجود الصاد في اللغة اليونانية

وقال آخرون ان اليونان اتخذوا اسم سوريا من اشور. فحذفوا اول هذا الاسم بعد فتوحات الاشوريين وأطلقوه بهذه الصورة على الجهة الواقعة على ضفة الفرات اليسرى لان الاشوريين كانوا يتولون امورها ثم دخلت هذه التسمية جميع اللغات بسبب نفوذ الاشوريين وسطوتهم وكثيرون من المؤرخين يصوّبون هذا الرأي غير ان هذا الاسم يلفظ باللغة المصرية القديمة اسار او اسور ايضاً . وقد وجد منقوشاً على جدار هيكل ادفو بين اسماء تسعة قبائل اخضعها رعمسيس الثاني ورعمسيس كان قبل ايام علماء اليونان المشهورين وقبل ان تسلطت أشور على سوريا ولذلك ذهب بعضهم الي ان اليونان ليسوا بأول من اطلق هذا الاسم على بلاد الشام. ونسبه بعضهم الى اسوريم بن ددان ابن يقشان بن ابرهيم الخليل من زوجته قطوره . واسم سوريا كان يتناول ايضاً جميع البلاد الواقعة بين مصر وبين آسيا الصغرى ومن مؤرخي اليونان من كان يطلقه على بلاد مابين النهرين وأرمينيا وقسم من بلاد الفرس ولعلهم كانوا يريدون بذلك كل ما كان في حيازة الاشوريين من الاصقاع الشرقيه

عربستان وصورستان

وبعد استيلاء الاتراك على بلاد الشام اطلقوا عليها اسم عربستان

ويراد به عندهم بلاد العرب وصورستان نسبة الى صور قاعدة البلاد او سورستان من اشور على ماتقدم في تفسير اسم سوريه

وأشهر مابقي الآن من اسماء هذه البلاد اسم سوريا عند السوريين وبر الشام عند المصريين وسيري او سيريا عند الاوربيين .

جغرافيتها

موقعها ومساحتها

يفهم بسوريا الحديثة جميع البلاد الواقعة بين آسيا الصغرى او بين جبال قوروش في الشمال الشرقي وبين مصر وبلاد العربية في الجنوب وتشغل مساحتها نحو الف كيلومتر طولاً و ١٦٠ كيلومتر عرضاً اي نحو ٢٨٠ الف كيلومتر مربع . وموقعها حسب اصطلاح علماء الجغرافيـة بين الدرجتين ٣١ ' ٣٨ و ٣٦ من العرض الشمالي و ٣٢ ' ٣٦ من الطول الشرقي وهي تشمل جميع الاقاليم التى كانت تطلق عليها قديماً الاسماء الآنفة الذكر وهي سوريا الاولى والثانيه والثالثة او سوريا الخارجة وسوريا الداخلة او اقاليم بلاد آرام الاربعة او الاقاليم الرومانية العشرة الى غير ذلك من الاقسام التى سنتكلم عليهـا فيما يأتي

حدودها

وهي محدودة من الشمال بآسيا الصغرى وخاصة بولايتي سيواس

أطنه ومن الشرق بالفرات وهو الحد الفاصل بينها وبين بلاد ما بين النهرين وببادية الشام التي تمتد حتى العراق العربي ومن الجنوب بجزء من بلاد العرب المعروف بتيه بني اسرائيل وهو برية طورسيناء او جبل موسى ويعرف بالعربية الحجرية وتمتد حتى وادي العريش الذى يفصل مصر عن سوريا الجنوبية . ومن الغرب بالبحر المتوسط وهو يمتد على اطرافها من الشمال الى الجنوب .

اقسامها الطبيعية

ان سوريه تقسم من حيث موقعها وتكوينها الي اربعة اقسام طبيعية :

الاولى - سوريه الشمالية ويراد بها البلاد الواقعة بين خليج سكندرونه والفرات الاعلى وبين خط مستعرض ممتد من مصب النهر الكبير الي حمص .

الثانية — يراد بها البلاد الواقعة على ساحل البحر المفهوم بها قديماً فينيقية لبنان وتشمل معظم لبنان الغربي ولبنان الشرقي وما يليه من الاقاليم والنواحي التى كانت ملحقة قديماً بدمشق ويحدها من الجنوب خط مستعرض يبتدىء جنوبي صور ويمس في اتجاهه شرقاً سفح جبل الشيخ الي ان ينتهي عند دمشق .

الثالثة — البلاد الممتدة على خط يبتدىء في الجنوب الشرقي من البحر المتوسط متجهاً نحو الشرق وهي فلسطين

الرابعة ـ جزء من البادية اوتيه بني اسرائيل وجبال بطرا او العربية الحجرية .

واجمل هذه الاقسام الاربعة الاول والثاني فقداشتهرا منذ القديم بالخصب وجودة التربة وقلما ترى لمناظرها الطبيعية الفتانة من شبيه . ويمتاز الثالث والرابع باهمية الحوادث التاريخية التى وقعت فيهما قديماً وللقسم الثالث اهمية خاصة من حيث انه كان مهدالنصرانية وفيه اهم واجل ما تركه لنا الاقدمون من نفائس الآثار الدينية .

ومنهم من يقسمها الى تسعة اقسام طبيعيه كبيرة وهي :

الاول — كوماجينا وتمتد من جبل قوروش وامانوس الى الفرات

الثانى — بلاد هلبي (كلسيدونيا) وتشمل جبل سمعان وبلاد سيرستيك وقاعدتها قوروش وبلاد كلسيديك وقاعدتها كلسيس (قنسرين) شمالي العاصي

الثالث — بلاد امانوس واشهر مدنها انطاكيه وسلوقيه واللاذقيه وتمتد من جبل امانوس الى العاصى

الرابع — جبال النصيرية وتمتد من العاصي الى النهر الكبير

الخامس — جبل لبنان ويمتد من النهر الكبير الي نهر اللبطاني ويشمل قسمامن فينقيه القديمة المؤلفة منه الان متصرفية طرابلس وقسما من ولاية بيروت وجبل لبنان

السادس — سورية المجوفة (كاوسيري) وتشمل البقاع وبلاد بعلبك وانتيلبنان

السابع — بأدية الشام وتمتد من شرقي سوريه الى مجرى العاصى وتشمل بلاد الفـرح وبلاد تدمر وبلاد التـلول والمرج بين بحيرات دمشق والغوطه

الثامن — فلسطين الاولى وتمتد من نهر القاسمية او الليطاني الى وادي العريش وتشمل بلاد الجليل والسامره واليهودية وبلاد آدوم الغربية

التاسع — فلسطين الثانية وتشمل البلاد الواقعة شرقي الاردن والبحر الميت وهي مؤلفه من بلاد الديكابول وبلاد البـيره وبلاد آدوم الشرقية .

سوريا القديمه

تقسيمها القديم

كانت سوريا عند الاقدمين مقسومة الي عدة اقاليم تختلف اسماً وحدوداً بحسب اختلاف الازمنة التي مرت عليها والادوار التى تقلبت فيها بحيث لم تحكمها دولة ولم تتأثر في تسميتها وتقسيمها خطي دولة سلفتها بل اتبعت في ذلك طريقة خاصة بها. فتارة كانت ممتدة من جبال كيليكيا او الامانوس شمالاً الى فينيقيه واليهودية جنوباً ومن البحر غرباً الى الفرات شرقا وطوراً كانت تشمل بلاد الشام واشور . فكان يطلق اسم سوريين على جميع سكان البلاد الواقعة بين بابل وخليج اليوس وحيناً كانت تمتد من جبال الامانوس الى عريش مصر ووقتاً

(كانت قاصرة على البلاد الممتدة من الفرات شمالاً الى الطنطوره
دورا) جنوباً الى غير ذلك مما لا فائدة من تفصيله هنا
وأشهر ما اتصل بنا من تقاسيمها القديمة اربعة :

التقسيم الاول :

يشمل اربعة اقاليم وهى: آرام دمشق ويفهم بها دمشق وضواحيها وملحقاتها . وآرام زوبا (اي المجوفة) وهي كلوسيري المشتملة على سهل البقاع الواقع بين لبنان الشرقى ولبنان الغربى . وآرام النهرين ويفهم بها الجزيرة الفراتية وقاعدتها مدينة حاران. وآرام معكا (نسبة الى معكا ابن ناحور).

التقسيم الثاني :

يشمل اربعة اقاليم : الاول سوريه الاولى في الشمال وعاصمتها نطاكية — سوريه الثانية . وعاصمتها حماة . والثالثة اوفينيقية لبنان المشتملة على دمشق وجبل لبنان وسواحله وانتيلبنان ويشمل هذا القسم الآن قسماً من ولاية حلب وولايتي دمشق وبيروت ومتصرفيتي لبنان والقدس — قوماجينا او اوفراتسيه وهي البلاد الممتدة على شاطىء الفرات . ومن اهم مدنها كركميش المعروفة اليوم بايرابولس وموقعها غربي الفرات وكانت عاصمة الحثيين

التقسيم الثالث :

يشمل عشرة اقاليم : الاول اقليم قوماجينا او قوماجان ويفهم به

البلاد الواقعة بين جبل الامانوس (جبل كاور داغ او جبل الكفار) والفرات ومن اشهر مدنه شمشار وطن لوسيانوس ومدينة جرمانيسيا (اي المعرة) وهي وطن نسطور المبتدع اسقف القسطنطينية (انظر النساطرة) وقد استقلت مدة قبل ان يضمها الرومان الى مملكة سوريه

الثاني : اقليم السكيريستيك ويراد به الجهة الجنوبية من اقليم قوماجينا الى شرقي الامانوس وهو تابع اليوم لولاية سوريه واشهر مدنه ايرابولس الآنفة الذكر ومدينة زخما على الفرات ومدينة بروا او كالب او حلبون « حلب » وهي من مدن الحثيين . ومدينة بوتنا او بتمين لى جنوبي حلب

الثالث : اقليم بياره ومن اخص مدنه ميرياندروس بالقرب من موقع اسكندرونه ومدينة باكروا

الرابع : اقليم سلوقيه جنوبي اقليم بياره ومن مدنه سلوقيه (السويديه) التي كانت في ايام المقدونيين قاعدة لاحد اقسام سوريا الاربعة . ومدينة جنداريوس

الخامس : اقليم سالسيديس ومن اشهر مدنه شاليس وجرمانيسيا « المعرة » عاصمة الاقليم

السادس : اقليم شاليبون واخص مدنه شاليبون ونابسا كيوس (مدينة الدير) على ضفة الفرات اليمنى وهي وطن صويل ويا مفيل وقد سماها سلوقس نيقاتور امفيوبولي او يابولي . ومدينة بابا اسيوس علي شاطيء الفرات وقد حصنها يستنيانوس . ومدينة زنوبيا المنسوبة

الى زنوبيا ملكة تدمر وهي علي مسير ثلاثة ايام من قورش . ومدينة سيريان على مسير ثلاثة ايام من سيزاريم على مصب نهر الخابور والفرات وتعرف الآن بقرقيسياء وقيل انها شاليبون القديمة . وكانت من احصن مدن الحثيين . ومدينة سالامينياس وارتوزا في الشمال الغربي منها الى شمال حمص

السابع : الاقليم التدمري او البلميري واهم مدنه تدمر ثم الرصافة الى جنوب قورش والفرات

الثامن : الاقليم اللاذقاني شمالي فينيقية وغربي الاقليم التدمري واشهر مدنه اللاذقيه

التاسع : اقليم افاميا جنوبي اقليم اللاذقيه وأشهر مدنه افاميا « اباميا » وهو اسم زوجة سلوقس بيقانور وموقعها فى الجنوب الشرقي من البحيرة المعروفة بهذا الاسم وقد دعاها انتيغون بيلا وكانت فى ايام اليونان عاصمة سوريا الثانيه وقيل انها كانت محاطة بمروج شاسعة وافرة الكلأ كانت مرعى لخمسمائة فيل وثلاثين الف رأس خيل . ومدينة حمص « اميز » وموقعها غربي تدمر وجنوبي حماة وهي احدث منها وفيها توج الامبراطور اليوغابوليس الكاهن . ومدينة حماه « ابيفافا » جنوبي حلب وهي من اهم مدن الحثيين

العاشر : اقليم كاسيوتيد وموقعه بين فينيقيه و بلاد سلوقيه ويمتد فى الغرب حتى ساحل البحر . ومن اشهر مدنه انطاكيه التي كانت فيما مضى عاصمة سوريا الاولى

وبعد ان قسمت سوريا الى عشرة اقاليم على نحو ماقدمنا اضيف اليها اقليم آخر سمي كلوسيري (او سوريا المجوفة) واشهر مدنه دمشق جنوبي بعلبك وهي من المدن التي اسسها الآراميون . ومدينة ابيلا بين بعلبك ودمشق ومدينة افاكا وهي الآن اطلال بالية

وقد حفظ هذا التقسيم الى ايام الملك قسطنطين فزاد اقليم كيرستيكا على اقليم قوماجينا

التقسيم الرابع

لما تولى تودوسيوس قسم سوريه الى قسمين كبيرين : خارجة وهي البلاد الواقعة ما بين النهرين وما يليها الى الشمال وعاصمتها انطاكيه . وداخلة وهي فلسطين ودمشق وجبل لبنان وما بقى من الشام الداخلة وعاصمتها افاميا وهي ما يسمى بالحصر سوريه وبر الشام . وقد أطلق على هذين القسمين اسم سوريه مذ خضعت سوريه للرومان

أما قسمتها الى سوريه وفلسطين فلم تكن الا قسمة اسمية ولذلك اعتبرنا فلسطين جزءاً متمما لسوريه وتكلمنا عليهما كما لو كانا بقعة واحدة ذات تاريخ واحد وتقاليد واحدة كما سيجيء .

تقسيمها السياسي الحديث

ونظام حكومتها

التقسيم الاداري : سوريا هي القسم السادس من ممالك الدولة العثمانية في آسيا وتنقسم ادارياً بحسب نظام الحكومة العثمانية الى مقاطعات أو أقاليم تعرف بولايات يتولى كلا منها حاكم عام يطلق عليه اسم وال يرجع في أموره الى حكومة الاستانة وفي مركز كل ولاية مجلس ادارة مؤلف من عدة أعضاء يمثلون العناصر التي يتألف منها سكان الولاية ومجلس عام يعقد مرة في السنة للنظر في شؤون الولاية الداخلية وقد شكل لاول مرة في عهد الحكومه الدستوريه الحديثة . وكل ولايه تنقسم الى عدة سناجق أو متصرفيات ترجع في شؤونها الى مركز الولاية ولكل سنجق عدة أقضية يطلق عليها اسم قائمقاميات ويطلق على حاكمها لقب قائمقام . والقضاء يقسم الى عدة مديريات أو نواحي مرجعها الى القائمقاميات ويتبع كل مديرية عدة قرى يحكم كلا منها شيخ يعين بانتخاب الاهالي ويعاونه في الحكم مختار أو أكثر ينوبون عنه في بعض الشؤون ولا سيما في جباية الضرائب وفي أكثر القرى مجلس محلي أو بلدي له اختصاص المجالس المحلية في الممالك الاوربية

التقسيم القضائي : أما المحاكم العثمانية في سوريه فعلى نوعين : ابتدائية ومركزها قاعدة المتصرفية أو القضاء واستئنافية ومركزها قاعدة

الولاية . وأما محكمة النقض والابرام فتعرف عندهم بمحكمة التمييز ومركزها في عاصمة السلطنة . وأما القضايا المتعلقة بالاحوال الشخصية فالنظر فيها عند المسلمين منوط بالمحاكم الشرعية بحسب مذهب أبي حنيفة وعند المسيحيين بالمجالس الروحية أو البطركخانات وهي ذات ثلاث درجات كالمحاكم المدنيـة . وقضايا الاوروبيين فيما بينهم تنظر في القنصليات وما كان منها مشتركا بين الاوربيين والعثمانيين ينظر فيه في المحاكم العثمانية بحضور مندوب القنصلية

التقسيم العسكري : ان الجيش العثماني يقسم الى ست فيالق وكل فيلق يقوده قائد برتبة مشير وسوريه هي مركز الفيلق الخامس ومعسكره العام في دمشق . وفي كل من المدن السورية حامية يختلف عدد رجالها باختلاف هذه المدن وأهميتها . وأما البوليس فله نظام خاص به وهو يؤدي نفس الوظائف التي يؤديها بوليس أوروبا ومصر كضبط الامن ومعاونة مأموري الادارة في تنفيذ الاحكام وتطبيق اللوائح . وفي قاعدة كل ولاية مدير بوليس عام تعينه نظارة الضابطة في الاستانه ووظيفته تعادل وظيفة مدير ضبط في مصر . ولقب بوليس في الممالك العثمانية يعادل لقب مأمور مخفر (ثمن أو قسم) في مصر

التقسيم المالي : ان المالية في الولايات منوط أمرها بمدير عام مرجعه الى الوالي ويعرف بالدفتر دار وفي كل متصرفية وقائمقامية مدير مال مرجعه الى الدفتر دار . وفي كل ولاية ومتصرفية مصلحة

مالية يديرها رئيس يعرف باسم محاسبجي . ومن اختصاص هذه المصلحة توزيع الضرائب وتحصيلها وهي على أنواع مختلفة منها البدل العسكري والضريبة العقارية أو العشر وسائر الاموال المقررة وغير المقررة من أموال أميرية ورسوم وغير ذلك مما هو متبع في مصر وفي غيرها من الممالك الراقية وان اختلف شكل النظام المتبع في ادارة المصالح المالية في تركيا عنه في تلك الممالك

وحكومة تركيا الجديدة تشتغل الآن في اعداد نظام جديد للولايات . وربما فرغت منه قبل نهاية سنة ١٩١٢ وقوامه توسيع سلطة الولاة والمتصرفين وغيرهم من الحكام المحليين ومنح مجالس الادارة اختصاصات لم تكن لها قبلا وانتقاء موظفي الحكومة من أهل الولاية على قدر الامكان الى غير ذلك مما يدرج البلاد في مراقي الحكم الذاتي الداخلي ويعود بالفائدة على الدولة ذاتها

التقسيم الاداري الحالي

وتنقسم سوريه الآن الي ستة أقسام أو ست حكومات منها ثلاث ولايات تتبع حكومة الاستانة فى جميع شؤونها داخلية كانت أو خارجيـة وهي ولاية حلب في الشمال وولاية سوريا او دمشق في الشرق وولاية بيروت بين الاثنتـين . وثلاث متصرفيات مستقلة على نوع ما بشؤونهـا الداخلية وهي متصرفية الزور ومتصرفية القدس وقد فصلت عن ولاية سوريا سنة ١٨٨٧ والحقت بنظارة الداخلية رأساً . ومتصرفية لبنان وهي أكثر هذه المتصرفيات اسـتقلالا

وتخاطب الصدارة رأسا وللدول الاوروبية منذ سنة ١٨٦٠ رقابة عليها تجعل لها ميزة خصوصية كما سنبين ذلك في بابه

١
ولاية حلب

موقعها : ان ولاية حلب تشغل القسم الشمالي من سوريه وموقعها بين الدرجة ٣٥ ٢٩ و ٣٨ ٣٦ من العرض الشمالي وبين الدرجة ٣٣ ٣٠ و ٣٧ ، من الطول الشرقي

حدودها : وهي محدودة من الشمال بولاية سيواس ومعمورة العزيز وديار بكر ومن الشرق بمتصرفية الزور ومن الجنوب بولايتي سوريه وبيروت ومن الغرب بولاية آطنه والبحر المتوسط

مساحتها : وتبلغ مساحتها ٧٨٦٠٠ كيلو متر مربع منها ٣٤٠٠٠ كيلومتر أراضي جبلية و ٤٤٦٠٠ كيلومتر سهول صالحة للزراعة

سكانها : حلب اكثر ولايات سوريا سكاناً فان عددهم لا يقل عن نحو مليون نفس اكثرهم من المسلمين

تقسيمها : وتنقسم الى ثلاثة اقاليم يطلق عليها اسم سناجق او متصرفيات الاول : مركز حلب ويشتمل على ١٤ قضاء . الثاني : متصرفية مرعش وفيها خمس أقضية . الثالث : متصرفية أورفا وفيها أربع أقضية

مركز حلب

ان مركز ولاية حلب يشغل الجهة الجنوبية من الولاية وفيه ١٤ قضاء وهي : حلب ـ جبل سمعان ـ عينتاب ـ قليس ـ اسكندرونه ـ انطاكيه ـ عدليب ـ حارم ـ جسر الشغر ـ معرة النعمان ـ الباب ـ بيلان ـ ممبيج ـ رقاع

قضاء جبل سمعان : يشتمل على عدة قرى أهمها : ديرتزي ـ برد ـ قلعة سمعان ـ دير سمعان ـ قاطوره ـ تل ارفاد

قضاء عينتاب : اهم بلدانه وقراه : عينتاب ـ دلوك ـ تل زنبور

قضاء قليس : أهم قراه : قليس ـ عزاز ـ خورس

قضاء اسكندرونه : اهم بلدانه : اسكندرونه ـ كاباف ـ عرصوص

قضاء انطاكيه : أشهر بلدانه : انطاكيه ـ بيت الماء ـ السويديه ـ زغيب

قضاء عدليب . أخص بلدانه ـ عدليب ـ ريحا ـ كفر لانا

قضاء حارم : أشهر بلدانه : حارم ـ باريشا ـ تور مزين ـ دانا ـ كوكانايا

قضاء جسر الشغر : اهم بلدانه : جسر الشغر ـ قلعة المديق ـ

قضاء معرة النعمان : أشهر بلدانه : معرة النعمان ـ رويحه ـ مرجيله ـ انبراح

قضاء الباب : اهم بلدانه : باب جبول ــ جبول ــ صقلا

قضاء بيلان : أشهر بلدانه : بيلان

قضاء ممبيج : اهم قراه : ممبيج ـ جرابولس ـ باليس

قضاء رقاع : أشهر قراه : رقاع ـ الحمام « فيه مياه كبريتية تصلح للاستحمام »

متصرفية مرعش

ان هذه المتصرفية تشغل الجهة الشمالية من سوريا وموقعها وراء جبال آمانوس وهي الحد الطبيعي لسوريا من الشمال ولذلك يعتبرها الجغرافيون خارجة عن حدود سوريا الطبيعية . وتنقسم الى خمس اقضية وهي : مرعش ــ البستان ـ عندرين ـ بازارجيق ـ زيتون

قضاء مرعش : اهم بلدانه مرعش وفيها نحو ٤٠ الف نفس وهي من أشهر المدن الصناعية في سوريا

قضاء البستان : اهم بلدانه سار

قضاء عندرين : اشهر بلدانه قنان وكانت قديماً عاصمة أرمينية الصغرى واشتهرت بسجادها

قضاء بازارجيق : اخص بلدانه بازارجيق

قضاء زيتون : اهم بلدانه زيتون وهي واقعة على ربوة محاطة بغابات الزيتون

متصرفية اورفا

ان هذه المتصرفية خارجة عن حدود سوريا الطبيعية ويعدها الجغرافيون من بلاد ما بين النهرين . وتنقسم الى اربع اقضية وهي : اورفا — روم كالي — بيريجيق — سروج .

قضاء اورفا : اشهر بلدانه اورفا (اديس القديمة) التي يرتقي تأسيسها فيما يقال الى عهد نمرود وحاران وهي موطن ابراهيم

قضاء روم كالي : اهم بلدانه روم كالي على شاطيء الفرات وقد اشتهرت بعنبها

قضاء بيريجيق : اخص بلدانه بيريجيق على الفرات وقد اشتهرت بصابونها وزيتها — نيسيب — تل بلقيس

قضاء سروج : اهم بلدانه سروج وقد وجدوا فيها تمثالي اسد من عهد الاشوريين

٢

متصرفية الزور

ان متصرفية الزور ملحقة بولاية حلب لكنها فصلت عنها من سنوات لاسباب داخلية واتبعت بنظارة الداخلية كمتصرفية القدس ولذلك آثرنا ان نتكلم عليها هنا كجزء متمم لولاية حلب

ان هذه المتصرفية واقعة علي ضفتي الفرات ويدخل القسم الاكبر

منها ضمن حدود سوريا الطبيعية وتنقسم الى اربع اقضيه : الزور ـ عشره ـ رأس العين ـ بوكمال .

قضاء الزر : قاعدته دير الزور . وهومؤلف من ثلاث مديريات : مديريه كوركاب وسبخا وتدمر وقد ذكرت بالتفصيل في غير هذا المكان

قضاء عشره : قاعدته ميادين

قضاء رأس العين : قاعدته رأس العين

قضاء بوكمال : قاعدته بوكمال

٣

ولاية سوريا

« دمشق »

موقعها وحدودها .

ان ولايه سوريا تشمل القسم الشرقي من سوريا وهي محدودة من الشمال بولايه حلب ومن الشرق بمتصرفية الزور وبادية الشام التي تمتد من الفرات ومن الجنوب بقسم من بلاد العربية وهو العربية الحجريه وبمتصرفيه القدس ومن الغرب بولايه بيروت ومتصرفية لبنان

مساحتها : تبلغ مساحتها ٦٢٠٠٠ كيلو متر مربع وتنقسم الى

ثلاثة اقسام طبيعية الجبال والسهول والصحراء وهي اكبر اقسامها

سكانها : يقدر عدد سكانها بنحو ستمئة الف نفس معظمهم من المسلمين

تقسيمها : وتنقسم ادارياً الى اربع متصرفيات : مركز الولاية ويشتمل على ٨ اقضية — متصرفية حماه وفيها ٤ اقضيه — متصرفية حوران وتشتمل على ٧ اقضية — متصرفية الكرك وفيها ٤ اقضية .

مركز الولاية

ان مركز ولاية دمشق يقع في وسط الولاية . واقضيته ثمانية وهي : مركز دمشق — بعلبك — البقاع — النبك — دوما — وادي العجم — راشيا — حاصبيا .

مركز دمشق : عاصمته دمشق الشام وأهم ملحقاتها الصالحية والميدان

قضاء بعلبك : قاعدته بعلبك واهم ملحقاتها النبي شيت — رأس بعلبك فقيه — بريتان

قضاء البقاع : قاعدته معلقة زحلة واهم ملحقاتها شتوره — تعنايل قب — الياس — فرزل — مجدل عنجر — الكرك — سغبين —

ابله

قضاء النبك : قاعدته النبك ويتبعها يبرود — صيدنايا — معلولا — رأس العين — جب عيدين وغيرها

قضاء دوما : قاعدته دوما ويتبعها عذره — جوبر — ريحان — معربه — مرون — تل منين — حرستا — مكسورة — مليحه — قابون — دمير — عربين وغيرها

قضاء وادي العجم : قاعدته قطانة واهم بلدانه : داريا وهي مشهورة بعنبها المعروف بالزيني — الزبداني — بلودان — سوق وادي بردى — جديده — كفر سوسه — ماسي وغيرها .

قضاء راشيا : قاعدته راشيا واهم قراه : ايحه — كفرقوق — ركله — كفر شوبه — ميمس

قضاء حاصبيا : قاعدته حاصبيا وأخص قراه : الحبارية — عين حرشه — راشيا الفخار — شبعه . وأكثر هذه القرى حافل بالآثار الفينيقية والرومانية وغيرها

متصرفية حماه

تشغل هذه المتصرفية القسم الشمالي من ولاية سوريا وهي محدودة من الشمال بولاية حلب ومن الشرق بمتصرفية الزور ومن الجنوب بمركز دمشق ومن الغرب بولاية بيروت . وتنقسم الى أربع أقضية : حماه — حمص — الحميدية — السليمية

قضاء حماه : قاعدته حماه . وأشهر قراه : قلعة سيجر وهي حصن منيع من أيام الصليبيين

قضاء حمص : قاعدته حمص واهم قراه : تل النبي مندس ـ تلبيسي ضريا طين — الرستن — ربله

قضاء الحميديه : قاعدته مصياف وفيها قلعه قديمه استولى عليها السلطان بيبرس البندقدار سنه ١١٤٠ واهم قراه : دير شامل ودير الصليب

قضاء السليميه : قاعـدته السليميه وفيها آثار قديمه من ايام الدولة البيزنطية

متصرفية حوران

تشغل هذه المتصرفيه القسم الشرقي من ولايه سوريا وهي محدودة من الشمال بمركز دمشق ومن الشرق ببادية الشام ومن الجنوب بمتصرفية الكرك ومن الغرب بمجرى الاردن الذي يفصلها عن ولايه بيروت . وتشتمل على خمس اقضيه : مركز حوران ـ عجلون ـ قنيطره ـ بصرى الحريري ـ درعا

مركز حوران : كانت قاعدة المتصرفيه قريه النبي ايوب بالقرب من الشيخ سعد واهم قراه : نوى وشمسكين وسويديه وهي قاعدة القضاء واهم قراه : قنوات ـ بصرى ـ صلخد وغـيرها

قضاء عجلون : قاعدته عربيد . واهم قراه : عجلون ـ ابيل ـ جرش .

قضاء القنيطره : قاعدته القنيطره ويتبعها بانياس ـ تل القاضي ـ أم القناطر ـ جبـة الزيت ـ مجدل شمس ـ كفر هارب ـ عين الزيوان

قضاء بصرى الحريري : قاعدته اذرع . ويتبعها الصنمين وغيرها

قضاء درعا : اهم قراه : المزيريب ـ ام قيس ـ هامه ـ بصرى اسكي شام ـ تل شهاب ـ راميتا

وفي غير هـذا المكان تفصيل مسهب لمتصرفية حوران

متصرفية الـكرك

انشئت هذه المتصرفية سنة ١٨٩٤ وتمتد في الشرق من بحيرة لوط ومن اقصى الغور الممتد من خليج العقبة الى الطرف الشمالي من البحر الاحمر . وتنقسم الى اربع اقضية : الكرك ـ السلط ـ معان ـ طفيله

قضاء الكرك : قاعدته الـكرك وهي مركز المتصرفـة . كانت قديما أحصن مدن المواَبيين وفيها كثير من الآثار القديمة . واهم قراه : ربّة موآب ـ تل شيحان

قضاء السلط : قاعدته السلط « راموت جلعاد » وقد كان لها شأن

خطير في ايام الصليبيين. واهم بلدانه : عمان «ربة عمون» ـ ديبان ـ مادابا

قضاء معان : قاعدته معان ويتبعها بطرا عاصمة الانباط ـ الدير شمالي بطرا وفيها كثير من الآثار القديمة ـ جبل هارون حيثما دفن هارون شقيق موسى ـ شوبك

قضاء طفيله ـ قاعدته طفيله وهي مركز شيخ الجبل . ويتبعها البصيره « بصرا عاصمة الادوميين »

٤

ولاية بيروت

موقعها وحدودها : ان ولاية بيروت تشغل الجهة الوسطى من سوريا . وهي أهم ولاياتها من حيث الحركة التجارية والصناعية وأهم بلاد الشرق من الوجهة الادبية والعلمية . وهي محدودة من الشمال بولاية حلب ومن الشرق بولاية سوريا (دمشق) ومن الجنوب بمتصرفية القدس ومن الغرب بالبحر المتوسط وتحيط بمتصرفية لبنان من أكثر جهاتها

مساحتها : مساحتها نحو ٣٠٥٠٠ كيلو متر مربع أكثرها سهول

سكانها : يقدر عدد سكانها بزهاء ٥٥٠ الف نفس أي نحو ١٨ نفساً في الكيلومتر المربع

تقسيمها : وتنقسم الى خمس اقضية : مركز ولاية بيروت وفيه اربع اقضية ـ متصرفية طرابلس وتشتمل على اربع اقضية ـ متصرفية اللاذقية وتؤلف من اربع اقضيه ـ متصرفيه عكاء وتشتمل على خمس اقضيه ـ متصرفية البلقاء او بلاد نابلس وفيها اربع اقضية

مركز الولاية

ان مركز ولايه بيروت يقع في وسط الولايه ويقدر عدد سكانه بنحو ١٨٠ الف نفس وفيه اربع اقضيه وهي : بيروت ـ صيداء ـ صور . مرج عيون

مركز بيروت : اهم مدنه بيروت وهي قاعدة الولايه وسنذكرها مع اهم المدن الملحقة بها في الجزء الثاني من هذا الكتاب

قضاء صيداء : قاعدته صيداء . واهم بلدانه : صرفند ـ خربة عدلون جباع ـ النبطيه ـ الشقيف ـ يحمور ـ مزار ـ مقدوشه

قضاء صور : قاعدته صور . وأهم بلدانه : تبنين ـ قانا وقد اشتهرت لعسل ـ معركه ـ رأس العين ـ اسكندرونه ـ يارون ـ صنوه حيث قبر حيرام ملك صور

قضاء مرج عيون: قاعدته الجديده واهم قراه : هونين ـ الحوله ـ بنت جبيل وفيها آثار مدينة يهودية قديمة ـ قادس ـ خربة حرة ولها شأن كبير فى تاريخ العبرانيين

متصرفية اللاذقية

تشغل هذه المتصرفية القسم الشمالي من ولاية بيروت ويقدر عدد سكانها بنحو ١٤٠ الف نفس وتشتمل على اربع اقضية وهي : اللاذقية سحيون — جبله — المرقب

اللاذقية : هي قاعدة المتصرفية ويتبعها الساحل - البهلولية - بعير - بوجق

قضاء سحيون : قاعدته الاسمية سحيون وفيها آثار قلعة حصينة من القرن الثاني عشر واخص قراه : باب اناح وهي مركز القائمقام - شفتة سحيون - جبل الاكراد - بيت السليف - محليه

قضاء جبله : قاعدته جبله وفيها آثار هيكل قديم للشمس اشتهر في ايام هليوغابال واهم قراه : سميسنان — البني علي — سمتي قبلي

قضاء المرقب : قاعدته بلنياس وهي مدينة فينيقية واهم قراه : المرقب - قدموس — عليقه وفيها آثار قلعة قديمة كانت في القرون الوسطى مركز شيخ الجبل او شيخ الحشاشين (انظر اسمعيلية)

متصرفية طرابلس

موقع هذه المتصرفيه بين متصرفية اللاذقية ومتصرفية لبنان ويقدر عدد سكانها بنحو مائة الف نفس وتنقسم الى ٤ اقضية وهي : طرابلس - عكا ء - حصن الاكراد - صافيتا

طرابلس : مركز المتصرفية ويتبعها : المنيا — طرطوس — جزيرة

اوواد ــ عمريت ــ عرقا ــ القامون ــ ارض ارطوسي وقد اشتهرت في زمن الصليبيين ــ حانيه ــ حاذور .

قضاء عكار : قاعدته عكار وطن الامراء آل سيفا . وأخص قراه : قبيعات وفيها بعض معامل حرير ــ بحريه ــ رومنيه ــ عيدمون وفيها معامل للسجاد مشهور بالسجاد العيدموني .

قضاء حصن الاكراد : قاعدته حصن الاكراد وهو اسم قلعة قديمة هناك يرتقي انشاؤها الى زمن الدولة الثامنة عشرة من دول الفراعنة واهم قراه : مار جرجس — حصن سليمان وهناك آثار هيكل قديم بني تكرمة للمريخ — قلعة تليعات وهناك آثار قلعة من ايام الصليبيين

قضاء صافيتا : قاعدته صافيتا وفيها آثار قلعة حصينة من ايام الصليبيين . وأهم قراه قلعة العريمه وفيها آثار قلعة من أيام الصليبيين

وفي هذه الاقضية الاربعة كثير من الآثار القديمة ذات القيمة التاريخية الكبرى وأكثرها من أيام الصليبيين

متصرفية عكاء

يفهم بها جميع البلاد الواقعة على ساحل البحر أمام الجون المعروف بجون عكاء بين مركز بيروت ومتصرفية نابلس ويقدر عدد سكانها بنحو ٧٥ الف نفس . وتنقسم الى خمس أقضية وهي عكاء — حيفا ــ الناصرة ــ صفد ــ طبريا

مدينة عكاء : هي قاعدة المتصرفية والقضاء ويتبعها الزيب احدى المدن الفينيقة ـ قلعة قرين وفيها آثار قلعة من أيام السلوقيين — جفاط وقد اشتهرت بمحاصرة الامبراطور فسبسيانوس لها ـ شفا عمر وفيها كنيسة جميلة من القرن الثاني عشر على اسم مار يوحنا

قضاء حيفا : قاعدته حيفا ويتبعها دير مار الياس الحي على قمة من جبل الكرمل ـ عثليت ـ قيصريه

قضاء الناصرة : قاعدته الناصرة وهي مدينة صغيرة اقامت فيها العائلة المقدسة وفيها كنيسة مبنية في المكان الذي تم فيه سر التجسد واخص بلدانه : كفر قنا « قانا الجليل » حيث احال المسيح المياه الى خمر وقد بنيت في المكان الذى تمت فيه هذه المعجزة كنيسة لا تزال قائمة الى اليوم ـ الصفوريه وهي وطن يواقيم وحنه من أقرباء العذراء وفيها آثار قلعه وهيكل قديمين

قضاء صفد : قاعدته صفد وفيها نحو ١٢ الف نفس وهي أهم مراكز اليهود فى سوريا . وفيها آثار قلعة من أبنية الصليبيين . ويتبع هذا القضاء ميرون وفيها آثار قلعه وبقايا كنيس قديمة وأضرحة لثلاثة من أشهر كهنة اليهود في الازمنة القديمة ـ كفر بريم وفيها آثار عبرانيه قديمه ويقال ان أستير مدفونة فيها

قضاء طبريا : قاعدته طبريا نسبة الى الامبراطور طيباريوس وفيها نحو خمسة آلاف نفس . قيل في تاريخها انه بعد خراب أورشليم

نقلت محكمة اليهود العايا الى الصفوريه الآنفة الذكر ثم الى طبريا ويتبعها حطين بالقرب من جبل قرون حطين و جبل بركات وقد اشتهرت بالموقعة الكبرى التي انتصر فيها صلاح الدين على لوسينيان سنة ١١٨٧ ـ خربة كراسه وهي التي لعنها المسيح ـ تل حون (هي كفرناحوم في نظر بعض العلماء) وقد شملتها لعنة المسيح وأتى فيها بعدة معجزات ـ خربة ابو شوشه ـ مجدل وطن مريم المجدليه ـ الحمام حيث يوجد مياه كبريتيه يقصدها أهل الجوار للاستحمام والاستشفاء ـ عربيد وفيها آثار قلعة قديمة ـ كرك وقد اشتهرت كلتاهما بشدة مقاومتهما لطيطس في محاصرته لهما

متصرفية نابلس « البلقاء »

ان متصرفية نابلس واقعة في أقصى الطرف الجنوبي من ولاية بيروت بين متصرفية عكاء ومتصرفية القدس وتمتد من مجرى الاردن الى البحر المتوسط ويبلغ عدد سكانها نحو ٥٠ الف نفس . وتنقسم الى اربع اقضية وهي : نابلس ـ جنين ـ بني صعب ـ جماعين .

نابلس : هي قاعدة المتصرفية والقضاء وهي مدينة صغيرة عدد سكانها نحو ٢٥ الف نفس . فيها كثير من الآثار القديمة اخصها بئر يعقوب المعروف ببئر السامرة وقبر يوسف . وهي مركز السمرة ولهم فيها كنيس يحفظون فيه نسخة قديمة من أسفار موسى الخمسة وأهم حاصلاتها الصابون وماء الورد والجلود المدبوغة والصياغة .

ويتبعها من البلدان والقرى : تلوزا « شكيم » وكانت قديما عاصمة مملكة اسرائيل بعد انقسام العشرة اسباط — سبطيه « السامره » وقد بنيت سنة ٩٢٥ ق . م وفيها نشأ السمرة في خلال السبي البابلي وفيها ايضا قتل هيرودوس الكبير ولديه اريستو بولوس واسكندر وقيل ان فيها دفن مار يو حنا المعمدان . وقد استولى عليها صلاح الدين سنة ١١٨٤ وهي حافلة بالآثار القديمة

قضاء جنين : قاعدته جنين « انجنيمه » كانت قديماً من مدن اللاويين ويتبعها اللجون « مجدو » وفيها انتصر رعمسيس الثاني على الحثيين — بلدة زرعين « جزرائيل » حيث قتل احاب نابوت اليزراعيلي وفيها كرس يسى ملكاً سنة ٨٨٤ وبعد ان ذبح اولاد أحاب في السامره عاد اليها ورمى بايزابل من أعلى قصرها ولحست الكلاب دمها بالقرب من كرم نابوت حسب النبوة — قرية جبل فقوه حيث قتل شاول وابناؤه الثلاثة فى موقعة جرت لهم مع الفلسطنيين — سانور — تل دوثان حيث التقى يوسف باخوته ورموا به الى بئر لا ماء فيها وباعوه الى جماعة من التجار اتوا به الى مصر . ولا تزال هذه البئر ظاهرة الى اليوم — طوباس حيث لقي ايمالاش حتفه — بيسان وهي مدينة كنعانية قيل انه بعد ان قتل شاول في سفح جبل جلبوع جيء به اليها وعلق على سورها . وفي هذه المدينة كثير من الآثار القديمة.

قضاء بني صعب : قاعدته تل كرم وهي قرية كبيرة واقعة في وادٍ خصيب بين غابات الزيتون. ومن القرى التابعة له : كفر سابا —

خربة عرصوف « ابولونيا » التي دمرها اليهود فاعاد بناءها غابينيوس سنة ٥٧ م وقد استولى عليها الصليبيون سنة ١١٠٢ ثم أخذها صلاح الدين ثم الصليبيون سنة ١١٩١ ورمم القديس لويس التاسع ملك فرنسا اسوارها سنة ١٢٥١ ثم اخذها السلطان بيبرس البندقدار سنة ١٢٦٥

قضاء جماليين : قاعدته صلفيت ويتبعها جماليين وهي مدينة جميلة محاطة بغابات الزيتون — خربة رابا وفيها آثار قلعة بناها اسكندر ينى وقد تحصن فيها ابنه اريستوبولوس وحفيده اسكندر ضد غزوات الرومان وقد دمرها غابينيوس واعاد بناءها فيروراس شقيق هيرودوس الكبير وقد دفن فيها اريستوبولوس واسكندر ولدا هيرودوس اللذان قتلا في سبطيه الآنفة الذكر — خربة سيلون « سيلو » حيث وضع يشوع تابوت العهد بعد ان عبر الاردن وقسم ارض الميعاد بالقرعة وفيها صرف صموئيل زمن صبوته — بلدة الخربة — تل الفصايل « فاسيليس » وهي من المدن التي بناها هيرودوس الكبير ووهبتها اخته سالومي لامرأة اغسطس قيصر

٥

متصرفية القدس

موقعها وحدودها

كانت متصرفية القدس حتى سنة ١٨٨٧ ملحقة بولاية سوريا

« دمشق » ثم فصلت عنها وألحقت بنظارة الداخليه كمتصرفية الزور التي تقدم الكلام عليها . وهي تشغل القسم الجنوبي من فلسطين ويحدها من الشمال متصرفية نابلس التابعه لولاية بيروت ومن الشرق نهر الاردن والبحر الميت وهو الحد الفاصل بينها وبين ولاية سوريا ومن الجنوب العربية الحجريه ومن الغرب البحر المتوسط

مساحتها : ٢١٣٣٠ كيلو متراً مربعاً

سكانها : يبلغ عددهم نحو ٣٣٠٠٠٠ نفس

تقسيمها : وتنقسم الى ٤ اقضيه : القدس ـ يافا ـ الخليل ـ غزه

القدس : مركز المتصرفية كانت قديماً عاصمة بني اسرائيل ولا تزال مركزهم الديني الى اليوم وهي مهد النصرانية وقد ذكرناها مفصلاً في غير هذا المكان

أما ملحقاتها فأهمها بلدة شفات « المصفاة » التي كانت قديماً مركز قضاء صموئيل ـ خربه تل الغول « جباث شاول » حيث سكن شاول قبل ان يمسح ملكا وفيها ضريح والده وقد صلب فيها سبعة من أولاده ـ بيتين (بتيل) حيث اقام ابراهيم مذبحاً للرب وفيها رأى يعقوب السلم السماوي وقد أقام فيها بريعام هيكله للعجل الذهبي منعاً لجماعته من الذهاب الى هيكل اورشليم ـ تل الخضيره فى مكان هاي التي استولى عليها يشوع بعد ان افتتح اريحا ـ عين السلطان بالقرب من خرابات اريحا وفيها دفن هيرودوس واستولى عليها فسبنيانوس

وقد خربت بعد خراب اورشليم ثم بنيت من انقاضها مدينة اخرى دمرها كسرى سنة ٦١٤ واجهز عليها جيش عمرو سنة ٦٣٧ — تل الجلجول « جلجال أو جلجله » وفيه عسكر العبرانيون بعد عبر الاردن وهناك ختن يشوع بني اسرائيل — عين العوج « انشميش او نبع الشمس » حيث اقام الكنعانيون معبداً للشمس — العازارية « بتانيا » حيث اقام المسيح اليعازر من بين الاموات وهناك مغارة قيل ان شقيق مرتا ومريم مدفون فيها — تبنه حيث اكتشفوا سنة ١٨٦٣ قبر يشوع — خربة مديه « مودين » وطن المكابيين وقد وجدوا مدافنهم هناك سنة ١٨٧٠ — يالو « ايالون » حيث أستوقف يشوع الشمس (!) ليستتم نقمته من اعدائه وفيها انتصر شاول على الفلسطينيين — امواس « نيكوبوليس او امايوس » وفيها دير لرهبانية السكوت — كبيبه « قيل انها امايوس » حيث ظهر المسيح لاثنين من تلامذته بعد بعثه وكسر لهما الخبز — كريات العنب « كاريا تياريم » حيث انتصر الفلسطينيون واستولوا على تابوت العهد — عين كريم ويقال لها مار يوحنا البرية نسبة الى يوحنا المعمدان الذي يقال انه دفن هناك وكانت وطن عائلة العذراء

مديرية بيت لحم : تابعة لمركز المتصرفية وموقعها جنوبي القدس وقاعدتها بيت لحم « افراتا » وهي مدينة صغيرة عدد سكانها نحو ١٠ آلاف نفس وقد ولد المسيح فيها وهناك بنت القديسة هيلانه كاتدرائية على مغارة بيت لحم حيث ولد المخلص وهي الآن مشتركة ما بين اللاتين

والروم وبالقرب منها حجر من الرخام بشكل سرير موضوع مكان سرير المسيح الذي نقل الى كنيسة سنت ماري ماجور في روميه وهناك مغارة مار ايرونيمس وضريحه وقد نقلت بقاياه الى الكنيسة المذكورة في روميه . ويتبع بيت لحم بيت جالا وبالقرب منها بناء قديم يقال له قبة رحيل أو ضريح رحيل زوجة يعقوب — بيت ساحور وهي وطن الرعاة الذين بشرهم الملاك بميلاد المخلص — دير مار سابا وهو دير قديم مما يذكر عنه ان عساكر كسرى ذبحوا رهبانه سنة ٦١٤ وهو الآن ملك الروم — خربة بيت فاغور حيث كان يعبد الموآبيون الاههم بعل فاغور — عين صالح حيث يوجد نبع جميل يخرج من حياض انشأها هناك سليمان الحكيم وتعرف ببرك سليمان

قضاء يافا : يقع هذا القضاء جنوبي قضاء بني صعب وغربي قضاء القدس شمالي غزه . ويحده البحر المتوسط من جهة الغرب . وقاعدته يافا . ويتبعها يازور « غازر » أحدى المدن الكنعانية التي استولى عليها يشوع وقتل ملكها روحام وقد استولى عليها المصريون في ايام سليمان ثم جعلها فرعون مهراً لابنته حينما زفت الى سليمان — يهوديه « بيت داجون » حيث اقام الفلسطينيون هيكلا للاله داجون الذي كانوا يمثلون اعلاه بنصف انسان واسفله بنصف سمكة

مديرية رمله : قاعدتها رمله « اريماثيا » ويتبعها اللد وعاكر

« عكرون » من المدن الفلسطينية الحصينة وكان لهم فيها هيكل على اسم بعل ذبوب « اله الذباب » — يبنه من مدن الفلسطينيين وقد دمرها يهوذا المكابي. وبعد خراب أورشليم كانت من أهم مراكز اليهود

قضاء الخليل : موقعه بين قضاء القدس شمالا والبحر الميت شرقا والعربية الحجرية جنوبا وقضاء غزه غربا وقاعدته الخليل « حبرون » وهي مدينة صغيرة عدد سكانها نحو ١٧ الف نفس و قد أعطي لها اسم الخليل نسبة الى ابراهيم خليل الله وهي عريقة في القدم كانت من أهم مدن الحثيين وقد أقام فيها ابراهيم الخليل وهناك دفن مع زوجته ساره وابنه اسحق ورفقه زوجته وقد نقلت اليها بقايا يوسف الصديق واقام فيها داود الملك سبعة سنين بعد ان مسح ملكا على اسرائيل وسور مدافن هولاء الابرار . وانشأ فيها يستنيانوس كنيسة كبرى حولت فيما بعد الى جامع وتعرف الآن بالحرم وهو من الامكنة المقدسة عند المسلمين فلا يدعون غريباً عن دينهم يدخله . وفي هذه المدينة تصنع سائر أنواع الآنية الزجاجية وعقود اللؤلؤ وغيرها

ويتبع الخليل خربة الصراصير وبالقرب منها واد فيه فرع شجرة السنديان التي نصب ابراهيم تحتها خيمته وتعرف الى اليوم بسنديانة ابراهيم — هلهول وطن النبي جاد وقد دفن فيها — عين الجروه حيث عمد فيلبس أحد رسل المسيح كنداس ملكه الحبشة — عين جدي وقد وصفت في التوراة بكثرة البلسم « الريحان » — سبه « مسادا » وقد

حاصرها طيطس وفيها تحصن اليهود بقيادة اليعازر وفضلوا ان يقتل أحدهم الآخر على ان يسلموا للرومان — دورا « أدورايم » التي حصنها يربعام ثم يوحنا هركان وهنـاك جامع فيه ضريح كبير هو في اعتبار أهل البلاد ضريح نوح — بيت جيرين وفيها آثار قلعتين وعدة اضرحة قديمـة — خربه دكرين وهي وطن جليات الجبار الذي صرعه داود

قضاء غزه : يقع هـذا القضاء جنوبي قضاء يافا وغربي قضاء الخليل وشمالي البرية وشرقي المتوسط وقاعدته غزه « كاديتيس » كانت من أهم مراكز الفلسطينيين وقد خلع شمشون الجبار ابوابها ومات مع ثلاثة آلاف فلسطيني تحت انقاض هيكلها على ما جاء في الكتاب المقدس وقيل ان ضريحه فيها لا يزال معروفاً الى الآن. وقد أخذها اسكندر الكبير ثم استرجعها اسكندريني وفيهـا انتصر بطليموس وسلوقس على انتيغونيوس سـنة ٣١٢ ق . م وقد خربت في زمن الفتن الاهلية التي شبت في اليهودية ثم رممها غابينيوس . وكان أهلهـا يعبدون الاله مرناس والزهره والشمس وابولون وبروسربين وكان لهذه الآلهة فيها هيا كل فخيمة . وافخم اثر تاريخي في غزه جامع مبني على انقاض كنيسة قديمة شيدت تكرمة ليوحنا المعمدان

ويتبع غزه اسدود « اشدود » من مدن الفلسطينيين وكان فيها هيكل لآلههم داجون ومما يجدر بالذكر من تاريخها انه لما جيء بتابوت

العهد اليها سقط الصنم الذي كان في هيكل داجون من تلقاء ذاته وتحطم وقد أخذها سليمان واستولى عليها سرغون ملك اشور وحاصرها بساميتيك ٢٩ سنة حينما كانت في حيازة الاشوريين وقد دمرها سمعان المكابي سنة ١٤٨ ثم رممها غابينيوس ثم اصبحت فيما بعد مركز اسقفية . وكان لها ميناء حصينة لا تزال آثارها تعرف الى اليوم بميناء اسدود — ومن ملحقات غزه عسقلان من مدن الفلسطينيين وكان فيها هيكل للزهرة — خربة صور وقد سماها هيرودوس اغريبا اغريبوم وقد دخلت في حيازة اسكندر يني وخربت ثم رممها غابينيوس ثم دمرها اليهود وعادت فنهضت وصارت مركز اسقفية . وفي زمن الصليبيين كانت خراباً — رفح حيث انتصر بطليموس الرابع على انطيوخوس الكبير ملك سوريه ولجأ هذا الى غزه «سنة ٢١٧ ق.م» — العريش على حدود مصر وهي قسمان عريش مصر وعريش سوريه يفصلهما نهر يجري بينهما. وهناك انقاض هيكل مصري وبقايا كنيسة من العصر البيزنطي وقد مات فيها بدوين الاول ودفنت احشاؤه هناك وفي هذه البلدة وقع نابوليون الاول سنة ١٨٠٠ على المعاهدة التي تعهد فيها بالجلاء عن مصر

٦

متصرفية لبنان

موقع لبنان

لبنان من اللبان وهي لفظة عبرانية معناها الابيض أو النقي أو البخور . سمي كذلك لان الثلج يغشى قممه مدة طويلة من السنة وكثيراً ما يشاهد عن بعد شاسع فى بعض الشقوق من هذه القمم وفي بعض الوهاد التي تتخللها حتى آخر الصيف

ويعده علماء الجغرافية والتاريخ من أرض الميعاد التي قيل في وصف خصبها وجودة تربتها انها كانت فيما سلف من الزمن تدر لبناً وعسلا وهو جزء متمم لها لانه داخل ضمن تخومها

والمقصود بلبنان هنا فينيقية القديمة وما تاخمها من الارض الواقعة بين حماه وسهل ارواد من جهة الشمال وبين سهول الجليل واودية جلعاد التي كانت معروفة قديماً برأس لبنان من جهة الجنوب. وكان يفهم بهذه البقعة من الارض في قديم الزمن سوريا المتوسطة أو الثانية.

وهو يقع من جهة مدينة عكاء في الدرجة ٣٢ ' ٥٠ دقيقة من العرض الشمالي ومن جهة مدينة حماه في الدرجه ٣٥ ' ٢٠ دقيقة أي ان مسافته تبلغ درجتين ونصف درجة أو ٢٧٧ كيلو متراً و٧٧٧ متراً أي بزيادة نصف درجة عن أرض فلسطين التي تبلغ مسافتها درجتين أو ٢٢٢ كيلو متراً و٢٢٢ متراً فقط

حدوده القديمة

وهو يمتد جنوباً بحسب تحديده القديم من جبل الجليل الذي هو تتمة سلسلته الطبيعية على مقربة من عكاء الى جبل برجل « من برجيليس » المعروف بجبل النصيرية الواقع شرقي سهل ارواد بالقرب من أرض حماه شمالاً على طول ٢٧٨ كيلو متراً . ومن البحر المتوسط غرباً الى بادية سوريا ما يلي الجبل الشرقي شرقا على عرض ١٣٣ كيلو متراً . ويدخل ضمن هذه الحدود متصرفية اطرابلس ومتصرفية لبنان وقسم كبير من ولايتي بيروت وسوريا

حدوده الحديثة

أما الان فهو محدود من الشمال بمتصرفية اطرابلس ومن الشرق بولاية سوريا ومن الجنوب بقضاء صيداء ومن الغرب بالبحر المتوسط ويمتد طولاً نحو مائة ميل من الشمال الى الجنوب على خط مستقيم يضيق وينحني مائلا الى الغرب من طرفيه ويتسع في وسطه من منتهى السلسلة الغربية على حدود متصرفية اطرابلس حيث يضم داخل تخومه مديرية الهرمل حتى مصب نهر القاسمية المعروف بالليطاني وهو الذي يفصله عن معاملة صيداء . ويمتد عرضاً نحو ٤٥ ميلا من الغرب الى الشرق أي من البحر المتوسط حتى لبنان الشرقي «انتيلبنان» على حدود بعلبك

مساحته

تبلغ مساحة جبل لبنان بحسب تحديده الحديث ٥٧٤٠ كيلو متراً مربعاً . وهو يحيط بمدينة بيروت وضواحيها وملحقاتها وقد جعلتها الطبيعة جزءاً متمما له من عدة أوجه

سكانه

يقدر عدد سكان لبنان بزهاء ٥٥٠ الف نفس منهم زهاء ٤٧٠ الف مسيحي من طوائف مختلفة معظمهم من الموارنة و٥٠ الف درزي و٣٠ الف مسلم بين شيعيين وسنيين . ويؤخذ من الاستقراآت التي تتبعناها انه هاجر من اللبنانيين الى الاقطار الاميركية واستراليا والقطر المصري والمستعمرات الافريقية مالا يقل عن ٣٠٠ الف نفس أي ان المهاجرين منهم يفوقون عدداً السكان الباقين في البلاد . وقد بدأت هذه المهاجرة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وهي على ازدياد .ومع وفرة عدد الجالين عن هذا الجبل في العهد الاخير لا يزال من اكثر جبال المعمورة سكانا. فالقرى فيه متلاصقة في كثير من جهاته ولا سيما في الشمال وفي السواحل البحرية وهي مكتظة بالسكان. وفي كل كيلو متر مربع منه ٩٥ نفساً وهي نسبة مدهشة لم يعهد لها مثيل في جبل من جبال الارض

أقسامه القديمة

كان لبنان قديماً ينقسم بحسب طبيعة أماكنه وعلاقات سكانه

بعضهم مع بعض الى عدة مقاطعات أو مناطق ثم جاء الاشوريون واليونان والرومان فبدّلوا هيئة تقسيمه ووضعوا اسماء جديدة لكل قسم منه . ولما انقضت دولهم عاد اللبنانيون فتمسكوا بالاقسام التي قسموها هم وحافظوا على الاسماء التي وضعوها لها . ولما افتتح العرب البلاد الشامية لم يتعرضوا لتقاسيمها الجغرافية وهكذا بقيت هذه الاقسام ولاسيما اقسام لبنان الى عهد طويل كما سيجيء

وقد جعلت هذه المقاطعات في كثير من التواريخ القديمة ٥٠ مقاطعة وهي :

١ — جزيرة ارواد

٢ — سهل طرطوس ويمتد من جبال النصيرية وحدود مقاطعة اللاذقية الى النهر الكبير وقاعدتاه طرطوس وصافيتا

٣ — قضاء حصن الاكراد يشمل قسما من الجبل وقسما من السهل الى شمالي لبنان حتى عكار

٤ — حماة وملحقاتها وتتناول جبل الكلبية ومعظم وادي العاصي

٥ — عكار وتتناول جبل عكار وجون عكار من النهر الكبير الى النهر البارد

٦ — الزاوية من النهر البارد الى نهر قديشا

٧ — الضنية تشمل الجبال الواقعة شرقي الزاوية

٨ — اطرابلس وملحقاتها

٩ — الكورة وتمتد من نهر قديشا الى نهر العصفور وقاعدتها اميون

١٠ — جبة بشري « من جبة بالفينيقي أي ارتفع » وتشمل اعالي لبنان الشمالي في سفح جبل المكمل وأهم قراه بشري واهدن

١١ — القويطع يمتد من نهر العصفور الى نهر الجوز

١٢ — بلاد البترون من عدوة نهر الجوز الى نهر المدفون

١٣ — جبيل من نهر المدفون الى نهر الفيدار

١٤ — بلاد المنيطره « أي الحافظة » تضم من البحر الى الجبل جميع البلاد الواقعة بين نهر الفيدار ونهر ابراهيم

١٥ — الفتوح من نهر ابراهيم الى المعاملتين

١٦ — كسروان « من كسرى اميرها . وكانت تعرف بالعاصية لوعورة جبالها » كانت قديماً من نهر ابراهيم الى نهر الجعماني ثم ضاقت حتى صارت من نهر المعاملتين الى نهر الكلب وما بينهما من الجبال حتى سهل البقاع وقصبتها غزير

١٧ — القاطع « أي المقطوع عن كسروان » يمتد من نهر الكلب الى نهر انطلياس وقصبته بكفيا

١٨ — المتن من نهر انطلياس الي نهر بيروت وأهم قراه المتين

١٩ ـــ ساحل بيروت من نهر بيروت الى نهر الغدير

٢٠ ـــ الغرب وهو قسمان الغرب الاعلى والغرب الاسفل ويشتمل على البلاد الواقعة بين نهر الغدير ونهر الغابون وأهم قراه الشويفات وعيتات

٢١ ـــ الشحار من جسر القاضي الى الدامور وقصبته عبيه

٢٢ ـــ الجرد من نهر الغابون الى نهر الصفا وهو قسمان : الجرد الجنوبي وقصبته رشميا والجرد الشمالي وقاعدته بتاتر

٢٣ ـــ المناصف « أي المنصفة » من جسر القاضي الى وادي بيت الدين وقصبتها دير القمر

٢٤ ـــ العرقوب « أي العقبة » من شرقي المناصف الى قمة جبل الباروك

٢٥ ـــ الشوف من نهر بتدين الى قمة الجبل وأهم قراه المختاره وبعقلين وهما من اهم مراكز الدروز

٢٦ ـــ اقليم الخروب من الدامور الى نهر الاولى واهم قراه شحيم

٢٧ ـــ اقليم جزين من الشوف الى جبال جزين وقاعدته جزين

٢٨ ـــ شوف البياضر يفهم به المنحدر الشرقي من لبنان وقصبته زحله

٢٩ ـــ اقليم التفاح يشتمل على ضواحي صيداء من تخوم

الساحل فما فوق

٣٠ — صيداء وساحلها

٣١ — جبل الريحان يضم منحدري جبل الريحان

٣٢ — شومار من نهر الزهراني الى نهر القاسمية وقاعدته البابلية

٣٣ — صور وساحلها

٣٤ — عكاء وساحلها

٣٥ — بلاد الشقيف تمتد من جبل الريحان الى نهر الليطاني وأهم قراها النبطيه

٣٦ — بلاد بشاره تمتد من نهر الليطاني فوق صور الى الجليل الاسفل ويدخل فيها الجليل الاعلى ومن أهم قراها تبنين وبنت جبيل

٣٨ — بلاد صفد يفهم بها الجبال الواقعة فوق بحيرة طبريه

٣٨ — مرج عيون تمتد من الليطاني الى الاردن الاعلى في الجبال واكبر قراها الجديدة

٣٩ — الحولة تضم وادي الحولة وما جاورها من القرى والدساكر وأهم قراها بانياس

٤٠ — وادي التيم يمتد على طول وادي الاردن الاعلى برمته أي على طول قاعدة جبل الشيخ الغربية وأهم قراه حاصبيا وراشيا

٤١ ـــ البقاع وقصبته المعلقة

٤٢ ـــ متصرفية بعلبك من البقاع الى سهل حمص

٤٣ ـــ متصرفية حمص تضم سهل حمص من البادية الى لبنان الشرقي ولبنان الغربي

٤٤ ـــ جبل قلمون عند شمالي لبنان الشرقي وأهم قراه الزبداني

٤٥ ـــ وادي بردى يفهم به الوادي الذي يجري فيه نهر بردى في مجراه الاعلى وما جاوره من الوديان

٤٦ ـــ دمشق وضواحيها

٤٧ ـــ مرج الغوطه والمقصود به السهل الممتد شرقي دمشق

٤٨ ـــ وادي العجم وهو السهل المنبسط على جنوبي دمشق

٤٩ ـــ اقليم البلان ويفهم به السفح الشرقي من جبل الشيخ

٥٠ ـــ الجيدور «ايطوريه» وعنده ينتهي الجبل الشرقي واراضي دمشق وهناك تبتدىء بلاد حوران وقد فصلناها في غير هذا المكان

تقسيمه الحديث

ينقسم لبنان بحسب النظام الذي وضع له سنة ١٨٤٠ الى معاملتين وهما معاملة اطرابلس ومعاملة صيداء

اما الاولى فتقسم الى ٨ مقاطعات وهي الكورة ـــ الزاوية ـــ القويطع ـــ جبة بشري ـــ بلاد البترون ـــ بلاد جبيل ـــ جبة

المنيطره — الفتوح . وهي تمتد من حدود اطرابلس الى جسر المعاملتين الواقع على مسافة كيلومترين شمالي مدينة جونيه

والثانية تشمل ستة عشر مقاطعة وهي كسروان — القاطع — المتن — ساحل بيروت — الغرب الاسفل — الغرب الاعلى — الشحار — الجرد — المناصف — العرقوب — الشوف — اقليم جزين — الشوف البياض — اقليم التفاح — اقليم الخروب — جبل الريحان . وهي تمتد من جسر المعاملتين الى مدينة صيداء

وكان يحكم المعاملة الشمالية حاكم معروف بقائمقام النصارى لان معظم اهاليها من المسيحيين واكثرهم موارنة ويحكم الجنوبية حاكم معروف بقائمقام الدروز لان معظم سكانها كانوا من الطائفة الدرزية

وكان حكام تلك المقاطعات معروفين بالمقاطعجية اي اصحاب المقاطعات وكان يوليهم عليها حاكم صيداء وينتخبهم من بين العائلات الشهيرة التي ألفت الحكم في لبنان من قديم الزمن على ما سيجيء

تقسيمه الاخير

وفي سنة ١٨٦١ قسمت هذه المقاطعات الى ٧ اقضية وهي : قضاء الكورة ويستثنى منه قصبة القلمون الواقعة على ساحل البحر فقد ألحقت بمتصرفية اطرابلس لان معظم سكانها من المسلمين — قضاء

البترون ويشتمل على جبة بشري والزاوية وبلاد البترون — قضاء كسروان ويشمل بلاد جبيل وجبة المنيطرة والفتوح وكسروان الاعلى حتى نهر الكلب — قضاء زحلة وهو يشتمل على مدينة زحلة وضواحيها حتى معلقة زحلة التابعة لولاية سوريا — قضاء المتن ويشتمل على ساحل النصارى واراضي القاطع وصليما — قضاء الشوف ويشتمل على بلاد الشوف وهو واقع بين طريق الشام من الجنوب حتى جزين — قضاء جزين وهو يشتمل علي اراضي جزين واقليم التفاح — ناحية دير القمر التى جعلت بصفة استثنائية مديرية قائمة بنفسها وتابعة للمتصرفية رأساً

وكل قضاء من هذه الاقضية يقسم الى عدة مديريات وكل مديرية الى عدة قرى كما سيجيء

الحكم الاداري

يحكم القضاء حاكم محلي ينصبه حاكم لبنان العام ويعرف باسم قائمقام ووظيفته تعادل وظيفة مدير في القطر المصري واما المديرية فيحكمها مدير يعينه الحاكم العام بناء على طلب القائمقام ووظيفته تعادل وظيفة مأمور مركز في القطر المصري . واما الحاكم العام فيطلق عليه اسم متصرف ويعينه الباب العالي بعد موافقة سفراء الدول الاوربيه الست الموقعة على نظام لبنان في الاستانه ويكون تعيينه على خمس سنوات يمكن تجديدها وهو قابل العزل قبل انتهاء مدته

ويكون برتبة مشير وسلطته اوسع من سلطة الولاة في الدولة العثمانيه وتعهد اليه حقوق القوة الاجرائية بجملتها ويعين تحت عهدته مأموري الادارة المحلية ويقلد الحكام وظائف القضاء ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته بنفسه او بواسطة وكيله وينفذ الاعلامات القانونية الصادرة من المحاكم الى غير ذلك مما هو داخل في اختصاص الحكام المستقلين ومرتبه الشهري ثلاث مائة ليرة عثمانية يضاف اليه مائتا ليرة عثمانية في السنة بدل انتقال في جهات الجبل لان وظيفته تقضي عليه بالتجول في انحاء متصرفية لبنان مرتين في السنة لتفقد شؤونها والنظر فيما يشكو الاهالي منه وقد زيد هذا المرتب في بدء سنة ١٩٠٨ خمسين ليرة عثمانية وهو مرتب ضخم لا يتناوله رئيس نظارة الحكومة المصرية ذاتها . اما مرتب القائمقام فيتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ليرة عثمانية ومرتب المدير لا يزيد في اكبر تعديل عن ثماني ليرات عثمانية

الحكم القضائي

اما محاكم لبنان فعلى نوعين : محاكم ابتدائية . ومحاكم استئنافية اما الابتدائية فهي في مركز كل قضاء وتؤلف عادة من رئيس وعضوين يقومان مناوبة بوظيفة مستنطق او قاضي تحقيق . واختصاص هذه المحاكم يتناول الدعاوي الحقوقية والجزائية على السواء ضمن حدود معينة في القانون العثماني . وتحكم فيما يرفع اليها من القضايا المدنيـة والجنح والمخالفات . واما الجنايات فالحكم فيها من اختصاص محكمة الجزاء

الاستئنافية . واما محاكم الاستئناف ففي لبنان منها محكمتان او دائرتان دائرة الحقوق ودائرة الجزاء ومركزهما في دار المتصرفية وتميز أحكامهما الى محكمة التمييز « النقض والابرام » في الاستانة . والدعاوي التجارية قد خول نظام لبنان الاخير حق النظر والفصل فيها لمحكمة بيروت التجارية . وهكذا الدعاوي المدنية اذا كانت بين لبناني وأجنبي وينتظر ان تخول محاكم لبنان حق النظر في الدعاوي التجارية منذ اواخر سنة ١٩١٢ فصاعداً . ومحاكم لبنان تتبع في أحكامها القانون العثماني منذ اواخر القرن التاسع عشر . اما الاحوال الشخصية فالنظر فيها عند الطوائف الكاثوليكية من اختصاص المطرنيات في الدرجة الاولى والبطريركية في الدرجة الثانية والكرسي الرسولي في رومية في الدرجة الثالثة

الحكم النيابي :

في لبنان مجلس ادارة كبير مؤلف من اثني عشر عضواً يمثلون الطوائف اللبنانية المؤلفة من الموارنة والدروز والروم الكاثوليك والروم الارثوذكس والمتاولة والمسلمين وينوب عن كل طائفة فيه عضو او عضوان بحسب اهمية عددها ولهذا المجلس ان يوزع التكاليف ويبحث في ادارة عوائد الجبل ونفقاته وله السيطرة التامة على مالية الجبل ويبدي رأيه في المسائل التي يعرضها عليه المتصرف . ونظام سنة ١٨٦١ جعل لكل مقاطعة من مقاطعات الجبل مجلس ادارة محلي

مؤلف من ثلاثة اعضاء الى ستة وهو يمثل عناصر الشعب ومصالح ذوي الاملاك ويلتئم مرة في السنة وله ان ينظر في سائر الامور الادارية والقضائية وينظر في مطالب الاهلين ويؤدي المعلومات الاحصائية اللازمة لتوزيع التكاليف ويعطي رأيه الشوري في كل المسائل المتعلقة بالمنافع المحلية الى غير ذلك مما هو متبع في مجالس مديريات القطر المصري عند اول نشأتها الا انه لم يعمل بهذه المادة الا وقتاً قصيراً. والحكم النيابي قاصر على مجلس الادارة الكبير الآتف الذكر وربما وسع اختصاص هذا المجلس في اواخر سنة ١٩١٢

الضابطة

اما الضابطة في لبنان فمؤلفة من ثمانمائة جندي نظامي يقودها ضابط لبناني كبير من الطائفة المارونية برتبة اميرالاي ومرتبه الشهري ٢٥ ليرة عثمانية . على ان نظام لبنان يجعل عدد الجند اللبناني اكثر من ذلك بنسبة عدد الاهالي فلم يعمل به لاسباب مالية وسياسية لا محل لذكرها هنا

الضرائب

ان نظام سنة ١٨٦١ جعل ضرائب لبنان ثلاثة آلاف كيس « الكيس ٥٠٠ قرش » واجاز ابلاغها الى سبعة آلاف كيس اي ٣٥ الف ليرة عثمانية عند الضرورة القصوى واذا لم تكف هذه القيمة لتسديد النفقات فالدولة العثمانية تسدد العجز من صندوق النافعة

الا ان الدولة لم تعد تسدد هذا العجز منذ عهد رستم باشا سنة ١٨٨٠ ولايزال مجلس الادارة يدرج في الميزانية السنوية ماكانت تدفعه الدولة الى صندوق الجبـل ويحسبه ديناً للجبل عليها حتى الآن وكانت هذه الاعانة في بادىء الامر ٢٠ الف ليرة عثمانية . غير ان المتصرفين الذين حكموا لبنان توسعوا كثيرا في فرض الضرائب والرسوم على سكان الجبل بحيث اصبح ايراد الخزينة الآن يقدر بزهاء ١٥٠ الف ليرة عثمانية

أقضية لبنان ومديرياته وقراه

لما كنا لم نتتبع في الكلام عن قرى لبنان سياق تقسيمه الاداري السياسي بل توخينا فيه ذكراهم القرى الواقعة على الطرقات العمومية ولاسيما ما كان منها صالحاً للاصطياف او ذا اهمية تاريخية او مشهوراً بآثاره القديمة او بما امتاز به من المناظر الطبيعية وجودة الهواء وعذوبة الماء رأينا ان نورد هنا اسماء الاقضية والمديريات والقرى التابعة لها حتى اذا فاتنا ان نذكر بعض القرى تفصيلا في عرض الكلام عن المصايف اللبنانية لا يفوتنا ان نذكرها اجمالا

قضاء الشوف

١ بعلقين : ملحقة بمركز القضاء

٢ مديرية الشوفين : مؤلفة من ٢٢ قرية وهي : المختاره ـ بطمه ـ

المعاصر ـ نيحا ـ جباع ـ الخربيه ـ بعذران ـ باتر ـ حارة جندل ـ عماطور ـ عين قني ـ مرستي ـ الجديده ـ السمقانيه ـ عين النور ـ مزرعة الشوف ـ الكحلونية ـ بيقون ـ عنبال ـ عثرين ـ غريفه ـ مرج بسري

٣ مديرية الغرب الاقصى : مؤلفة من ١٠ قرى وهي : الشويفات ـ ديرقوبل ـ بشامون ـ عين عنوب ـ عين كسور ـ الفساقين ـ عرمون الغرب ـ سرحمول ـ خلده

٤ مديرية اقليم الخروب : مؤلفة من ٦٤ قريةوهي : بسابا ـ كفرمايه ـ الجلاليه ـ البرغوثيه ـ الزعروريه ـ الحجاجيه ـ حارة ظهر السودا ـ جون ـ داريا ـ خربة المرح ـ البرجين ـ الجية ـ مقصبه ـ قـوبه ـ الزعرور ـ الزيتونيـه ـ عانوت ـ مزرعة عين الحور ـ مزرعة خربة بسري ـ بكيفا ومزمورا ـ حصروص ـ مزرعة تربلابتمره ـ المشيعه ـ بعاصير ـ البقنهوالسيار ـ بكستين ـ ظهر المغاره ـ بقعون ـ الدلهميه والرزانيه ـ الدبيه ـ برجا الفخيته ـ قتلة عيسى ـ اللاهبيه ـ البطل ـ عامان ـ العانسيه ـ بزينا ـ المعنيه ـ اسكندرونه ـ كترماا ـ شحيم ـ عين الاسد ـ الشميس ـ المريجات ـ تمعرين . الزير ـ سبلين الجميليه ـ الوردانيه ـ المغيريه ـ دلهوم ـ القريعه ـ مجدلونا ـ الرميله ـ مزبود ـ المختقر ـ وادي ابو يوسف

٥ مديريةالعرقوب الاعلى : مولفة من ٩ قرى وهي : عين زحلته ـ

البصيل ـ الورهنيه ـ كفره ـ اغميد ـ بمهريه ـ عين عابد ـ خلة عقياه ـ العديس

٦ مديرية العرقوب الجنوبي : مؤلفة من ١٠ قرى وهي : بتلون الفوقا والتحتا ـ القايمه ـ عينوزين ـ بصنيه ـ برح ـ الباروك ـ الفريديس ـ كفر نبرخ ـ عين عزيمه ـ الفوار

٧ مديرية العرقوب الشمالي: مؤلفة من ١٥ قرية وهي : عين داره ـ العزونية ـ الجمايل ـ شمسيه ـ المريجات- البيره والخريبه ـ كفرنيس ـ مجد المعوش ـ وادي الست ـ زهنان ـ بودين ـ شويت الفوقا ـ شويت التحتا ـ بقفتا ـ مسقيتا

٨ مديرية الغرب الشمالي :مؤلفة من ١٦ قريةوهي : سوق الغرب ـ بعكين ـ عين الرمانه ـ الكحاله والرجوم ـ بخشتيه ـ بدادون ـ بليبل دفون ـ الرجوم ـ القماطيه - عين الجديده ـ بسوس ـ حارة سالم ـ حومال ـ رمحالا ـ مزرعة محمود

٩ مديرية الغرب الاعلى: مؤلفةمن ٩ قرى وهي: عاليه ـ عيناب بيصور ـ شملان ـ كيفون ـ عيتات ـ مجدليا ـ مزرعة بحواره ـ الغابون

١٠مديرية الجرد الجنوبي : مؤلفة من ٢١قرية وهي : بحمدون ـ يطلون ـ عين الفريديس ـ دوير الرمان ـ عين الحلزون ـ مزرعة النهر ـ مغارة الفوقا والتحتا ـ شرتون ـ رويسة نعمان ـ شوريت ـ

بسرين - كفر عميه - حبرمون - الجوز - حماه - التعزانيه - رشميا - مرج شرتون - عين تراز - دير سير - عين مرعي

١١ مديرية الجرد الشمالي: مؤلفة من ١١ قرية وهي: بتاتر . شانيه - مجد البعنا - بدغان شارون - معصريتي - وادي بدعان - المشرفه الرمليه - وطا شارون - نصف عين صوفر القبلي

١٢ مديريه المناصف: مؤلفة من ١٩ قرية وهي: كفر حمل - مغيرة دوير - بصنيه - عميق - كفرحيم - كفر فاقود - غابة جعفر - دميث - البحيري - الجربان - وادي بحليه - كفر قطره - الكنيسه - دركوشه - بشتفين - دير بابا - بنويته - سرجبال - الجاهلية - البقيعه

١٣ مديريةالشحار: مؤلفة من ١٣ قرية وهي: عبيه كفر متى - البنيه - عين درافيل - دقون البوم - دير الناعمه - الناعمه - سلفايا - بوار الدين - كيفاه - بعورته - معلقة الدامور - العتيقه

قضاء المتن

١ القرى الملحقة بمركز القضاء: يتبع هذا القضاء ٥١ قريةملحقة به رأساً وهي: برمانا - قنابة برمانا - بيت مري - عين سعاده - المنصورية المسقى - الغابه - الحله - المكلس الجديده - الديشونيه: الدكواني . الزلقه - الغويصات - القباريه - النهاريه - بياقوت - سن الفيل - القنايه -

البوشريه-سد البوشريه - المنقله- حارة شلهوب - حارة وازن - ظهر صاليم-حارة الشيخ- البقسي - بعبدات - سفيلة بعبدات -جورة البلوط الدوار والعبرون - العيون - مزهر -المجدوب- مرجبا - بابيه-بنابيل عين الصفصافه - بحنس - رومه- زرعون - الزاهريه - قناية صليما - القعقور- المتين - عين طوره المتين - المروج -عين الزيتونه -الوطا- الغبيري- برج حمود - مجدل ترشيش - مشيخا ونبع ابو درغم - وادي العرايش

٢ مديرية المتن الاعلى : مؤلفة من ٤٩ قريه وهي : حمانا - قبيع - الخريبه- بعلشميه - العباديه -عاريا -فالوغا-الجويقات-القلعه-بتبيات دير خونا -البقاله - دير الحرف -زندوقه-بتعاين- الشبانية- قرطاظا القريه- رأس الحرف -رويس البلوط.-الهلاليه - شويت -المزيرعه- وادي الدلم - بحالا - بتخنية- بمريم - الحصحيص - الخلوات - قتاله - الشمسية- العقبية - رأس المتن - الكنيسه -ارصون - عين حماده - حاصبيا- حزرته - قرنايل - العربانيه - بزبدين - صليما- جورة ارصون- الدليبه- ترشيش - جورة الجوز - الرميله - كفر سلوان - نصف عين صوفر الشمالي

٣ مديرية بسكنتا : مؤلفة من ١٠ قرى وهي : بسكنتا - كفر عقاب وادي الكرم — كفرتيه — قاع الريم « أو قاعفريم » عين القبو- المشرع -- زبوغه — نهر بقعاته - وادي العرايش الشمالي

٤ مديرية القاطع : مؤلفـة من ٣٨ قرية وهي : بيت شباب —

بكفيا ـ بحر صاف ـ انطلياس ـ الفريكه ـ المياسه ـ المطيلب ـ مزرعة يشوع ـ حملايا ـ دير شمره ـ قرنة شهوان ـ دير عوكر ـ زوق الخراب ـ ديك المحدي ـ السكنكو ـ العطشاني ـ الشاوي ـ شويا ـ وادي شاهين ـ ضبيه ـ قرنة الحمرا ـ عين العلق ـ دير طاميش ـ عين الخرنوبه ساقية المسك ـ عين القش ـ الحضيرة ـ حارة البلانه ـ زكريت ـ عين عار ـ الحبوس ـ عين التفاحه ـ المحيدثه ـ السفيله ـ ابو ميزان ـ الشميس ـ النقاش

٥ مديرية الشوير : مؤلفة من ٦ قرى وهي: الشوير ـ الخنشاره ـ عين السنديانه ـ شرين ـ بتغرين ـ الجوار

٦ مديرية الساحل: مؤلفة من ٢٥ قرية وهي : بعبدا ـ كفر شيما بسابا ـ الشياح ـ برج البراجنه ـ شعبانه ـ وادي شحرور الفوقا ـ وادي شحرور التحتا ـ بطشية الفوقا ـ بطشية التحتا ـ سبنيه ـ السحيمه ـ اللويزه ـ حارة الست ـ بئر حسن ـ الاوزاعي ـ الحدة ـ حارة حريك ـ ليلكه ـ تحويطة الغدير ـ حارة البطم ـ الحازميه ـ عين الرمانة ـ تحويطة النهر ـ المرداشه

قضاء كسروان

١ القرى الملحقة بمركز القضاء رأساً : غزير ـ بيت خشبو ـ شمسطار

٢ مديرية جبيل : مؤلفة من ٨٠ قرية وهي: جبيل ـ جورة القطين وبكركز ـ شموت ـ عين كفع ـ غبالين ـ كفركده ـ بخعاز

المنصف ـ حبالين ـ عمشيت ـ نهر ابراهيم ـ فتاح المير ـ شعبيا الفوقا ـ معتبق ـ بلاط ـ قرطبون ـ زبر نهر ابراهيم ـ حرف التحتا ـ مغاميط الحالبيه ـ اده ـ وادي الكلب ـ رحيمة سنور ـ معاد ـ بجه ـ الريحانه فغال ـ البرباره ـ شيخان ـ غرزوز ـ الجميل ـ مهرين ـ حالات ـ جاب ـ المراح ـ الدوير ـ شعبيا التحتا ـ سيران ـ كفر كلاس ـ دير مستيتا حرف الفوقا ـ عالينا ـ سبرين ـ بكونا ـ صوراتا ـ كفر متى ـ بيت غزال ـ كفر مسحون ـ كفر قداس ـ فتاح النصارى ـ دير البنات حبوب ـ الراموط ـ تبيدات ـ جدايل ـ كور الهوا ـ حصارات ـ ساقية الخيط ـ دملصا ـ غلبون ـ وطا البان ـ دير معاد ـ شحرور ـ البرج ـ كفر زبونا ـ جتحل ـ حارة جهجاه ـ بحرين ـ عيدمون ـ غرفين ـ راسكيفا ـ شامات ـ عربة غلبون ـ حصرايل ـ الكفر ـ وادي اللحامين ـ غينات ـ وادى العذر

٣ مديرية المنيطرة : مؤلفة من ٣٣ قرية وهي : بشلي ـ بشتيلدا ـ عين الشميس ـ جربتا ـ بركة حجولا ـ راس قسطا ـ ارنبا ـ الحصون قدار العاليا ـ حجولا ـ المراح الصغير ـ علمات ـ زبدين ـ المغيره ـ المنيطره ـ مزرعة السياد ـ حصن ـ معاد ـ طورزيا ـ بلحص ـ زمر فرحة بزبون ـ كفر شبوع ـ تبع طورزيا ـ المجدل ـ عين الجرين ـ عين الدلبه ـ الصوانه ـ مشان ـ حلقة التينه ـ سقي فرحه ـ فتاح الصايمه ـ الحميرة المعادن .

٤ مديرية جبيل العليا: مؤلفة من ٢٠ قرية وهي : مشمش ـ لحفد

حاج - ترتج - دير ميفوق - حاقل - هابيل - الكفر - فتري - كفر شله - اهمج - سقي لحفد - دير القطار - الخاربة - بحديدات - كفون بنتاعل - كفر بعال - فوار التحتا - سرعيا - جنة كفرحيان

٥ مديرية جرد جبيل : مؤلفة من ١٠ قرى وهي : الماقوره - قرطبه - لاسا - شواتا - افقا - سرعيتا - الغابات - مزرعة بيت برم - قرقريا - قهز .

٦ مديرية غسطا : مؤلفة من ١٩ قرية وهي : غسطا - عشقوت - بقعاته عشقوت - بطا الجوز - اغبه - حريصا - عرامون - حياطه - جورة مهاد - عين الصلبة - دلبتا - فيطرون - رعشين - درعون - شحتول - معراب - الجديده - بزمار - بطحا

٧ مديرية الزوق : مؤلفة من ١٠ قرى وهي : زوق مكايل - زوق مصبح - سهيله - بلونه - داريا - عجلتون - عين طوره - عين الريحانه جعيته - رام ابو دقن -

٨ مديرية جرد كسروان : مؤلفة من ١١ قرية وهي : مزرعة كفر ذبيان - كفرتي الوسطى - بقعاته كنعان - حراجل - ميروبا - فاريا - جورة جمعه - بقعتوته - حارة حراجل - القليعات - ربفون

٩ مديرية الفتوح : مؤلفة من ٤٢ قرية وهي : طبرجا - كفرياسين - البوار - العقيبه - بقاق الدين - قوالي - فتقا - مهيبيت - غدراس - قلعة الحمرا - الصفرا - الحصين - الكفور - عودة الفوقا - هرهربا - قطين - الغيني - جورة ترمس - بحاره - العذره والعذر - ادمه -

عودة النحتا ـ زيتون ـ المعيصره ـ الزعيتره ـ غباله ـ كفر شحام ـ حلان ـ زنعار ـ بزحل ـ غوشربا ـ حقلةالحاج علي ـ حورة بدران الرويس ـ عين جويا ـ عين سجاع ـ العويبه ـ نهرالحصين ـ حدشيت نهر الذهب ـ يحشوش ـ كفرجريف

١٠ مديرية جونيه : مؤلفة من ٦ قرى وهي : جونيه ـ صربا ـ غادير ـ حارة صخر ـ ساحل علما ـ شننعير

قضاء البترون

١ مديرية حصرون : مؤلفة من ٧ قرى وهي : حصرون ـ حدث الجبه ـ بزعون ـ بقرقاشه ـ براعنه ـ بقاع كفره ـ البحصيص

٢ مديرية البترون : مؤلفة من ٤١ قرية وهي : البترون ـ كوبه ـ فرنعون ـ سمار ـ جبيل ـ كفر متى ـ عبرين ـ راشكيدا ـ سلعاتا ـ كفرعبيد ـ اده ـ جدبرا ـ شبطين ـ جربتا ـ كفيفان ـ عرطز ـ شويت النحتا ـ شويت ـ النوقا ـ بسبينا ـ وطا ـ سغربتا ـ مراح الزيات ـ بقسميا ـ ظهر ابو ياغي ـ مراح شديد ـ غوما ـ عبداللي ـ تجوم ـ بجدرفل ـ كور الجندي ـ تولازان ـ كفر حي ـ جبل ـ كفر خلص ـ الكراسي البقيعه ـ ظهر المكمن ـ نقريا ـ تنوري ـ راشانا ـ براريحه ـ بجران دير كفيفان ـ صورات

٣ مديرية قناة : مؤلفة من ١٧ قربه وهي : قناة ـ بهران ـ يحبوش ـ متريت ـ رشدبين ـ معز الاحوال ـ الحسين ـ بلا ـ

برحليون - دير - الزكزك - طرزا - قطبور - الجدل - عبدين - نيحا - المدقور

٤ . مديرية اهدن : مؤلفة من ٢١ قريه وهي : اهدن - باحص مزرعة بيت شومار - عين بقره - رأس كيفا - كفر فو - بنشعي - كرم سدي - اجبع بسلوقيت - رشنا - عمود - زغرتا - صخرة - مزيارة الحرف - حميص - عين تورين - مزرعة التفاح - سبعل البحيري - تولا البحيرى . بتخلين

٥ مديرية بشري الجنوبية : مؤلفه من ٥ قرى وهي : بشري - بان. كفر سغاب - ايطو - وقف ماري اليشع القديم والجديد - مراح - السغابيه

٦ مديرية بشري الشماليه : مؤلفة من ٦ قرى وهي : حدشيت - بلوزا - عربة قزحيا - سرعل - وقف مارى انطونيوس - ارنيا -

٧ مديرية الزاوية : مؤلفة من ٢٦ قرية وهي : كفرياشيت - كفر حوره - احنون - تلة - خالديه - ارده . داريا - بوسبط - حريقص حالاز - رشعين - مجدليا - مارشينا - كفر زينا - كفرشخنا - كفر حاتا اجناد - عدوه - عشاش - عرجس - بسبعل الجديدة - بشنين - مرياطه كفر دلاقس - كفريايا .

٨ مديرية تنورين : مؤلفة من ٢٦ قرية وهي : تنورين الفوقا - تنورين التحتا - مزرعة سيرالود - العلالي - داعل - اسيا - بشتودرا حارة بيت شلالا - وطاحوب - بستان العصاة - مزرعة مارماما - حردين

حدتون ـ داريا ـ محمرج ـ بشمله ـ شاتين ـ رام ـ ياربتا ـ مراح الحاج ـ
كفور العربه دوما ـ مرح ـ رشيا الذوق ـ حارة بيت كساب

٩ مديرية الهرمل: هذه المديرية مؤلفة من بلدة الهرمل فقط

قضاء الكوره

١ القري الملحقه بمركز القضاء عشرة وهي: اميون ـ كفر حزير
بجيدل ـ وطا القوب ـ شكا ـ هري ـ بزيزا ـ دار شمزين ـ
دار بعشتار ـ كفر الشرقي ومناط.

٢ مديرية الكورة الشمالية : مؤلفة من ١١ قرية وهي : بكفتين ـ
بجوده ـ بدبهلون ـ برغون ـ برتسا ـ بكمرا ـ كفر قاصل ـ دره ـ
بتوارتيش ـ راس مسقه ـ جديده البزعانه

٣ مديرية الكوره الوسطى او السفلى: مؤلفة من ١٦ قرية وهي :
كوسبا ـ كفر عقا ـ كفر صارون ـ مزرعة نهر بوعلي ـ بصرما ـ عابا
بشمزين ـ عفصديق ـ انفه ـ مزرعة الحريشه ـ زكرون ـ
بوبا قلحات ـ فيع ـ بطرومين ـ بطرام

٤ مديرية القويطع : مؤلفة من ١٢ قرية وهي : كفتون ـ كفريا ـ
راس نحاش ـ حامات ـ وجه الحجر ـ حنوش ـ كلباتا ـ بدنايل ـ
كفرحاتا ـ بتعبوره ـ المجراجد ـ عبرين ـ

قضاء جزين

١ القرى الملحقة بمركز القضاء ٥٩ قرية وهي: جزين - كفرحوني دير مزرعه - داريا - مليخ - وخصه - بكاسين - تعيد - بنواتي - جوارسوس - بابا - كفر تعلا - جبل طورا - خربة عين تركان - مليتا - بعانوب الفوقا - بعانوب التحتا - رمان - عين الطغره - مراح المكنونية - صيدون - حيطوره - سنيا - قطين - قيتولي - ريمات - حرف الدقيق - حرف خرخريا - ظهر الدين - حيداب - حرف شقاديف - قبع - روم - صفاريه - ماروس البرانيه - ماروس الجوانيه - وادي جزين - شامخه - عاريا - بخنين - زرديا - غباطيه - هواتيه - ماصوص - جل ناشي - بتدين اللقش - منقله - ميدان - مشموشه - خرايب - صباح - حمصيه - عازور - انان - قنالي - قلعة ابي الحسن روس الافرنج - مطحنه - بسري - بيت بوعيد - صليما - حورانيه

٢ مديرية اقليم التفاح : مؤلفة من ٣٣ قريه وهي : كفرفالوس - برتي - وادي ليمون الفوقا - وادي ليمون التحتا - لبعا - شواليق - كرخا - بقسطا - صالحيه - مراح كيوان - جنسنابا - عريض ناصر - براميه - مجدليون - زغدرايا - وادي بعنقودين - حيطوره - كفر شلال - بيصور - كفر حتى - كفريا - محاربيه - اسطبل - هلاليه - جرنايا - درب السيم - عين الدلب - مجيدل - عبرا - ميوميه - كفر جره - حسانيه الفوقا - حسانيه التحتا

٣ مديرية جبل الريحان : مؤلفة من ١١ قرية وهي : عيشيه — ورديه زغرين — عرمتى — جرمق - شبيل — صويره — وزيد عقانه — ريحان قطرانه — خان

قضاء زحله

مركز القائمقاميه : زحله ويتبعها عين المزرعه وعين الذوق

مديرية دير القمر

قاعدة هذه المديرية دير القمر • وهي ملحقة بالمتصرفية رأساً • ويتبعها ٦ قرى وهي : خلوات جرنايه - دردوريت - بتدين — معاصر بتدين — وادي الدير — بكرزيه

عدد قرى لبنان : فيكون لبنان مؤلفاً من ٩٨٠ قرية ومزرعة تتألف منها ٤٣ مديرية و٨ اقضية

عدد محاكمه : وفيه ٨ محاكم ابتدائية في كل مركز قضاء محكمة ومحكمتا استئناف مركزهما في المتصرفية. وهذه المحاكم تلازم السلطة الادارية بحيث تنتقل معها في الشتاء الى سواحل لبنان وفي الصيف الى اعاليه

مراكز حكومته : اما مراكز الحكومة في القرى الآتية :

المتصرفية	—	مركزها الشتوي : بعبدا
«	—	مركزها الصيفي : بتدين
قائمقامية الشوف	—	مركزها الشتوي : الشويفات
«	—	مركزها الصيفي : بعقلين
قائمقامية المتن	—	مركزها الشتوي : الجديده
«	—	مركزها الصيفي : بجنس
قائمقامية كسروان	—	مركزها الشتوي : جونيه
«	—	مركزها الصيفي : عزير
قائمقامية البترون	—	مركزها الشتوي : البترون
«	—	مركزها الصيفي : الحدث واحياناً بشري
قائمقامية الكوره	—	مركزها الشتوي : انفه
«	—	مركزها الصيفي : اميون
قائمقامية جزين	—	مركزها الشتوى والصيفي : جزين
قائمقامية زحله	—	مركزها الشتوى والصيفي : زحله
مديرية دير القمر	—	مركزها الشتوى والصيفي : دير القمر

وتصرف المتصرفية والقائمقاميات ٩ اشهر من السنة في مراكزها الشتوية من اكتوبر (تشرين الاول) الى يوليه (تموز) والثلاثة اشهر الباقية في مراكزها الصيفية . وللحكومة لبنان خمسة عشر داراً و ٣٧ نقطة عسكرية لاجل المحافظة

بلديات لبنان

في لبنان زهاء ستين مجلس بلدي بحيث تكاد لا تخلو قصبة او قرية كبيرة منه ولا سيما في الجهات التي يطرقها المصيفون حيث توجه هذه المجالس اقصى عنايتها الى السعي في ارضاء اولئك المصيفين وتوفير اسباب الراحة لهم في كل وجه

حكام لبنان

اما المتصرفون الذين حكموا لبنان من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٩١٢ فثمانية وهم :

داود باشا — أرمني كاثوليك . انتخب في ١ حزيران سنة ١٨٦١ واستقال في حزيران سنة ١٨٦٨

فرنقو باشا — حلبي لاتيني . انتخب في ١٤ حزيران سنة ١٨٦٨ ومات في شهر شباط سنة ١٨٧٢ .

رستم باشا — ايطالي لاتيني . انتخب في ٣٠ اذار سنة ١٨٧٣ وانتهت مدته فى حزيران سنة ١٨٨٢

واصه باشا — الباني لاتيني . انتخب في ٣٠ ايار سنة ١٨٨٢ وتوفى في حزيران سنة ١٨٩١

نعوم باشا — حلبي لاتيني . وهو صهر فرنقو باشا . انتخب فى ٢٣ آب سنة ١٨٩٢ وانتهت مدته في شهر آب سنة ١٩٠٢ ثم جعل مستشاراً للخارجية ثم سفيراً للدولة في باريس حيث توفي سنة ١٩١١

مظفر باشا — مهاجر بولوني لاتيني . انتخب فى ٢٧ ايلول سنة ١٩٠٢ ومات فى شهر تموز سنة ١٩٠٧

يوسف باشا فرنقو — حلبي لاتيني وهو ابن فرنقو باشا . انتخب في شهر آب سنة ١٩٠٧ وانتهت مدته في تموز سنة ١٩١٢

وصلنا الى هنا من الطبع والمخابرة دائرة في الاستانة بين الباب العالي وسفراء الدول على تسمية حاكم للبنان وربما اتفقوا على تعيين سيذابيان باشا الارمني ناظر النافعة سابقاً

الابحر والبحيرات والخلجان

الابحر :

البحر المتوسط : أول هذه الابحر البحر المتوسط . سمي بذلك لتوسطه بين القارات الثلاث اوربا وافريقيا وآسيا . وكان يعرف قديما

بحر الروم نسبة الى هؤلاء القوم لوقوعه على تخوم مملكتهم ولانهم كانوا يملكون سواحله شرقا وغربا وشمالا وجنوباً . وموقعه بالنسبة الى سوريا في الغرب ويمتد على طول مساحتها من اسكندرونه الى العريش ويوصلها بواسطة السفن التجارية بأهم المواني الافريقية كبورسعيد واسكندرية والمواني الاوربية كمرسيليا وبرندزي وتريستا والاستانه ومواني آسيا الصغرى كازمير ومرسين وغيرها كما سيجيء عند وصف طرقاتها البحرية

البحر الميت : وفي سوريا بحر آخر جنوبي فلسطين وهو البحر الميت. واقع في اقصى منحدر الغور فى جوار الصحراء على انخفاض ٤١٩ متراً «وقيل من ٣١٢ الى ٣٩٥ متراً» عن سطح البحر وهو اقرب الى بحيرة منه الى بحر لانه محاط باليابسة من الجهات الاربع. ويعرف بحيرة لوط او البحيرة المنتنة لنتانة مياهه او بحر الملح لشدة ملوحته. ويسميه العبرانيون بحر الشرق واليونان بحر اسفلتس من الاسفلت لما يشاهد غالباً فيه من طبقات الحمر الطافئة على سطح الماء . واما اللاتين فقد وصفوه بماء مورتيوم اي المستنقع الميت للدلالة على عدم وجود حياة حيوانية فيه والحقيقة ان الحيونات المائية لا تعيش في مياهه لان فيها كمية وفيرة من املاح المانيزيوم تجعل مياهه مرة الطعم كما تجعلها املاح الـكلسيوم لزجة الملمس. والعرب يسمونه بحيرة لوط نسبة الى الحادث العظيم الذي جرى على ضفافه فى عهد ابراهيم. وتبلغ مساحته ٩٢٦ كيلو متراً مربعاً وهو قسمان يفصل بينهما برزخ مستطيل يعرف باللسان

ويبلغ عمقه شمالي اللسان نحو ٤٠٠ متر اما في الجنوب فلا يتجاوز متوسط عمقه خمسة امتار . وقيل ان في هذا المكان وادي سديم فغمرته مياه البحيرة اثر احتراق سدوم وعاموره وما جاورهما من المدن بآفة سموية على ما جاء في الكتاب المقدس . ومعظم مياه هذه البحيرة من نهر الاردن ويتبخر منها قسم كبير لشدة حرارة الشمس هناك حتى ان الحرارة تصل احياناً فيها الى ٥٠ درجة . ومياهها ثقيلة جداً لكثرة مافيها من الاملاح . وفي هذه البحيرة سفن صغيرة تمخر بين مصب الاردن وشبه جزيرة اللسان التي هي ميناء متصرفية الكرك . (انظر نهر الاردن)

البحيرات :

بحيرة انطاكية : اما بحيرات سوريا فاهمها بحيرة انطاكية المعروفة عند الاتراك باسم آق دنز او البحر الابيض . واقعة في الشمال فوق انطاكية وتجتمع فيها مياه قره سو او النهر الاسود ونهر عفرين ونهر يغرا ويخرج منها نهر يصب في العاصي

بحيرة افاميا : في الشمال الغربي من حماه وتجتمع فيها مياه عدة اوافد وبحيرات صغيرة

بحيرة حمص او قدس « اي مقدسة » : في الجنوب الغربي من افاميا وهي بحيرة اصطناعية جميلة مؤلفة من مياه العاصي اقام لها الاقدمون سدوداً مرتفعة ليخزنوا المياه فيها الى اواخر الصيف

حيث تكون قلّت مياه الينابيع فيروون الاراضي من هذه البحيرة .
وهي محاطة من جهاتها الاربع بالتلول الصخرية ويبلغ طولها زهاء خمسة آلاف متر وعرضها نحو ١٥٠٠ متر. وكثيراً ما ورد ذكرها في تاريخ الحثيين الشماليين

بحيرة حلب : وتعرف ببركة الملح او المشق جنوبي الشهباء وتجتمع فيها مياه نهر قويق او نهر حلب

بحيرة سيكه جبول : مؤلفة من نهر الذهب وهي وبحيرة الملح عبارة عن مستنقعات شاسعة المسافة. وللحكومة فيها ملاحات تستخرج منها كميات عظيمة من الملح

بحيرة اليمونه : شرقي جبل المنيطرة واقعة بين الجبال على علو ١٣٧٥ متراً عن سطح البحر

بحيرة اللجميه : جنوبي اليمونه وهي واليمونه مؤلفتان من ينابيع دورية متقطعة

بحيرات دمشق : وفي الجهة الشرق الجنوبي من دمشق عدة بحيرات اهمها بحيرة المرج وهي قسمان البحيرة الشرقية والبحيرة القبلية او العتيبه وهي مصب نهر بردى وجنوبيها ثلاث بحيرات أخرى متجاورة تتألف منها زاوية مثلثة : بحيره هيجانة وهي مصب النهر الاعوج وبحيرة اومضخة برك وبحيرة بلع

بحيرات الاردن : ويتألف في تلك الجهة من مياه الاردن بحيرتان آخريتان وهما بحيرة الحولة او بحيرة ميروم وطولها نحو ٦ كيلومترات

وبحيرة طبرية الوارد ذكرها في الكتاب باسم بحيرة جاناشر او بحر الجليل وهي بحيرة جميلة طولها نحو ٣٠ كيلومتر وعرضها نحو ١٠ كيلو مترات وهي منخفضة عن سطح البحر المتوسط نحو ٢١٢ مترا (انظر طبريه)

الخلجان :

اما خلجان سوريا فاولها خليج اسكندرونه في الشمال . وعلى مسافة قريبة منه جونة انطاكيه . ويليها جون عكار بالقرب من اطرابلس . ثم خليج جونيه في سفح جبل كسروان . وخليج مارجرجس في بيروت . وجون عكاء عند سفح جبل الكرمل

جزر سوريا ورؤوسها

اهم جزر سوريا ارواد بين اللاذقية واطرابلس في الشمال وهي جزيرة صغيرة لا يزيد طولها عن ٨٠٠ متر وعرضها عن ٥٠٠ متر وسيأتي الكلام عليها. وفي جوار اطرابلس عدة جزر صغيرة لااهمية لها وهي : جزيزة البكار ـ بلان ـ بمكين ـ نقل ـ سناني .

اما رؤوسها فهي : رأس الخنزير وهو تتمة الجهة الجنوبية من جبل موسى بالقرب من اسكندرونه ـ الرأس البسيط ـ رأس بن هاني ـ رأس الناطور ـ رأس الشقعة ـ رأس بيروت ـ رأس الدامور ـ رأس جدره ـ رأس الرميلة ـ رأس صرفند جنوبي صيداء ـ

الرأس الابيض ـ رأس الناقوره ـ رأس الكرمل عند مدخل جون عكاء .

جبال سوريا

تخترق سوريا من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال مختلفة الاشكال بديعة المناظر جيدة الهواء تتخللها وديان عميقة وكثير من الانهر والجداول التي تروي اراضيها وسهولها وتزين اكثرها غابات غضة ومروج خضراء جميلة وقرى عامرة سيأتي الكلام عليها فيما يلي من الفصول. وهي تبتديء في الشمال من جبل الاكام المعروف عند اليونان باسم آمانوس وهو احد جبال طورس في آسيا الصغرى. وتنتهي في الجنوب عند حدود مصر والعربية الحجرية حتى جبل جلعاد وجبال موآب حيث تتصل هناك من جهة بجبال العربية المتجهة نحو السويس والحجاز ومن جهة اخرى بسلسلة طور سيناء . وتعرف هذه الجبال عند اهل الغرب بالجبال السورية الحجازية .

وتتفرع من هذه السلسلة العظيمة تشعبات كثيرة يضمحل بعضها في البادية حيث يتكون منها اراضي قاحلة ترتفع بالتدريج الى جبال آسيه الداخلية وبعضها يترامى الى شاطيء البحر حيث يختلط تدريجاً بالسهل او يهبط سريعا الى اليم اما على خط مستقيم واما بقليل من الانبساط

* * *

اذا نظرت الى جبال سوريا من حيث موقعها الجغرافي امكنك ان تقسمها الى ثمانية اقسام :

القسم الاول : جبال طوروس في الشمال وهي قسمان يفصلهما مضيق مرعش الجبل الشرقي والجبل الغربي . واعلى قممهما اغير داغ «١٨٠٠ متر» وخان لوداغ «٢٤٠٠ متر» واكداغ «١١٥٠ مترا» ونمرود داغ «٢٢٣٠ مترا»

القسم الثاني : جبل امانوس او اكماداغ وهو جبل اللكام ويتفرع منه اربعة جبال منها ثلاثة تابعة لسوريا وهي اولاً الجبل الغربي واعلى قممه جبل موسى او الجبل الاقرع المعروف قديماً باسم كاسيوس وموقعه جنوبي نهر العاصي «١٦٧٠ مترا» والجبل الاحمر او الحمراء «١٤٥٠ مترا» واكماداغ «١٦٣٣ مترا» وقد اطلق اسمه عند الاتراك على سائر سلسلة جبل آمانوس . وجبل بركات «١٨٤٠ مترا» بالقرب من اسكندرونه . وجياور داغ «٢٥٠٠ متر» ثانياً الجبل الاوسط ويشتمل على جبل كور داغ «١١٧٠ مترا» في الشمال وجبل شيخلر داغ «٩٠٠ متر» في الجنوب . ثالثاً الجبل الشرقي مؤلف من جبل كوز داغ «٧٩٠ مترا» وكوزيل داغ اي الجبل الجميل «٧٤٠ مترا» وقره داغ «٣٣٠ مترا»

القسم الثالث : جبال النصيريه واقعة جنوبي مجرى العاصي ومدينة انطاكية وتبتديء على مقربة من الجبل الاقرع وتنتهي عند النهر الكبير الذي يفصلها في الشمال عن سلسلتي لبنان . واهم جبالها جبل الاكراد «١٩٠٠ مترا» وجبل قصير «١٠٩٠ مترا» وجبل

داريوس « ١٠٨٠ مترا » وسيأتي الكلام على هذه الجبال مفصلا فما سيجيء من الفصول .

القسم الرابع : جبل مار سمعان شرقي جبال النصيريه وهو مؤلف من جبل العلا في الشمال وجبل الشيخ بركات « ٨٨٠ مترا » وجبل عليا فى الشرق ويتوسطهما جبل يقال له جبل باريشا . وجبل ريحا « ٥٠٠ متر » في الجنوب الشرقي . وتنتهي هذه السلسلة بجبل زين العابدين وجبال عربين « نحو ٧٠٠ متر » . وقد ذكرنا شيئا عن هذا الجبل فى غير هذا المكان .

القسم الخامس : جبل لبنان وهو عدة أقسام . اولا : جبل عكار بالقرب من اللاذقية وهو تتمة سلسلة لبنان من جهة الشمال « ٢٠٠٠ متر » وقد ذكرناه فى غير هذا المكان . ثانياً : جبل المكمل وأعلى قممه ظهر القضيب « ٣٠٦٣ مترا » وفم الميزاب « ٣٠٠٠ متر » وجبل عيناتا « ٣٠٤٠ مترا » والمكمل « ٣٠٤٠ مترا » وجبل المنيطره . ثالثا : جبال صنين وهي مؤلفة من جبل صنين « ٢٦٠٨ امتار » وجبل الكنيسه « ٢٢٠٠ متر » رابعا : تومات الباروك وأعلى قممها جبل العجل « ٢٤٥٠ مترا » خامساً : تومات نيحا وأعلى قممها جبل نيحا « ١٨٥٠ مترا » وجبل الريحان « ١٧٠٠ متر » وجبل اليرموك « ١٦٠٠ متر »

اما لبنان الشرقي فيشتمل في الشمال على جبل قاره وجبل حليمه وجبل النبي باروك وفى الوسط على جبل الشقيف « ٢٠٧٠ مترا »

وفي الجنوب على جبل الزبداني وجبل الشيخ اوحرمون الكبير «٢٨٢٧ مترا»

ولما كان لبنان اهم جبال سوريه فقد رأينا ان نخصه بشيء من التفصيل مما لا يخلو من فائدة

يقسم لبنان الى قسمين لبنان الغربي ولبنان الشرقي المعروف عند الاوربيين « بانتيليبان » وهما اعلى جبال سوريا واكثرها خصباً واجملها منظراً. ولا يمكن بوجه من الوجوه ان يعتبرا سلسلتين منفصلتين لاعتبارات جمة كالعمر الجيولوجي والشكل وتركيب طبقاتهما وطبيعة ارضيهما وصخورهما واتجاه مركزهما . وهما متقاربا الخطوط فى اعظم جزء من طولها يضيقان من طرفيهما ويتسعان من الوسط بمساحة بضعة كيلو مترات تؤلف ارضا متسعة كثيرة الخصب وهي الارض المعروفة بسهل البقاع ويسميها الجغرافيون الاوربيون سوريا المجوفه

اما جبل برجل الآنف الذكر فهو يمتد شرقي سهل ارواد على طول وادي العاصي وساحل البحر ويعرف هناك بجبل النصيريه وينتهي عند وادي الحسن بازاء لبنان وهناك يبتدئ القسم الشمالي من جبال لبنان ويأخذ بالارتفاع شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ بلاد عكار فهناك يبرز بروزاً ظاهراً ثم يتجلى للعين بابهى مظهره وشموخه فوق اطرابلس حيث تتكون منه قمم تربل « نسبة الى تريبولي او اطرابلس » وقمة فم الميزاب « ظهر القضيب » شرقي ارز لبنان المشهور وهي اعلى قمة فى جبال لبنان

اما لبنان الشرقي فيأخذ في البروز والارتفاع على نسبة لبنان الغربي في خط مائل من الشرق الى الشمال قبالة سهول حمص وبادية تدمر. ثم ينخفض انخفاضاً بطيئاً الى ان يتصل ببحيرة طبريا وسهول حوران ويتصل من جهته الجنوبية بجبل جلعاد وجبال العربيه المتجهة نحو السويس والحجاز وهناك تتغير طبيعته تغيراً بيناً

اما خطوط الجبلين فتتسع في ممرها بضعة عشر كيلومترات من الشمال الى الجنوب ثم تقترن عند وادي التيم في سفح جبل الشيخ وهناك تأخذ بان تتشعب تشعباً جديداً حتى تبلغ درجة عالية من الارتفاع. ثم تنخفض انخفاضاً سريعاً وتضمحل في السهل ولكن خطوط لبنان الشرقي تنتهي في الجنوب الشرقي بميل الى الغرب على شكل نصف دائرة

واما لبنان الغربي فينخفض في الجنوب الغربي حيث ينتهى عند سهول عكاء قبالة جبل الكرمل وجبال السامرية المتصلة بسلسلة طور سيناء مائلا الى جهة البحر المتوسط

ويتفرع من السلسلة اللبنانية تشعبات كثيرة من الجبال المحاذية لها منها ما يضمحل في بادية الشام حيث تبتديء جبال آسيا الداخلية ومنها ما ينتهي الى البحر على اشكال ومسافات مختلفة

وبين لبنان الشرقي ولبنان الغربي تباين كلي في كثير من الوجوه اخصها الارتفاع فان اعلى قمة في الاول لايزيد ارتفاعها عن ٢٨٥٧ متراً بين ان اعلى قمة في الثاني تبلغ ٣٠٦٣ متراً. ومعظم ارتفاع الاول في

الطرف الجنوبي ويسمى هناك جبل الشيخ وهو الجامع بين سلسلتيهما في الجنوب اذ تتصلان عند ذيله . واما معظم ارتفاع لبنان الغربي ففي جهة الشمال في السلسلة الممتدة شرقي الارز ويعرف هناك بفم الميزاب وقمة المكمل. ومن وجوه هذا الاختلاف ان اعالي لبنان الشرقي منفسحة اكثر منها في لبنان الغربي ومشاهده اكثر ايناساً الا ان ارض الغربي اكثر خصباً وابهج منظراً ولا سيما من جهة البحر وهو اكثر عمراناً وسكاناً فلا تكاد تمشي كيلومترين في جهات كثيرة منه خصوصاً في الجهة الغربية حتى تمر بقرية او مزرعة . ومعظم قرى السواحل والوسوط متصلة بعضها ببعض وفي بعض الجهات ترى المنازل مرصوفة رصفا محكما على مسافة شاسعة بحيث تكون منها مدينة كبيرة في حين ان لبنان الشرقي قليل المساكن تمشي في جهات كثيرة منه بضعة ساعات دون ان تعثر بقرية. و الطرقات في لبنان الغربي كثيرة متوفرة ولاسيما في وسطه وجنوبه حيث تتشعب طرق العربات في كل جهة وصوب بخلاف الشرقي فان طرقاته قليلة وغير مطروقة. ويختلف الجبلان أيضاً بكون الغربي قاحل في الجهة الشرقية منه لانها مرتفعة كثيرا لا ينمو فيها نبات لشدة البرد ومخصب في جهاته الثلاث الباقية . واما الشرقي فانه مجدب في الجهة الغربية في حين انه زاه بانواع النبات في الجهة الشرقية ولا سيما في جهة سقي نهر بردى. ويختلفان ايضا في اتجاههما وانبساطهما فان لبنان الغربي منخفض في الجنوب انخفاضاً ينتهي عند سهول فلسطين

وسواحل البحر المتوسط حيث يضمحل هناك ولا يبلغ معظم ارتفاعه الا في الشمال على ما قدمنا. واما الجبل الشرقي فانه لايبلغ معظم ارتفاعه الا في الطرف الجنوبي حيث يسمى هناك جبل الشيخ كما اسلفنا ثم يأخذ بالانحناء نحو الغرب على شكل نصف دائرة حتي يضمحل في سهول حوران وبحيرة طبريا . وعلى الجملة فان سلسلة الجبل الشرقي اقل ارتفاعا من سلسلة الجبل الغربي

القسم السادس : جبال بادية الشام وتشتمل على عدة جبال منثورة في السهل الواسع الممتد من لحف لبنان الشرقي الى مجرى الفرات وهي أولاً : جبل شومريه على طريق حمص الى تدمر « ٧٢٠ مترا » ثانياً : جبل الغوطه ويخرج منه نهر بردى الشهير الذي يسقي الشام وبساتينها واعلى قممه جبة عسال وتينيه . وجبل قاسيون. وجبل الصالحية . وجبل القلمون . ثالثاً : جبل المرج شرقي دمشق . رابعاً : دائرة الثلول وهي سلسلة جبال بركانية شرقي المرج . خامساً جبال برابو تاميا التي تحيط بمجرى الفرات في الجهة الغربية . سادساً دائرة تدمر وهي سلسلة جبال صغيرة محيطة بتدمر « نحو ٤٠٠ متر »

القسم السابع : جبال فلسطين وهي قسمان كبيران الاول واقع غربي مجرى الاردن والثاني شرقيه . والمقصود بالاول هنا الجبال التي تبتدىء من وادي الليطاني وهو يفصل بينها وبين لبنان من الجنوب وهي ثلاثة أقسام كبيرة : الاول جبل الجليل ويمتد من نهر الليطاني الى جبل الكرمل ومرج بني عامر « سهل اسدريلون » وأعلى قممه

جبل اليرموك « ١١٩٠ متراً» وجبل زابود «١٢٢٠ متراً » وجبل قرون حطين او جبل البركات «٣١٥ متراً» وجبل الناصرة او نصرا « ٥٠٠ متر » وجبـل الطور او طابور « ٥٩٥ متراً » وهو منفرد فى مرج بني عامر . وجبل النبي داهي او الحرمون الصغير « ٥١٥ متراً » ويتشعب من هذه الجبال سلسلة جبال اخرى مؤلفة من جبل بوكيا « ١٣٩٠ متراً » وجبـل صفد « ٩٢٥ متراً » . الثـاني : جبال السامرة جنوبي مرج بني عامر ويتألف منهـا جبل مار الياس او جبل الكرمل « ٥٥١ متراً » وجبل جنين وأعلى قمه جبـل فرح « ٤٠٠ متر » وجبل كفرين « ٤١٥ متراً » وجبال جلبوع او جبل النقوه « ٧٣٥ متراً » وجبال نابلس وتشتمل على جبلي عبال «١٠٢٥ متراً» وغاريزيم « ٩٤٥ متراً » الثالث : جبال اليهوديه التي تتجه نحو صحراء العربيه الحجرية وتنبسط بالتدريج حتى تضمحل فيها وهي مؤلفـة من تل عصور « ١٠١١ متراً » وبتـل « ٨٨٠ متراً» وجبل النبي صموئيل «٨٩٣ متراً» وجبل اورشليم او جبل الزيتون «٧٩٠ متراً » وجبل بيت لحم «٧٨٠ متراً» وجبل الخليل او حبرون «٩٢٧ متراً» ثم جبل المزيقه وجبل يسدوم على تخـوم فلسطين وهما بمنزلة حاجز او حد للقسم الجنوبي من بحيرة لوط

القسم الثامن : جبال فلسطين المحاذية لمجرى الاردن وبحيرة لوط من الشرق . وجبال بادية الشام الواقعة على تخوم الصحراء وتخترق العربية الحجرية وما تاخمها من البلاد كالبيره وغيرها . وتنقسم هـذه

الجبال الى عدة أقسام منها أولا : جبال جادور وأعلى قممها تل الحرّا . ثانياً : جبال اللجاه وأعلى قمة فيها تل الحمير . ثالثا : جبال الجولان شرقي مجرى الاردن الاعلى وتشتمل على جبل الحيش « ١٠٠٧ امتار » وتل الفرس . رابعا جبال عجلون بين نهر اليرموك ونهر الزرقا في بلاد البيره وهي تشتمل على جبل عجلون « ٧٣٠ مترا» وجبل بيت الرأس « ٥٨٩ » وجبل تبنه « ٦١٥ مترا » وجبل كفكفكا وجبل الزرقا . خامساً : جبال البلقاء ممتددة من جبل الزرقا الى جبل عرنون وتشتمل على جبل السلط او جلعاد « ٨٣٥ مترا» وجبل السحا او اوزي « علوه ١٠٩٦ متراً » . وجبل نبو « ٧٤٠ مترا » وجبل عطاروس . سادسا : جبال الكرك ممتدة من عرنون الى طرف بحيرة لوط الجنوبي واعلى قممها جبل شيحان « ٨٤٨ متراً » وجبل الكرك « ١٠٧٥ مترا» وجبل موآب « ١١٧٠ مترا» . سابعاً : جبال ايدوميار أو جبل الجبال شرقي منخفض الغور الجنوبي وجنوبي بحيرة لوط واعلى قممها جبل غويطه « ٨٧٥ مترا » وجبل الطرفويه وجبل القريه وجبل لبروش . ثامنا : جبال حوران شرقي اقليم الجولان . وهي جبال بركانية معزولة اخص مرتفعاتها تل ابو طومس « ١٥٢٠ مترا » والى شماله تل شيحان وجبل الغرارات الكبيرة وتل الجمال وجبل الغرارات القبلية . وهي أهم ما في حوران من الجبال البركانية . وفي وسطها ترى قمم جبل الجويليل « ١٧٥٠ مترا » وتل الجينه « ١٨٠٠ متر » وتل جبل

الكليب «١٧٢٤ مترا» وتل جفنه «١٧٢٧ مترا»

وفي الشمال الشرقي من جبال حوران سلسلة جبال الصفا تحيط بها سلسلة أخرى مؤلفة من عدة جبال اخصها جبل ابو غنيم وجبل الخنازير وجبل سوتيه ويفصل بينها وبين جبال حوران اراضي مقفرة تعرف بصحراء القرعا

سهول سوريا

في سوريه سهول واسعة خصبة اتربة لكن ليس على نسبة مساحتها . فان الجبال تشغل معظم هذه المساحة . واكثر ما توجد السهول في منفرجات الجبال ولا سيما في الشمال والجنوب. ففي الشمال سهلان خصيبان اشتهرا منذ القدم بوفرة الحاصلات وغزارة المياه يتوسطان جبل طورس من الجنوب وجبل امانوس من الشمال ويعرفان بسهل بازار جيق وسهل عرايان . ويليهما سهل انطاكيه في وادي العاصي وسهل حلب الممتد شرقاً الى الجبال الواقعة بالقرب من مجرى الفرات

ويلي هذه السهول الاربعة سهول لبنان الثلاثة . ولما كان للبنان في كتابنا هذا ما ليس لغيره من مقاطعات سوريه من الشأن آثرنا ان نبسط الكلام على سهوله هذه بأكثر اسهاب

ان لبنان بقسميه الشرقي والغربي يحيطه ويتوسطه ثلاث منخفضات من الارض تكون ثلاثة سهول اولها المدمشقي وثانيها السهل

المتوسط أو الكليسوري الذي كان يطلق عليه قديماً اسم سوريا المجوفة وثالثها السهل الفينيقي

السهل الدمشقي : يمتد من لبنان الشرقي على مقربة من غوطة دمشق المشهورة بخصبها وفاكهتها الى بادية تدمر وهو يتصل من الجنوب بسهول حوران ومن جهة الشمال بوادي العاصي ويبلغ عرضه نحو ٦٠ كيلو مترا ويرتفع عن سطح البحر ٧٣٠ مترا وهو خصيب جداً كثير النبات تكسوه الخضرة الدائمة وتتخلله انهر كبيرة تروي ارضه . وكثيراً ما تغزل الشعراء بجمال منظره حتى كانوا يشبهون روائحه بروائح الجنان

السهل الكليسوري : وأما السهل الكليسوري فهو متوسط بين لبنان الشرقي ولبنان الغربي ويعرف بسهل البقاع . وهو سهل خصيب التربة بهيج المنظر تكتنفه الجبال من جميع جهاته . ويمتد من الشمال الى الجنوب على مسافة ١٥٠ كيلو مترا ومن الشرق الى الغرب على مسافة ١٣ كيلو متراً وفي بعض الجهات على مسافة ٩ كيلو مترات غير انه قليل النبات لانه مهمل فى معظم جهاته ولا يمكن الناظر ان يتمتع بمشهده البهج الا في فصل الربيع حيث يكتسي بالعشب الاخضر وهو يعلو عن سطح البحر نحو ٩٠٠ متر . وفي الجهة الشمالية منه على مقربة من سفح لبنان الشرقي ترى قامة بعلبك قائمة بين الانقاض المجاورة لها كجبار قائم على حراسة تلك البقعة الجميلة . وفى الجهة الجنوبية تتراءى لك عن بعد تشعبات الجبلين كانها سد منيع وضع

في طرف ذلك السهل ليمنع تسرب المياه منه

السهل الفينيقي : اما السهل الفينيقي فهو البقعة الممتدة بين اوائل تلول لبنان الغربي وشاطئ البحر من امام جزيرة ارواد على شاطئ البحر حتى سهل صور وسهل عكاء اي انه يمتد على طول جبال لبنان من الشمال الى الجنوب الغربي . ويبتدىء من ارياف طرطوس ازاء جونة عكار ضيقاً جداً . ثم يأخذ بالاتساع في الجهة الشمالية قبل اطرابلس حتى يبلغ ٢٦ كيلو متراً . ثم يضيق في بساتين اطرابلس حتى يبلغ ٣ كيلو مترات وهناك يأخذ لبنان الغربي بالتقرب من البحر حتى شمالي البترون حيث يضيع السهل تماما . ثم يتسع هذا السهل في اراضي البترون وجبيل ورأس الشقيق ونهر الكلب نحو كيلومتر واحد . ثم يأخذ بالاتساع في ضواحي بيروت حتى يبلغ ٩ كيلو مترات . وتبرز منه هناك آكام مختلفة الاشكال مرصعة بالحقول المبهجة والمروج الخضراء الجميلة ويليها حرش بيروت وسهولها الرملية جنوباً . ثم ترى في ناحية الجنوب الشرقي من بيروت بقعة مزينة بالجنائن والحقول الخضراء تنتهي بغابة من الزيتون ممتدة جنوبا على مسافة طويلة وتسمى صحراء الشويفات . وما وراءها رمال يتخللها بعض الاراضي الزراعيـة حتى مضيق الدامور فتعود الارض هناك الى نضارتها وبهجتها ولكن على مسافـة قليلة العرض . ثم يتسع السهل عند صيداء حتى يبلغ عرضه ٥ كيلو مترات . ثم يضيق في جهة نهر القاسمية أو الليطاني حيث لا يتجاوز هناك كيلو متراً واحداً . ثم يمتد من هنالك الى صور فتراه متسعاً على عرض ٨ كيلو مترات وبطول

٢٣ كيلو متراً. وتربته سوداء سهلة الحراثة قوية المنبت ولكن المزارعين قليلون بالنظر لرداءة الهواء وكثرة المستنقعات . وهناك يدنو الجبل من البحر دنواً يسد كل منفذ حتى تراه شاخصاً فوق المياه شخوصاً سطوانياً . ولا يمكن العبور منه الا في متنه بين تلتين مرتفعتين معروفتين برأس الناقوره ورأس المشيرفه . ومن هناك تشرف على سهل عكاء المشهور بخصبه والممتد على مسافة ١٥ كيلو متراً من البحر على مقربة من جبل الكرمل الى جبل الجليل الاعلى حيث تنتهي تلال لبنان . وهذا السهل لا يرتفع عن سطح البحر سوى بضعة امتار . وتربته بوجه الاجمال سوداء قوية المنبت سهلة الحراثة معروفة بخصبها وجودتها وتنمو فيها سائر النباتات والاشجار التي تنمو عادة في البلاد الحارة وتزرع فيها الخضر على اختلاف انواعها وقصب السكر والليمون على اختلاف انواعه والتوت وكثير من اشجار الفاكهة

وتتخلل جبال حوران في الجنوب سهول واسعة خصيبة اشتهرت بحاصلاتها ولا سيما بالقمح وكانت تعرف قديماً لخصبها باهراء الرومانيين

وعلى صفة الاردن الغربية عدة سهول تعرف بسهول الجليل اهمها مرج البطوف او سهل زبلون . ومرج الكروم بين صفد وعكاء . وسهل اسدريلون او ساحل المقطع نسبة الى نهر المقطع الذي يسقيه . وسهل عكاء

وفي السامرة او بلاد نابلس سهل واسع يعرف بساحل العقربه « دوثاين » وهو المكان الذي التقى فيه يوسف باخوته . وسهل آخر

يسمى مرج السنور «بستولي»

اما سهول اليهودية فاهمها سهل ايالون وسهل سارون الممتد من قيصرية بالقرب من يافا الى غزه

انهر سوريا

ليس في سوريه من الانهر الكبيرة ما في غيرها من البلاد الافريقية والاميركية والاوروبية . وليس بين هذه الانهر ما يصلح للملاحة لانها كثيرة التحدر سريعة الجريان . واكثر مياهها ضائع في الوديان لعمق مجاريها . فلا تستفيد منها الاراضي الزراعية فائدة تذكر الا في بعض السهول التي تجري فيها انهر غير بعيدة القرار كسهل دمشق وسهل حمص وسهل حلب وبعض سهول فلسطين وغيرها . ومعظم هذه الانهر يخرج من الجبال التي تتوسط سوريا على مسافة قريبة من البحر اخصها لبنان الشرقي ولبنان الغربي على ما سيجيء .

ان لكل من لبنان الشرقي والغربي منحدرين احدهما الى الغرب والآخر الى الشرق . فالمياه التي تنبع من منحدر الجهة الغربية من لبنان الشرقي تصب في البحر المتوسط بعد ان تسقي الاراضي الواسعة التي تمر بها . وما ينبع منها في المنحدر الشرقي منه يصب في الصحراء بعد ان يسقي جانباً من سهول دمشق . ويصب قسم منه في بحرين داخلين البحر الميت وبحيرات المرج على مقربة من دمشق

واما لبنان الغربي فان المياه التى تنبع من منحدريه الشرقي والغربي تصب كلها فى البحر المتوسط من الشمال والجنوب ما عدا قسم منه فى الجنوب فانه يضيع فى داخل البلاد على مقربة من جبال عطير وجرمق

اشهر انهر سوريا العاصي والاردن . فالاول يجري من الجنوب الى الشمال والثاني من الشمال الى الجنوب • وسيأتي الكلام عليهما •

وهذه اهم انهر سوريا نبتديء فيها من الشمال الى الجنوب بحسب مواقع ينابيعها. واما الانهر الصغيرة والشتوية فسنذكرها عند وصف الامكنة التي تجري فيها

نهر جيحون

اول هذه الانهر جيحون . كان يعرف قديماً بنهر بيراموس وهو يخرج من جبال حلب ثم يجتاز الى ولاية آطنه وينصب في البحر المتوسط بعد ان ينضم اليه في مجراه نهر آق سو ونهر ادقنيس سو وجياور شاي

نهر حلب

كان يعرف قديماً بنهر كالوس ويقال له الآن نهر قويق. وهو يخرج من الجبال الواقعة بقرب عين تاب ويجري جنوباً فيمر في حلب ويصب في اجمة علي عشرين ميلا جنوبي الشهباء ويسقي بساتينها وسهولها

نهر العاصي

كان يعرف قديماً بنهر الارنط وعند اليونان بنهر اكسيوس نسبة الى احد انهارهم في مقدونية. «ونقل الاسماء عندهم عادة متبعة من قديم الزمن . ولذلك لما ملكوا مدينة حماة سموها بلاّ نسبة الى اسم وطنهم» ولهذا النهر مخرجان احدهما من ارض يقال لها اللبوة في وادي بعلبك على نحو ست ساعات شمالي المدينة. والآخر في لحف جبل الهرمل يقال له مغارة الراهب عند مدخل سهل حمص . وهو يجري الى الشمال ويخترق على مسافة ٩ كيلومترات من حمص بحيرة قدس او بحيرة حمص التي تقدم ذكرها « ص ٦٧ » ويخرج منها الى مجرى عميق فيسير فيه نحو كيلو مترين غربي حمص ويجتاز ضواحي حماه ثم يدخل في واد ضيق يعرف بوادي العاصي ويجتازه الى سهل أنطاكية ثم ينحرف الى الجنوب الغربي ماراً بسور المدينة ثم بين جبل اللكام والجبل الاقرع ويصب في البحر المتوسط عند السويديه بعد ان يجتاز مسافة لا تقل عن ٢٦٧ كيلو مترا

وينضم الى العاصي قبل انضبابه فى البحر ثلاثة روافد تخرج من جبل اللكام وهي نهر عفرين ونهر يغرا و قره سو او النهر الاسود ثم تنفصل عنه وتصب في بحيرة انطاكيه .

النهر الكبير

يخرج هذا النهر من رأس واد عميق في جبل عكار يفصل بين

آخر ربى لبنان وجبال النصيرية . ويجري الى الجنوب الغربي فيجتاز الوادي الى سهل منبسط بعد ان يكون انضم اليه كثير من الروافد في جملتها نهر السبتي ونهر الخليفه ونهر الرز . فيسقي ارضاً واسعة قائمة على ضفتيه ويكسيها بانواع الخضرة والاعشاب الجميلة المنظر ثم يصب في خليج عكار على مسافة ٩ كيلو مترات جنوبي طرطوس. وقيل ان هذا النهر كان تخماً طبيعياً بين مملكة سلوقية التي كانت تشمل سوريا مدة من الزمن وبين فينيقية الشمالية .

ويلي هذا النهر جنوباً نهر الصنوبر . ونهر المضيق . ونهر الررس. ونهر المسكين . ونهر برغل . ونهر الملك . ونهر السن او الابتر . ونهر مرقيه . ونهر حسين . ونهر عمريت . ونهر الابرش . والنهر الكبير المعروف عند الاقدمين بنهر الوتاروس وهو غير الاول . وجميع هذه الانهر تخرج من جبال النصيرية وتصب في البحر المتوسط

النهر البارد

وكان يعرف قديماً بنهر الوطار ومعناه بالفينيقيـة متاخم . وهو يخرج مع نهر عرقا ونهر عكار من جبال عكار التي تنتهي بها سلسلة لبنان. ويخترق سهولها في مجرى منبسط حتى ينتهي الى البحر المتوسط فيصب هناك على مسافة نحو ١٣ كيلو مترا شمالي اطرابلس

نهر قديشا

معناه المقدس . وهو نهر غزير يخرج من سفح جبل تحت ارق

لبنان على مسافة ثلاث كيلو مترات منه. وينحدر متفجرا في واد ضيق بعيد الغور يبلغ ارتفاع شفيريه نحو ثلاثمائة متر. ويعرف بوادي قديشا او وادي قنوبين نسبة الى دير قنوبين الذي كان قديماً مقر بطاركة الموارنة على ما سيجيء. وبعد ان يجري في هذا الوادي بضعة كيلو مترات نحو الجنوب الغربي ينضم اليه روافد غزيرة آتية من اعالي تلك الهضاب اخصها نهر رشعين وينبع من سفح جبل الضنية بقرب زغرتا. ونهر جوعيت وينبع بين اهدن وجبل الضنية. ونبع مار سركيس ويخرج من جانب اهدن. ويتألف من هذه الروافد نهر كبير يسير حتى يصل الى سهول اطرابلس فيشطرها شطرين ثم يسقي بساتينها الواسعة. وهناك يتجرد عن اسمه ويعرف بنهر ابي علي نسبة الى احد امراء العرب بعد افتتاحهم لتلك الجهة. وينصب هناك في البحر المتوسط شمالي ميناء اطرابلس بعد ان يكون قطع مسافة لا تقل عن ٢٣ كيلو مترا

نهر الجوز

هو نهر صغير يخرج من مغارة فوق قرية كفر حلدا على مقربة من المسيلحه. سمي بذلك لانه يجري في واد يكثر شجر الجوز على ضفتيه. وهو يمر جنوبي قلعة المسيلحه حيث تذهب منه قناة الى البترون تسقي الاراضي المحيطة بها وتكسبها خضرة نضرة على

مسافة بضعة كيلو مترات مربعة . واما النهر فانه يستمر جاريا في الوادي حتى يبلغ البحر ويصب فيه شمالي البترون

نهر ابراهيم

سمي بذلك فيما يظن نسبة الى الامير ابراهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون احد امراء الموارنة الذين تولوا الحكم في جبل لبنان مدة طويلة من الزمن على ما سيجيء . وهو يخرج من مغارة افقا الشهيرة بطولها ومنظرها الطبيعي الذي يأخذ الابصار . ويذهب معظم اللبنانيين الى انه آت من بحيرة اليمونة « اليم الصغير » الواقعة في الشمال الشرقي من هذه المغارة على مسافة نحو ١٣ كيلومترا. وهذه البحيرة الغريبة واقعة في لحف جبل المكمل المعروف بفم الميزاب على مسافة بضعة كيلومترات او ثلاث ساعات من ارز لبنان . وهي محاطة بالجبال العالية احاطة السوار بالمعصم . وليس لها منفذ الا هاوية تنفتح في اسفل قرارها . وفي الربيع تمتلىء من نبع يخرج منها يعرف بعين الاربعين نسبة الى الاربعين شهيدا. ومن غرائب الاتفاق ان هذا النبع يظهر فجأة من بئر عميقة هناك في يوم عيد الاربعين شهيدا في ٩ مارس « اذار » من كل سنة ولذلك سمي نبع الاربعين . وتنفجر المياه منه بسرعة وغزارة غريبة حتى انه يملأ البحيرة في مدة قصيرة على عرض ٥٠٠ متر وطول الف متر . وتظل البحيرة ممتلئة

حتى شهر يوليه « تموز » حيث تنضب عين الاربعين وتجف ارض البحيرة وتظهر للعين بشقوقها وسائر اغوارها ما عدا بضعة برك تظل فيها المياه مدة من الصيف. وفي ابان امتلائها تكثر فيها الاسماك فيأتيها الصيادون من القرى المجاورة للاصطياد فيها (ص٦٩)

ويعتري نبع افقا ما يعتري تلك البحيرة من التقلبات. وذلك ما يدعو الى موافقة من يذهب الى انه يوجد اتصالية بينهما وان يكن هناك ايضا ما يدعو الى الظن ان المياه التي تنبع منهما انما هي متسربة اليهما من جهة الشمال في شقوق ممتدة في جوف الجبل الواقع شرقي العاقوره

وعند ما تخرج المياه من مغارة افقا تندفع من علو بضعة امتار متفجرة مزبدة في مجرى صخري عميق محاط بالجبال العالية الى ان تبلغ اسفل وادٍ عميق حيث تلتقي هناك بجدول آخر يعرف بنهر الجوزات يجري في واد يبتدىء بالقرب من العاقوره. وحينما يبلغ النهر سهل جبيل يسير على منبسط من الارض في مجرى كثير التعاريج ويسقي هناك جميع الاراضي الواقعة على ضفتيه فيكسيها بالخضرة النضرة على مسافة بضعة كيلومترات ويكسبها منظراً من ابهج ما يروق للعين. ثم ينصب في البحر المتوسط على مسافة نحو ٨ كيلومترات جنوبي جبيل بعد ان يجتاز مسافة لاتقل عن ٣٠ كيلومترا

وعند ما يفيض في ايام الربيع يغمر اراضي حمراء واقعة هناك

ثم تعود المياه اليه في سواقي تخلل هذه الاراضي مصبوغة بلون ضارب الى الاحمرار القاني فتمتزج به وتكسبه لونا دمويا (١)

(١) كان هذا النهر قديماً يعرف بنهر ادونيس او ادوني ويفسره الكتاب المقدس بلفظة سيدي. ويطلق عليه ايضا اسم عليون ومعناه الاعلى. وكلا الاسمين بمعنى الاه. وهو الاله تموز الذي ولد في مدينة جبيل والهه الجبيليون بعد موته وشيدوا له المعابد العظيمة التي ما زالت آثارها باقية الى ايامنا هذه (انظر جبيل في الجزء الثاني)

ولادونيس قصة غريبة نوردها هنا تفكهة للقارئ، مأخوذة من اهم المصادر الموثوق بصحة ما روته عن خرافات الاقدمين وتقاليدهم الموروثة.

ان اهل فينيقية كانوا يعبدون في جملة معبوداتهم بعاتي ملكة قبرص. فحدث ان هذه الملكة هجرت مملكتها على اثر عشقها لتموز بن كوثر «قيثار» ملك الفينيقيين وجاءت الى جبيل احدى مدن فينيقية لتقيم فيها ووهبت جميع ممالكها للملك كوثر. ولكنها قبل ان احبت تموز كانت قد عشقت اورس «مرس او المريخ» وارتكبت الفحشاء معه فغضب زوجها هوفست «فلكان» لعملها هذا وقصد الى تموز في جبل لبنان وقتله بينما كان في قنص الخنازير البرية. وقيل انه مسخه خنزيرا ودفن في افقا. فحزنت عشيقته عليه حزناً شديدا وما زال بها الحزن حتى ماتت ودفنت على مقربة من النهر. ولم تزل آثار مدفنها باقية هناك حتى الآن. وذهب بعض العلماء الى ان التقليد الوطني

نهر الكلب

كان يعرف قديما بنهر ليقا او ليكس وهو يخرج من مغارة مشهورة باتساعها تعرف بمغارة جعيتا « وهي قرية صغيرة بالقرب منها سيأتي

يجعل قبر ادوني « تموز » في قرية الغينه من فتوح كسروان على نحو ١٧ كيلومتراً من افقا لجهة الغرب. وفي هذه القرية صخر منقوشة عليه صورة حيوان يفترس فتى تجاهــه امرأة تبكي. وهذا الرسم ينطبق على خرافة اليونان الذين ذهبوا الى ان المريخ قتـل ادوني وهو متقمص بصورة خنزير برّي . واسم الغينه متمم لمعنى هذا المـذهب لان معناه في اليونانية امرأة . وجاء في تفصيل هـذه الرواية ان دماء ادوني امتزجت بمياه النهر وصبغته ولذلك سمي بنهر ادونيس نسبة اليه. وحافظ اهل تلك البلاد الاقدمون على هـذا التقليد فظلوا يعتقدون ان اللون القاني الذي يشاهد في الربيع في مياه النهر هو من دماء ادوني

وكانت مياه النهر تفيض على الاراضي الحمراء الواقعة على ضفتيه وتعود اليه مصبوغة بلون احمر في شهر مارث « اذار » وهو الوقت الذي كانت تبلغ فيــه مياه بركة اليمونة معظم ارتفاعها لفيضان نبع الاربعين كما اسلفنا . فكان الجبيليون يحتفلون في منتصف ذلك الشهر بتذكار مقتل معبودهم ادوني ويقيمون مناحة عظيمة عليه سبعة ايام . وكانوا قد قسموا المسافة بين جبيل والمكان الذي كانوا يزعمون ان ادوني قتل فيه الى سبعة مراحل . وشيدوا في كل مرحلة منها معبداً عظيماً . وكانت آخر هذه المراحل في مكان يقال له الآن المشنقة وهو

السكلام عليها » ولها ثلاثة منافذ وفي سقوفها متجمدات مائية كثيرة ومتنوعة . وقد دخلها كثير من السياح ليسبروا غورها فساروا في

واقع في وادي علمات على مسافة اربع ساعات من جبيل شرقاً . وعلمات لفظة فينيقية معناها البنات وهي احدى هذه المراحل السبعة . سميت بذلك نسبة الى بنات جبيل ويحشوش والقرى المجاورة لها اللواتي كن يجتمعن لاقامة تلك المناحة . واول هذه المراحل في اكمة مرتفعة واقعة على مسافة نصف ساعة من جبيل وفيها الآن دير باسم دير البنات وهو مبني على اساس معبد من معابد البنات النائحات على تموز وهو من املاك الرهبنة اللبنانية المارونية . اما بقية المراحل فكانت واقعة في امكنة متقاربة على خط مقابل من القبلي الى . الشمال وآثار المعابد التي بنيت فيها لم تزل باقية للآن . وقد بنيت في كل واحدة منها قرية وهي قرية مستيتا . وقرطبون . وعينات . وبلاط . وصوراتا . ومهرين وحبوب . وكفر صياداً . واده . وهي مزارع صغيرة لايتجاوز عدد سكان كل منها ٦٠ نفساً ماعدا قرية اده فان عدد سكانها يقارب الثلاثمائة . وكفر صيادا وعدد سكانها نحو ١٥ نفساً . وجميعهم من الموارنة ماعدا صوراتا ففيها نحو ١٥ نفساً من المتاولة . اما معبد المشنقة حيث المرحلة الاخيرة فكان عظيما بدليل ما يشاهد هناك بين انقاضه من الحجارة الضخمة

فكانت بنات جبيل يخرجن من معبد ادوني فيها بموكب عظيم نائحات باكيات ويتوجهن الى معبد المشنقة مارات على المراحل

داخلها ساعات متوالية من غير ان يبلغوا آخرها . وينضم الى هـذا النهر في مسيره عـدة روافد صغيرة اخصها نبع العسل الذي يلتقي به عنـد منبعه تحت جعيتا على ماسيجيء . ويصب في البحر المتوسط بين جونيه وضبيه بعد ان يجتاز بضعة كيلومترات (١)

السبعة فيصرفن سبعة ايام بين هذه المراحل . واذ كن يصلن الى المرحلة الاخيرة تنهض بنت ، وهي ابرعهن في الجمال وتمثل رواية تموز عن موته وحزن الزهرة عليه وعوده الى الحياة وفرح الزهرة به . وهذه الرواية ممثلة في رسم منقوش على صخر ازاء المعبد وهي باقية للآن . ثم يعدن الى جبيل مع جمهور المحتفلين بسبعة ايام اخرى تملأت بنشوة السرور ويمررن على المراحل السبعة فيرتكبن فيهذا الفحشاء ويأتين المنكرات تذكاراً للمعبود تموز

وكان من عادة المصريين ان يحتفلوا بهذا العيد في مصر في مثل هذا الوقت . وبعد انقضاء ايام الحزن كانوا يكتبون اوراقا ايذاناً بانتهاء المناحة ويضعونها في صناديق من خشب البردى ويطرحونها في البحر على اعتقاد منهم انها تصل الى جبيل فيعلم اهلها ان المصريين احتفلوا بالعيد وشاركوهم في حزنهم على موت اودنيس وسرورهم ببعثه

(١) ان فوق هـذا النهر جسر بناه الملك انطونيوس الحليم الذي تملك على رومـية سنة ١٤٠ للمسيح وقد بني برجاً هناك على قمة مشرفة على النهر وسلك الطريق المؤدي الى بيروت على شاطيء البحر وقد كتب على صخر تجاه الجسر القديم مايلي قبليه عبارة هذه

نبع العسل ونبع اللبن

يخرج نبع العسل من لحف جبل مرتفع في مكان يقال له

ترجمتها : « الامبراطورقيصر ماركس اوروليوس انطونيوس الحليم السعيد اوغسطس كبير الجرمانيين الحبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليقاوسلك الطريق سهلا ولقبه بالطريق الانطونياني » ولقب النهر بنهر الكلب لانه بعد ان اصلح انطونيوس الطريق نصب عليه الكفرة قائمة من حجر كبير على شكل كلب وقيدوه بسلسلة حديد في الصخر وجعلوا امامه نقيراً . وكانوا يعتقدون ان قد دخله شيطان وصار رصداً حتى اذا غزا عدو تلك البلاد نبح الكلب وخرج السكان لقتال العدو . وما زال كذلك حتى قصده النوتية ورموا بالقائمة في البحر وقطعوا رأس الكلب .

وهناك ايضا كتابات قديمة العهد منقوشة في الصخور العالية المشرفة على النهر . ومن هذه الكتابات ما نقش لعهد المصريين ومنها ماهو من آثار الاشوريين ومنها للرومان ولكنها كتابة غير بارزة . ومما يلفت النظر منها كتابة باسم رعمسيس الثاني من الدولة التاسعة عشر من دول الفراعنة التي تولت على مصر سنة ١٥٠٠ قبل المسيح . واخرى باسم سلمانصر « سنة ٧٣٦ قبل المسيح » واخرى باسم سنحاريب « ٧٠٧ — ٧١٢ قبل المسيح » وثالثة باسم ماركس اوريليوس امبراطور الرومانيين « سنة ١٧٥ قبل المسيح »

شلقة فاريا شرقي قرية فاريا . سمي بذلك لانه يجري على حصباء ذات لون عسلي . ويخرج نبع اللبن من الجبل نفسه على مسافة نحو كيلومتر جنوبي الاول . وقد سمي كذلك لان في مجراه حصباء تشبه بلونها اللبن ومياه هذين النبعين من اطيب مياه لبنان واخفها للهضم واكثرها برودة والاول يجري في واد عميق تحت قريتي حراجل وميروبا بعد ان يسقي الاراضي الواقعة على ضفتيه . واما الثاني فان معظم مياهه موزع على اراضي مزرعة كفر ذبيان وهو يروي معظمها ويكسبها خضرة جميلة ويجتمع قسم من مياهه بمياه نبع العسل في اول وادي الصليب التي تفصل القاطع عن كسروان ويجريان هناك جدولا واحدا تستقي منه جميع الاراضي الواقعة على ضفتيه . وبعد ان يقطع مسافة في هذا الوادي ينضم الى جدول آخر تحت قرية جعيتا ويعرفان هناك بنهر الكلب « ص٩٢ » . ويوجد فوق مجرى نبع اللبن بالقرب من منبعه جسر طبيعي مرتفع جدا يقال له جسر الحجر وهو مؤلف من قنطرة واحدة وقطعة واحدة طولها ٥٢ مترا وعرضها ٣١ وعلوها ٥٨ . ولها منظر من ابهج المناظر . وقيل في هذه القنطرة انها من صنع ابينا نوح والحقيقة انها كانت في القدم صخراً كبيراً واقعاً في مجرى النبع نخرقته المياه واخذ هذا الخرق يتسع بفعل المياه مع الزمن حتى صار قنطرة كبيرة في شكلها الحاضر

نهر انطلياس

يخرج هذ النهر من عدة ينابيع في لحف الجبل الواقع شرقي

أنطلياس على مسافة خمس كيلو مترات من ساحل البحر . واخص هذه الينابيع نبع الفوار على مسافة كيلو متر واحد من تلك القرية. وهو يسقي الارض الواقعة ما بين ضبيه شمالي القرية وبرج حمود في جنوبيها على مسافة بضعة كيلو مترات وينصب في البحر غربي دير مار الياس في القرية المذكورة

نهر بيروت

كان هذا النهر يعرف قديماً بنهر ماغوراس وهو أحدى صفات الاله بعل. واصله نهران يخرج احدهما من جبل بالقرب من ترشيش وكفر سلوان في المتن والآخر من محل بالقرب من قريتي فالوغا وحمانا . وهما يلتقيان تحت دير القلعة الذي سيأتي ذكره . ويسمى عند مخرجه نبع القصير وهي لفظة مصغرة من قصر بني قديماً هناك . وكان قسم من مياهه يجرى في قناة محكمة البناء على قناطر تعرف بقناطر زبيدة وهى متينة البنيان تأخذ هندستها بالابصار . وقيل ان الباني لها زبيدة « زنوبياً » ملكة تدمر الشهيرة والله اعلم . ومن هذه القناة ينفذ الماء في ثقب داخل صخر عظيم الى قناة اخرى كبيرة حتي يصل الى بساتين بيروت. ولكن هذه القناة تهدمت وما زالت آثارها الى الآن . وبعد ان يدخل هذا النهر في واد ضيق تحت بيت مري متجهاً الى الغرب يرتد الى الشمال ويدخل في سهل بيروت حيث يصب في البحر المتوسط قريباً من خليج مار جرجس على مسافة كيلو مترين ونصف

شرقي المدينة بعد ان يجتاز نحو عشرين كيلو متراً

وله جسر كبير بقرب الحازمية الواقعـة على مسافة ساعة من بيروت شرقا . وعلى جانب هذا الجسر حديقة غناء انشأها رستم باشا ثالث متصرفي لبنان « ص ٦٦ »

نهر الغدير

يتكون هذا النهر من مياه الامطار في اودية واقعة عند قرية كفر شيما . ويجري في صحراء الشويفات الشهيرة بزيتونها وينصب في البحر جنوبي تلك الصحراء

نهر الدامور

كان يعرف قديما بنهر داموراس او تميراس . وهو يتكون من اربعة جداول وهي : الغابون الذي يخرج بقرب بحمدون . والصفا في جوار عين زحلتا . والقاع . وعين داره « عينداره » وتجتمع هذه الانهر عند جسر القاضي وتجري من هناك في مجرى واحد الى الجنوب فالغرب حتى تصل الى معاقة الدامور حيث تصب جنوبيها في بحر الروم في منتصف المسافة التي تفصل بيروت عن صيداء بعد ان تقطع في مسيرها ٣٢ كيلو متراً

نهر الاولي

كان هذا النهر يعرف قديماً بنهر البسري نسبة الى بسترونيس . وهو يجري بالقرب من صيدا . وسمي الاولي بعد ان صارت هـذه

المدينة قاعدة للبنان الجنوبي في اوائل القرن السادس عشر. ويفهم بالاولي نهر المدينة الاولى . وكان معروفاً عند العرب بنهر الفراديس نسبة الى وادي الفراديس التي يجري فيها . والفراديس مفرد فردوس سميت هكذا لـكثرة ما هنالك من البساتين الغناء التي تستقي من مياه النهر . وهـذا الوادي واقع فوق دير القمر وفيـه يتكون النهر من ثلاثة ينابيع ويمر بين جبال الدروز ويسمي هناك نهر الباروك اي المبارك . اما مخرجه ففي الجهة الشماليـة من قرية الباروك وهو يجري الى الجنوب الغربي في واد عميق ثم يرتد الى الغرب حتى يصل الى المختارة حيث يشطرها شطرين ويمر في سراي الشيخ بشير جنبلاط. وينضم اليه عنـد سهل بسري النهر الجزيني آتيـاً من قصبة جزين ويجري من هناك في مضايق غائرة حتي يصل الى ساحل البحر شمالي صيداء حيث يسقي البساتين المحدقة بها بعـد ان يجتاز زهاء ٥٣ كيلومتراً

نهر جزين

يخرج هذا النهر من سفح جبل فوق جزين. وله شلالات هناك تنحدر المياه منها باندفاع عظيم. وله منظر من ابهج المناظر. وينضم فى سهل بسري الى نهر الاولى حيث يجري معه نهراً واحداً على ما تقدم

ويلي نهر الاولى جنوباً انهر اخرى كنهر الزهراني ونهر الحيصراني ونهر ابي الاسود ثم النهر الليطاني او القاسمية :

نهر القاسميه

ويعرف بنهر الليطاني . وكان معروفاً عند اليونان والرومان نهر لاونتس . اما لفظة ليطاني فمعناها الملعون او الردي ويفسرها بعض العلماء بمعنى مقدس . ومخرج هذا النهر من المنحدر الشرقي للبنان شمالي البقاع بقرب بعلبك ويعرف هناك بنبع العليق . وهو يسقي قسماً كبيراً من سهل البقاع ويجري بالقرب من الدير الاحمر وهو قرية على طرف السهل من جهة شرقي لبنـان الغربي . وهناك تنقسم المياه الى قسمين قسم يجري في مضيق ينتهي الى نهر العاصي والقسم الآخر يجري الى نهر الليطاني . ويتكون هذا النهر الكبير من عشرة جداول اهمها نهر البردوني الذي ينبع من سفح جبل صنين في الجهة الغربية . ثم نهر الغزير الذي يتكون من جملة ينابيع تخرج من الجبل الشرقي واخصها نبع عين الجر . ويجري في مضيق وعر كثير الصخور بعيد الغور تحت قلعة الشقيف . ويتقرب في مجراه بين الجبال من الاردن الاعلى على مسافة ٤ كيلرمترات ونصف. ثم يتجه نحو الغرب على خط مستقيم حتى يصل الى نقطة متوسطة بين صور وصيداء حيث يسمى نهر القـاسمية فيصب هناك في البحر المتوسط بعـد ان يقطع مسافة ١٨ كيلومتراً .

نهر البردوني

يخرج هذا النهر من لحف جبل قائمة عليه قرية قاع الريم « اي

ارض الغزلان » الواقعة شمالي مدينة زحلة. وهو يجري في واد على مسافة قصيرة حتى يصل اليها من الجهة الغربية الشمالية فيشطرها شطرين. وقد اقيمت على ضفتيه فنادق كثيرة وانشئت حدائق غناء يخرج اليها اهل زحلة ومن يأتيها من المصطافين للتنزه وترويح النفس. وهو يلتقي بنهر الليطاني في سهل البقاع ويجري معه نهراً واحداً الى ان يصب في البحر

نهر بردى

ومعناه البارد . وكان يعرف قديماً بنهر ابانه من ابنا وهي لفظة عبرانية معناها مياه الصخر . وسماه اليونان كريسرواس اي « مجرى الذهب » . وهو ينبع من لحف صخور عالية واقعة شرقي سهل الزبداني في شمالي لبنان الشرقي على علو اربعمئة متر من مساواة ارض دمشق. ويخرج من ارض مرملة بشكل فوار ويكون عند منبعه بحيرة يبلغ محيطها زهاء كيلومتر .ثم تخرج المياه من هذه البحيرة مندفعة في واد عميق بشدة يسمع لها دوي عظيم. وتسير في الجنوب الشرقي. وينضم اليه في منحدر الجبل نهر غزير على مسافة ستمئة متر من منبعه يعرف بعين الفيجه وهو نبع مشهور في تلك الجهات . وبعد ان يسير مسافة طويلة في هذا الوادي يصل الى سهل دمشق فينقسم هناك الى سبعة شعبات موزعة في اقنية تخترق رياض دمشق وبساتينها الغناء المشهجهة ومنها ماهو موزع على دورها وشوارعها . ثم يخرج من البساتحوض

تخوم البادية حيث يصب في بحيرة المرج او البحيرة القبلية الواقعة على مسافة قصيرة من البحيرة الشرقية التي تصب فيها مياه الجبال الدمشقية الشمالية . وذلك بعد ان يجتاز مسافة تقدر بنحو ٣٦ كيلو متراً

نهر النعمان

ومن الانهر الواقعة في الجنوب نهر النعمان او نهر باجيدا وهو بيلوس القديم الذي جعله بطليموس حداً جنوبياً لفينيقية. وكان مشهورا برماله الصالحة لاصطناع الزجاج. وهو ينفجر من سفح تل الكرداني الى منخفض عميق يكوّن فيه بحيرة يبلغ محيطها ٤ كيلومترات وهي بحيرة كندافيا القديمة . ومياهه هناك مائلة الى السواد. ثم يخرج من البحيرة متجهاً الى الغرب ويمتزج بمياه وادي شعب ونهر عبلين . وبعد ان يجري نحو ٩ كيلومترات يصب في البحر المتوسط جنوبي عكاء

النهر الاعوج

كان هذا النهر يعرف عند الاقدمين بنهر فرفر . وهو يجري في الجهة الجنوبية من دمشق في واد عميق معروف بوادي بربر . وهو يخرج في سفح جبل الشيخ بقرب منبج من ثلاثة ينابيع وهي نبع الجناني ونبع العرني ونبع الصبيراني. وهذه الينابيع تجتمع في منتهى وديان ثلاث تجري فيها وتسمى هناك نهر الاعوج . ويتصل بسهل دمشق بمروج كثيرة وتتصل احدى اقنيته بطرف المدينة . ولكن معظم مياهه تضيع في مستنقع هناك معروف ببحيرة الهيجانه . وهذه البحيرة

تؤلف عند تخوم البادية الآنفة الذكر مع البحيرتين القبلية والشرقية بحراً واسعاً يشبه بحر الميت من وجوه كثيرة اخصها كثرة تبخر المياه منها في الصيف حتى تضيق مساحتها كثيراً وازدياد مياهها في فصل الشتاء حتى تتسع دائرتها الى ان يبلغ محيطها زهاء ٥٥ كيلو متراً كما هو الحال في البحر الميت .

نهر الاردن

هو مجتمع عدة ينابيع . واسمه مشتق من كلمة « يرد » بالعبرانية ومعناها نزل وسال . وهو على قسمين الاردن الاعلى والاردن الادنى . اما الاعلى فأهم ينابيعه النبع الذي يخرج من منحدر جبل الشيخ على مسافة كيلو مترين وربع كيلو متر من حاصبيا ويسمى هناك بالحاصباني . وهو يجري في وادي التيم على مسافة تقرب من ٣٠ كيلو متراً . وينضم اليه هناك عدة روافد اخصها نهر الدردار « هي لفظة عبرانية معناها الشوك » الذي ينبع من هضبة قائمة عليها مرجعيون . ويصب في بحيرة الحولة « أي المياه العالية » وهي بحيرة ممتدة على طول ٦ كيلو مترات وعرض خمسة « ص ٦٩ »

اما الاردن الادنى فينقسم الى قسمين الاول الاردن الكبير أو البانياسي نسبة الى بانياس المشهورة في التاريخ بقيصرية فيلبس . وقد اختلف العلماء في تعيين منبعه فمنهم من ذهب الى انه في جهة مرتفعة من جبل الشيخ وانه يسيل في جوفه متقطراً من حوض

هناك يسمى بركة الران وهي فوهة بركان هادىء على علو ٩٠٤٠ متراً عن سطح البحر . ويذهب الفريق الآخر الى انه يخرج من جوف الجبل ويجري في شقوق عميقة لا تتصل بهذا الحوض. والثاني الاردن الصغير ويعرف الآن باسم اللداني . وهو ينفجر من تل هناك معروف بتل القاضي . سمي بذلك نسبة الى دان وهي لفظة عبرانية معناها قاض وديان. وهناك آثار مدينة قديمة تعرف بهذا الاسم. ونبعه من أكبر ينابيع سوريا. وهو يصب فى بحيرة الحولة على مسافة قصيرة من منبعه ولذلك سمي بالصغير

وهذه الانهر الثلاثة يتكون منها نهر الاردن المشهور. وهي تجتمع قبل ان تصب فى بحيرة الحولة بمسافة قصيرة . ثم يخرج النهر من البحيرة في الجهة الجنوبية الى ارض منبسطة حتى جسر بنات يعقوب حيث يندفع هناك منحدراً بسرعة الى سهل البطيحة ومن هناك يجري الى بحيرة طبريه. ثم يخرج من هذه البحيرة ويجتاز سهل اليهودية بتعاريج كثيرة ويصب في البحر الميت او بحيرة لوط بعد ان يقطع مسافة ١٢٠ كيلومتراً

نهر اليرموك ونهر الزرقاء

يخرجان من سفح الجبال الواقعة بين الكرمل وبين وادي العريش. وينضمان الى نهر الاردن قبل وصوله الى بحيرة لوط. فيغوران معه فيها وليس لهما مخرج منها . ولليرموك شأن خطير في تاريخ تلك

البلاد وقد جرت على ضفتيه وقعة حربية شهيرة سيأتي ذكرها .

وهناك انهر اخرى تصب في الاردن غير هذين النهرين كنهر الجلود ونهر بقيع ونهر العوجاء

واما الانهر التي تصب في بحيرة لوط غير الاردن فاهمها نهر النار ونهر الطميره وعدة انهر اخرى تنبع من جبال اليهودية . وهذه كلها تصب فيها من الجهة الغربية . واما الانهر التي تصب فيها من الجهة الشرقية فنهر الزرقاء ونهر المعجب « ارنون » ويصب فيها من الجنوب نهر النميره ونهر الصيفيه ونهر الحيب ونهر الفكره

النهر المقطع

كان هذا النهر يعرف قديماً بنهر قيشون . ومخرجه في سفح جبل الناصره شرقي مرج بني عامر . ويجري الى الشمال الغربي ويصب في جون عكاء بقرب حيفا بعد ان ينضم اليه في مجراه نهر زرعين ونهر الملك

ويلي النهر المقطع جنوباً نهر الدخله ونهر المنجر ونهر الفلايك

النهر الاعوج

هو غير النهر المتقدم الذكر . ومخرجه من سفح جبل الشيخ الشرقي على مسافة قصيرة من منبع المقطع . ويجري الى الجنوب الشرقي ويصب في بحيرة هيجانه شمالي يافا . وهناك نهر روبين ونهر صقرير شمالي عسقلان ويصبان في البحر جنوبي يافا

وينبع من فلسطين عدة انهر اخرى كالنهر الاخضر ونهر الفسلك ونهر الغزّال ويجري في وادي العريش على تخوم مصر وسوريه

تلك هي اهم الانهر التي تنبع من جبال سوريا ولا سيما من سلسلتي لبنان الشرقي والغربي . وهناك ايضاً انهر وجداول صغيرة سيأتي الكلام عليها في اثناء كلامنا على البلدان والجهات التي تخرج منها هذه الانهر

نهر الفرات

نذكر هذا النهر في جملة انهر سوريا وان يكن مخرجه على تخوم سوريا لما له من الاهمية فى جغرافية هذه البلاد :

يتألف الفرات من نهرين كبيرين : الفرات او قره سو اوالفرات الغربي وينبع من سفح جبل بالقرب من ارظروم. ومراد شاي او الفرات الشرقي ومخرجه من مكان يقال له الاداغ شمالي بحيرة وان. وهو واقع على تخوم ولاية سوريا ومعمورة العزيز . وبعد ان يجتاز الاراضي السورية ينضم الى نهر الدجله ويؤلفان نهراً واحداً كبيراً يعرف بشط العرب ويصب فى الخليج العجمي

وينضم الى الفرات فى مجراه من ضفته اليمني رافد يقال له عربان سو ويخرج من جبل امانوس . ومرزيمان سو . وسينق ديري سو . ونهر كرزين. ونهر ساجور . ويصب فيه من ضفته اليسرى رافد يسمى بسليق وهو مؤلف من نهر جولاب ونهر خوط الذي يجري في متصرفية اورفا

طرق المواصلات براً وبحراً

الطرق البرية :

الطرق البرية في سوريا قسمان طرق عربات وخطوط حديدية . اما طرق العربات فغير متوفرة توفرها في البلاد الاوربية وليست كما ينبغي ان تكون من السعة والاتقان لاسباب طبيعية اهمها كثرة ما يهطل شتاء في هاتيك الاصقاع من الامطار الغزيرة التي لا تدع ولا تذر . ولاسباب اخرى منها اهمال الحكومة امرها اما لقلة الاموال او لانشغالها عنها بما هو في اعتبارها اهم منها وما شاكل ذلك .

واهم هذه الطرق عشرة . اولا : الطريق الموصلة بين اسكندرونه وحلب وطولها ١٦٠ كيلومتراً

ثانياً : الطريق الممتدة من تب بوغاز الى انطاكية وطولها ٥٠ كيلومتراً ويتفرع منها طريق الى الاولى

ثالثاً : من اطرابلس الى حمص « ٩٤ كيلومتراً » وحماه وطولها ١٤٢ كيلومتراً

رابعاً : من بيروت الي دمشق وطولها ١١٢ كيلومتراً وهي اهم طرق سوريا ويتفرع منها كثير من الطرق الموصلة الي عدة مدن وقرى في جنوبي لبنان كالحدث وبعبدا والشويفات ودير القمر وبيت الدين وعاليه وسوق الغرب وبحمدون وبتاتر وزحله وبعلبك مارة بشطوره ومعلقه زحله

وغيرها من الجهات التي سيأتي ذكرها

خامساً : من بيروت الى اطرابلس مارة علي جبيل والبترون .
ولها فروع موصلة الى قرى اخرى كالفرع الموصل الى
بيت مري وبرمانا وبعبدات وغيرها . والفرع الموصل
الى بكفيا والشوير ومنها الى زحلة او الى بسكنتا . ثم
الشعبتين المؤدبتين الى ريفون. وتبتديء احداها من محطة
عين طوره والاخرى من جونيه . والشعبة الموصلة
الى غزير قصبة كسروان وما جاورها من قرى فتوح
كسروان . والشعبة المتفرعة من ضواحي جبيل الى
عمشيت. وشعبة مار يوحنا مارون وجبة بشري. وشعبة
الزاوية . والشعبة الممتدة بين اطرابلس واهدن وبشري
وضواحيها . بحيث ان العربة تخرج من بيروت الى
اطرابلس فحمص حيث تتصل بطريق بعلبك الموصلة
الى معلقة زحله وبيروت او الى دمشق . فتدور حول
لبنان من سواحله الى اقصى حدوده

سادساً : من بيروت الى صيداء ويتفرع منها طريق الى قضاء
جزين

سابعاً : من دمشق الى قطانه

ثامناً : من حيفا الى عكاء

تاسعاً : من حيفا الى الناصره ومنها الى قانا

عاشراً : من يافا الى القدس بطريق رمله وهي متصلة بطريق ببيت لحم

وهناك طرق اخرى في حوران وغيره من جهات سوريا سيأتي الكلام عليها في حينه .

اما الخطوط الحديدية فاقدمها الخط الممتد بين يافا والقدس. وقد انشىء سنة ١٨٩٢ . والخط الممتد بين بيروت ودمشق. وقد افتتح سنة ١٨٩٥ . وهو يمر بلبنان ويجتاز سهل البقاع ولبنان الشرقي ثم يصل الى دمشق . وله ثلاثة فروع الاول يبتديء في رياق وينتهي في حلب بعد ان يمر على حمص وحماه . ويتفرع منه في حمص خط حديدي يوصل هذه المدينة بطرابلس . وقد تم انشاؤه سنة ١٩١١. والثاني يمتد الى المزيريب في حوران ويتصل هناك بخط الحجاز . والثالث يمتد الى حيفا ماراً ببحيرة طبريه بعد ان يلتقي في درعا بخط الحجاز

وهناك خطوط أخرى يفكرون في انشائها . منها خط بين يافا وحيفا وعكاء . وآخر بين اسكندرونه وحلب متفرع من سكة بغداد الحديدية. وخط من فلسطين الى السويس بحيث يوصل القطر المصري بسوريا. الى غير ذلك من الخطوط التي تقرر انشاؤها مبدئياً ولا بد ان تتم في وقت قريب

الطرق البحرية

الطرق البحرية قسمان طريق الاستانة ماراً على ازمير فرافئ

بر الاناضول فقبرس ومنها الى بيروت . وطريق القطر المصري « اسكندريه وبور سعيد »

وأهم الموانى التي تطرقها السفن التجارية في اوقات منتظمة هي يافا ـ حيفا ـ بيروت ـ اطرابلس ـ اللاذقية ـ اسكندرونه . وهناك موانى صغيرة لا أهمية لها في اعتبار شركات البواخر وليس للسفن مواعيد مقررة للمرور عليها كعكاء وصيداء وجونيه والبترون « وهما ثغران لبنانيان جاءتهما السفن مدة ثم امتنعت عنهما لاسباب سياسية » والسويدية وغيرها .

وأما السفن التي تطرق الموانى السورية كل اسبوع في مواعيد مقررة فاهمها سفن المساجري الفرنساوية . تصل الى بيروت آتية من الاستانة كل صباح اثنين وتصلها من بور سعيد كل يوم سبت . وسفن الروباتينو الايطالية . تصل بيروت آتية من اسكندرية كل يوم خميس . وسفن اللويد النمساوية تصل بيروت كل اربعاء آتية من بور سعيد . والسفن الخديوية . تصل الى بيروت من بور سعيد كل يوم ثلاثاء . والسفن الروسية . تصلها من بور سعيد كل يوم اربعا . وسفن البرنس لاين الانكليزية . ولوصولها اليها وسفرها منها مواعيد مقررة سنذكرها في غير هذا المكان مع مواعيد جميع السفن التي تطرق الموانى السورية

مناخ سوريه

مناخ سوريه بوجه الاجمال اجود مناخات الممالك العثمانيه. الا انه يختلف في بعض جهات منها عنـه في جهات أخرى بحسب المـواقع والامكنة. فمناخ السواحل البحرية واحد في جميع جهات سوريه كما انه واحد في الجبال والمرتفعات. وعلى ذلك يمكن ان تقسم سورية من حيث مناخاتها الى ثلاثة مناطق .

اولاً : المنطقة الحارة وتشتمل على البلاد الواقعة على ضفاف الاردن وفي جملتها منخفضات الغور وبحيرة لوط حيث لاينقص متوسط الحرارة على مدار السنة عما هو عليه في بلاد النوبة اي ٢٤ درجة والحصاد هناك يكون في اوائل شهر نيسان « ابريل ».

ثانياً : المنطقة المعتدلة وتشتمل على السواحل البحرية من الجنوب الى الشمال . ومتوسـط الحرارة فيها شتاءً ١٢ درجة وصـيفاً ٢٦ درجة . والحصاد فيها يكون في شهر مايو « ايار »

ثالثاً : المنطقة الباردة وتشتمل على الجبال الواقعـة بين ساحل البحر في الغرب والبـادية في الشرق. ومتوسـط درجة الحرارة في مرتفعاتها التي لا يتجاوز علوها الف متر ١٨ درجة صيفاً ومن ٣ الى ٥ درجات شتاء . واما في الصرود وقمم الجبال فمتوسط الحراره صيفاً ١٠ درجات وشتاء ٥ تحت الصفر . والحصاد في المرتفعات الاولى يكون

في يوليـو « تموز » وفى الصرود في اغسطس « آب » ويستمر حتى منتصف سبتمبر « ايلول »

وطبيعة الجو في سوريه مشهورة بالثبات وعدم التقلب فلا يعتري الجو في الصيف اقل تغيير بل تراه صافياً رائقاً كمرآة الغريبة . ولا يهطل المطر سحابة الصـيف بطوله الا اياماً قلائل فى اواخره حيث تتهيأ الطبيعة للدخول في فصل الشتاء . وفي الشتاء تهطل الامطار بغزارة كلية وتستمر احياناً عدة اسابيع متتابعة تتخللها فترات صحو قصيرة . ومتوسط ما يهطل من الامطار سنوياً بحسب مقياس المطر في بيروت متراً واحداً . وفي القدس ٥٧ سنتمتراً . وفي سهل البقاع متراً و١٠ سنتيمترات . ويشتد البرد شتاء في الجبال وتكتسي بالثلج عدة اشهر ويظل الثلج في قممها حتى منتصف الصـيف . واما في السواحل فلا يختلف البرد عنه في الاسكندرية وبور سعيد

والاهوية في الديار السورية تختلف اختلافاً بيناً عنها في الديار المصرية . فان الهواء الشمالي فيها بارد مضر والهواء القبلي او الجنوبي حار ويعرف عندهم بالشلوق وهو أشبه شيء بالخماسين في مصر . والغربي رطب . والشرقي جاف وهو أفضل اهويتها . ومن مميزاته انه ينعش الاجسام ويبعث فيها روح النشاط لانه يبدد الغيوم والضباب ويزيل رطوبة الفلك . واكثر هبوبه فى الجبال يكون ليلاً بعد انقضاء الهزيع الاول من الليل . وقد كانت الغابات في سوريا قديماً متوفرة كثـيرة

ولذلك كان مناخها اذ ذاك اجود منه اليوم وشتاؤها امطر وأندى ومحاصيلها اوفر .

واما فصول السنة فاثنان الصيف والشتاء تتخللهما عند مبتداهما وانتهائهما فترتان قصيرتان هما الخريف والربيع . ويبتدىء الصيف في شهر يوليه « تموز » وينتهي في منتصف اكتوبر « تشرين الاول » واما الشتاء فيبتدىء في نوفمبر « تشرين الثانى » وينتهي في ابريل « نيسان » وبين ابتداء كل فصل منهما وانتهائه في السواحل البحرية والجبال فترة قصيرة لا تتجاوز شهراً على الاكثر . ويمتاز الصيف في هاتيك الاصقاع بتساقط الندى ليلاً في ما خلا الصحراء فانها خالية منه لخلوها من النبات والشجر وما يرطب الجو ويستنزل الندى الى الارض من العناصر الطبيعية

واما المحصول فان وفرته وقلته تتوقفان على ما يهطل من الامطار فى اوائل الشتاء . فاذا كانت غزيرة في نوفمبر « تشرين الثاني » كان المحصول جيداً والا تأخر عن موعده وتلف منه جانب كبير ولا سيما اذا ما انحبس المطر او قل في شهري اذار ونيسان « مارس وابريل » وهكذا اذا كان غزيراً في هذين الشهرين الى درجة تتجاوز الحد الطبيعي السنوي فانه لا يعوض اذ ذاك ما فقدته الارض من القوة بسبب قلة المطر في اوائل الشتاء او في منتصفه . وبالجملة فان المحصول في سوريا على العموم لا يكون مقبلا الا اذا هطلت الامطار في

مواعيدها ووزعت على اشهر الشتاء بحسبما تقتضيه القاعدة الطبيعية في المناطق السورية المعتدلة .

هذا مايقال في هواء سوريا على الاجمال. ولما كان لجبل لبنان ميزة خاصة في اعتبارنا واعتبار كل من عرف ميزاته وخبر هواءه رأينا ان نفرد له هنا فصلاً خاصاً به لزيادة الفائدة:

هواء لبنان :

اشتهر لبنان بجودة هوائه وصفاء جوه سحابة الصيف باكمله حتى انك لا تجد في جميع جهات اوروبا جبلاً يماثله من هذه الجهة . وهذه جبال سويسرا وجبال ايطاليا وهي اكثر نواحي اوروبا اتصافاً بجودة الهواء وملائمة للصحة فهي بعيدة عن ان تشبه لبنان من حيث اعتدال الهواء وثبات الحرارة في درجات متقاربة. بل ان الحرارة هناك تهبط بغتة من درجة ٣٠ او ٢٥ الى ١٥ او ١٠ ثم تعود فتصعد بغتة الى اقصى درجة يمكن ان تصعد اليها في الجبال من غير ان ترتفع او تهبط تدريجاً كما هي الحال في لبنان حيث لم يرو لنا ان الحرارة صعدت او هبطت بغتة بضعة درجات متوالية في فترة قصيرة

على اننا لا ننكر ان هناك بعض منخفضات في اواسط لبنان يغشاها الضباب كل مساء من شهر ستمبر « ايلول » والاقامة فيها الى آخر الصيف لاتلائم اصحاب الامزجة العصبية . ولكن هناك ايضاً جهات كثيرة لا يصل اليها الضباب وهي جافة الهواء صافية الجو توافق

جميع الامزجة وهي جامعة لكل الشرائط الصحية وفيها كل ما يسر الخواطر ويقر النواظر

ولبنان واقع في نفس العرض الواقع عليه شمالي افريقيا ومكسيكو والهند اي انه واقع بين الدرجة ٣٣ ٣٥ من العرض الشمالي ومركزه اكثر اتجاهاً الى الجنوب من ايطاليا واسبانيا . ووجوده بين هاتين الدرجتين كان يجب ان يجعل درجة الحرارة فيه معادلة لها في المكسيك والهند ولاسيما في الصيف لولا ان اعاليه المشرفة على ما يحيط به من السهول والاراضي المنخفضة تلطف بما تكتسي به من الثلوج من حرارة هوائه وتزيده اعتدالاً وملاءمة للصحة

وهو ينقسم الى مناطق عديدة مختلفة احداها عن الاخرى من حيث النبات والشجر الذي يعيش فيها . في سواحل البحر تجد النخيل والموز والزيتون والرمان والبرتقال وقصب السكر والصبير الشائك وغير ذلك من الاغراس التي لا تنمو الا في البلاد الحارة. وفي اواسطه تجد جميع الاغراس التي تنمو في البلاد المعتدلة الهواء. وفي صروده تراه عارياً عن الشجر والنبات الا بعض النبات والاشجار القصيرة التي تنمو في اعالي الجبال كاعالي الالب في فرنسا غير ان هذه الصرود تمتاز عنها في تلك الجبال بشجر الارز فهو ينمو في اعالي صرود لبنان في حين انك لا تجد له اثراً في جبال اوربا مما يدل على ان طبيعة الاراضي اللبنانية ممتازة بقوتها وجمعها لكل عناصر النمو على طبائع اراضي العالم جمعاء

وفي صروده تشعر ببرد قارس كبرد الجهات الشمالية . اما في اواسطه فالحرارة لا تنقص في الصيف عن ١٥ درجة بحيث انك تتمتع فيها باطيب واجمل هواء . ومما يلاحظ فى ذلك انك كلما ارتفعت الى سطوحه المتباينة وجدت لكل مئتي متر علواً نقصاناً في الحرارة معدله درجة واحدة كما يحصل عادة عند قطع مسافة درجتين عرضاً لما هو معروف عند علماء الجغرافية

اما ساحله فان متوسط الحرارة فيه من ٣٠ الى ٣٥ درجة . ولذلك فننصح لمن يريد الاصطياف في لبنان ان لا يطيل الاقامة في تلك السواحل اكثر من ثلاثة ايام ريثما يستريح من عناء السفر ولا سيما متى كان وصوله اليها في شهر يوليو « تموز » حيث تبلغ الحرارة هناك اقصى درجاتها . غير ان المستنقعات نادرة في هذه السواحل ولذلك لا تجد فيها ولا في لبنان على العموم امراضاً مزمنة اذ ان الندى الذي يتساقط فى الليل يساعد على ترطيب الجو شيئاً ويزيد الهواء ملائمة للحيوان وموافقة لنمو النبات

هذا مجمل ما يمكن ان يقال فى هواء لبنان وسنصف للقارىء هواء كل جهة من جهاته بالتفصيل متى اتينا على ذكرها

منظر لبنان

لا يدخل المسافر في المياه السورية الا ويشعر بهبوب نسمات الاراضي المقدسة كأنها حفيف أجنحة الملائكة. فيتوق الى رؤية تلك

الارض التي كانت مهبط الوحي ومقام الانبياء والاصفياء . أرض
وعد الله بها ابراهيم الخليل. ثم جاءها موسى فلم يستطع الدخول اليها
فشاهد جمالها من بعيد . بل هي تلك الربوع التي عاش فيها السيد
المسيح مع تلاميذه . وتلك البقاع التي كانت أحب جهات الارض الى نبي
الاسلام وصحابته . ولا يتوسط المسافر في تلك المياه ويرسل نظرة
طائرة الى الجهة الشرقية منها حتى تلوح له من خلال الانسجة الهوائية
الرقيقة التي تغشى الافق جبال لبنان الشامخة ممتدة على مسافة شاسعة
من الشمال الى الجنوب . وهي قائمة على شاطيء البحر المتوسط من
اطرابلس الى صيداء كصف من اولئك الجبابرة الذين كان يتغنى
في وصفهم شعراء اليونان . كانما الطبيعة اقامتها على مدخل سوريا لترد
عنها هجمات الامم الفاتحة وتدفع عن تلك البقعة الجميلة المحطية بها غارات
الجيوش الطامعة باكتساحها . ثم يدنو منها فيتجلى له منظر من ابهج
ما ابدعته يد الخالق من المناظر الطبيعية وأشدها تأثيراً في النفوس
وانفذها الى القلوب واعلقها في الاذهان . يقف امام هذا الجبل العظيم
مبهوتاً مما يقع تحت نظره من القمم الباذخة المتجللة بالمهابة والمكتسية
بالبهجة والجمال بما فيها من اختلاف المناظر بين صخور وتلال وسهول
ووهاد عميقة توشحها الطبيعة بابهى ثوب من الخضرة وتلبسها أجمل
حلة حاكتها يد الخالق . يرى الغابات التي تكلل هامات تلك الجبال
وتكسي جانباً عظيماً من وهادها وهي بقية تلك الغابات العظيمة

التي ابادتها القرون الخالية تتخللها القرى المرصعة بالبيوت الجميلة والمباني الفخمة فتخيل اليه مدينة واحدة متصلة الاطراف نفصل بين اقسامها حدود طبيعية هي فم لبنان ووهاده . ثم يرى على رؤوس هذه القمم بنايات ضخمة على شكل قلاع حصينة واستحكامات ثابتة كأنما أقيمت هناك لحماية البلاد ودفع الملمات عنها وهي الاديرة والمدارس التي لا تخلو ربوة منها في تلك الجبال العامرة الحافلة بالسكان . ويتخلل تلك الغابات والمروج الخضراء صخور رمادية اللون بارزة من وسطها وعلى جوانبها كجيش من العمالقة قائم على خفارتها. ثم ينظر الى المرتفعات فيرى جبالا جرداء هي جبال صنين على مثال ما يشاهد في اعالي جبال الالب وقد عرتها الثلوج من ثوبها الاخضر وكأني بها لم تتجرد عن ملابسها وتترك حلاها الا لتظهر للعين المجردة بقدها الممشوق وقوامها الباذخ وتميس عجباً وخيلاء بسيادتها على ماهناك من الهضاب المنطرحة على اقدامها تلتمس الرزق من قلبها وهي تغدق عليها خيراتها وكنوزها بما تخرجه لها من جوفها من المياه وتمنحها به من نسماتها الباردة اللطيفة المنعشة للنفوس والمحيية للقلوب

واذا أشرفت من احدى آكامه على بحر الروم تجلى لك مشهد مهيب لا تذكر بجانبه المشاهد الرائعة التي تتجلى للعين من جبال

ايطاليا المشرفة على البحر . بل وهو يزري بها وبما ماثلها من المشاهد الطبيعية الرائعة . تحدق النظر بهذا الخضم الراقد تحت أقدام لبنان رواد المستجير به المستظل تحت اكنافه فتتمثل لك على صفحة مرآته اللامعة تحت شمس لبنان المبهجة صور العصور الخالية بما حفظته من ذكرى الفاتحين وجمته من آيات المجد والجلال وطوته في ثناياها من عبر الزمان وعظاته . تسمع أنين ذلك البحر وزفراته تملأ الفضاء الفسيح كانها تشكو لك ما نالها فيما عبر من القرون من عسف العاسفين وظلم الظالمين اولئك الذين نقلهم على ظهره الى تلك البلاد ليتنعموا بخيراتها فطغوا وبغوا ولم يدعوا ولم يذروا وتركوها قاعاً بلقعاً وآثار الخراب بادية في كل شبر منها . ترى هنـاك سفر الطبيعة يباهر آياته فلا تستطيع الا ان تتاقن أسرار الطبيعة وتنطبع في مخيلتك آثار الجمال فتحرك تلك المناظر البديعة التي تتمثل لك على صفحاء المـاء وفي شوامخ الجبال الجرداء وآكامها الخضراء قريحتك الخامدة فتنطلق من عقالها وتتلو آيات التسبيح لتلك اليد العجيبة بقدرتها التي احكمت رصف تلك المناظر الشائقة ذلك الرصف البديع

واذا اجلت نظرة طائرة في الجنوب الشرقي من لبنان لاحت لك جبـال قبرس من خلال الحجب الهوائيـة فبدا لك مشهد من تلك المشاهد الخياليـة التي ترى في الحلم وتحسب نفسك محلقاً في طبقـات من الجو تشرف منها على مملكة مترامية الاطراف انت

مليكها وسيدها

ذلك هو المشهد العظيم المبهج الذي يقف عنده المسافر أول ما يشرف على تلك البقعة الجميلة من أرض الميعاد التي اجتمعت فيها محاسن الطبيعة با كملها حائراً مبهوتاً شارد الفكر مسحوراً بما يتجلى لعينيه فيها من آيات العظمة والجمال التي خص الخالق بها تلك الجبال النادرة المثال فى اعتدال هوائها وصفاء جوها وعذوبة مائها ورقة نسيمها وهي الاوصاف التي من اجلها لم يشأ علماء التاريخ على اختلاف طبقاتهم ان يعينوا موقع الفردوس المعروف بجنة عدن في غير هذه البقعة من ارض الميعاد . بل هي تلك الطلعة المهيبة الجامعة لكل معاني الجمال التي شبه بها سليمان الحكيم حبيبه اذ قال : « نتى كالارز طلعته كلبنان »

مميزات لبنان :

لا حاجة بنا الى اشباع الكلام في وصف جبل لبنان ومحاسنه وما امتاز به من المزايا الطبيعية الحسنة في كل وجه ومعنى على سائر جبال الارض . فما من احد من الذين يهمهم امر صحتهم الا عرف هذه الحقيقة الناصعة . ومن المصريين من هم اكثر احاطة بامور لبنان من حيث ملاءمته للصحة من كثير من السوريين انفسهم . وحسب القاريء ان يعرف بعضاً من هذه المزايا ليدرك منزلة لبنان وافضليته على جبال سويسرا والنمسا والمانيا وايطاليا

من حيث ملاءمتــه للصحة وتوفر اسباب الراحة والاقتصاد فيه اكثر منها في تلك الجبال

ان جبل لبنان يمتاز عن مصايف اوروبا بامور كثيرة اهمها ان المسافة بينه وبين القطر المصري لا تجاوز ست عشرة ساعة في حين ان اقصر مسافة بين الاسكندرية واقرب مصايف اوروبا لا تنقص عن خمسة ايام . وفي ذلك من المشقة والنصب ما لا يخفى على أحد فضلاً عن أن نفقات السفر الى لبنان قد لا تبلغ مقدار الربع مما ينفق المسافر في سفره الى احد المصايف الاوربية . وهناك مميزات اخرى منها ان صاحب الاشغال الذي لا يسعه ترك اشغاله مدة الصيف كله لا يصادف اقل ارتباك في تردده على لبنان من وقت الى آخر من غير ان يلحق ضرر ما باشغاله. وعلى ذلك فلا يتعذر عليه ان يرسل عائلته الى احد مصايفه وهو مقيم في مصر ما دام في استطاعته ان يلحق بهــا متى شاء . اما في اوربا فليست الحال كذلك اذ يستحيل عليه ان يرسل عائلته الى احد مصايفها من غير ان يصحبها في ذهابها ومجيئها. والا وقع في حيرة من الامر فلا ان تركها وافترق عنها يطمئن باله . ولا ان صحبها يأمن على اشغاله من التعطيـل والضرر . ولا ان قضى الصيف في القطر المصري يأمن على صحته وصحة عائلتـه من الانحراف . اما في لبنان فلا هو يخشى على سلامتها فيه لو اضطرت للسفر من دونه. ولا يشغله امر النفقات التي يحسب لها الف حساب في مصايف اوربا

وفي لبنان مصايف جميلة لا تمتاز عنها مصايف اوربا في شيء . وهي جامعة لجميع اسباب الراحة والهناء ناهيك بصفاء جوّه واعتدال هوائه وعذوبة مائه وملائمته لجميع الامزجة بما فيه من المناطق المتنوعة واشتماله على ما لذ وطاب من انواع الفاكهة واللحوم والخضرة على اختلاف اجناسها كما سيجيء عند وصف مصايفه المشهورة

وعلى الجملة فان وجود لبنان على مقربة من القطر المصري يجعله مصيفاً طبيعياً للمصريين . وقد أخذ عدد الذين يقصدون اليه للاصطياف في ربوعه الجميلة يزيد سنة فسنة . وقدر عدد الذين جاءوه للاصطياف من القطر المصري في سنة ١٩٠٦ باثني عشر الف نفس بعد ان كان لا يتجاوز الالفين منذ عشرة أعوام

وقد ادرك اللبنانيون ما يترتب على اصطياف المصريين في بلادهم من النفع والفائدة. فاخذوا يهتمون فى تشييد المنازل المعدة للاجرة. واكثروا من بناء الفنادق الجميلة . وأصلحوا كثيراً من الطرقات الخربة . وحسنوا المصايف المطروقة تحسينا كبيرا. ووجهت الحكومة اللبنانية عنايتها الخصوصية الى هذا الامر الحيوي المهم فبذلت ما في وسعها حديثا في السهر على راحة المصيفين ومهدت في طريقهم سائر العقبات التي كانت تحول فيما مضى من السنين دون راحتهم وحريتهم . ولا بد ان تضاعف من همتها في توفير الاسباب المهيئة لعمران البلاد فتستميلهم ويحذو الاهالي حذوها ولاسيما بعد ان يستتب

الحكم الدستوري في البلاد العثمانية فيصير لبنان شاملا لاسباب الهناء مفضلا على مصايف أوربا من سائر الوجوه

والطبيعة ذاتها لم تدع أمراً حسناً الا اتته في جبل لبنان . ولم يكن لينقصه الا برّ ابنائه به ومحبتهم له باتحادهم معاً اتحادا صحيحاً لا تؤثر فيه المصلحة الذاتية ولا تفصم عراه الاختلافات المذهبية . وقد شعروا حديثا بوجوب الاهتمام بترقية مجموعهم بعد ان عنوا طويلا بترقية أفرادهم وتمجيدهم وتعظيمهم والائتمار باوامرهم. فالفوا لذلك الجمعيات المفيدة وشيدوا مدارس كثيرة حتى كثر عدد المتعلمين منهم واهتموا باقامة معرض عام في كل سنة تعرض فيه المصنوعات الوطنية وحاصلات الاراضي اللبنانية

ولما كانت موارد الثروة اللبنانية تكاد تكون محصورة في ابواب ضيقة لعدم وجود ميناء لبنانية للتجارة أو سهول مخصبة واسعة للزراعة كان اعتماد اللبنانيين في معايشهم على الصناعة والعمل في القليل مما يمتلكونه من الاراضي الصالحة للزراعة .ولما ضاقت بهم جبالهم وتكاثر نسلهم هجر كثير منهم الوطن ويمموا الاقطار الاميركية ونزح فريق منهم الى مصر واوروبا واستراليا وأفريقيا مع ان البلاد السوريه واسعة الارجاء وهي في أشد الحاجة الى الايدي العاملة . ولكن الظلم الذي حل بالبلاد السورية من جهة والحرية التي الفها اللبنانيون في جبالهم المنيعة من جهة أخرى انما هما العاملان اللذان حديا بهم الى الخروج من آسيا الى حيث يعيشون أحراراً طيبي العيش تحت سماء

الحرية. واذا اضفت الى ذلك ما هو مشهور عنهم من الانفة والاباء وشدة العزم والنشاط والحماسة والميل الفطري الى اكتساب مايحسن في أعين الامم الحية من مزايا الارتقاء الحقيقي تجلى لك اندفاعهم فى سبيل المهاجرة بأوضح مظاهره وادق اسبابه ونتائجه (انظر المهاجرة)

وما نفخ بوق الحرية في الممالك العثمانية حتى كان اللبنانيون في طليعة الذين اصغوا الى صوته المطرب وقابلوه بالهتاف الشديد وقام كتابهم اينما حلوا من بلاد الله الواسعة يرحبون بالدستور ويدعون الى الاتحاد والائتلاف لانهم شعروا قبل سكان الولايات انفسهم بضرورة الاصلاح واضرار الانقسام ومصارع الاستبداد وعرفوا مكامن الداء الذي يشكو منه الشرق وادركوا فوائد الحرية والعدل والمساواة والاخاء مما شاهدوه من آثارها في الديار الاوربية والاميركية. ولذلك أخذت الطبقة الراقية منهم تتأهب للعودة الى الوطن للاشتغال له بما تلقته في ديار الغربة من مبادىء الرقي الصحيح. وقام المتعلمون منهم في لبنان يفكرون في الطرق المؤدية الى انجاحه ونظروا في اصلاحه اولا من حيث هو مصيف طبيعي لمعشر المصريين فعقدوا الخناصر على تحبيب هذا المصيف الجميل اليهم بكل وسيلة ممكنة

وعسى ان لاتمر بضعة اعوام حتى يحرز لبنان قصب الفوز والسبق على اجمل مصايف العالم ويصبح خط الاتصال بين مصر وسوريا ورابطاً اجتماعياً عمرانياً يربط السوريين بالامة المصرية المجيدة كما كان لعهد المغفور له محمد علي باشا مؤسس مجد الاسرة العلوية العظيمة

طبيعة ارضها وتربتها

ان القاعدة الاولى لتراكيب سوريا الارضية انما هي طبقة صخرية من الطبقات الطباشيرية ومن العمر الثاني الجيولوجي. وحجارتها صلبة مؤلفة من ذرات خشنة مختلفة الالوان بين بيضاء وحمراء ومرمرية. وهي طبقات منضدة على مسافات مختلفة قليلة التناسب والانتظام كأنها منقلبة عن مواضعها. ومن الثابت عند علماء طبقات الارض ان هذه الطبقات الجصية كانت في العصر الاول الجيولوجي مغمورة بالبحر. ثم نتأت من غور المياه وبرزت بشكلها الحاضر اثر انقلاب عظيم في الطبيعة انشأ الاراضي الثانوية او اراضي الانتقال. وربما كان فيها مصاطب من رسوبات الاراضي الثالثية.

وفي هذه الصخور الجصية مواد مختلفة كالحصى المستديرة منفردة او لاصقة بعضها ببعض على شكل صخور عظيمة، وحجارة مجوفة مملوءة رملاً او بلوراً وصفوف طباشيرية وجصية مركبة من كربونات الكلس وصدفية وصخور رملية فاقعة وفحمية معدنية وصوانية. وفيها الغنيس والبلور الصخري وحجارة بيضاء رخوة تعرف بالبصار والكذان وفيها متجمدات بلورية وآلية وغيرها

وفي هذه الطبقة تجد تراكيب طباشيرية او رملية تتلو طبقات اخرى اما صلبة او رخوة. وقد احدثت يد الطبيعة على توالي القرون بين هذه الصخور مغاور متشعبة بعيدة القرار تتدلى من سقوفها

متجمدات مائية مختلفة الاشكال وتتكون فيها صفائح عظام من الاصداف الامونية والبلمنية ورسوم زحافات عظيمة الهياكل وكثير من المرجان الاحمر الناصع . اما الصخور الشستية التي هي من المرن الطباشيري فتجدها بكثرة على شاطيء البحر وفي بعض الجبال بالقرب من طرابلس وفي البترون وكسروان والشوف . واخص ماشوهد منها في بتاتر في محل يسمى التليلة اكثر ارضه من الاسماك البحرية المتحجرة كالثوتيا وصليب البحر والحلزون وهو صنف يكثر وجوده في كسروان ايضاً . وعلى الجملة فان هذه الصخور حافلة برسوم تمثل عشرات من اصناف الاسماك اكثرها من الطائفة السلاكية وتمثل عدة اصناف للنباتات اخصها بصل البحر . والاحافير الجيولوجية والمغاور المذكورة وما فيها من رسوم الحيوانات البحرية المتحجرة هي في اعتبار علماء الجيولوجيا من العصر الثالث الجيولوجي

وفي سوريا منطقة بركانية نارية قائمة على قاعدة جصية تحيط بسلسلتي لبنان الشرقية والغربية ولا تبلغ الى الصخور الداخلية من هاتين لسلسلتين لكن اثرها متصل بكثير من الاماكن القريبة منها حيث تجد شقوق هذه الصخور ومغاورها حافلة بالحمم البركانية . وتمتد هذه المنطقة من جبال صفد جنوباً عند حضيض جبل الشيخ حتى وادي التيم ثم تتحول الى جبل حيش وتحيط بسلسلته وبالهضاب الواقعة شرقي بحيرة طبريه حتى تتصل باليرموك ومن هناك تمتد الى اللجـا

وحوران ثم تتجه الى دمشق وتكوّن هناك بالقرب منها مفازة شاسعة كثيرة الصدوع والشقوق ملآنة بالحمم . ثم تظهر هـذه المنطقة شمالي بقـاع العزيز وجبل عكار في شمال لبنان . وتنتشر عند حمص وحماه حيث تمتد الى البحر مارة بجبال النصيريه وبساحل البحر حتى تبلغ جزيرة ارواد . ومن هناك تمتد الى انطاكيه وحلب وتضمحل في وادي الفرات

اما الارض اللبنانية فمنها ماهو مرتكز على الصخور المذكورة آنفاً ومنها ماهو راسب في الوديان والمنخفضات . وهي مختلفة المعادن والالوان من البياض وهو لون الارض الرقيقة القليلة الخصب الى السواد وهو لون التربة المخصبة التي تكثر فيها المواد الغذائية الصالحة لنمو النباتات الى الحمره وهي لون ماصلح من الارض لنمو التوت خاصة . وبين هـذه وتلك اراضي ذات لون رمادي ضارب الى الحمرة وهي ارض الحرزمان التي تصلح للكرمة او ازرق دلفاني تتخلله عروق حمراء او صفراء وهي الارض الصالحة لنمو الاشجار المائيـة التي ترى بكثرة بجانب الينابيع كالدلب والصفصاف . ومن مميزاتها ان تكثر فيها المعادن

وهذه الارض كريمـة المنبت وفيرة الخصب بما يدخل في تراكيبها من المرن الرملي والصلصال وبقايا الهوالك من الاجسام العضوية . ونباتها كثير النضارة وارف الظل له في جو البلاد من العناصر المغذية المنتجة ما يزيده نمواً ويكسبه رونقاً لااثر له في ماينمو من النبـات في كثير من البلاد الشرقية . ولقد كانت سوريه في ماغبر من الزمن

عجيبة الخصب تضرب بها الامثال. وما زالت ارضها مستودع الكنوز الطبيعية ومورد الثروة العقارية . تزيد حاصلاتها عن حاجة اهلها لو كانت الايدي العاملة فيها اليوم متوفرة توفرها في الزمن السابق حيث كانت تقري ١٢ مليوناً وتترك من فضلاتها للامم الفاتحة ما يقري مثل هذا العدد

وفي منحدرات الجبال ولا سيما في لبنان يقيم الفلاحون جدراناً عظاماً من أسفل الجبل الى قمته على شكل سلالم يعرف مفردها بالجل. فيكسبون بذلك تربة جديدة يغرسون ويزرعون فيها ما شاءوا من النباتات والاشجار . فتخيل الى الناظر انها هيئت مقاعد لرهط من الجبابرة . والفلاح اللبناني عجيب في نشاطه ومقدرته على خدمة الارض وتعهدها . فهو يفتت الصخور وينزعها من مواضعها ليكتسب بضعة أمتار من الارض يجعلها صالحة للزراعة . لذلك قلما تجد في آسيا ارضاً عامرة متوفرة فيها شرائط الاقتصاد الزراعي نظير لبنان . ولكن مع نشاط هؤلاء القوم وانصرافهم الى توفير عمارتها لا تكاد تنتج لهم من الحاصلات ما يقوم بمعاشهم اكثر من نصف سنة لازدياد سكانها بالنسبة لمساحتها ولكثرة ما هنالك من الجبال الصخرية التي لا تجد فيها ذرة من التراب ولقلة غاباتها . ولولا ما هاجر معظم اللبنانيين الى الديار الاميركية واشتغل فريق من الباقين فيه بالصناعة والتجارة وما شاكل ذلك لسدت في وجوههم ابواب الرزق وضاقت امامهم سبل الحياة

معادنها

ممـا لامراء فيه انسوريا غنية في معادنها غناها في جودة تربتها . غـير انه بقدر ماقلت الايدي العاملة في ارضها بقدر ذلك قـل اعتناء اهلها بامر المعادن . وفترت همم المنقبين والباحثين عنها مع انها وفيرة قلما تخلومنها بقعة من بقاع سوريا كما يستدل من البيان الآتي :

حلب : اشهر معادنها الانتيمون او الثمـد وهو معـدن يصنع منه المقيء . والرصاص . والبورق . والحمر او القـار وهو موجود خاصة بكثرة في سفح جبل آمانوس .ونوع من القار تستخرجه من تلك الاراضي شركة انكليزية منذ عدة سنوات . والنحاس ويوجـد في جوار حلب . والفحم الحجري وهو موجود بكثرة في الصحراء على نحو ثمانين كيلو متراً جنوبي المدينـة . والرخام الاصفر في ضواحيها .

مرعش : يوجد بالقرب منها معدن فضة ومعدن حديد لم يفكر احد باستثمارهما حتى اليوم وهناك ايضا معدن رخام

زيتون : يوجد فيها معدن حديد وهم يستثمرونه الآن

حارم وقليس او عين الجر : يوجد فيهامحـاجر رخام من النوع الاصفر . ومعدن جبس « جص » ومعدن نحاس

عين تاب : يوجد فيها نوعان من الرخام احدهما اصفر والآخر وردي اللون بالغ منتهى الجمال

الجبل الاقرع : فيه معدنحديد يشغل مساحة كبيرة من ارضه

اسكندرونه : يوجد في الجبال الواقعة في الجهة الشمالية منها منجم فضة ومنجم رصاص . وينتظر الماليون الاوربيون ان تنتظم شؤون البلاد العثمانية على قاعدة يضمنون بها صيانة اموالهم ليباشروا استثمار هذين المعدنين الغنيين

جبيول : يوجد بالقرب من الملاحات المنسوبة اليها سلسلة تلال من الجفصين او الجص

وادي التيم : يوجد هنـاك غربي حاصبيا معدن من الحمر اسود اللون لامع وهو احسن انواع الحمر ويستثمرونه من عدة سنين

حوران : فيها اراضي واسعة ملآنة بالحمم البركانية وفيها حجر البازلت البركاني الجميل المعروف بالحجر النارى ويشغل مساحات كبيرة من سلسلة جبال حوران وهو يتخلل الطبقات الجيولوجية التى نضدتها هناك الثورات البركانية على اشكال متنوعة في اعصر مختلفة من العمر الجيولوجي .

واما لبنان فان ثروته المعدنية مما لا يستهان به . فانه يتخلل طبقات ارضه كثير من المعادن التي تشغل مساحات كبيرة منه ولا سيما الفحم الحفري المتحجر . وا كثر ما وجدوا منه النوع المعروف باسم انتراسيت . غير ان هـذا النوع من الفحم يدخله حامض الكبريتيك فيجعل استخدامه عسيراً . ولذلك فبعد ان اقدم اهل البلاد على استخراجه من مناجمه عادوا فعدلوا عنه . وفي لبنان ايضاً كثير من مناجم الحديد وقد اشتهر امر هذا المعدن من قديم الزمن وهو مرن لين واللبنانيون يفضلونه من حيث سهولة تطريقه وتصفيحه على ما يرد لهم من البلاد الاجنبية منه .

والعلماء الذين خبروا حديد لبنان وجدوا ان في معدنه تسعين جزءاً في المئة من الحديد الخالص . الا ان ما رآه اللبنانيون من كثرة النفقات في استخراجه على درجات عميقة حال دون استمرارهم على الاهتمام به فاهملوه من زمن بعيد وهكذا سائر المعادن التي ثبت وجودها في لبنان كالتوتيا والذهب والفضة والحمر والجبس . وفي لبنان معدن النحاس وكان قديماً من صادرات لبنان . والرخام ومناجمه في هذا الجبل كثيرة . وفي تاريخ سوريا ما يشير الى ان غوريا ملك بابل كان يستورد من لبنان الرخام وخشب الارز « نحو سنة ٣٠٠٠ ق . م » . وهناك الكبريت والاسمنت على انواعه الى غير ذلك من المعادن التي تشغل مساحات كبيرة من لبنان ولا سيما في صرود المتن وكسروان وخاصة في ما يأتي ذكره من جهاته :

ميروبا : فيها اكثر أنواع المعادن التي ثبت وجودها في لبنان ولا سيما الكبريت والحديد والفحم الحجري والاسمنت والحمر والجبس . وهي تشغل هناك مساحة كبيرة من الارض على عمق بضعة امتار ومنها ماهو ظاهر على سطحها

فاريا : يقال ان فيها معدن ذهب عرفه جماعة من العلماء جالوا في انحائها من عدة سنين . الا ان الكمية التي يقدرون وجودها منه هناك قليلة لا يعتد بها بالنظر الى ما يستلزم استثماره من النفقات

نبع الحديد وجواره : هناك معدن حديد ومعدن اسمنت ومعدن

كبريت وربما وجد غيرها من المعادن

يقعاته عشقوت : أكثر اعاليها اراضي معدنية . والمعادن ظاهرة على سطح الارض في اماكن عديدة

فيطرون : ان طبيعة ارضها معدنية كميروبا وبقعاته . وفيها نفس المعادن الموجودة هناك وقد أكتشفوا فيها من بضعة سنوات معدن فحم حجري ولكنه غير صالح للاستعمال

فالوغا : يوجد فيها معدن فحم حجري من نوع الانتراسيت وهو ظاهر على سطح الارض . وفيها معادن أخرى

بسكنتا : أرضها معدنية وقد وجدوا في اعاليها معدن الالفوني

قرطبا : فيها معدن فحم حجري يستثمره أهل القرية ويستعملونه في معامل الحرير الموجودة هناك . ومنجمه فيما نعلم اغنى واجود مناجم الفحم اللبنانية

وهناك قرى كثيرة وجدوا فيها انواعاً من الفحم الحجري كانتيطره في كسروان وقرنايل والعباديه وجزين

ضبيه ونهر الكلب : يوجد بينهما نوع من الحجر المعروف بالحجر الجوي وهو ناصع البياض يستعمل في بناء أعمدة الابواب والنوافذ وما يراد صنعه في البيوت الحديثة الطرز من الافاريز البارزة

حصرون : في اعالي جبل حصرون في جبة بشري نوع من حجر المرمر وحجر الغرانيت ويعرف هناك عند العامة بحجر الشحم

واللحم لاشتماله على اللونين الاحمر والابيض وهما لونا اللحم والشحم والاغنياء هناك يزينون به ابنيتهم. وفي اعالي حصرون ايضاً معدن نحاس ومعدن جبس ومعدن فحم حجري . واكثر الاراضي هناك معدنية .

وفي سوريا كثير من الينابيع المعدنية اخصها نبع اموك بقرب الحمام بين حلب واسكندرونه . ومياه هذا النبع كبريتية تنبعث رائحتها الى بعد شاسع. وتبلغ حرارتها ٤٢ درجة بميزان سنتغراد . ونبع جسر الشغر ونبع زيتون ونبع البستان وموقعها في ولاية حلب وهي ذات قيمة كبيرة . وفي فلسطين عدة ينابيع كبريتية اخصها الينابيع الواقعة في الحمام بقرب بحيرة طبرية وقد كان لها شأن خطير في ايام الرومان وسيأتي الكلام عليها . وهناك ينابيع معدنية على شاطىء بحيرة لوط لجهة الجنوب منها نبع بترول ونبع حمر وعلى مقربة منه نبع نفط « وهو زيت معدني سريع الالتهاب » وهذان النبعان يجريان في ارض بركانية .

وفي لبنان كثير من الينابيع المعدنية . وقد فحصها كثير من العلماء فوجدوا انها لا تقل عن ينابيع اوربا المعدنية فائدة للصحة . واختبروها في كثير من الامراض فاتت بنتائج عجيبة ولا سيما ما وجدوا منها في اعالي المتن وكسروان .

نباتها وشجرها

تنقسم سوريا من حيث طبيعة ارضها الى ثلاث مناطق نباتية. الاولى المنطقة الباردة وتشتمل على الصرود او اعالي الجبال ومرتفعاتها. ونبات هذه المنطقة يشابه نبات سويسره وبلاد سافوى وجبال الالب في فرنسا وجميع الجهات التابعة لها. واخص اشجارها الارز وينبت ايضاً في ليقية وايدا وتراقيه وفريجيه

المنطقة الثانية تشمل ساحل البحر والمراد به شاطيء البحر وسفوح الجبال وخاصة سفح لبنان الغربي وما يمتد منه جنوباً وشمالاً من الجبال ويقارب هذه الجهة من حيث طبيعة الارض سهل البقاع وسهل حمص. وتنفرد هذه المنطقة بالصنوبر الساحلي المكتل والنخل والبرتقال والفستق والجميز والدفلى وغير ذلك من الاشجار التي تظل مكسوة بالاوراق الخضراء على مدار السنة وبنباتات ربيعية سريعة الذبول. وفي هذه المنطقة كثير من النباتات التي تشابه نبات اسبانيا وبلاد المغرب والجزائر وسيسيليا كبصل الفار والسوسن والشقشقيق اوشقائق النعمان والنباتات السنوية كالدفلى او شجر الزقوم وآلاس او الريحان والصنوبر الايطالي والزيتون وغير ذلك

المنطقة الثالثة تشمل الوسوط والمراد بها جوانب لبنان الشرقي من جهة الشرق وسهل دمشق الجنوبي وباديتها وما يشابهها من الاراضي في فلسطين وشمالي سوريا. وهذه المنطقة شديدة الشبه بالمنطقة الساحلية

ووجه الاختلاف بينهما ان نباتها اشد حاجة الى الحر من نبات تلك اذ ان النخل يكثر فيها وينجح فيها البلسم والطرفاء وسائر النباتات الدهنية .

ومما يجدر بالذكر عن نبات سوريا انه يختلف اختلافاً بيناً عن نبات اوربا . وما هو مشترك لكليهما منه تجد له فروقاً من حيث اللون والشكل والرائحة والخاصة وهذا الاختلاف ناتج من اختلاف الجوّ في البلادين لأن من الثابت علمياً ان للجو تأثيراً شديداً على النباتات وهو يكيفها تبعاً لتقلباته

اما النباتات والاغراس العطرية والطبية فكثيرة في سوريا لكن اهل البلاد لا يكترثون لها اما جهلاً بمنافعها او استصغاراً لامرها خلافاً لما هي الحال في اوربا . والكرم والحنطة والتبغ والقطن والزيتون والخروع وقصب السكر وسائر البقول على اختلاف اصنافها تنجح في سوريا نجاحاً كبيراً . وقد احصى بعض علماء النبات من الاوربيين اصناف النبات في سوريا فبلغت زهاء الف ومائتي صنف .

اما الارض الصالحة للزراعة فانها تنتهي على علو الفي متر تقريباً حيث تصادف نباتاً لا تجده في غير مكان يعرف بالبقل وهو ينبت في جبال الالب ايضاً. ومن هناك لا تصادف الا بعض نباتات لا تعلو عن سطح الارض اكثر من بضعة سنتيمترات اكثرها من النوع المعروف عند اهل البلاد بالقتات .

وهنا نذكر النباتات والاشجار التي تنمو في سوريا ولبنان مرتبة

بحسب اصنافها وطبائعها :

تنقسم هذه النباتات والاشجار الى ستة اقسام : الاشجار الغابية والحرشية ـ الاشجار المثمرة ـ النباتات ذات الخيوط او الانسجة ـ الحبوب ـ البقول ـ النباتات الصناعية .

الاشجار الغابية والحرشية :

ان الاشجار المشتملة عليها غابات سوريا واجملها هي السنديان والعفص . والسنديان انواع منه السنديان السوري وينمو على الخصوص في وادي قنوبين و كسفيا وزحله والبيونه . والسنديان اللبناني وهو ينمو كثيراً وله قشرة سمراء ذات شقوق غائرة وورقه صغير وهكذا ثمره والسنديان الارزي الذي ينمو بالقرب من شجر الارز وهو ذو ساق دقيقة مرتفعة واغصان طويلة قليلة الورق ورأسه متطاول جميل . وشجر البتولا والشوح واكثر انتشار هذه الاشجار في جبل لبنان وجبال آمانوس شمالي سوريه . واما لبنان الغربي فمن اخص اشجاره السرو . والشربين . والصنوبر الحلبي . والصنوبر المكتل . وهو ينمو كثيراً في السهول . وفي ساحل بيروت غابة كثيفة منه تقيها شر الرمال . وقد كانت هذه الاشجار كثيرة في لبنان فلم يبق منها الا آجام قليلة . ولبنان الشرقي يختلف عن لبنان الغربي من هذا الوجه اختلافاً بيناً فان غاباته قليلة نادرة ولا سيما في الجهة الغربية منه واحراشه مؤلفة من الحور والدلب ويكثر الدلب على ضفتي الاردن وهكذا الدردار « غرغاج » والبطم

« التربنتينا » . وفي جنوب فلسطين تجد شيئاً كثيراً من شجر الصمغ الذي يستخرجون من قشرته الصمغ العربي. وشجر يعرف بزيزيفوس وسبينا كريستي وهو ذو اشواك مستطيلة حادة . والعرعر « سندروس » وشجر البام. ونوع من الزعرور المشجر

ومن اشهر اشجارها الارز كان يستخدم قديماً لبناء السفن وتشييد الابنية العظيمة. فكان لذلك موضع الاعتبار والاهمية عند الاقدمين . ووجوده الان في سوريا قليل ينحصر في آجام صغيرة مبعثرة هنا وهناك في اعالي الجبال . ومنه غابة صغيرة شرقي بشري وطرابلس . وغابة اخرى بقرب الحدث في جبة بشري. وقطعة فوق دير القمر . واخرى في اقليم جزين . وهذا كل ما خلفته لنا القرون الخوالي من غاباته العظيمة التي كانت تملأ جبال لبنان ووهاده . وينقسم الارز في اعتبار علماء النبات الى ثلاثة اقسام وارز لبنان اصل هذه الانواع وافضلها . ويليه الارز المدعو « داودورا » وينبت في جبال حملايا في آسيا الكبرى .

ومن اهم اشجارها التوت واول ما شاع استعماله في سوريا في القرن السادس للمسيح .وقد اشتهر في ايام الصليبيين . وهو شائع في جميع البلاد السورية ولاسيما في لبنان وفي الجهة الشمالية منها حيث اخذوا يستعيضون به عن غابات الارز والضوبر والسرو وغيرها من الاشجار القديمة لكثرة منافعه بحيث اصبح مدار المعيشة عليه ينتفع

الفلاح بحطبه وثمره وورقه الذي يغذون به دود الحرير. وهو اهم مواسم سوريا ولبنان. ويصدرون من الحرير الذي يستخرجونه من فيالجه « شرانقه » كل سنة ما يقدر بنحو ٣٠ مليون فرنك. وهو ينمو في الجبال حتى علو الف وخمسمائة متر

ومن اشجار سوريا القيقب « الازدرخت » وهو منتشر في سوريا كثيرا. ويزرع لاجل ظله وصلابة خشبه. والجميز وهو شجرة كبيرة تنمو كثيراً في سهول سوريا وخشبها صلب جميل واغصانها ممتدة وارفة الظل. ومنها شجرة اللبنى التي اشتهر امرها عند الاقدمين حتى ظن بعضهم ان اسم لبنان مأخوذ منها لان لبنان واللبنى والبخور تسمى في اللغتين اليونانية واللاتينية باسم « لينوس ». ولهذا الشجر رائحة زكية وهو يفرز مادة لزجة تشبه البخور كان يستعملها القدماء كالبخور بالذات. الا ان هذه الاشجار كادت تتلاشى من سوريا ولا سيما من لبنان لكثرة اقبال الاهالي على الاحتطاب منها

ومن اشجارها الميس وينمو خاصة في السواحل. والزيزفون وينمو في الجبال. والغار والخروع ويستخرجون من كل منهما زيتاً مستعملاً في الطب. وهناك كثير من الاشجار الاخرى اعرضنا عنها حباً بالاختصار

الاشجار المثمرة :

ان سوريا تمتاز على كثير من الاقطار الاسيوية بوفرة اشجارها

المثمرة . واخص هذه الاشجار شجرة الجوز وهي منتشرة في لبنان ولا سيما في اعالي وسوطه. وا كثر وجودها في المنخفضات والوديان في شمالي سوريا . وهي ذات قيمة كبيرة ينتفعون بخشبها الجميل الصلب وثمرها المفيد اللذيذ. ويقدر محصول الجوز في لبنان وسوريا بنحو ١٣ الف قنطار كل سنة . والنخل وهو من نباتات البلاد الحارّة . وهو رمز مقدس عندالفينيقيين . وكان ينبت بكثرة في اريافها. اما اليوم فا كثر وجوده في جهات طرابلس لكنه لا ينجح هناك وفي جهات بيروت وهو ينمو فيها ويستوفي تمام خصبه في سهول عكاء وصور . ومنها شجرة التفاح . والكمثرى . والكرز . واللوز . والبرقوق او القراصيا « او الاجاص » . والخوخ . والدراق وغيرها .

ومن الاشجار المثمرة التي تنجح في اواسط سوريا وشماليها العنب ويستخرجون منه النبيذ واشهره نبيذ بسبعل . وشتوره . وزحله . وبكفيا . وزكريت . وغزير . ودلبتا او العفص . وميروبا . وريفون . وجبيل . وهكذا العرق واشهره عرق الزوق وعرق زحله. ويصنعون منه ايضاً الزبيب واشهره زبيب الزبداني وزبيب بحمدون وزحله . والسلط. وفي دمشق والسلط يعتنون بالزبيب كثيراً ويصنعون منه كمية كبيرة يصدرون قسماً منها الى الخارج . وهم يستخرجون ايضاً من العنب الدبس وهو نوعان واشهره دبس اواسط كسروان . واشهر العنب السوري عنب زحله ويليه عنب بحمدون وعنب الزبداني فعنب بعض جهات كسروان كمشقوت ودلبتا وعنب حصرون في شمالي لبنان

وعنب عين تاب في ولاية حلب. والعنب انواع كثيرة لا محل لذكرها ومن الاشجار المثمرة الزيتون وهو يشغل مساحة كبيرة من سهول سوريا وفلسطين ولا سيما في الشويفات بالقرب من ساحل بيروت في الجنوب وفي المختاره جنوبي دير القمر والمعيصره والكوره في شمالي لبنان جنوبي طرابلس وفي حاصبيا وقليس ومعرة الزيت في ضواحي انطاكية وسيلح ونابلس ودمشق وفي ضواحي القدس وامكنة اخرى. وافضل الزيت الذي يستخرجونه منه زيت الشويفات وزيت الكوره. وتقدر كمية الزيت الذي يستخرج سنوياً في جميع انحاء سوريا بنحو ١٥٠ الف قنطار. ويبلغ محصول الزيتون في دمشق وحدها ثلاثة آلاف قنطار من الزيتون الاخضر واربعة آلاف من الاسود وهو اقل لذة من الاول

ومعظم زيتون سوريه ولبنان ينفق في البلاد فلا يصدر منه الى الخارج الا كمية قليلة ينفق معظمها في القطر المصري. وهكذا الزيت فان مايزيد منه عن حاجة البلاد يرسل منه قسم الى القطر المصري والقسم الآخر يستعمل في المصابن وخاصة في مصابن نابلس وحيفا والله وحمص وطرابلس وحلب وغيرها. والصابون الذي يصنع في سوريا ولاسيما في مصابن نابلس وطرابلس المرتبة الاولى بين جميع اصناف الصابون التي تصنع في الشرق. ويصدرون منه كل سنة ما لا تقل قيمته عن مليوني فرنك

ومن اهم الاشجار المثمرة التين وهو يؤكل اما طريئاً واما جافاً واما مطبوخا بالسكر او الدبس وله طعم لذيذ وافضله تين عمشيت في بلاد جبيل وتين عشقوت في كسروان وتين عين تاب في ولاية حلب. ومنها البرتقال واكثر انتشاره في الجنوب بين صور وغزه ويشغل مساحات كبيرة من سهول صيداء ويافا .ويقدرون ما يصدر منه الى الخارج من هاتين المدينتين بما لا تقل قيمته عن اربعة ملايين فرنك. واشهره برتقال يافا ويليه برتقال صيداء فطرابلس وساحل علما في كسروان. ثم شجر الليمون الحامض والليمون المعروف بيوسف افندي والكباد وغيرها. وتغرس على الغالب بين شجر البرتقال. وهناك المشمش واشهره المشمش الشامي والحموي والبسوسي ويصنعون منه في دمشق كمية كبيرة من المربى وقمر الدين ذات شأن يذكر في تجارة المدينة وضواحيها ومعول كثيرين من الاهالي هناك عليه دون غيره .ثم الرمان واكثر انتشاره في دمشق وحيفا وصيداء وطرابلس لكنه اقل لذة من الرمان المنفلوطي المصري والرمان البغدادي . والفستق واكثر وجوده في دمشق .والصبار وهو منتشر على السواحل البحرية اي في المنطقة الحارة .والموز وينمو في الجنوب اكثر منه في الشمال لكنه اقل لذة من الموز المصري . واللوز واكثر انتشاره في السواحل البحرية . وجوز الهند ويوجد بكثرة في شمالي سوريا والاهالي هناك يعولون على محصوله كثيراً ويصدرون منه الى الخارج

سنوياً ما تبلغ قيمته مليون فرنك وما بقي يستعمل في المصابغ الوطنية. والخرّوب وينمو فى السواحل ويستخرجون منه فى بعض الجهات دبساً لذيذ الطعم . والزعرور وا كثر وجوده فى اواسط سوريا ولا سيما في لبنان. وهناك كثير من الاشجار المثمرة لم نذ كرها هنا لقلة وجودها فى سوريا ولبنان

النباتات ذات الانسجة والخيوط :

أهم هذه النباتات القطن وا كثر انتشاره فى سهول العاصي بالقرب من حلب وانطا كيه وفي سهل صيداء وفي سهل سارون فى الجنوب لكن وجوده فى شمالي سوريا ا كثر منه فى جنوبيها ويصدر منه الى الخارج من ثغور سوريا الشمالية ولاسيما من اسكندرونه بما لاتقل قيمته عن مليوني فرنك . وفى طرسوس احدى مدن ولاية آدنه معمل كبير لحليج القطن ونسجه وقد زرته مراراً اثناء اقامتي فى تلك الولاية. ومن هذه النباتات الكتان والقنب وينجحان فى شمالي سوريا . والتوت وقد تقدم الكلام عليه مع الاشجار الحرشية . ونبات آخر يعبر عنه بالحرير النباتي جرب فى جوار حلب ونجح نجاحا كبيراً الا ان زراعته لا تزال قاصرة على بقعة صغيرة من تلك الجهة . والليف وا كثر وجوده فى الشمال .

الحبوب :

اكثر الحبوب انتشاراً فى لبنان وسوريا القمح ويزرع فى سهل العاصي وسهل عكاء وصيدا ومرج بني عامر وحوران واشهره القمح الحوراني الذي يزرعونه فى بقعة من حوران تعرف بسهل النقره وقد كان محصوله لعهد الرومان وفيراً الى درجة انه كان يكفي لسد حاجة جميع مستعمراتهم فى الشرق حتى اطلق على تلك البقعة من سوريا اسم اهراء الرومانيين وهي آلان اهراء القسم الشمالي من بلاد العرب . ويستخرجون منه البرغل وهو طعام قسم كبير من سكان سوريا ولبنان ويمزجون به اللبن الخاثر فيخرج منه الكشك الذي قلما يخلو بيت منه فى الديار الشامية . ومن هذه الحبوب الشعير ويعلفون به الحيوانات. والشوفان والجاودار « نوع من القمح » والذرة والدخن وهي من المزروعات الشائعة في جميع انحاء سوريا. والرز واكثر شيوعه على ضفاف العاصي ونهر حلب ونهر قره سو. والسمسم وهو يزرع فى ولاية حلب .والماش والكرسنه. واهم المواني التي تصدر منها الحبوب في الشمال اسكندرونه وطرابلس وفي الجنوب حيفا ويافا وغزه

البقول :

اكثر البقول انتشاراً في الديار السورية الفول واللوبياء « الفاصوليا » والبصل واشهره بصل مرج بني عامر. والحمص والعدس والخيار والبطيخ

على انواعه واجوده بطيخ يافا. والكوسا والباذنجان والملفوف « كرنب » والارنيط والباميه والخرشوف « شوك ارضي باصطلاح السوريين » والهليون « يرموع » والكمأة « نبت الرعد » والبطاطا والخس والفجل والبقلة « فرفحين » والنعناع والمردكوش ويزوعون في بعض الجهات الملوخيه .

النباتات الصناعية :

اما النباتات التي تستعمل في بعض الصنائع او لها شأن ما في تجارة البلاد فمنها الفوه ويستخرجون من جذرها صباغا احمر يدبغون به الجلود وغيرها . والزعفران « جاد » والكمون والنيلة ويستخرجون منها الصباغ الازرق . والحناء ويستعملها النساء لصبغ الشعر والايدي والاظافر . وهذه النباتات جميعها يستخرج منها صباغ ذو الوان مختلفة . واما النباتات الطبية فاخص ما يستعمل منها في الصيدليات الخروع والغار الكرزي وحبق الراعي « برنجاسف » والراوند والسوس ويزرع في وادي العاصي . وشجر الصمغ « قنزعي » وينبت في جنوبي فلسطين ويستخرج منه نوع من الصمغ يعرف بالكثيرا . ومنها المحمودة « السكمونيا » وتزرع في بلاد البترون وفي جهات حلب ويزرعون في سهول سورية الشمالية والجنوبيــة نوعاً مشجراً من النبات يعرف بالاشنان « غاسول » ونوعا آخر يعرف بعرق الحلاوة « غاسول » ويصنعون من رمادهما الصابون بعد ان يضيفوا اليه موادا اخرى .

كالقلي وغيره . ومنها البردي او الكولان وهو نبات مشجر ينمو في فلسطين ولا سيما على شواطيء بحيرة الحولة وطبريه وعلى ضفاف الاردن كان يكتب على ورقه قدماء المصريين . ونوع آخر من القصب تستعمل اغصانه اقلاما للكتابة العربية واصوله لاقامة السدات التي ير.بى فيها دود الحرير او لتسقيف البيوت الحقيرة ونحو ذلك. وهناك نوع آخر منه ينبت في اريحا وفي جوار بحيرة لوط. أما التبغ فهو يزرع في سائر جهات لبنان وسوريه ويبلغ معظم نجاحه في المناطق الحارة وفي قمم الجبال المعرضة للشمس واجوده تبغ جبيل وجبل الريحان وقد تقدم الكلام عليه

وهناك كثير من الاشجار العطرية والطيبة كالحبق والقرنفل والورد على انواعه والفل والياسمين والخندقوق والبنفسج والعصيفيره ودوار الشمس ونحوها واذن الجمل « دوينة الجدي » والقويسه والقنطاريون وحي العالم والبابونج والزيزفون وعرق الذهب وغيرها مما لا يسمح المقام بذكره هنا

حيواناتها

تنقسم حيوانات لبنان وسوريا بحسب طبائعها وتراكيبها الى اربعة اقسام كسائر الحيوانات المنتشرة على وجه البسيطة : ذوات الاربع ـ الطيور او ذوات الاجنحة ـ الزحافات ـ الحشرات .

ذوات الاربع :

ذوات الاربع قسمان الحيوانات الجوية او الداجنة والحيوانات البرية او غير الداجنة . اما الداجنة فمن اخصها الحصان وهو انواع اكثرها قيمة الحصان العربي الاصيل وقد اصبح نادراً في السنين الاخيرة حتى ان الحكومة ذاتها منعت تصديره بعد ماتوالت البعثات الاوروبية ولا سيما البعثات الفرنساوية التي تجيء سوريا من حين الى حين لمشترى الخيل العربية. واكثر وجود هذا النوع من الخيل عند عرب عنيزه وهم شديدو الحرص عليها فلا يبيعون منها الا مضطرين. والبغل وهو منتشر في جميع انحاء سوريا ويستخدمونه لنقل الاحمال الثقيلة وخاصة في الجبال وهو افضل الركوبات. والمطايا واشدها واقواها على احتمال مشقة الاسفار الطويلة واقلها عثوراً ولذلك ترى اهل الجبال يفضلون ركوبه على ركوب الخيل. والحمار ونوعه متوسط بين النوع المصري والنوع الاوربي وهو اكثر حدة ونشاطاً منه . وافضله الحمار الابيض واكثر وجوده في بادية الشام عند عرب الصليب. ومنه نوع بري يعرف بحمار الوحش ووجوده في الشرق اكثر منه في غير جهة وسيأتي ذكره فيما يلي . والجمل وهو نوعان فمنه ماهو بسنام واحد « حدبة » ومنه ما هو بسنامين ويستخدم خاصة عند العرب واكثر ما يستخدمونه للركوب وحمل الاثقال. والمزارعون في بعض جهات حوران وغيرها من الجهات الجنوبية والشمالية يستخدمونه لحراثة

الارض بدلاً من البقر . وهم يحيكون صوفه ويأكلون لحمه . وسنام الجمل من اخر اطعمة العرب. وافضل الاطعمة والذها عندهم لحم الحوار «الجمل الصغير» فنحر الحوار عند نزول ضيف على امير او شيخ عربي دليل على مبالغته في اكرامه واستعظامه شأنه . ومنها البقرة والنوع الموجود منها في سوريا صغير الهيكل ضعيف العضلات وتستخدم لحراثة الارض ولا سيما في جهات دمشق وفلسطين وسائر جهات لبنان . ومنها مايعلف للذبح واكثرما يكون ذلك في لبنان. ولبنها دسم يستخرج منه سمن لذيذ الطعم . والجاموس واكثر وجوده في وادي الاردن . والخروف السوري ويمتاز عن المصري والسوداني وغيرهما بضخامة ليته واستدارتها. ووجوده في سوريا كثير ولاسيما في ولاية حلب وفي جهات حمص وحماه وفي البلقاء اي بلاد نابلس . وهم يأكلون لحمه بكثرة ومعول معظم الذين يأكلون اللحوم يكاد يكون قاصراً عليه لانه افضل اللحوم واكثرها لذة ونفعاً . ولبن الغنم لذيذ لا تفوق طعمه لذة ويستخرجون منه سمناً هو فى اعتبار الجميع اجود سمن في الشرق ولا سيما النوع المعروف بالحديدي الحابي نسبة الى قبيلة بني حديد الذين يصنعونه في حلب ويليه السمن الحموي. ومنافع الغنم كثيرة فهي مورد ثروة عظيمة للديار الشامية. فعدا عن ان لسمنها شأناً كبيراً في تجارة البلاد فان امعاءها تجفف وترسل الى اوربا حيث يصنعون منها خيوطاً للآلات الموسيقية. ولصوفها قيمة كبيرة ولا سيما في شمالي سوريا فانه

مفضل في حلب عليه في دمشق . ويصدرون منه الى الخارج بما لا تقل قيمته عن خمس ملايين فرنك . وجنس هذه الغنم منحصر في المشرق وشمالي افريقية . ومنها المعزى او العنز واكثر انواعها وجوداً في سوريا ذوات الآذان الطويلة والقرون القصيرة وهي جنس مخصوص بلبنان دون سواه . وفي انغورا في الشمال نوع منها طويل الشعر ناعم الملمس . واكثر ما يستخدمونها لاستخراج اللبن وعمل الجبن وفي شمالي لبنان يلذعونها ويأكلون لحمها الا انه غير لذيذ الطعم كلحم الغنم . وفي بعض الجهات يحيكون شعرها . واما الجلد فيستعملونه اما قرباً لوضع الجبن او سختياناً لصنع الاحذية البلدية ونحو ذلك . واما الخنزير فوجوده قليل في سوريا ولا يعتني بتربيتـه الا الاوربيون ونفر من مسيحي البلاد . ومنها الكلب وهو انواع كثيرة لـكنه ليس على درجة من الالفة تقرب منها في اوربا . واكثر ما يستخدمونه لحراسة البيوت وقطعان الماشية في المراعي . ثم القط وهو انواع كثيرة ويشبه الكلب من حيث قلة المؤلفة وربما زاد عنه مشابهة للحيوانات البرية ومنه نوع بري قليل الوجود في سوريا .

اما الحيوانات البرية فليس في آسيا جهة جمعت بين عدة اصناف وفصائل منهـا كما جمعت سوريا . ويقول علماء الحيوان انها تشتمل على جميع فصائل الحيوان المشتملة عليها اوربا وتزيد عليهـا بعدة فصائل منه لا وجود لها في القارة الاوربية كالجمل والجاموس وغيرهما من الحيوانات الاليفة والبرية

كانت سوريه قديماً موطن سادة الوحوش كالاسد والنمر فانقرضت منها بانقراض ما كان فيها من الآجام والغابات الكثيفة ولم يبق منها الا القليل . فان الاسد انقرض ولم يعد يصادف في سوريه من عهد الصليبيين . وأما الدب فهو منحصر في جبال آمانوس وجبل الشيخ وبعض جهات حوران وهو من الجنس الاسود وهكذا الفهد فانه نادر منحصر في شواطيء الفرات في الشمال وشواطيء بحيرة لوط في الجنوب وفي بلاد جلعاد ومثله الخنزير البري والقنفذ والنمس فانها نادرة الوجود منحصرة في جهات قليلة من سوريه . لكن الضبع والذئب وابن آوى والثعلب كثيرة الوجود في جميع جهاتها والذئب السوري اصغر هيكلا من الذئب الاوربي . واما ابن آوى فهو بين الذئب والكلب وأكثر وجوده في فلسطين ولبنان في الجنوب والشرق وخاصة حول القرى المنفردة التي تكثر فيها كروم العنب وهو انواع مختلفة منها الثعلب وغرير وغيرها وله صوت مزعج ولا سيما في الليل حيث يجتمع منه زمر وعصائب ويعوي حول القرى عواء مزعجاً . واكثر وجود الخنزير البري في غابات جبال آمانوس وعلى شاطيء الفرات . ومنها الغزال والايل ويوجدان بكثرة في الجهتين الشرقية والجنوبية من بادية الشام ويصطادونه في حظائر يقيمونها في وسط الصحراء ويجعلون لها باباً ضيقاً يلج منه اليها فيقفلونه عليه ويمسكونه ويأتون به الى دمشق فيباع هناك رخيصاً لكثرة ما يرد منه اليها . ومنها الوعل ثم الخلد ويوجد بكثرة في البقاع وفي بعض الجهات

الحـارة من لبنان . ومنها الخزر وهو الارنب البري واكثر وجوده في السهول وفي صرود لبنان . والتيس البري ويوجد في جنوبي لبنان وفي الجهة الجنوبية من جبل الكرمل . والظبي ويوجد شمالي فلسطين . وعناق الارض واكثر وجوده في شمالي سوريه ويوجد منه في الجهات الواقعة بين يافا والقدس . والفأر ويوجد بكثرة ومنه نوع يعرف باليربوع يعيش في الصحراء ، والجرذون والوطواط وهما شائعان في جميع الاطراف

وعلماء الحيوان يرجعون في تعريف هـذه الحيوانات وفصائلها الى اصلين مختلفين اتيا سوريه من جهتين أو من منطقتين مختلفتين جعلوا تخومهما من طرف الكرمل الجنوبي الى الطرف الجنوبي من بحيرة طبريه . وهما المنطقة الشرقية الشمالية ويفهم بها سوريه وشمالي فلسطين والمنطقة الغربية الجنوبية أو الحبشية ويفهم بها البلاد الواقعة في الغرب والجنوب وفي جملتها الجهة الجنوبية من فلسطين . وكثير من هذه الحيوانات اتى هاتين المنطقتين من الشرق ومن بلاد ما بين النهرين ومن الهند . فذهبوا الى ان من الحيوانات التي اتت المنطقة الاولى التيس البري والظبي والدب وعناق الاوض . ومن الحيوانات التي هاجرت الى المنطقة الثانية الفهد والاسدو لخنزير البري والغزال والفأر على اختلاف اجناسه والارنب على انوعه واكثره في شبه جزيرة سيناء وفلسطين وقد جاءها من افريقيه. ومن الفصائل الهندية الذئب وابن آوى والضبع والوطواط

الطيور

كانت الطيور قديماً كثيرة في لبنان وسوريه ولكنها قلت وبعضها كاد ينقرض لانقراض الغابات وقلة المرتزق . وهي قسمان داجنة وغير داجنة . فمن الاولى الدجاجة والديك الهندي والغرغر أو دجاجة فرعون والاوزة والبط واكثره في جهات الاردن والحمام . ومن البرية الطيور الكاسرة وهي النسر وهو انواع النسر المذهب والنسر الاشقر والنسر الكبير ويوجد منها بكثرة في جوار بحيرة لوط . والغراب ومنه ستة انواع مختلفة احدها عن الآخر منها العقاب والبازي والصقر والكركي ويعرف بالعرينق وباللقلق وباني قردان وهو نوعان واكثر وجوده في السهول جنوبي سوريه وكان من الطيور المقدسة عند المصريين . والنحاف ويعرف في مصر بالباشاروش ويوجد خاصة شرقي سوريه في المستنقعات ومنها النجع والشقرق ودويك الجبل والحجل وهو نوعان كبير سنجابي اللون ويعلأ جبال سوريه ولبنان ويربونه في البيوت فلا يلبث حتى يألفها فلا يعود يفارقها والنوع الآخر صغير سنجابي اللون كالاول يعيش في جوار بحيرة لوط . والهدهد والبوم والحمام البري واكثره على ضفاف الاردن وفي لبنان . والسمان أو الفري واكثره في السهول ودجاج الارض واليمام « ترغل » والبلبل والحسون والدوري وعصفور التين والحميري والحجيجه وغيرها من انواع العصافير الصغيرة التي يكثر وجودها في فصلي الربيع

والصيف. وألذ لحوم الطيور البرية في سوريه لحم السمان والحجل وعصفور التين

الزحافات

منها الحية وهي ٣٣ نوعاً أعمها في سوريه الحية الرقطاء والسوداء والنشابه. وأما النوع الضخم الطويل فقد قل وجوده كثيراً بعد ان قلت الغابات في جهات وانقرضت في جهات أخرى . والحية السورية على الاجمال أقل سماً من الحية الافريقية أو غيرها وهكذا العقربة . ومنها الحرذون وهو ٤٤ نوعاً منها الحرباء أو جمل اليهود واكثره في الجنوب وهو مبرقع أخضر اللون سريع التأثر اذا مسسته اكمد لونه وقتم ويضرب المثل بتقلبه هذا فيقال فلان كالحرباء او يتقلب تقلب الحرباء أي مخاتل مخادع يلبس لكل حالة لبوسها . ومن انواعه التمساح واكثر وجوده في نهر الزرقاء في فلسطين وقد كانوا قديماً يسمونه نهر التماسيح لكثرتها فيه . والسلحفاة واكثرها من السلاحف الارضية . ومنها الحيوانات الرخوة والقشرية اخصها النوع الذي كان الفينيقيون يستخرجون منه الارجوان. ونجمة البحر والتوتيا والسرطان « سلطعون وفي مصر ابوغالمبو » والاسفنج واكثر وجوده بين جبيل وطرابلس . وترى في بعض الانهر والمستنقعات الخنكليس « ثعبان البحر » ونوعاً من السلاحف يعيش في المياه الحلوة والاريدس « برعوث البحر » والسرطان الارضي. واما الاسماك

السوريه فثلاثة واربعون نوعاً وفي بحيرة طبريه ونهر الاردن شيء كثير منها وألذها الزلبق وسلطان ابراهيم ويعرف في مصر بالبربوني

الحشرات

من الحشرات التي تعيش في سوريه الخنفساء والفراش على أنواعه ودود القز « دود الحرير » وعليه مدار الحركة الاقتصادية في سوريه ولبنان وهو ينجح نجاحا عظيما في انحاء الجبل كافة ولهم في تربيته وتعليله قواعد شائعة معمول بها في سائر جهات البلاد لا يسع المقام ذكرها « انظر الفنون والصنائع » والنحل ويربونه في خلايا اسطوانية ومنه ما يعيش في الصخور فيتخذ له أوكارا في شقوقها وكانوا يجنون منه قديماً عسلا فاخراً في كثير من انحاء سوريه اما اليوم فتربيته منحصرة في جهات معلومة ولا سيما في الصرود اللبنانية العالية لانه لا يجد في السواحل مدة طويلة من السنة مقدارا كافياً من الزهور يقوم بغذائه . وأجود عسله العسل الحلبي وعسل الصرود اللبنانية منه العسل الكسرواني واخصه عسل العاقوره من القرى الجردية . ومنها الزرقطة « نصوحة » وهي كالنحلة ولها حمة حادة تلدغ بها والزنبور « الدبور » وأكثر وجوده في أيام العنب وهو سام يلدغ فيؤلم ويستمر أثر لدغه أياما و يعالجون لدغته بحليب التين وماء الصفوه « ماء الرماد » . ومنها الناموس « باعوض و برغش » وأكثر وجوده في الجهات الرطبة التي تكثر فيها المستنقعات وهو أصغر حجما

من الناموس المصري والسوداني ولدغه أقل ضرراً منه

وأما الهوام السامة فأخصها العقرب والرتيلاء . والعقرب كثير الوجود في سوريه الا أن المادة السامة فيه أقل منها في العقرب المصري ولدغه أضعف قوة وألماً منه ولاسيما من العقرب الصعيدي .

ومنها الجندب « القبوط » وهو أنواع أخصه الجراد و يسطو أحياناً كثيرة على المزروعات فلايدع ولايزر فيسد الفضاء و يحجب نور الشمس لكثرته ولاسيما في السنين القليلة الشتاء وله عدو شديد وهو طير السمرمر فاذا أبصره هاجمه من كل جهة فبدده وكثيراً مايسوقه طريداً حتى يلقيه في البحر بعد أن يأكل ماياً كله منه . والبدو يأكلونه ويستلذون طعمه .

وهناك أنواع كثيرة من الحشرات الاخرى لايسمح المقام بتعدادها

الصنائع والفنون

أشهر الصنائع السورية وأكثرها رواجا تربية دود القز أودود الحرير (ص ١٥٣) فان معول أهل سورية في القيام باودهم يكاد ينحصر في هذه الصناعة فلا تمر بقرية أو بمدينة في سورية ولا سيما في الشمال الاوشجر التوت يشغل جانبا كبيرا من بساتينها وأراضيها مهما كانت فسيحة بعيدة الاطراف .

والحرير الذي يستخرجونه من دود القز يصدرون القسم الاكبر

منه الى مرسيليا وليون وما بقي منه ينسج في البلاد ولا سيما محصول سهول صيداء فان معامل دمشق وطرابلس تستنفده كله لحياكة المنسوجات الوطنية . ويقدر محصول سوريه من هذا الصنف بنحو خمسة آلاف بالة حرير يصدر منه الى الخارج اربعة آلاف بالة والباقي يحاك في البلاد

وأهم المنسوجات الوطنية تحاك في دمشق وحمص وحماه وحلب وعين تاب وقليس وزوق مكايل في كسروان من أعمال جبل لبنان وبيت شباب وعازور « بالقرب من طرابلس وهي غير عازور جزين » ودوما . وكل مدينة أو بلدة من هذه البلدان تمتاز بنوع من النسيج فان المنسوجات الحريرية المزركشة بخيوط الذهب والفضة تحاك في حلب وقليس وعين تاب ودمشق والزوق . وأجودها واجملها منسوجات الزوق . وتمتاز عازور بحياكة السجاد الوطني . وتمتاز دوما وبيت شباب بحياكة القماش المعروف بالديما وهو مشابه للقماش الذي يحاك في المحله الكبرى بالقطر المصري

وأما صناعة السروج والبرادع وما شابهها وصناعة النقش والحفر فا كثر شيوعها في دمشق وحلب وعين تاب ومرعش . وتمتاز دمشق بصناعة الحفر في الخشب والمعادن والصياغة وعمل الاسلحة والتطعيم بالصدف ولهذه الصناعة فيها معامل كبيرة تصدر من مصنوعاتها شيئاً كثيراً الى القطر المصري . ويلي دمشق في الصياغة والحفر مدينة بيروت وفي التطعيم وحفر الخشب على انواعه ولا سيما خشب

الجوز مدينة القدس . وتمتاز القدس وبيت لحم بصنع الادوات الدينية كالمسابح والصلبان من الصدف وخشب الزيتون ويصنع فيها من الصدف ايقونات جميلة دقيقة الصنعة مختلفة الاشكال والرسوم . وأما الادوات الخزفية فتصنع في اكثر مدن سوريه وخاصة في انطاكيه وراشيا الفخار وبيب شباب في لبنان . وتصنع الاباريق والنعارات (القلل) في دمشق وبيروت وصيداء . والحبال وخيوط القنب والشباك في حلب ودمشق . ويصنعون الصابون في طرابلس وحمص وبيروت وجبل الكرمل وحيفا ونابلس واللد ورمله وبكاسين وغيرها . ويصنعون في حبرون في بلاد الجليل عقود وآنية زجاجية ولا سيما النارجيلات والقناني على انواعها وهكذا في دمشق وغزه وانطاكية . وكان في انطلياس بقرب بيروت معمل ورق فاقفل منذ عدة سنين مع ان الحاجة اليه ماسة ولا سيما في هذه الايام حيث اشتد افتقار السوريين الى الورق لانتشار المطبوعات والصحف ولعلهم يفكرون في انشاء معمل آخر قريباً فيسد هذه الثلمة في صناعات سوريه .

وفي دمشق كثير من المطاحن التي تدور بقوة الماء فلا ينقطع العمل فيها طرفة عين لكثرة ما هنالك من القمح الذي يستوردونه من حوران . وقد انشأوا منذ عدة سنوات مطاحن بخارية في بيروت وحلب وجونيه وغيرها من مدن سوريه . ومن الصنائع السورية

صباغة الجلود ويصطنعونها في جهات كثيرة من سوريه ولا سيما في حبرون حيث يصنعون قرباً من جلد الماعز للحجاج والبدو . ويصنعون في يافا نوعاً من الحصير يحيكونه بقشر الخيزران والبردي . وفي بيت شباب يصبون الاجراس . وهذه الصناعة محصورة هناك في آل نفاع وهي سر عندهم يبالغون في كتمانه عن الغريب كائناً من كان . وقد امتازوا بالفطنة والذكاء ولهم المام تام بكثير من الصناعات الدقيقة . وقد اشتغلوا باحداث الحركة الدائمة فنجحوا فيها وبالساعات فصنعوا منها ساعة دائمة الحركة . وبالاسلحة فابدعوا فيها . وهناك الاسفنج واكثر وجوده في البترون وجبيل وطرابلس ويصدرون منه كل سنة مالا يقل عن مليون اسفنجه . وهناك صناعات أخرى كالحدادة والنجارة والسكافة وهي عامة شاملة لسائر جهات لبنان وسوريه وغير ذلك من الصناعات التي اعرضنا عنها حباً بالاختصار .

وأما الصنائع التي لا وجود لها أو أنها قليلة الشيوع في لبنان وسوريا على عظم فائدتها وشدة حاجة البلاد اليها فأخصها صناعة الآجر « القرميد » والبلاط على أنواعهما . فان مايجلب من هذين الصنفين من اروبا تقدر قيمته ببضعة ملايين فرنك ناهيك بما في جلبهما من الخسارة على السوريين لارتفاع أثمانهما . ومنها صناعة الجبس والكلس فان البلاد مفتقرة الى افران متقنة لهما يصنعان فيها على القواعد

المتبعة في اوربا . وصناعة السكر خصوصاً وان زراعة قصب السكر تنجح كثيراً في هاتيك البلاد ولاسيما في السواحل البحرية . وهناك صناعة النبيذ والعرق والكنياك وماء الزهر وماء الورد والمطورات الوطنية ولاسيما النبيذ فانه لو أتبع في استخراجه وحفظه القواعد المتبعة فى اوربا وخاصة في فرنسا وايطاليا وكثر اعتناء السوريين به لكان مورد ثروة عظيمة للبلاد ولاسيما للبنان لايستهان بها . وللنبيذ اللبناني خاصة شهرة في الجودة واللذة تمهد للسوريين السبل للاثراء منه من أقرب الطرق لو اتبعت فيه تلك القواعد . والتبغ وهو من أهم موارد الثروة في البلاد لو منعت الحكومة العثمانية احتكاره وأباحت زراعته والاتجار به لاهل البلاد واهتم الاهلون بانشاء معامل له وحقول لاختباره وتحسين اصنافه وتأليف نقابات لترويجه وخاصة في لبنان حيث لا احتكار يحول دون اتقانه . ولعل مابدا حديثاً من عناية الحكومة اللبنانية بهاثر انشاء الامير يوسف أبي اللمع المصلح اللبناني الشهير والجميل وغيرهما معامل له في لبنان يكون فألا حسناً له بحيث يبلغ من عناية اللبنانيين به المبلغ الذي نتوقعه من زيادة محصوله ومضاعفة ربحهم منه عاماً فعاماً . ومن الصناعات التى لم تتقن بعد في سوريه ولبنان أولم توجد بعد فيهما الحدادة وصناعة استخراج المعادن وتنقيتها وصناعة الشمع والورق ونسج القطن والكتان والصوف فان البلاد مفتقرة كثيراً الى معامل متقنة وآلات أوربية حديثة الطرز ترفع

هذه الصنائع فيها الى المرتبة الجديرة بها فتستغني تدريجاً عن اكثر المصنوعات الاووبية وتحفظ قسماً كبيراً من ثروتها . ثم صناعة استخراج الزيت فان المعاصر التي يستخرجونه فيها قاصرة لم تتوفر فيها الشرائط الاقتصادية اللازمة. وما يذهب فيها من الزيت هدراً يعادل زهاء ١٠ في المئة من محصوله . وهي كمية كبيرة بالنسبة الى حالة البلاد الاقتصادية فلو أنشئت له معامل على الطرز الاوربي لزاد ربح الاهلين منه اضعافاً مضاعفة .

ذلك أهم ماينقص سوريه من الصنائع التي لو وجدت فيها لراجت رواجاً عظيماً لانها من المواد الحيوية التي باتت البلاد ولاغنى لها عنها . وعسى ان ماذكرناه هنا عنها يلفت انظار مواطنينا اليها فيصرفون اليها اهتمامهم و ينزلونها المنزلة الاولى من عنايتهم اكتساباً لفوائدها شأن الامم الراقية التي تشغل الصنائع المرتبة الاولى بين أسباب رقيها وحضارتها

التجارة

أهم المراكز التجارية في سوريه بيروت ودمشق وحلب. وأهم الموانى التي تربطها تجارياً باوربا وبشمالي افريقيا اسكندرونه وطرابلس وبيروت وحيفا ويافا . وبيروت تفوقهن جميعاً وان تكن دمشق تشغل مركزاً مهماً بين مدن سوريه التجارية يجعلها في مصاف المدن الشرقية الاولى في الشرق لعلاقتها باهم مراكز ما بين النهرين التجارية من قديم الزمن . ومما يجعل لبيروت هذا الشأن التجاري الخطير وجود

مرفأ فيها انشأته شركة فرنساوية منذ عدة سنوات وارتباطها بالمدن الداخلية بخطوط حديدية قربت المسافات وانشأت المواصلات السريعة بينها وبين تلك المدن كدمشق وحوران وبعلبك وحمص وحماه وحلب. وسيكون لمدينة حيفا بعد ان ربطت بدمشق وحوران بخط حديدي وجعلت المحطة البحرية الاولى للخط الحجازي شأن كبير في تجارة سورية وربما أصبحت بعد ان يتم المرفأ الذي قررت الحكومة العثمانية انشاءه فيها أهم ثغر سوري لا تذكر بجانبه بيروت عروس المدائن السورية.

وسوريه تستورد من اوربا أهم الادوات والمهمات والحاجات الحيوية العصرية كالآلات والعدد الحديدية والفولاذية والرصاصية على أنواعها والخرداوات والآجر والقرميد والرخام والآنية الصينية والزجاجية على اختلاف أصنافها كالاطباق ونحوها والمرايا والآنية البلورية والمفروشات والامتعة المنزلية والاسلحة النارية والاسلحة البيضاء والساعات والمجوهرات والمصوغات وأدواتها والاجواخ والاصواف والحرائر الاوربية والاقمشة البيضاء من قطنية وصوفية والادوية والمواد الملونة والشمع المسبوك والكاز « البترول » وأكثره من باكو في روسيا والصابون الطيب الرائحة والروائح العطرية والممسكات وسائر المصنوعات الباريسية والآلات الموسيقية والادوات المكتبية على أنواعها والحلويات الافرنجية من مربيات وغيرها والسكر والبن والشوكولاته والبذور والتوابل الاوروبية وسائر

المشروبات الروحية التي يستخرجونها في اوربا كالجعة « البيرا » والكونياك والابسنت والقرموت والشمبانيا والروم والوسكي ونحو ذلك.

وأكثر الواردات الاوربية رواجاً في سوريه الالمانية والنمساوية لجمعها بين انخفاض السعر وجمال اللون . وقد كان للبضائع الفرنساوية منذ أواخر القرن الماضي المنزلة الاولى في جميع أسواق سوريه من حيث الرواج واقبال العامة والخاصة على مشتراها. اما اليوم فهي قاصرة على فئة قليلة من الخبيرين بأنواع الاقمشة من خاصة القوم لكنها لا تزال تشغل المرتبة الاولى من حيث المتانة وثبات الالوان وتليها البضائع الانكليزية .

وهي تستورد من التنباك العجمي من بلاد فارس ما تقدر قيمته ببضعة ملايين فرنك. واما ما تستورده من التبغ التركي من بر الاناضول وتساليا على يد شركة حصر التبغ فلا تقل قيمته عن نحو ثلاثين مليون فرنك . ومن وارداتها العفص ويأتيها من كردستان والفوة من الهند والصمغ العربي من بغداد ومصر وصمغ القتاد من برّ الاناضول والحلتيت من مسقط والهند والحنه من مصر والافيون من آسيا الصغرى .

واما صادرات سورية فأهمها الحرير الخام ويبلغ ما يصدر منه الى الخارج ولاسيما الى ليون ومرسيليا ما لا تقل قيمته من خمسين مليون فرنكاً . وسعر الكيلو منه هناك يتراوح بين ٣٨ و ٤٥ فرنكاً. وزيت

الزيتون وتبلغ قيمة الصادر منه نحو مليوني فرنك . والتبغ السوري وقد كانوا يصدرونه الى القطر المصري فقل تصديره اليه في السنين الاخيرة ولاسيما من لبنان بعد ان كان قبلا من أهم صادرات سوريه . والبرتقال ويصدرون منه ولا سيما من صيداء ويافا نحو أربعة ملايين فرنك. والبطيخ وقيمة مايصدرون منه نحو مليون فرنك. والثمار المخمرة ويصدرون منها من دمشق نحو نصف مليون فرنك . وصوف الغنم وقيمة مايصدر منه تقدر بنحو خمسة ملايين فرنك. والاسفنج ويصدرون منه من البلدان الواقعة بين جونيه وطرابلس مايقدر بنحو مليون فرنك. ويصدرون من شمالي سوريه الى اوربا وعلى الخصوص الى فرنسا جوز الهند والجلود المدبوغة وغير المدبوغة ولا سيما جلود الثعالب والارانب والسجاد السوري. ويصدرون ايضاً الابسطة والحبوب على اختلاف أصنافها كالقمح والشعير والسمسم ونحو ذلك وعرق السوس والصابون الوطني ويصدر من الشمال والجنوب . ويصدرون من شمالي سوريا ولا سيما من جبال انطاكية كمية كبيرة من الشمع العسلي الى أوربا . ويصدرون أيضا الى الخارج السيرج وزيت الخروع وهما من الحاصلات المهمة في بعض انحاء سوريا . ودودة القرمز وقد عرفت في سوريا من عهد ابرهيم باشا ونجحت في عدة أماكن حتى عدوها في جملة حاصلاتها وصادراتها

اما الاماكن التي تقام فيها عادة الاسواق السنوية والاسبوعية العامة فأهمها المزيريب في حوران وتقام فيها سوق سنوية عند مرور

الحجاج بها في سفرهم الى مكة تستمر خمسة عشر يوماً ويجتمع فيها نحو مائة ألف نفس . وقلعة الحصن وتقام فيها سوق سنوية كبيرة . وتقام في حلب وحمص وحماه ودمشق أسواق أسبوعية تعرض فيها حاصلات البلاد وحيواناتها وخاصة الخيل فتعرض فيها فصائل كثيرة منها . ويقام في يافا وغزه واللد ورمله موالد تعرض فيها حاصلات البلاد وتدور فيها حركة الاخذ والعطاء وتستمر خمسة عشر يوما .

وأما لبنان على الخصوص فالحركة التجارية فيه بطيئة وهو يجلب جميع الادوات والسلع التي يحتاج سكانه اليها امامن طرابلس أومن بيروت أو من دمشق . وفريق من السكان يستورد حاجاته من حمص وحماه . وأخص مراكزه التجارية جونيه والبترون وجبيل وطبرجا وجل اعتمادها على الحبوب ولاسيما القمح وهي اساكل بحرية تأتيها السفن الشراعية . واما مراكز تجارته الداخلية فأخصها بشري وحصرون واهدن في الشمال وغزير والزوق في كسروان و بكفيا وزحله في جبل المتن ودير القمر وجزين في الجنوب .

هذا مايسعنا ذكره عن الحركة التجارية في سورية أجملناه في هذا الفصل من باب الالمام بالشيء

سكان سوريه

ليس بين الشعوب الاسيوية شعب اختلفت اصوله وتشعبت فروعه وتعددت طوائفه ومذاهبه كالشعب السوري. فقد نزل سوريه من اقدم ازمنة التاريخ الى الاعصر المتأخرة كثير من الامم الشرقية والغربية جاءتها من انحاء شتى فاتحة او مستعمرة فامتزجت بسكانها امتزاج الماء بالراح واندمج اولئك السكان بها اندماجاً تاماً اصبح معه من المستحيل تمييز اجزائهم بعضها عن بعض والرجوع الى الاصول التي تفرعت منها هذه الاجزاء .

فان من الثابت تاريخياً ان اول من استوطن سوريه من الشعوب الاولى بنو سام وحام وفي ذلك حكاية طويلة سيأتي الكلام عليها في القسم التاريخي. ثم امتزج بهم الاشوريون فالمصريون فاليونان والرومان ثم جاء العرب بعد ذلك فادمجوا اهل البلاد بهم واشربوهم لغتهم وعاداتهم وتلاهم الافرنج الصليبيون فتركوا شيئاً كثيراً من الدم الاوربي في ارض سورية ولا سيما في لبنان وانطاكية وجهات فلسطين. « انظر الموازنة »

وهناك امم وطوائف اخرى جاءت سوريه في ازمنة مختلفة وتخلف منها قوم اختلطوا باهلها كالتتر والاكراد والشراكسة وغيرهم من الدول الشرقية التي تداولت الحكم على الديار الشامية في فترات تخللت حكم بعض تلك الامم الفاتحة كما سيجيء في القسم التاريخي

وصفوة مايقال في سكان سوريه أنهم مزيج من بقايا الامم الفاتحة التي اجتاحتها في اعصر مختلفة . والعلماء يعدونهم من حيث التعريف الجغرافي سوريين ومن حيث اللغة والاخلاق والعادات عرباً لان الطابع العربي اشد الطوابع الجنسية ظهوراً فيهم وتمكناً منهم واكثرها تأثيراً على آدابهم القومية . واوضح تجليه عندهم في الحياة العائلية

والعلماء المستشرقون من الالمان وغيرهم يردون اجزاء الشعب السوري من حيث الوجهة الاجتماعية او المدنية الى خمسة اصول او بالاحرى الى خمسة عناصر متميز احدها عن الآخر : السوري والعربي والتركي واليهودي والاوربي . ومن حيث الوجهة الدينية الى ثلاثة اصول عامة : اليهودي والمسيحي والاسلامي . ولنتكلم الآن عن التقسيم الاول

الاصل السوري :

يفهم به فى اعتبار هؤلاء العلماء المحدثين جميع الشعوب الشامية التي كانت تتفاهم باللغة الآرامية حتى أوائل النصرانية ماعدا اليهود الذين كانوا يتكلمون بالعبرانية « انظر اللغات » وتنقسم هذه الفئة الى قسمين قسم ثبت على ايمان المسيح والقسم الآخر اعتنق الاسلام . ثم جاء العرب فحلت لغتهم محل اللغة الآرامية فى سائر انحاء سوريه فى ماخلا مقاطعة معلولا في ضواحي دمشق حيث لايزالون يتكلمون لغة جامعة بين فرع من اللغات الآرامية ويسمونها السريانية الكلدانية وبين اللغة العربية « انظر اليهود واللغة السريانية »

العنصر العربي :

العنصر العربي (١) قسمان حضر وهم الذين سكنوا المدن وامتزجوا بسكانها الاصليين . وبدو وهم اقرب من الحضر الى تمثيل الاصل العربي الصميم . والسواد الاعظم منهم في بلاد العربية (٢)

---

(١) ان اسم عرب مشتق من يعرب أو عرب بن قحطان أو يقطان وهو اخو فالق ابن عابر بن شالح بن سام بن نوح . وقد خلف ثلاثة عشر ولداً تفرقوا في اليمن أو ارابيا السعيدة. ومن العرب من هم من نسل كوش بن حام بن نوح ومن أولاده سابا وصويلة وسبتا ورغما وسبتكا . ومنهم من هم من نسل شابا ودادان ابني رغما . ومن هؤلاء ولد الكوشيون الذين نزلوا ارابيا على الخليج العجمي والبحر الاحمر . والباقون سكنوا في بعض أماكن من تلك الجهات معروفة باسمائهم . ومنهم من هم من نسل ابرهيم وهؤلاء ينتسبون الي هاجر وقيطوره أي انهم ولدوا من اسمعيل بن هاجر وبنيه ومن سمران بن قيطوره واخوته ومن بنيهم واحفادهم. وقيل انهم ولدوا من ابرهيم أبي اسمعيل من زوجته هاجر وهي قيطوره « نظر الاصل الآرامي في باب تاريخ سوريا » ومن هؤلاء نشأت شعوب بلاد العرب المشهورة وهي: الاسمعيليون والمديانيون والموآبيون والعمونيون والادوميون . وسموهم عرباً متعربة ومستعربة أي دخلاء لانهم كانوا غرباء عن العرب فاتوا الي حيث كان هؤلاء يقيمون وابرموا معهم عهوداً وامتزجوا معهم بالزواج

(٢) يفهم ببلاد العربية أو جزيرة العرب البقعة الواقعة بين الخليج الفارسي وبوغاز ارموش شرقا وبوغاز باب المندب جنوباً والبحر الاحمر وبوغاز السويس غرباً وفلسطين وسورية شمالا . وتقسم الي ثلاثة أقسام : الاول العربية الحجرية نسبة الى مدينة الحجر « بطرا » الواقعة فى وادي موسي شرقي جبل هارون اخي موسى . وهي على حدود فلسطين ومصر واخصها الحجاز « الحجاز من الحاجز لانه يفصل بين نجد وتهامة » وفيه مكة ويثرب الثاني البادية. والثالث العربية السعيدة. وأول من سماها بهذا الاسم اليونان والرومان تمييزاً لها عن العربية الحجرية أو الشمالية . وتعرف أيضاً باليمن لوقوعها على يمين الكعبة من الشرق . وكانت صنعاء « هي أوزال القديمة المنسوبة الى أوزال بن قحطان » قاعدة مملكتهم قديماً .

واما النازلون منهم في لبنان وسوريا وفي جملتها فلسطين فقسمان غرباء ووطنيون . فالغرباء هم عرب عنزه ويأتون سوريا شتاء من داخلية بلاد العرب . وينقسمون فيما بينهم الى أربعة قبائل كبيرة : بنو علي . وبنو الحسنا . وبنو الرواله وبنو بشر . ويبلغ عددهم زهاء اربعين الف نفس . وهم اقوى هذين القسمين . واما الوطنيون فهم مستقرون في البلاد يقيمون فيها على مدار السنة . وينقسمون فيما بينهم الى عدة قبائل منهم بنو صخر وهم اقوى عرب الجنوب وعلى شيء من الحضارة والاستقلال الداخلي ويقيمون في البلقاء اوبلاد نابلس جنوبي سوريا . والغوارنة وهم عرب الغور وينزلون وادي الاردن ويعرفون بعرب الشمال تمييزاً لهم عن عرب الجنوب وهم البدو الذين يقطنون جنوبي بحيرة لوط .

والبدو قوم قليلو الالمام بمسائل الدين فهم يدينون بدين الاسلام ولايعرفون منه الا الاسم وليس لهم رؤساء دين ولا جوامع ولامذهب مخصوص فيتناقلون بالوراثة تقاليد الدين المحمدي على ما تتداوله مداركهم القاصرة وتقف عنده عقولهم دون تمحيص ولا استيعاب . وهم قبائل رحل تسكن المضارب والاطناب وليس لها وطن مخصوص لانها كثيرة التنقل لا تستقر في مكان . وللبدو عادات واخلاق حفظوها منذ القدم وهم شديدو الحرص عليها . واخص مميزاتهم حماية الجار واكرام الضيف واغاثة من يلتجيء اليهم والقناعة والتقشف . وهم غزاة شديدو التمسك بمبدأ اخذ الثار . ودم قتيلهم يفدى بدم القاتل او بدم قريب له ومن

العادة ان اقرب الناس الى القتيل هو الذي يثأر له . وفي ذلك تفاصيل لا محل لذكرها هنا.

يظهر ان العرب بعد ان افتتحوا سوريا آثروا الاقامة في السهول عليها في الجبال ولا سيما في جبل لبنان فتعذرت عليهم الاقامة فيه لان اللبنانيين كانوا يناصبونهم العداء فلا يدعونهم يستقرون في مكان منه على ماذكرنا في تاريخ لبنان. غير ان اللغة العربية شاعت بين سكان البلاد شيوعاً كبيراً وغلبت على لغتهم السريانية التي كانت شائعة الى ذلك العهد «انظر اللغة السريانية» بحيث تمكنت من السكان وصارت مع توالي الزمن اللغة الشائعة في سوريا ما عدا جهات متطرفة منها في جوار دمشق وعلى حدود فلسطين من جهة الشرق وفي شمالي لبنان على ما سيجيء عند التكلم على اللغتين العربية والسريانية. ومما يتخذ دليلاً على عجز العرب عن اخضاع لبنان اخضاعاً تاماً انهم لم يتركوا فيه اثراً يذكر كالآثار العظيمة التي تركوها في عدة مدن سورية ولاسيما في دمشق وبعلبك. وجل ما هناك ان قبائل من العرب الرحل تملكت بقعاً من الاراضي المتطرفة على حدود لبنان كالقبائل التي تنزل اليوم في صرود كسروان في محل يقال له القلوق غربي العاقورة فهي تصرف اشهر الصيف هناك في مضارب من الشعر وفي الشتاء يرحل معظمها الى بلاد بعلبك. وهذه القبائل تملك بضعة آلاف من الماشية ولا سيما من الغنم تتعيش من صوفها ولبنها ولكنها على فقرها وانحطاطها في معيشتها عندها من عادات الحضر اكرام الضيف والصدق والشهامة شيء كثير ولم يروا ان

عربياً منها تعدى على احد ابناء السبيل او اساء معاملته خلافاً للمتاولة الذين ينزلون تلك الجهات فانهم يتعيشون من النهب والسلب (انظر متاولة). وفي لبنان وسوريا كثير من الاماكن التي تسكنها القبائل البدوية ولا سيما في جهات دمشق

الاصل التركي

اما العنصر التركي فلا اهمية عددية له في سوريا لكن اهميته السياسية لا تزال عظيمة تشغل المقام الاول لانه العنصر الحاكم المسيطر على سائر العناصر العثمانية. وسيظل هذا شأنه الى عهد طويل لان سياسة الدولة الفتية تقضي بان يكون لهذا العنصر الفاتح النفوذ الاعظم والكلمة الاولى في جميع الشؤون خارجية كانت او داخلية حتى في قلب الولايات العربية. والله اعلم بما ستؤدي اليه هذه السياسة من العواقب الوخيمة على الامة والدولة.

والاتراك على الغالب اقل ذكاء من العرب غير ان الطبقة السفلى منهم متدينة تمتاز بكرم الاخلاق والسذاجة الدينية والميل الى الاحسان والعطف على البؤساء. واما الطبقة الراقية فمنحصرة في فئة قليلة من سكان المدن ومعظم موظفي الحكومة في سائر البقاع السورية والعربية. وهم على الغالب ذوو انفة شديدو المراس يعتبرون الخارجين عن جنسيتهم من طبقة دون طبقتهم

والاصل التركي في سوريا يشتمل على عدة فروع منتشرة في شمالي سوريا وفي بعض الجهات الجنوبية كجبل الشيخ وضواحي دمشق. منهم

التركمان والشراكسة والاكراد وغيرهم

التركمان : التركمان في سوريا قبائل رحل لا تجد منهم الا في ولايتي دمشق وحلب ويشبهون البدو فى اخلاقهم وفي كثير من عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم بحيث يتعذر التمييز بين الفريقين .

والتركمان نزلوا سوريا من قرون طوال. وهم اشداء لولاقيام اللبنانيين عليهم وطردهم لهم من البلاد بعد ان نازعوا امراءهم السلطة ردحاً طويلامن الزمن لكانوا اليوم قوة كبيرة فى البلاد. لا يستهان بها

والتركمان فى الاصل قوم من التتر الرحل جاءوا من بلاد التتر ومن شمالي بحر الخزر وقيل انهم نزلوا على خراسان وخطفوا نساء تلك البلاد فنتج من ذلك جنس يسمى عند الفرس تركمان اي شبيه بالاتراك

وذهب بعض المؤرخين الى ان الاتراك والتركمان شيء واحد وانهم متناسلون من توغرما بن ناصر بن يافث بن نوح . ولذلك فان اليهود يسمون بلغتهم ملك الاتراك توغار . والله اعلم

وقدفصلنا اخبارهم عند ذكر غزير والزوق في مقاطعة كسروان.

الشراكسة : جاءوا الى سوريا من عهد غير بعيد مهاجرين من بر الاناضول والبلاد الداخلة في حكم روسيا كجبال القوقاس وغيرها فانزلتهم الحكومة العثمانية بين ولاية دمشق وولاية حلب ووزعت عليهم الارزاق وجعلت لهم شأناً لايقل في اعتبارها عن شأن الوطنيين من اتراك وعرب. وعددهم في سورية نحو ٥٠ الف نفس

الاكراد : هم سكان بلاد عكار ومايليها من البقاع الواقعة في
مال بين طرابلس واللاذقية والسويدية وحلب . اشتهروا بشدة
س والتصلب والقسوة . ويتعيشون من النهب والغزو كالمتاولة .
م ما اشتهروا به في العهد الاخير شنهم الغارة على أهل الشمال وامعانهم
م قتلاً وضرباً وامتهاناً . وآخر مادونه لهم التاريخ من ذلك اغارتهم
ة ١٩٠٩ على اللاذقية والسويدية وجبالهما وفتكهم بعدد كبير من
سيحيين معظمهم ارمن . وعددهم هناك نحو ٥٠ الف نفس . وقد ذكرنا
م شيئاً في الجزء الثاني عند التكلم على جبال عكار بقرب طرابلس .

الاصل اليهودي :

الاصل اليهودي فيشتمل على عدة فروع او طوائف وقد آثرنا
نفرد للتكلم عليه فصلاً مخصوصاً في باب المذاهب والاديان .

الاصل الاور باوي .

الاصل الاورباوي في سورية ولبنان عدة فروع . وهو قسمان
م استوطنوا البلاد من ازمنة بعيدة وتخلقوا باخلاق الوطنيين
ختلطوا بهم بالزواج فأصبحوا منهم . والقسم الآخر جاءوا البلاد
تجار من عهد قريب لا يتجاوز في ارتقائه النصف الثاني من القرن الغابر .
هذا القسم يتناول الفرنساويين والتليان والانكليز والالمان
نمساويين والروسيين واليونان والهولنديين والبلجيكيين وغيرهم .
عددهم في لبنان والديار الشامية يتراوح بين ٥٠ و ٧٠ الف نفس .
وهناك طوائف اخرى منها ماهو متفرع من الاصول الخمسة التي

بسطنا الكلام عليها ومنها ماهو متفرع من اصول اخرى لا محل
لذكرها هنا. ولما كان لكل طائفة منها مذهب خاص بها آثرنا ان
نذكر ما يجدر بالذكر من معتقداتها وتاريخ نشأتها وانتشارها و
ما يتعلق بها في باب «المذاهب والاديان»

المذاهب والاديان
في
لبنان وسوريا

اهم اديان لبنان وسوريا واكثرها شيوعاً ثلاثة : الدين اليهود
والدين المسيحي والدين الاسلامي.

وكل دين من هذه الاديان ينقسم الى مذاهب شتي سيأتي الكلا
على كل منها وعلى الطوائف التى اعتنقتها مفصلاً بحيث نأتي على تار
منشأ هذه المذاهب ودرجة تأثير كل منها على الحالة السياسية فى الشر
وشأنها في مجتمع اديان العالم الى غير ذلك مما لا يخلو من فا
وعبرة .

الاسرائيليون

ويقال لهم ايضاً عبرانيون ويهود وموسويون . وفي تفسير ا
عبرانيين مذهبان الاول من جدهم عابر احد الآباء الاولين ال

لا محل نسبهم اليـه « انظر الاصل السامي » والثاني من عبر الاردن
انما اقام بنو اسرائيل بعـد افتتـاحهم لارض الموعـد . واما اسم
الاسرائيليين فهو من اسرائيل بالعبرانية اي امير الله او ملك الله وهو
اسم الذي سمى به ملك الرب يعقوب ابا العبرانيين حينما التقاه
الطريق وصارعه « انظر الأصل السامي » فاطلق على ذريته .
اسم يهود مشتق من يهوذا بن يعقوب مؤسس سبط يهوذا وهو مؤلف
ل لفظتين « ياهو » و « دا » ومعناهما في العبرانية : « الله كفانا
اشبعنا » وقد سمي به الذين اتبعوا رحبعام بن سليمان من اسباط بني
اسرائيل وهم بنو يهوذا ونصف سبط بنيامين. ثم اطلق فيما بعد على
جميع بني اسرائيل

مميزاتهم من الوجهتين الاقتصادية والسياسية

اذا نظرت الى الاسرائيليين كشعب ذي تاريخ كسائر الشعوب التي
حافظت على كيانها تراءت لك من خلال القرون الطوال التي تعاقبت
عليهم عصبية عجيبة وثبات غريب على الاحتفاظ بالتقاليد الموروثة
وكفاءة ممتازة في الامور المالية لم يشهد مثلها العالم من اقدم ازمنة
التاريخ الى اليوم . ومنزلتهـم فى القرون الخالية من الرقي العقلي
والتجاري لم تكن تنحط عن منزلة ارقى الشعوب القديمة . ولم تزل
رتبة التفوق التجاري والمالي الى اليوم من اخص مميزاتهم . يدلك
على مبلغ نشاطهم وتفوقهم في المسائل الاقتصادية والمالية ما لهم من
المصارف والمحال التجارية الكبرى فى سائر انحاء العالم. وهم القابضون

اليوم على زمام المالية فى أوربا والمالكون لناصية التجارة . وبعد اعلان الدستور في تركيا اصبحوا فيها قوة هائلة لايستهان بها واصبح لهم من الشأن المالي والسياسي مايحسب له ساسة العالم المتمدن حساباً كبيراً وفي تصريح حقي باشا الصدر الاعظم الاسبق سنة ١٩١١ فى ناديهم بسالونيك مايدل دلالة صريحة على ما كان لهم من النفوذ فى الوزارات الاتحادية السابقة وعلى مقدار اعتماد الدولة عليهم فى ادارة شؤونها المالية والاقتصادية يوم القيت مقاليد الامور الى الاتحاديين . والمال عماد القوة. ولهم في الامور المعاشية خطة موروثة هي المثال الاكبر للحياة العملية. وليس بين الشعوب الشرقية اشد منهم تمسكاً بالجامعة القومية مع مايقوم فى طريقهم من العقبات المعرقلة للمساعي والمقوضة لاركان الجامعات. وتاريخهم حافل بالحوادث العظيمة والعبر البالغة التي تنم على جهادهم المستمر في معترك الحياة .

طوائفهم :

اما اذا نظرت اليهم من الجهة الدينية فهم كثيرو الشيع والمذاهب ينقسمون الى عدة طوائف ترجع كل منها الى تقليد خاص وسنة مخصوصة . وهم اميل الامم الى التدين وقد امتازوا بالتوحيد وهم قدوة الامم فيه « انظر دين الفينيقيين »

واليهود ينقسمون من زمن بعيد يرتقي الى ماقبل انفراط عقدهم وتشتتهم في المعمورة الى طائفتين كبيرتين رئيسيتين : الربانيون والقراؤون

الربانيون ـ الربانيون قسمان : الاول اليهود الجرمانيون وهم اليهود النازلون شمالي اوربا كالبلاد الجرمانية وروسيا وغيرها ويعرفون باسم « اشكينازيم أي جرمانيين » ويقسمون فيما بينهم الى ثلاثة اقسام اخرى : البيريشيم والفريسيين والكازيديم . ولكل طائفة من هذه الطوائف كنيس قائم بذاته

والقسم الثاني اليهود الذين هم من أصل بورتغالي أو اسبانيولي او مراكشي وجزائري وفي جملة هؤلاء اكثر يهود سوريا وفلسطين ويعرفون باسم « سيفارديم اي اسبانيول »

القراؤون ـ والطائفة الرئيسية الثانية طائفة القرائين او بني مقرا او العنانيين . وهي طائفة واحدة مستقلة لم تتشعب كطائفة الربانيين لاسباب لا يسع المقام تفصيلها

ولكل من طائفتي الربانيين والقرائين رئيس احبار يعرف بياش حاخام يرجعون اليه في سائر امورهم الدينية وهو بمنزلة زعيم مدني ايضاً يتولى السهر على شؤونهم المدنية ويدافع عن مصالحهم ازاء الحكومات ولا سيما الشرقية منها

معتقداتهم :

وجوهر الاختلاف بين الطائفتين ان الربانيين يقبلون التقاليد السماعية المدونة في التلمود ويعولون في فهم التوراة على تفاسير علمائهم وكهنتهم كالكاثوليك عند المسيحيين ومن هنا اكتسبوا اسم ربانيين لان رباني مشتق من « ربي » بالعبرانية اي عالم . اما القراؤون

فيتمسكون باساس الدين كما يفهم من ظاهر النصوص الورادة في كتبه ويتبعون حرفية التوراة فلا يعولون على غيرها ولا يقبلون التفسير والتأويل بل يعتبرون النص فلا يحيدون قيد شعرة عن منطوقه كالانجيليين عند النصارى والوهابيين عند المسلمين . ولذلك اطلق عليهم اسم قرائين لاعتمادهم على ما يقرأونه في التوارة كما تقدم

ومن الامور التي يختلفون فيها ان الربانيين يعتمدون في اثبات أول القمر على الحساب الفلكي . واما القراؤن فمعولهم في ذلك على الرؤيا (١) وهذا هو شأنهم ايضاً في تعيين سني الكبيس ومنزلة يوم السبت وفي شروط الزواج بين الاقربين . ويخالفونهم ايضاً في الاعياد . وشريعة كل من هاتين الطائفتين تقضي بالتباعد والتقاطع فلا يوآكلون بعضهم بعضاً ولا يتزاوجون بعضهم من بعض حتى ان احدهم يفضل التزوج بابنة من غير الدين الموسوي على التزوج بابنة يهودية من غير طائفته

ومن معتقدات القرائين ان المسيح لم يخالف التوراة في اقواله ومواعظه بل قررها واثبت ما جاء فيها وانه من اولياء الله المخلصين يعرف أحكام التوراة ولكنه ليس بنبي مرسل من لدن الله وان الانجيل

---

(١) ان اليهود يعولون على تاريخ الاسكندر كثيراً وهكذا الفينيقيون وكانوا يسمونه تاريخ العقود والمعاملات لتعويلهم عليه دون غيره في معاملاتهم التجارية . وقد اتبعه ايضاً الفلسطينيون والكلدان وغيرهم وظل معمولاً به زمناً طويلاً واستعمله العرب ايضاً ويسمونه تاريخ ذي القرنين « أنظر الكلدان الكاثوليك »

غير منزل او موحى به بل هو جامع لسيرته واخباره وانه من وضع الاربعة من صحبه الحواريين وان اليهود ظلموا المسيح حيث كذبوا دعواه وقتلوه غدراً وان اسمه مأخوذ من مشيحا الذي ورد في التوراة ولكن التوراة لم تذكر شيئاً عن نبؤته وشريعته الجديدة الناسخة لشريعة موسى

ومن مميزات القرائين انهم لا يأكلون الا السمك ولحم الغزال والطير ويذبحون الحيوان على القفا. وهم متصفون بالاقدام والثبات والصدق في المعاملة غير متأنقين فى مأكلهم وملبسهم وسائر امور معيشتهم. يرغبون فى التجارة والزراعة اكثر من الصيرفة خلافاً للربانيين فان من اخص مميزاتهم الميل الى استثمار الاموال

والقراؤون ينتسبون الى عنان بن داود الذي ظهر في القرن الثامن للمسيح ولذلك فهم يسمون ايضاً عنانيون. وكان عنان من كبار علماء اليهود فلما قام بنشر دعوته برز له الاحبار واضطهدوه وقاوموه مقاومة عنيفة فاستنجد الخليفة فلم يفلح وسجن مدة. ثم انزوى مع اشياعه في القدس وشيد هناك معبداً لهم توارثوه الى زمن الحروب الصليبية. وقد توفى عنان سنة ٧٦٥ م وله عدة مؤلفات في العبرانية المختلطة او لغة التلمود ولكن مؤلفاته ضاعت وضاعت معها حقيقة الفرق بين مذهبه وبين مذهب الربانيين. وقد انتشر اتباعه فى سوريا ومصر والاندلس وغيرها. واكثرهم اليوم في روسيا ولا سيما في

سباستبول وبولندا وفي القرم ولهم هناك كنيس قديم مهجور بقرب بغجة سراي كان يعرف قديماً بقلعة اليهود وله قيمة تاريخية كبيرة . وعددهم هناك نحو ١٢ الف نفس ويوجد منهم في الاستانه ومصر والقدس وبعض جهات سوريا . ولكثرة ما وقع عليهم من الاضطهاد لم ينموا فان عددهم يكاد لا يتجاوز خمسة في المئة من مجموع اليهود .

واليهود منتشرون فى سائر انحاء العالم واكثرهم في روسيا وانجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وتركيا ولا سيما في عدن وسالونيك والقدس وفي مصر حيث يبلغ عددهم نحو خمسين الف نفس. وفي بلاد الحبشة عدد غير قليل من طائفة الفالسكاس (١) الذين ينتسبون الى اليهود. ويتراوح عدد اليهود في العالم بين ١٢ و١٥ مليوناً .

يهود سوريا وفلسطين

يقدر عدد اليهود في ولايات سوريا الثلاثة وملحقاتها الجغرافية نحو ١٥٠ الف نفس منهم نحو ٥٠ الف في فلسطين اكثرهم من الربانيين واقلهم من السامريين ويقيمون في نابلس ومئة الف متفرقون فى مدن هذه الولايات وارياقها . واليهود النازلون دمشق وحلب من زمن بعيد تخلقوا باخلاق الاهلين واتخذوا عاداتهم فتكاد لاتميزهم عنهم. واما في فلسطين وفي بعض جهات من ولاية بيروت فانهم ينقسمون

(١) ان في الحبشة طائفة تعرف بالفالسكاس « مهاجرين » قيل انها من ذرية اليهود الذين لجأوا الى مصر في ايام ارميا النبي . وقيل انها من ذرية اليهود الذين فروا من فلسطين الى جبال الحبشة عند خراب اورشليم سنة ٧٠

الى قسمين : قسم مؤلف من قوم متناسلين من اليهود الذين طردوا من اسبانيا والبرتغال على عهد فرديناند وايزابلا نحو اواخر القرن الخامس عشر وهؤلاء يتكلمون العربية الشائعة هناك ويتكلمون فيما بينهم باللغة الاسبانيولية المكسرة وهي لغة الطبقة السفلى من الاسبانيول وملابسهم كملابس اهل البلاد ويسترون رؤوسهم بقبعات سوداء من اللباد . والقسم الثاني خليط من اليهود الالمان والبولونيين والروسيين والمجريين والرومانيين والهولاندنيين وغيرهم وهؤلاء يتكلمون فيما بينهم بالالمانية المكسرة وهي لغة الطبقة الدنيا من الالمان في القرى والدساكر . والعلامة المميزة لهم عن سواهم خصلة شعر مسدولة على الصدغ حتى منتصف الوجنة . وفي ايام الاعياد يخرجون بطاقية ضخمة من الفرو على رؤوسهم ورداء طويل من المخمل يستر بدنهم حتى اخمص القدم

ولقد ازداد عدد المهاجرين من اليهود الى فلسطين في السنوات الاخيرة ازدياداً عظيماً . واول من هاجر اليها منهم جماعة من الطلبة نزحوا من روسيا سنة ١٨٨٢ وما يليها اثر اشتداد الاضطهاد على قومهم ومصادرة الحكومة الروسية لهم وتضييقها سبل الرزق في وجوههم فتركوا المحابر والاقلام وهجروا دور العلم الى ارض موعد اجدادهم فاتخذوا المحراث عدة لهم والارض اماً لابنائهم واسسوا هناك مستعمرة اسرائيلية . وما لبثوا ان استقروا في وطنهم الجديد

حتى لحق بهم آخرون من يهود روسيا ورومانيا وغاليسيا وبلغاريا واليمن . وانشأوا في هاتيك الاصقاع مستعمرات كبيرة نامية وابتاعوا الاراضي الواسعة ولم يمر عليهم هناك ربع قرن حتى بلغ عدد مستعمراتهم نحو اربعين مستعمرة وعدد سكانها زهاء عشرة آلاف نفس .

وقد قاسى هؤلاء المستعمرون أول هجرتهم كثيراً من جور الحكومة العثمانيـة البائدة ومن اختلاف الجو في مهجرهم عنه في البلاد التي هاجروا منهـا ومن صعاب أخرى كثيرة لابد لتذليلها من كفاح دائم وجهاد مستمر .فثبتوا على المقاومة والجهاد ثباتاً عجيباً وغالبوا صروف الدهر زمناً طويلاً حتى تغلبوا عليها وفازوا بالمرغوب وما هي الا مدة حتى الفوا جامعتهم القومية وانشأوا المصارف والمحال التجارية واستولوا على كثير من مرافق البـلاد وقبضوا على ناصيـة التجارة شأنهم في كل جهة آنسوا من اهلها غفلة عن مصالحهم لا سيما وان اكثرهم من الاطبـاء والمعلمين والتجار والمحامين الذين تركوا مهنهم في بلادهم وهاجروا الى فلسطين التماساً للرزق والهناء من ابوابهما الحقيقية. فكان لهم من استعدادهم الفطري واهليتهم العلمية ما ساعدهم على تذليل الصعاب التي اعترضتهم فلم يطل بهم الزمن حتى ملكوا زمام الثروة في الديار الفلسطينية وباتت مستعمراتهم هنـاك انموذجاً بديعاً لكبار مزارعي البلاد ودليلاً ساطعاً على ان مقدرتهم

على استثمار الارض لا تقل عنها على استثمار المال . فحيثما مررت هناك تبدو لك آيات نشاطهم في كل اثر من آثارهم . ففي جبل الكرمل وبلاد الجليل واليهودية غابات الزيتون والاكليبتوس وكروم العنب تغشى مساحات كبيرة من الارض كانت قبل ان عملت فيها أيدي اولئك المهاجرين قفراء جرداء لا نبت فيها ولاماء ولا اثر فيها من آثار الحياة. ومذ نشأت الجمعية الصهيونية سنة ١٨٩٧ اتخذت المهاجرة الى فلسطين صبغة جنسية وارتقى شأن المهاجرين ادبياً ارتقاء يذكر فنشطوا لتأسيس دور العلم والمعارف ومكاتب الاستعلام والتخديم . وانشأوا نقابات للفعلة ونقابات لابتياع الاراضي واستعمارها . وفي جملة المعاهد العلمية التي انشأوها معهد طبي اقاموه في حيفا لدرس طبيعة الارض والهواء في فلسطين ومدرسة للهندسة وكثير من المدارس الابتدائية لتعليم الاحداث ومدارس ليلية لتعليم الرجال والنساء. وانشأوا في يافا مدرسة للموسيقي وفي القدس مدرسة للفنون والصنائع ومدارس لتخريج المعلمين والمعلمات وقاعات للمطالعة. والفوا جمعيات لنشر المطبوعات. وأصدروا جرائد يومية ومجلات اسبوعية وشهرية. وباتت اللغة الشائعة عندهم اللغة العبرانية دون سواها. وأخذوا يعلمون العلوم بها في مدارسهم

وقد كان لجمعية الاتحاد الاسرائيلي في باريس والجمعية الصهيونية الكبرى المشار اليها آنفاً اليد الطولى في مساعدة هؤلاء المهاجرين

وأيوائهم والاهتمام بهم في كل وجه ومعنى وهكذا آل روتشيلد وهيرش ومونتيغيور وهم من أكبر البيوت الاسرائيلية في أوربا فانهم انفقوا عليهم عن سعة وابتاعوا لهم بقعاً فسيحة في فلسطين ولا سيما البارون ادمون دي روتشيلد فانه انفق عليهم وحده نحو ثمانين مليون فرنك

والخلاصة ان النهضة الجديدة التي بدت طلائعها بين يهود فلسطين لمما يدل على ان نسمة الحياة التي هبت من الغرب على بلاد فلسطين انما هي مبدأ حياة جديدة تذكر القوم بمجدهم الغابر والتاريخ يعيد نفسه

والذين يلجأون منهم اليوم الى قنصليات دولهم قليلو العدد فان اكثرهم ترك جنسيته الاصلية مرغماً وتجنس بالجنسية العثمانية مراعاة لظروف الزمان والمكان

لغتهم

لغة اليهود في الاصل العبرانية وهي احدى اللغات السامية وبها دونت شريعة موسى غير انه بعد السبي البابلي بطلت اللغة العبرانية المحضة كما هي في كتب موسى ان تكون اللغة الشائعة عندهم وصارت الكلدانية السريانية لغتهم الدارجة لان اليهود الذين سباهم بختنصر الى بابل اجبرهم الكلدان هناك على ترك لغتهم فتعلموا الكلدانية وخلطوها بلغتهم العبرانية فصارت لغتهم لا عبرانية ولا كلدانية بل مزيجاً من الاثنتين كما اثبت العلماء المستشرقون ولا سيما الالمان. ولم يعد

يعرف العبرانية المحضة منهم الا العلماء وحدهم كالكتبة والفريسيين .
ولما كان يتلى عليهم الكتاب المقدس بالعبرانية كان يضطر كهنتهم ان
يترجموا لهم ما كان يتلى عليهم بها الى اللغة الكلدانية السريانية كما هو
واضح من سفر عزرا الثاني ومن كتابات كثير من العلماء . وقد تمكن
العبرانيون من هذه اللغة الى درجة انها تسمت عبرانية نسبة اليهم .
الا انها كانت مكسرة كما المعنا على مثال اللغة العربية التي استعملها
الانباط أصحاب بطرا . ولما ظهر المسيح كانت هذه اللغة المخصوصة
باليهود اللغة الشائعة في اليهودية الا انهم كانوا يكتبونها باحرف عبرانية
كما كتبت العربية أيضاً باحرف عبرانية واحياناً بأحرف سريانية

ولهذا فالسريانية الكلدانية التي كان المسيح يتكلم بها كتب
الانجيليون انها كانت عبرانية لان العبرانيين كانوا يستعملونها بعد
السبي البابلي لا لانها اللغة العبرانية بالذات التي كتبت بها اسفار موسى
خلافاً لما ذهب اليه بعضهم من ان اللغة التي كانت شائعة عندهم لذلك
العهد انما هي اللغة اليونانية . وباللغة السريانية الكلدانية بشر الرسل
بالانجيل كما يستفاد من أقوال نخبة العلماء الذين طرقوا هذا الموضوع (١)

---

(١) يستجلى مما كتبه نطاليس اسكندر والعلامة السمعاني والحجري وغيره
من كبار العلماء في لغة التوراة ان نص العهد القديم الاصلي عبراني ماعدا اسفار
طوبيا ويهوديت وعزرا ودانيال فانها كتبت بالكلدانية . وبعد رجوع اليهود من السبي
البابلي نقل النص العبراني الى الكلداني لان لغة اليهود اذ ذاك كانت اللغة الكلدانية
السريانية على نحو ماقدمنا في المتن . والثابت عند العلماء ان بهذه اللغة وضع الرسل نظام

تاريخ اليهود :

ينتسب اليهود الى يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم الخليل ابي

القداس الالهي وانذروا بتعاليم المسيح ووضعوا قانون الايمان وسائر القوانين
لكنائسية. ولكن بعد تفرقهم في جهات المعمورة بالاقتراع كانوا يبشرون بتعاليم
لمسيح ويرتبون القوانين والطقوس باللغات الشائعة في تلك الجهات . وأول من
كتب الانجيل متى الرسول · كتبه في أورشليم بلغة وطنه العبرانية أو بالاحرى
لسريانية الكلدانية المستعملة حينئذ عند اليهود . وبهذه اللغة عينها كتب بولس
رسائله الى العبرانيين . واما مرقس البشير فكتب انجيله باليونانية لاهل روميه
وباللاتينية لاهل اكويليا وبالسريانية الكلدانية لاهل الاسكندرية . واستخرج
جميع كتب العهد الجديد من لغة وطنه الجليل وهي السريانية الكلدانية المسماة
عبرانية الى هذه اللغات الثلاث . ووضع يعقوب الليتورجية المنسوبة اليه بهذه
للغة ثم ترجمها الرسل الى اليونانية · وجميع الليتورجيات الشرقية والغربية مأخوذة
من ليتورجية مار يعقوب هذه كما ذكر العلامة السمعاني وغيره من العلماء . ومؤرخو
الاسلام أنفسهم شهدوا بذلك واخصهم اسمعيل بن علي الذي قال في تاريخه ما نصه :
« واما الانجيل فهو كتاب اخبار المسيح عليه السلام كتبه اربعة نفر من اصحابه
وهم متى كتبه في فلسطين بالعبرانية ومرقس كتبه في بلاد الروم باللغة الرومانية
ولوقا كتبه بالاسكندرية باللغة اليونانية ويوحنا كتبه في افسس باللغة اليونانية ايضاً .
وقد كتب احمد بن عبد الحليم في محاماته بما لا يخرج عن هذا المعنى

اما التوراة فبقيت عند اليهود مكتوبة باللغة الكلدانية ولم يستعملوا معها
لغة أخرى كما يستدل من ملخص التواريخ العربية لبارونيوس · اما ترجمتها
من العبرانية الى اليونانية فكانت على عهد اليعازر الحبر وكان المترجمون ٧٢ شيخا
وقيل ٧٠ شيخاً » وقد ترجمت بامر بطليمس فيلادلفس « اي محب الاخ »
احد خلفاء الاسكندر في مصر · وقال فيلون المؤرخ اليهودي ان النسخة السبعينية
هذه نقلت من الاصل الكلداني. وقال غيره من اليهود انها نقلت من السامري وقيل
من العبراني المصحح قليلاً . وترجم نصها العبراني الى الكلدانية والسريانية ومنها
نسخة يسميها السريان بسيطة وهي قديمة جداً ترتقي الى عهد الرسل وكان مار
افرام السرياني يعول عليها وهكذا باسيليوس وتاودوريطس والذهبي الفم

المؤمنين من سلالة سام (١) فقد رزق يعقوب أثنا عشر ولداً وهم: رآوبين — شمعون — لاوي — يهوذا — دان — نفتالي — جاد — اشير — يساكر — زبلون — يوسف — بنيامين. وهؤلاء كانوا اصولاً لاسباط بني اسرائيل الاثني عشر. وقد نزل يعقوب اولاً في ارض كنعان حينما نزل ابوه اسحق وجده ابرهيم من قبله ثم ارتحل بعشيرته الى مصر في ولاية الرعاة ونزل ارض جاسان حيث ابتنى الدساكر والمدن. وتكاثر نسله هناك حتي ملأ ارض الفراعنة. ولما طرد الرعاة من مصر خرج

واغسطينس والسروجي فانهم كانوا يؤيدون صحتها دون غيرها لانها مستخرجة رأساً من الاصل العبراني. وهذه النسخة يستعملها الملكية واليعاقبة والنساطرة والموارنة. الا ان اليعاقبة يستعملون أيضاً في كنائسهم النسخة التي اذاعها فيلوكسينوس اسقف مدينة منبج «ايرابوليس أي المقدسة» سنة ٥٢٢ م وصححها توما الحرقلي اسقف مرعش سنة ٦١٦ م

ويلي النسخة السريانية في القدمية النسخة اليونانية أي السبعينية وعنها أخذت جميع نسخ الكتاب المقدس مترجماً الى سائر اللغات

ويستشهد العلماء المدققون على صحة مايذهبون اليه من ان اللغة السريانية الكلدانية «التي سميت عبرانية ايضاًمن باب التوسع على نحو ماقدمنا» كانت لغة المسيح ورسله بكلمات كثيرة لم تزل باقية الى اليوم على أصلها السرياني الكلداني في الاناجيل المكتوبة باللغات الاخرى مثل «طليثا قومى» أي ايتها الصبية قومي و «إنفتح» و «بريونا» و «كيفا» اي صخرة و «ايلي ايلي (الهي) لمنا شبقتني» اي لماذ اتركتني وهو يطابق اللفظ السرياني. ومثل «حقل دما» اي حقل الدم «ومرناثا» اي الرب اتى وقد وردت في رسائل ماربولس و «بني رغش» اي ابناء الرعد و «غفيفثا» أي المرتفعة و «كفولتو» اي الجمجمة و «ربوني» اي يامعلم الخ. وهذا فيها نعلم اكبر برهان علي اثبات صحة هذا المذهب

(١) يعقوب سمي اسرائيل بعد ان صارعه ملاك الرب في الطريق «انظر الاصل السامي»

معهم قوم من بني اسرائيل وحلوا في فلسطين وتملكوا اورشليم. ولما اشتدت وطأة الاستبداد على العبرانيين خرجوا من مصر في ولاية منفتاح الاول بن رعمسيس الثاني من الدولة الثامنة عشرة تحت قيادة موسى وهرون بعد ان اقاموا في ارض الفراعنة اربعمائة وثلاثين سنة . واذ بلغوا جبل سيناء نزلت الوصايا العشر على عميدهم موسى وهناك نظم كليم الله شريعته. ثم استأنفوا المسير الى ان ضلوا الطريق فتاهوا اربعين سنة في البرية على ما ورد في التوراة وسميت تلك البرية تيه بني اسرائيل. ثم دخلوا ارض الميعاد التي وعدهم بها الرب وتملكوها مع الزمن بعد ان طردوا منها الفلسطينيين والكنعانيين وغيرهم من الشعوب التي نزلتها من قبلهم « انظر الاصل الكنعاني » وظلت الحرب سجالاً بينهم وبين عبدة الاوثان ردحاً طويلاً من الدهر تخلله موت يشوع وتولي القضاة عليهم وتملك شاول ثم قام داود بن يسى فجعل اورشليم قاعدة لملكه ثم خلفه ابنه سليمان منشىء هيكل أورشليم. ولما مات سليمان انشقت مملكة اليهود الى شطرين مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا (١) ووقعت بين المملكتين حروب داميات افضت الى وقوعهما تحت نير اشور وبابل وسبى الكلدان قسماً كبيراً من بني اسرائيل الى بابل فاقاموا هناك الى ايام قورش الفارسي فسمح لهم بعد اكتساحه

(١) ان الذين تبعوا مملكة يهوذا من بني اسرائيل هم سبط يهوذا ونصف سبط بنيامين فنسبت الى يهوذا . والنصف الثاني من سبط بنيامين لحق بباقي الاسباط الذين اتبعوا ياربعام مؤسس مملكة اسرائيل واعتنقوا الدين لوثني « أنظر انقسام مملكة اسرائيل في القسم التاريخي »

لبلاد الـكلدان وضمها الى مملكته بالرجوع الى وطنهم وعبادة الههم على تمام حريتهم . ثم حكمهم اسكندر الكبير وخلفاؤه في سوريا وفلسطين ومصر وأحسنوا معاملتهم ما خلا انطيوخوس الرابع فانه اضطهدهم كما سيجيء فثاروا عليه واستولوا على أورشليم « سنة ١٦٤ ق.م » ونادوا بسمعان المكابي ملكاً عليهم وتعاقب خلفاؤه على حكمهم (١) لـكنهم لم يحسنوا القيام باعباء مملكتهم فانقسموا احزاباً ومزقتهم الفتن الاهلية وما زالوا على هذا الانقسام الى ان استولى الرومان على بلادهم . ثم ثاروا على الرومان سنة ٧٠ للمسيح فزحف عليهم فسبسيانوس ولما نودي به قيصراً خلف على قمع ثورتهم ابنه طيطس ففتح اورشليم بعد حصار طويل « انظر عصر الرومان » ثم ثاروا مرة أخرى في ولاية ادريانس « سنة ١٣٥ م » فقمع ثورتهم . ومنذ ذلك الحين تشتتوا وانفصمت عرى جامعتهم الوطنية ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

وقد تمتع اليهود في سائر انحاء سوريا منذ الازمنة القديمة ولا سيما في عهد ملوك سوريا بما لم يتمتع به غيرهم من الحرية الدينية والتقاليد القومية . فان الفرس مع انهم كانوا عبدة اوثان لم يتعرضوا لهم في شؤونهم الدينية بل تركوهم يعيشون بحسب شرائعهم الخصوصية

(١) ان المكابيين ملكوا سنة ١٤٠ واستمرت دولتهم ١٢٦ سنة على زعم يوسيفوس و ١٣٠ سنة على قول غيره . وآخر ملوكهم انتيغونس الذي قتله هيرودوس وتولى مكانه وبموته انقرضت دولتهم

وفي ايام الاسكندر وخلفاءه البطالسة والسلوقيين في مصر وسورية كانوا أسعد حالا واهنأ عيشاً منهم في ايام ملوكهم « انظر القدس » الخصوصيين حيث قاسوا الاهوال من الانقسامات والفتن الاهلية .

فان الاسكندر وخلفاءه في سوريا ومصر لم يكونوا يكرهون اليهود على اتباع العبادات والشرائع اليونانية . قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعروف (١) ما يؤخذ منه ان اسكندر الكبير بعد ان استولى على صور وغزه دخل أورشليم فاستقبله يويادع الحبر بملابسه الحبرية واسمه النبوّة فسجد الاسكندر له ثم دخل الهيكل وقدم الذبائح لاله اسرائيل وآذن اليهود ان يعيشوا بمقتضى شرائع وطنهم واعفاهم بعد ذلك من الجزية . ومن ذلك ما يروى عن بطليمس فيلادلفس احد خلفاء الاسكندر في مصر فانه اعتق اليهود الذين كان والده بطليمس الاول سباهم الى مصر وعددهم ١٢٠ الفاً . وبامره ترجم الاثنان والسبعون شيخاً التوراة من العبرانية الى اليونانية كما ذكرنا في الحاشية . ثم ان بطليمس افارجتيس شقيقه بعد ان اخضع سوريا جاء الى اورشليم وقدم الذبائح لاله اسرائيل . وهكذا بطليمس فيلوماطور بن افارجتيس الذي خلف اباه علي عرش مصر وهو في الثامنة عشرة من عمره فانه آذن حونيا بن حونيا الحبر بان يبني في هليوبوليس « مدينة الشمس المعروفة عند اليونان بثيبة » بالقرب من القاهرة هيكلاً عظيماً مشابهاً لهيكل اورشليم ومنه تسمى حونين وظل هذا

(١) عاش يوسيفوس في القرن الاول للمسيح

الهيكل قائماً ٢٣٣ سنة الى ان دكه طيطس وفسبسيانس مع هيكل اورشليم . ويروى ان سلوقس نيقاتور احد خلفاء الاسكندر اسكن عدداً كبيراً من اليهود في المدن التي بناها او جددها كانطاكيه واللاذقيه وسلوقيه « السويديه » وحماه والرها « ارفا او ارخ او ادسا » وبلاد وحلب «بيروا» وساواهم باليونان فلم يميز هؤلاء بشيء عنهم . وهكذا انطيوخس الثاني حفيد سلوقس الملقب بالاله عند شعوب يونيا فانه اسكن اليهود في آسيا الصغرى ومنها انتشروا الى بلاد اليونان وتمتعوا في ايامه بحقوق الوطنيين وحريتهم كما كانوا يتمتعون بها في نفس الاسكندرية وانطاكية . والخلاصة ان العبرانيين كانوا حائزين في ولاية ملوك سوريا على امتيازات وحقوق لم يحرزوا افضل منها في ولاية ملوكهم وتمتعوا بالسلم والحرية وانتشر الدين اليهودي بين الامم . وكانت هدايا الملوك والامراء ترد على هيكل اورشليم من كل صوب وصقع . ولم يقع اضطهاد ما عليهم الا في ايام انطيوخس الرابع المعروف عند الشعرا بالاله ابيفانيس اي الشريف (١) فانه في السنة التاسعة لملكه اضطهد اليهود واثار عليهم حرباً عواناً لانهم ابوا الخضوع للمشتري اولمبيوس الذي كان يعبده هذا الملك وللملك نفسه لانه اراد ان يعبد كاله مع المشتري كما جاء في سفر المكابيين الاول . فثاروا عليه باغراء متاتيا وابنائه المكابيين وحاربوه وقهروه . ولم

---

(١) تولى انطيوخس الرابع على سوريا سنة ١٧٠ ق . م وملك ١٢ سنة وهو الثامن من الملوك السلوقيين على سوريا

يذكر ان ملكا آخر من ملوك سوريا اضطهد اليهود قبل انطيوخس الرابع او بعده بل انهم اكرموهم ومتعوهم بجميع الحقوق التي كان يتمتع بها سكان المملكة مدة حكم اليونان لسوريا أي ٢٤٨ سنة « او ٢٦٦ » ولما استولى الرومان على سوريا وفلسطين على يد يومبايس الفاتح الروماني الشهير وجعلوها مقاطعة رومانية سنة ٦٤ ق ٠ م احترموا تقاليد اليهود وديانتهم وسمحوا لهم بممارسة واجباتهم الدينية على تمام حريتهم بمقتضى شرائعهم وناموسهم

تلك صفوة ما يسعنا المقام تفصيله من اخبار اليهود فى سوريا . وفي تاريخ القدس وغيرها من مدن فلسطين الآتي ذكرها فى الجزء الثاني شيء كثير مما لم نذكره هنا لضيق المقام

المسيحيون

المسيحيون في سوريا قسمان كاثوليك وغير كاثوليك

الكاثوليك : هم المتحدون مع الكرسي الرسولي الروماني الخاضعون لصاحبه الحبر الاعظم بابا رومية خليفة بطرس زعيم الرسل وهو رأس الكنيسة الكاثوليكية باسرها في العالم أجمع . وينقسمون فيما بينهم الى طوائف مستقلة استقلالا نوعياً بالنظر الى الادارة والطقوس الخاصة . الا ان مرجع هذه الطوائف جميعاً الى الكرسي الرسولي فيما يتعلق بأمر المعتقد والتهذيب البيعي . وهذا قوام الوحدة الكاثوليكية عندهم . ومن ثم فهم يقسمون ايضاً من هذا الوجه الى ثماني كنائس أو طوائف اي : الكلدان ـ السريان ـ الموارنة ـ الروم الملكيون ـ اللاتين ـ الارمن ـ القبط ـ الاحباش

غير الكاثوليك : هم الذين انفصلوا عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية في أزمنة مختلفة ولاسباب متباينة . وهؤلاء ليس لهم من رابطة تجمعهم الى وحدة ما ولو معنوية الا نفورهم من الكرسي الرسولي وصاحبه المشار اليه آنفاً . والا فهم على اختلاف تام فيما بينهم من حيث بعض المعتقدات الجوهرية والتهذيب البيعي. ولهذا فيقسمون هم ايضاً الي كنائس أو طوائف مستقلة احداها عن الاخري استقلالا

تاماً ترجع الى أربعة أصول عامة : النساطرة ـ المنوفيزيون ـ الروم الملكيون ـ البروتستان

أما الطوائف التي تفرعت من هذه الاصول فسبعة : الكلدان ـ السريان — الارمن ـ الروم الملكيون — القبط — الاحباش — البروتستان

فهؤلاء جميعاً انما يجمعهم اسم النصارى أو المسيحيين . وربما جمعت بين فرق من غير الكاثوليك والكاثوليك الذين خرجوا عنهم واتحدوا مع الكنيسة الرومانية جامعة الطقوس التي حافظ عليها هؤلاء المرتدين بعد تمحيصها على وجه ينطبق على روح المذهب الكاثوليكي مع المحافظة على استقلالهم النوعي

والطقوس المتبعة عند الطوائف المسيحية فى سوريا خمسة : الطقس السرياني ـ الرومي ـ الارمني ـ القبطي ـ اللاتيني

الطقس السرياني : ان الذين اتبعوا الطقس السرياني من المسيحيين على خمسة أقسام : النساطرة — اليعاقبة — السريان الكاثوليك ـ الكلدان الكاثوليك ـ الموارنة . وكان الملكيون فيما مضى يستعملون طقس الكنيسة الانطاكية الذي هو السرياني حتى انهم لما اتبعوا الطقس الرومي ترجموه أولا الى السرياني ثم ترجموه الى العربي بعد تغلبه على السرياني فى سوريا كما سيجيء (١)

(١) ان الكنيسة والطقس السريانيين على اطلاق المعنى المراد بهذه التسمية

الطقس الرومي : هو في الاصل طقس كنيسة قسطنطينية. وقد اتخذه الملكيون في سوريا بعد ان ترجموه أولاً الى السريانية ثم الى العربية ما عدا بضعة قطع منه بقيت بالاصل الرومي . وهم اليوم قسمان روم مشاقون وروم كاثوليك (٢)

الطقس الارمني : ان الذين اتبعوا الطقس الارمني قسمان : الارمن المنوفيزيون ويسمون براصمة نسبة الى برصوما الراهب اوغريغوريون نسبة الى القديس غريغوريوس المنور — والارمن الكاثوليك .

الطقس القبطي : ان الذين اتبعوا الطقس القبطي اربعة اقسام : القبط المنوفيزيون اي الذين هم على رأي ديسقورس بطريرك الاسكندرية وهو الآن اقرب الى رأي اليعاقبة ورأي الارمن الغريغوريين — القبط الكاثوليك — الاحباش المنوفيزيون وهم المتحدون مع القبط المنوفيزيين مذهباً وطقساً — الاحباش الكاثوليك

هما أول وأقدم الكنائس والطقوس . فقد وجدت الكنيسة السريانية في فلسطين حينما ولد المسيح فكانت أول كنيسة آمنت به وفي انطاكية عاصمة سوريا قديماً حيث اتخذ المؤمنون الاولون اسم مسيحيين ولذلك يعدها ائمة الدين المسيحي مهد النصرانية . والعلماء يحصون بين البابوات سبعة سريانيي الاصل . ويعدون يوحنا فم الذهب والقديس ايبفانيوس واغناطيوس وثودوريطس في جملة آباء الكنيسة السريانية بالنظر الى اصلهم ولو كتبوا باليونانية

(٢) ان الطقس الرومي أو اليوناني هو بعد الطقس السرياني أقدم الطقوس المسيحية . لان أول من آمن بالمسيح على يد الرسل انما هم اليهود الذين كانوا يتكلمون اللغة السريانية الكلدانية ثم اليونان كما يستدل من كتاب اعمال الرسل

الطقس اللاتيني : ان الذين يتبعون الطقس اللاتيني من مسيحيي سوريا هم اللاتين المتحدون مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . والطقس اللاتيني عدة اقسام اشهرها الطقس الروماني وهو الاكثر شيوعاً وقد اصبح معول اللاتين عليه دون سواه بعد تحديد المجمع التريدنتيني الذي عنى بتوحيد الطقوس جميعها .

الى هنا انتهى التقسيم الاجمالي وقد بقي ان نتكلم عن كل طائفة من هذه الطوائف من حيث المنشأ والمعتقد واللغة والطقس والاستقلال بما امكن من الايجاز . ونبتدىء من البدع والانشقاقات والطوائف غير الكاثوليكية التي اتبعتها ثم الطوائف الكاثوليكية التي جحدتها واتحدت مع الكنيسة الرومانية. ونلحق ذلك بفصل عن حالة المسيحيين المدنية في لبنان وسوريا .

منشأ الانشقاقات

في الدين المسيحي

نرى الاوان لحقيقة مركز النصرانية في الشرق ولا سيما في سوريا ان نفرد لكل طائفة من الطوائف المسيحية كاثوليكية كانت او غير كاثوليكية فصلا خاصاً بها مبتدئين بتاريخ البدع التي كانت سبباً في تعدد هذه الطوائف والاطوار التي تقلبت فيها منذ نشأتها الى اليوم

ان تاريخ منشأ البدع في الدين المسيحي انما هو شطر من تاريخ الشرق الادنى وعلى الخصوص سوريا في القرون الاولى للتاريخ المسيحي ولا سيما في ايام الدولة البيزنطية . فان قيام المبتدعين لبث تعاليمهم في الديار الشرقية ايقظ الشعور الديني في صدور الشرقيين وبعث الاحقاد الجنسية من مكامنها فهب كل فريق منهم للدفاع عن مذهبه وتحفز للايقاع بالفريق الآخر المناوىء له فكانت في جهات كثيرة من الشرق وخاصة ما كان تابعاً منه لمملكة بيزنطية فتن واضطرابات هائلة صرفت قياصرة الروم حيناً عن التوسع في الفتح والاستعمار الى معالجة الارزاء الداخلية وتسكين ثائر رعاياهم تارة بالسعي الى التوفيق بين الكاثوليك وغير الكاثوليك واخرى بالانتصار لفريق على الآخر ويعد ما انتجته المذاهب الجديدة من الارتباك في داخلية السلطنة البيزنطية في جملة الاسباب التي ادت الى اضعاف هذه الدولة فتلاشيها وقرضها على يد العرب والى تغلب الاسلام على النصرانية في هاتيك الاصقاع .

والبدع الشرقية الكبرى في الدين المسيحي اربعة : النسطورية — المنوفيزية — المنوثيلية — الملكية . ثم تأتي بعدها البروتستنتية وهي بدعة غربية دخلت الى سوريا منذ نحو مئة سنة . وسيأتي الكلام على كل منها

البدعة النسطورية

ان اساس البدعة النسطورية الاعتقاد بان للمسيح طبيعتين كاملتين باقنومين متحدين اتحاداً معنوياً دائماً بلا انفصال احدهما الهي والآخر بشري وان مريم العذراء ليست بام الله بل ام المسيح بصفته انسان لا بصفته اله لانها انما ولدته بشراً حل فيه او اتحد به الطبع الالهي فلم يغير شيئاً من جوهره وخواصه الطبيعية. وهذا مخالف لمعتقد الكاثوليك ولسائر المذاهب المسيحية القائمة الى الآن .

وقد سميت هذه البدعة بالنسطورية نسبة الى نسطور المبتدع الشهير الذي هو اول من تظاهر بها وبثها بين المؤمنين . ويعرف اهلها بالنساطرة .

ونسطور من اصل فارسي ولد في مرعش « جرمانيقة » في اواخر القرن الرابع وتلقى العلوم الفلسفية والدينية في احد اديرة انطاكية وهناك سيم كاهناً . وكان متوقد الذهن فصيحاً متظاهراً بالتقى والصلاح فلم يطل به الزمن حتى انتخب بطريركاً للقسطنطينية سنة ٤٢٧ م لعهد الملك تودوس . وكان قد تشرب روح بدعته من استاذيه ديودورس اسقف طرسوس وتودوس اسقف المصيطه ولكنه لم يكن يجاهر بها في بدء امره الى ان تبوأ السدة البطريركية فأخذ يبثها بين المؤمنين حتى اجتذب اليه جماعة كبيرة منهم

واول من قاوم بدعة نسطور البطريرك كيرلس الاسكندري

« سنة ٤١٣ ـ ٤٤٤ » فحمل البابا على عقد مجمع في رومية سنة ٤٣٠ حرم هذه البدعة. ولما لم يذعن نسطور لحكمه اضطر البابا امقد مجمع عام في أفسس سنة ٤٣١ مستنيباً عنه فى ترئسه كيرلس المذكور. فأيد هذا المجمع حكم مجمع روميه ورفعه الى الملك ثودوسيوس فوافق عليه ونفى نسطور الى بتراس في بلاد العرب ثم آذنه بالانزواء في دير انطاكية الذي ترهب فيه لعله يرجع عن رأيه ولكنه بقي مصراً عليه ونفي ثانية الى طيبة في صعيد مصر ومات هناك سنة ٤٤٠

وانبث اتباع نسطور في انحاء مختلفة ينشرون بدعته أخصهم كيهيبا أسقف الرها « سنة ٤٣٥ » وبرصوم أسقف نصيبين « سنة ٤٣٥ » وغيرهما من تلامذة ديودورس وثودوس المشار اليهما آنفاً

وقد انبثت هذه البدعة في الشرق في اوقات مختلفـة . فظهرت اولا في بلاد الـكلدان ثم امتدت الى ارمينيا الـكبرى والصغرى في اواخر القرن الثامن وظلت راسخة فيهما الى مابعد القرن الثاني عشر واتصلت الى سوريا الوسطى وفلسطين ثم الى قبرس. وقد اتخذ ملوك الفرس اهل هذه البدعة واشياعهم تحت حمايتهم الخاصة فشاعت شيوعاً عظيما في بلادهم وفي جهات عديدة من بلاد العرب و بلاد الملابار في الهند وفي الصين ومصر . وهي منتشرة اليوم خاصة فى اذربيجان من أعمال أرميه فى بلاد العجم وفي العراق وولاية حلب وجبال كردستان وبعض جهات روسيا وارمينية . واما الذين اتبعوها من أهل الملابار ويعرفون بنصارى مار توما فلخلاف جرى بينهم وبين بطريركهم

أرتد منهم قسم الى الكثلكة وقسم الي اليعقوبية وهم الى الآن على ذلك . والنساطرة يرجعون الى رئيس واحد يقال له بطريرك بابل ولهم معتقد واحد وقانون واحد في التهذيب البيعي وطقس واحد هو السرياني الكلداني

البدعة المنوفيزية

يفهم بالمنوفيزية « الطبيعة الواحدة » وخلاصتها ان للمسيح طبيعة واحدة فقط وهي الالهية وانما الطبيعة البشرية تلاشت في الالهية كقطرة من الخل وقعت في بحر لا قرار له « راجع البدعة النسطورية »

وقد اتبع هذه البدعة كثيرون من المسيحيين في المشرق كالسريان والارمن والقبط والاحباش ويعرفون بالمنوفيزيين اي اتباع الطبيعة الواحدة او الاوطاخيين نسبة الى راهب يقال له اوطاخي وهو اول من ذهب هذا المذهب الجديد منذ سنة ٤٤٨ او اليعاقبة نسبة الى يعقوب البرادعي او البردعاني الذي بثه في انحاء المشرق . ومنهم من كانوا يعرفون باسم ساويريين نسبة الى ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل وهو من اكبر انصار المنوفيزية .

او طاخي — كان او طاخي في بدء امره قساً يونانياً يرأس ديراً كبيراً بالقرب من القسطنطينية . وكان من المقربين في بلاط الملك

تودوسيوس الصغير ومن المضادين لتعاليم نسطور . وقد بالغ في مقاومة مذهبه الى ان وقع في نقيضه وانشأ بدعة جديدة ولكنه لم يتظاهر بها في بادئ الامر فاقتصر في بثها تحت طي الخفاء على فئة قليلة من المؤمنين بحيث لم تجاوز رهبانه واصدقاءه ثم جاهر بها ووافقه عليها جم غفير من المسيحيين اخصهم ديسقورس بطريرك الاسكندرية. وما زال جاداً في نشر دعوته هذه الى ان قام عليه افلبيانوس البطريرك القسطنطيني فحرم تعليمه وحكم عليه بالتجريد من مقامه الكنائسي في مجمع خاص عقده في قسطنطينية لهذه الغاية. وكان لاوطاخي اعوان في بلاط الملك فاستمالوه اليه وصرح الملك لهم بعقد مجمع عام في افسس للنظر في امره وامر تعليمه .فعقد هذا المجمع سنة ٤٤٩ برئاسة ديسقورس بطريرك الاسكندرية وكان هذا البطريرك خصماً لافلبيانوس ومن اكبر انصار اوطاخي فلم يدع مندوبي رومية يحضرون جلسات المجمع ليتمكن من الاستبداد به ولهذا لم يكن قانونياً . فوافق على تعليم اوطاخي واقره على رئاسة ديره وحكم على افلبيانوس وعلى الاساقفة الذين كانوا على رأيه بالحط من درجة الاسقفية رغم احتجاج جمهور من آباء المجمع عليه.وعاد البطريرك ديسقورس الى الاسكندرية وبث فيها هذه البدعة. فقام من ثم البابا لاون القديس الملقب بالكبير وعقد مجمعاً في رومية حرم فيه كل ما تم في مجمع افسس . وكان ان فاجأ الموت الملك تودوسيوس سنة ٤٥٠ وخلفه على عرش القسطنطينية الملك مرقيان زوج القديسة بلوخاريا. وكان مستقيم الرأي .فاتفق مع البابا على عقد

مجمع عام لاعادة النظر في ما حصل بمجمع افسس الباطل. فعقد سنة ٤٥١ في خلقيدونيا احدى دساكر القسطنطينية « وهي الآن قاضي كوي او قرية القاضي » وحضره ٦٣٠ اسقفاً وفي جملتهم عدة اساقفة على مذهب اوطاخي . فحدد المجمع عقائد الايمان وحرم كل من لم يعترف بها . فلم يذعن ديسقورس صديق اوطاخي لامر المجمع وعاد من حيث اتي وهو مصر على رأيه . فاشهر نواب البابا حرمه ونفي الى مدينة غنغرا في آسيا الصغرى وهناك صرف بقية حياته . اما اوطاخي فحط من مقامه وحرم هو وتعليمه وكل اتباعه وبعد ذلك صمت التاريخ عنه وسدل على ذكره حجاب كثيف

واذ علم اعوان ديسقورس في مصر ما حل به في المجمع الخلقيدوني اشتد حنقهم على خصومه وخلعوا البطريرك فروتير الذي كان عين مكانه على كرسي الاسكندرية واحرقوه مع اعوانه في دار البطريركية وظلوا متمسكين بمذهب ديسقورس رغم معاقبة الملك مرقيان لهم ونقمه عليهم .

ومع ما بذله الملك مرقيان من الجهد لالاشاة هذه البدعة لم تعدم انصاراً يؤيدونها . وكان في الجملة الذين حضروا المجمع الخلقيدوني ولم يذعنوا له الراهب تودوسيوس فجاء الى اورشليم وتمكن بواسطة ارملة الملك تودوسيوس التي كانت منزوية هناك من التغلب على كرسي اورشليم . لكنه ما كاد يستوثق له الامر فيها حتى طرده الملك مرقيان من فلسطين وامن الناس شره . وفي جملة هؤلاء الاعوان

برصوم الارشيمندريت السرياني فانه عاد من المجمع الى سوريا واجتذب اليه جماعة كبيرة من السريان هناك وفي ما بين النهرين وفي العراق وارمينيا . وبعد وفاته « سنة ٤٥٨ » قام صموئيل أحد تلامذته « سنة ٤٦٠ » بنشر بدعة اوطاخي في ما يلي سوريا من بلاد الارمن الى ان عمت على التمادي ارمينيا باسرها

ثم انقسم الاوطاخيون على نفسهم وتشعبت منهم عدة شيع منها شيعة الثيوبسقيين « مؤلمي اللاهوت » ومؤسسها بطرس القصار الذي اغتصب البطريركية الانطاكية « سنة ٤٧١ — ٤٨٨ » وقوام مذهبه ان الثالوث الاقدس تألم بالمسيح . وشيعة الخياليين ومؤسسها يوليانس اسقف الكرنس في ليقيه من اعمال آسيا الصغرى . وخلاصة مذهبه ان جسد المسيح غير قابل للفساد من ألم وجوع وغير ذلك . وقد شاع هذا المذهب في جهات كثيرة بسرعة مدهشة وانتشر بين الارمن منذ سنة ٥٤٥ ولم تأت سنة ٥٤٩ حتى كان عم الهند الغربية او الحبشية

وأخص مذاهب الاوطاخيين مذهب ساويرس ومذهب يعقوب البرادعي الآتي ذكرهما

ساويرس — وبعد موت الملك مرقيان خلفه لاون فجرى على خطته في اضطهاد الاوطاخيين . وخلفه زينون فتتبع خطاهما في ذلك فقام عليه باسيليق واغتصب منه التاج وكان على مذهب اوطاخي فعقد مجمعاً لرذل تعاليم المجمع الخلقيدوني . ثم استرجع زينون عرش

القسطنطينية منه وابطل ما كان قرره باسيليق في هـذا الشأن . ثم اضطرته مشاغل الملك والحروب للسعي الى التوفيق بين الحزبين باذاعة حرم نسطور واوطاخي معاً وابطال أحكام المجمع الخلقيدوني فلم يفلح وزاد سعيه هذا الخلاف تفاقماً ومات سنة ٤٩١ فخلفه انسطاس وحاول تتبع خطاه فخبط مسعاه ومال بكليته الى المنوفيزية واضطهد مناوئيها .

وفي تلك الاثناء ظهر ساويرس الاوطاخي (١) احد رهبان دير توادورس بقرب غزه في فلسطين .وكان من اتباع المنوفيزية . فوقف نفسه على نشرها بين المؤمنين وانكر سلطة المجمع الخلقيدوني وتعاليمه غير مكترث لما اقامه زينون من العقبات في سبيله منعاً لنشره وتبعه جمهور من السريان . ومذ تولى انسطاس سعى الى التقرب منه حتى نال حظوة عنده وحل من نفسه محلاً رفيعاً حتى مكنه من اغتصاب كرسي بطريركية انطاكية من افلبيانوس « سنة ٥١٢ » واضطهد الكاثوليك بقسوة شديدة وقتل ٣٥٠ راهباً من رهبان دير مار مارون « سنة ٥١٧ » ودك ديرهم من اساسه انتقاماً منهم لتشبثهم بتعاليم المجمع الخلقيدوني ومدافعتهم عنه وهكذا فعل في اكثر اديرة افاميا.

(١) كان ساويرس في الاصل حنفاً من مدينة سوزبلي في اقليم بيسيديا من أعمال آسيا الصغرى . وقد تعلم الفلسفة في الاسكندرية ثم انتقل الى بيروت ومنها ذهب الى اطرابلس فتنصر في كنيسة القديس لاونتيوس وعاد الى بيروت لاتمام علم الحقوق . وكان كاتباً بليغاً . وقد ترهب في دير غزه وانتصر للمنوفيزية وكتب في امرها مقالات ومناضلات شتى حتى اقرها على ما هي عليه الآن

ولم يفسح الله في اجله فهلك في السنة التالية . وخلفه يستين على عرش الروم فخالف خطته وهم بالانتقام من ساويرس ففر الى الاسكندرية . وعقد هذا الملك عدة مجامع تاييداً للمذهب الكاثوليكي . ثم خلفه ابن اخته يستنيانس الكبير فملك الى سنة ٥٦٥ واقتفى اثر سالفه فاحسن معاملة الكاثوليك وجدد الاديرة التي كان دمرها انسطاس وشدد النكير على الاوطاخيين فتضعضعوا وضعف نفوذهم وتراخت رابطة وحدتهم . الا ان زوجته الملكة تودورا كانت اوطاخية سراً . فعاد ساويرس الى القسطنطينية وهو يرجو ان يسترجع كرامته ورئاسته على يدها فخاب فأله لانها لم تكن تجسر على المجاهرة بمذهبها الى حد ان تعضد مثل هذا المبتدع . وطرد ساويرس من عاصمة الروم بايعاز البابا اغابيطس فعاد الى مصر وانزوى في بلدة سخا وظل يجاهد في اقرار المنوفيزية عند مسيحيي مصر الى حين وفاته « سنة ٥٣٩ او سنة ٥٤٢ » وقد رسخت تعاليمه عندهم الى حد انهم اتخذوا اسم ساويريين مدة طويلة نسبة اليه

يعقوب البرادعي ـ وظهر في سوريا ايضا يعقوب البرادعي او البردعاني في اواسط القرن السادس للمسيح . وكان من اخص تلامذة ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل الآنف الذكر واشد انصاره تمسكا بالمنوفيزية . وهو راهب سرياني اصله من تيلا اغتصب مطرانية الرها « سنة ٥٤١ ـ ٥٧٨ » وانفذه ساويرس الى الشرق لنشر دعوته فجال في آسيا الصغرى وسوريا وفي جزر البحر المتوسط مبشراً

بالطبيعة الواحدة مدة اربعين سنة كان يسعى في خلالها بذاته وبواسطة اعوانه في ضم فرق المنوفيزية اليه متظاهراً بالورع والصلاح حتى استمال اليه اكثر هذه الفرق كالسريان والارمن والقبط وسماه اعوانه المطران المسكوني. وتغلب اسمه على اكثر المنوفيزيين فصاروا يسمون يعاقبة نسبة اليه ولا سيما في سوريا

وقد اعانه في نشر دعوته خاصة احوديما أسقف تكريت. فدخل بلاد الفرس في ايام كسرى انوشروان فرفع الملك منزلته وقربه اليه. وقيل انه ادخل أحد اولاد كسرى في مذهبه فنقم ملك الفرس عليه وقتله سنة ٥٧٥ م

ولما اشتدت وطأة الاستبداد على ايعاقبة فى مما‌لكة الفرس لجأوا الى بني غسان في حوران. وكان لملوك غسان في ذلك الحين سطوة عظيمة فاتخذوهم تحت رعايتهم فجمعوا شملهم في بادية الشام واخذوا يبثون تعاليمهم بين الاسرى الذين كان نفاهم كسرى الى هاتيك الاصقاع

ولما جلس هرمزدا بن كسرى على عرش الفرس « سنة ٥٧٩ » انس اليعاقبة من تساهله معهم ما نشطهم على النهوض لبث دعوتهم. وكان من اكبر انصارهم حينذاك حزقيال أحد رجال دولة فارس. وتلاه في تعضيدهم غير رجل من رجال هذه الدولة اخصهم يشوع يهب وقد تلقن مذهبهم في نصيبين وقاسى الاهوال في تأييده وافضت مساعيه الى اثارة الرأي العام الفارسي عليه ونفي اليعاقبة من مملكة الفرس

فلجأوا الى تكريت على دجله والى دير مار متى واتخذوهما قاعدة لنشر دعوتهم. وما لبثوا ان استقروا في تلك البقعة حتى امتد مذهبهم الى ارمينيا وجبل عزلا وغيره. وكان من اعظم انصارهم في تلك الفترة جبرائيل الشجاري الطبيب وله اذ ذاك منزلة رفيعة عند ملك الفرس فاخذ بناصرهم حتى استفحل أمرهم واستقر مذهبهم في آسيا الصغرى والجزيرة الفراتية وسوريا وقبرص وفلسطين وارمينيا. اما في مصر والحبشة فكان من قبل ذلك راسخاً وطيد الاركان

ولما حمل العرب المسلمون على بلاد فارس في أوائل القرن السابع كان لليعاقبة منزلة عليا في البلاط الفارسي وكانوا يكرهون هرقل ملك الروم لتحيزه الى اعدائهم الكاثوليك ولذلك لما اغار المسلمون على البلاد الخاضعة له في ما بين النهرين والشام ومصر تخلفوا عن نجدته غير مبالين بسطوته. ولما استتب الامر للمسلمين كان اليعاقبة اول من خدمهم في نقل العلوم والطب وغير ذلك

والمنوفيزيون على ثلاثة فرق او ثلاثة فروع عامة مستقلة احداها عن الاخرى من حيث اللغة والطقس لكنها مشتركة فيما بينها بالبدعة المنوفيزية التي اتخذتها مذهباً لها وهي: اليعاقبة والارمن والقبط.

اليعاقبة: ان معظم اليعاقبة من السريان الذين فى سوريا ويتبعهم قسم من نصاري الملابار في الهند ارتدوا اليهم من النسطوريه وهم يرجعون الى رئيس واحد يقال له بطريرك اليعاقبة الانطاكي. ولهم معتقد واحد وقانون واحد من حيث التهذيب البيعي وطقس واحد

هو السرياني . وهم احق من سائر المنوفيزيين باسم يعاقبة .

الارمن : ويعرفون بالبراصمة نسبة الى برصوما الراهب الذي اقرهم على مذهب المنوفيزية . اما هم فيدعون انفسهم بالغريغوريين نسبة الى القديس غريغوريوس . وهم يرجعون الى رئيسين بطريرك كيليكية وبطريرك اشميازين وان يكن لنائبيهما في الاستانة والقدس سلطة تقرب من سلطتهما . وتجمعهم في البطريركيتين ونيابتيهما وحدة اللغة والجنسية الاصلية اللتين حافظوا عليهما ووحدة المعتقد والقانون الكنائسي والطقس الذي هو الارمني .

القبط : هم نصارى مصر او اهل بطريركية الاسكندرية . وقد تعصبوا لديسقورس بطريركهم « انظر ص ١٩٩ و ٢٠٠ » في ما يتعلق بالمنوفيزية واستقلوا عن كل الكنائس وتبعهم الاحباش لانهم كانوا تابعين كما هم الآن لبطريركية الاسكندرية . وهؤلاء جميعهم رئيس واحد هو بطريرك الاسكندرية . ولهم معتقد واحد وقانون واحد من حيث التهذيب البيعي . وللاقباط طقسهم القبطي بلغتهم القبطية . وللاحباش طقسهم الحبشي . وهؤلاء يخضعون لمطران يعرف بمتروبوليط يسميه لهم بطريرك القبط ويستقلون عنه في ما سوى ذلك كما سيجيء .

وكثيرون من اصحاب هذه البدعة عادوا فانضموا الى الوحدة الكاثوليكية وكوّنوا كنائس قائمة بذاتها كما سترى عند ذكر الطوائف الكاثوليكية .

البدعة المنوثيلية

المنوثيلية لفظة يونانية يراد بها « المشيئة الواحدة » . وقوام هذه البدعة ان للمسيح مشيئة واحدة وفعل واحد يصدر عن طبيعتين متحدتين باقنوم واحد بحيث لا تظهر في هذا الفعل الا قوة الطبيعة الالهيـة . وهي شديدة الشبه بالبـدعة المنوفيزية ويمكن ان تعد من مشتقاتها وفروعها من حيث ان الطبيعة البشرية تبقى غير كاملة وليس لها قوة للعمل فكأنها لم تكن

اما منشيء هذه البدعة فغير معروف تماماً وانما المشهور ان أول من نشرها سرجيس بطريرك القسطنطينية في الربع الاول من القرن السابع وبلغت أشدها ومعظم انتشارها في اواسطه . كان سرجيس منذ نشأته منوفيزياً وكان ذكياً بصيراً بعواقب الامور فتظاهر باتباع تعاليم المجمع الخلقيدوني وهو يرجو ان يبلغ وطره بهذا التظاهر الى ان رقي الى البطريركية فاتخذ التعليم بمذهب المنوثيلية وسيلة لرد المؤمنين الى المنوفيزية. وقد ساعدته الاقدار وبسم له الحظ فنال حظوة عند هرقل ملك الروم . وأول من وافقه على تعليمه الجديد ثودورس اسقف فاران وبولس الراهب الارمني وقورس اسقف فسيدايه وقد عد بعضهم اثناس بطريرك اليعاقبة في جملة اتباعه . وكان أشد هؤلاء الانصار غيرة على هذه البدعة قورس الاسقف فانه بعد ان صار بطريركاً على كنيسة الاسكندريه سنة ٦٣٠

عقد مجمعاً هناك حضره جماعة المنوفيزيين من اتباع ديسقورس البطريرك الاسكندري المشهور فاقر المجمع هذه البدعة وقام لمعارضته صفرون الراهب الاورشليمي فحاول ارجاع قورس عن ضلاله فلم يفلح فرفع أمره الى سرجيس بطريرك القسطنطينية وهو لا يدري انه استاذه وانه اول من بث هذه البدعة . فتذرع سرجيس بهذه الوسيلة لعقد مجمع اثبت فيه مذهبه هذا وكاتب البابا هونوريوس يخادعه في الامر حتى اوقعه في الشرك الذي نصبه له وكتب رسالته المشهورة التي بسببها يتهم بعضهم هونوريوس بممالئة سرجيس في المنوثيلية. سنداً الى قرار المجمع القسطنطيني الثالث الذي عقدسنة ٦٨٠م أما صفرون فعاد الى اورشليم وانتخب بطريركا عليهافعقد مجمعاً وحرم هذا المعتقد وأهلهوقاوم اتباعه بكتاباته ومساعيهمقاومة عنيفة

وكان هرقل الملك فرغ من حرب الفرس فعاد الى القسطنطينية وهو عازم على جمع كلمة رعاياه بنزع الاختلافات المذهبية من بينهم تفرغاً لشؤون المملكة واصلاحاً لما اعتل من امورها . ولكنه تلاهى عن ذلك ببهرجات الملك وزهوه . وانتهز العرب فرصة اضطراب الافكار في مملكة الروم بسبب هذا الاختلاف الديني فتوغلوا في سوريا حتى ملكوها باسرها . وكان ان عمل سرجيس على استغواء الملك وما زال به حتى خدعه واستماله الى تعليمه فانقاد هرقل اليه وهو لا يدري شيئاً من حقيقة المذهب الذي اراد تعضيده عن صفاء

انية فغضب البابا عليه ووبخه فاعتذر . ولكن نفوذ سرجيس كان آخذاً بالتعاظم حتى استفحل أمره . ثم استوى قسطنطين بن هرقل على عرش الروم سنة ٦٤١ فلم يعش طويلا وخلفه ابنه قسطان . وفي ذلك الحين مات سرجيس وخلفه البطريرك بيرس على كرسي القسطنطينية ومات قورس البطريرك الاسكندري وخلفه البطريرك بطرس وكان على مذهبه . وكان ان ظهر مكسيمس المعترف فقاوم هذه البدعة ورد البطريرك بيرس الى المذهب الكاثوليكي الا انه اخلف بعد مدة ومات على مذهب المنوثيلية وقام بعده على كرسي القسطنطينية البطريرك بولس وهو على مذهب المنوثيلية وكان الملك قسطان منوثيلياً بحتاً فقام بنصرة اصحابها باغراء هذا البطريرك فتعرض له البابا مرتينس الاول وعقد مجمعاً في روميه سنة ٦٤٩ حرم بدعة المشيئة الواحدة فانتقم الملك منه بنفيه ومات في منفاه سنة ٦٥٤ . ثم توفى البطريرك بولس وخلفه آخر باسم بطرس وهو على هذا المذهب وفي ايامه بلغ اضطهاد الملك قسطان للكاثوليك اقصى درجاته . هذا والعرب يمرحون في مملكة الروم وقد كادوا يبلغون العاصمة . وفي سنة ٦٦٨ توفى قسطان وخلفه على عرش الروم ابنه قسطنطين اللحياني وكان كاثوليكياً شديد الغيرة على الايمان فانتصر للكاثوليك وصرف اهتمامه الى اصلاح المملكة واتفق مع البابا اغاثون على عقد مجمع لتحديد عقائد الايمان وازالة الخلاف من بين المؤمنين فعقد في روميه سنة ٦٨٠ ثم عقد في السنة

نفسها في القسطنطينية وهو المجمع السادس المسكوني فحضره عدد قليل من اقطاب الكنيسة لان استفحال امر العرب فى مملكة الروم كان يحول دون انتقال رؤساء الدين من كراسيهم. وكان فى جملة من حضره جرجس بطريرك القسطنطينية ومكاريوس بطريرك انطاكية وهو اذ ذاك فى عاصمة المملكة وكلاهما على مذهب المنوثيلية . فرجع بطريرك القسطنطينية عن ضلاله واما بطريرك انطاكية فاصر عليه واعتزل المجمع مع تلميذ له يدعى اسطفان فحرمهما المجمع وحكم على اولهما بتنزيله عن البطريركية واقر قواعد الايمان بمنشور وقعه الملك وآباء المجمع واذاعوه سنة ٦٨١ واقيم توافان بطريركا على انطاكية بدلا من مكاريوس وأقام فى القسطنطينية كاسلافه لعدم تمكنه من الاقامة فى انطاكية لوقوعها بايدي العرب. ومن ذلك الحين اخذت المنوثيلية بالضعف وباتت قليلة الاهمية فى مملكة الروم . اما في سوريا فلم يقف المؤرخون الثقاة لها على اثر جدير بالذكر بين اهلها لانشغالهم في ذلك الحين باصلاح ما اعتل من شؤونهم في الفتح العربي . وقد تلاشت من عهد بعيد ولم يبق الآن لها من اثر لا في سوريا ولا في غيرها

الملكية

الملكية صفة لفئة من السريان او السوريين الذين كانوا تابعين لبطريركية انطاكية فدخلوا تحت سيطرة بطاركة القسطنطينية منذ

الفتح العربي وتركوا طقوس كنيسة انطاكية وتقاليدها وتمسكوا بطقوس الكنيسة الرومية تقرباً من ملوك الروم وعرفوا عند العموم بالملكيين . ثم انتحلوا اسم روم (١) بالنظر الى طقس كنيستهم وانقيادهم الى بطاركة الروم في كل امر . وكانوا يعرفون بين الطوائف المسيحية بالخلقيدونيين اي اشياع المجمع الخلقيدوني العام

واسم الملكية لم يشمل الروم جميعاً بل انما خص بهذه الفئة من السريان الذين اتبعوا طقس الروم ومذهبهم (٢) ثم اتصل توسعاً

(١) اصح رأي للعلماء في منشأ اسم روم ان اليونان الوثنيين الذين كانوا يعرفون باسم كراشي « أي رومي » واغريق كانوا يسمون النازلين بينهم من الرومانيين روميين او روما . فلما وطد قسطنطين الكبير حكم الرومان في بيزنطية وخص النصرانية بعنايته رفعاً لشأنها أخذ هؤلاء الكراشي يسمون جميع المسيحيين الخاضعين لدولة الرومان روماً وأطلقوا على الوثنيين اسم ايليناس أي يونان ويفهم به عندهم وثنيون . ثم خص هؤلاء الاغريق انفسهم باسم روم أو رومانيين وانفصلوا عن الرومانيين الغربيين وأخذوا يسمونهم لاتين تمييزاً لهم عنهم . ومن ثم جعلوا الكنيسة قسمين رومية ولاتينية أي شرقية وغربية . وعلى تعاقب الايام اختلط هؤلاء اليونان بالروم الاصليين بحيث بات اسم روم يشمل الفريقين . والكتاب المقدس يسمي الروم الشرقيين يوناناً تمييزاً لهم عن الروم اللاتين . والاحبار الرومانيون وكثيرون من العلماء يسمون آباء الكنيسة روماً ولاتين ويعتبرون بين الروم منهم كثيرين من ابناء الكنائس الشرقية الاخرى وهم على يقين ان هؤلاء الآباء ليسوا بيونان . والخلاصة ان اسم روم كان يطلق على ابناء الكنيسة الشرقية جميعاً . وبالتالي ان هذه التسمية لم تنتج في الاصل عن اشتراك سابق أو لاحق للطقوس أو لغتها بل كانت تسمية خاصة بالمملكة ثم اتصلت بالكنيسة

(٢) مما لا ريب فيه ان الملكيين في سورية اصلهم سرياني لا يوناني كما يزعم

الى من تمسك من السوريين الذين كانوا في مصر على عهد سعيد بن بطريق بمذهب الروم وطقسهم. ثم توسعوا فيه الى ان عبر به حيناً عن الارثوذكسيين جميعاً ثم عن المنشقين عن الوحدة الكاثوليكية من السريان والمصريين الذين اتبعوا الطقس الرومي ولولم يستعملوه باللغة الرومية البحتة

وقد زعم سعيد ابن بطريق البطريرك الاسكندري ومن اخذ مأخذه من المؤرخين الذين جاءوا قبله وبعده ان صفة الملكية التى اطلقت على هؤلاء السريان ترتقي الى عهد الملك مرقيانس في القرن الخامس وهو رأي ضعيف فيما نعلم لا حقيقة ثابتة له لانه لم يتصل الينا أثر من الاثار التى خلفها لنا ذلك العصر يشير ولو من طرف خفي الى ذلك

وزعم غير مؤرخ ان هذا الاسم اطلق على هذه الفئة من بطريركية انطاكية التي تقربت من ملوك الروم في اواسط القرن السابع على عهد الملك قسطنطين اللحياني وابنه يتسنيانس الاخرم. غير ان الرأي

بعضهم. نشأوا في سورية ولكنهم اتبعوا الطقس الرومي. وتسميتهم يونانا او روما انما هي من باب التساهل لا من باب الحصر والحقيقة وبالتالي فهم سريان من حيث الاصل والوطن وسريان روم من حيث طقسهم الحاضر. وقد اثبت ذلك البابا بندكتوس الرابع عشر في خطابه الى كيرلس تاناس أول بطاركة الروم الكاثوليك بعد تكوين طائفتهم بشكلها الحاضر لمناسبة تثبيته بطريركا عليهم سنة ١٧٤٤ حيث قال: « ان الملكية لم يسموا روما الا في القرن العاشر عندما اتحدوا مع الروم المنشقين » (راجع الدر المنظوم)

المعول عليه عند العلماء المدققين ان هذه الفئة لم تعرف بهذا الاسم الا منذ القرن الثامن لانه ليس من اثر في تاريخ اللحياني وابنه يستيانس اللذين عاشا في القرن السابع يدل على ان هناك فئة من المسيحيين الذين ينتسبون الى بطريرك انطاكية كانت تعرف في عهدهما بهذا الاسم كصفة ملازمة لها كما صار فيما بعد .

اما منشأ الملكية فالمستجلى من آراء المؤرخين فيه انه بعد ان جحد ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل الطبيعتين وانكر تعليم المجمع الخلقيدوني وعزل عن كرسيه في اوائل القرن السادس وجعل بولس الكاثوليكي بطريركياً على انطاكية تخالف السريان اليعاقبة عن الكاثوليك واستقلوا بشؤونهم واقاموا لهم بطاركة في سوريا وما بين النهرين . واما السريان الذين استمروا خاضعين للكرسي الرسولي فانقسموا الى طائفتين انفصلت احداهما عن الكنيسة الرومانية وكونت طائفة على حدة في الديار السورية وما بين النهرين وظلت الاخرى طائعة للكرسي الرسولي وبطريركها اذ ذاك توافان . وبعد وفاة هذا البطريرك عرضت لهذه الطائفة امور اوقعت النفرة بين ابنائها وادى ذلك الى انقسامها على بعضها وزادت شقة الخلاف فيما بينهم على اثر انتصار فريق منهم لجيش الروم على الفريق الآخر فانقسمت الى طائفتين مستقلتين احداهما عن الاخرى الطائفة المارونية والطائفة الملكية التي اتخذت فيما بعد هذا الاسم نسبة الى ملوك الروم ثم اتخذت اسم روم لاتباعها الكنيسة الرومية في الطقس والمعتقد . وسيأتي الكلام على الموارنة عند ذكر الطوائف الكاثوليكية .

اما الملكيون فاخذوا من ذلك الحين يزدادون تقرباً من ملوك الروم وهم يرجون ان يجدوا فيهم عضداً على دفع اذى العرب عنهم. وفي تلك الأثناء كان بطاركة قسطنطنية بلغوا شأواً بعيداً من النفوذ والسطوة ولهم عند ملوك الروم منزلة عليا وقد بلغ بهم النفوذ الى ان جعلوا لانفسهم المقام الاول بعد الحبر الروماني وانحلوا اسم بطريرك مسكوني وخصوا ذواتهم بالسلطة العليا في المشرق على سائر البطاركة الذين تقربوا منهم وتوددوا اليهم طمعاً في مساعدتهم ابان الشدائد واكتساباً لثقة ملوك الروم حماة الكنيسة القسطنطينية (١)

ان مزاحمة بطريرك القسطنطينية لبابا رومية على مجد الرئاسة الدينية يرجع الى سنة ٣٨١ م التي فيها عقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية بامر الملك تاودوسيوس الكبير فان هذا المجمع جعل للبطريرك القسطنطيني المنزلة الاولى بعد رئيس كنيسة رومية . ثم عقد المجمع الرابع الخلقيدوني سنة ٤٥١ م فاعترف للبطريرك القسطنطيني بحق التمتع بما يقرب من الكرامة التي يتمتع بها رئيس كنيسة رومية وهذا هو مبدأ النزاع بين السلطتين الى أن تولى فوتيوس بطريركية القسطنطينية فانكر على كنيسة رومية اضافتها بعض أمور على الشرائع التي حددتها المجامع المسكونية كشريعة السبت والانقطاع عن أكل اللحوم وتحريم زواج الاكليروس وتثبيت المعتمدين بالميرون واضافة لفظة « الابن » على قانون الايمان ثم قام سرولاريوس على بطريركية القسطنطينية سنة ١٠٥٤ واضاف الى اعتراضات فوتيوس اموراً اخرى منها استعمال الفطير واكل الدم والمخنوق من الحيوان وسماح القسوس للمرضى بأكل اللحم ولبس الاساقفة للخواتم وحلق الكهنة لحاهم وطريقة التعميد . وبات الخلاف تاما بين الكنيستين فلجأت كنيسة رومية الى القوة فزحف القواد الصليبيون الى القسطنطينية وافتتحوها سنة ١٢٠٤ م وظلت في حيازتهم الى سنة ١٢٦١ واضطهدوا الاكليروس اليوناني في فلسطين وسوريا بعد ما تسلطوا عليهما حتى اخرجوهم . غير انه في سنة ١٤٣٩ عقد مجمع في فلورنسا لاجل التوفيق بين الكنيستين وكانت نتيجته ان ضعفت حدة الخلاف بينهما وكان ذلك تمهيداً لاتحاد فريق من اليونان مع الكنيسة الكاثوليكية

فكان اولئك السريان الملكيون اسبق الناس الى الاتحاد مع هذه الكنيسة . وقد اتصلوا بها في كل امر حتى صار البطريرك القسطنطني يقيم لهم بطريركهم في العاصمة من تلقاء نفسه غير ملتفت الى رأيهم وانتخابهم القانوني . وكان بطريركهم يقيم في العاصمة لانه لم يكن يستطيع الاقامة في انطاكية كرسيه منذ تغلب العرب عليها في سنة ٦٢٥ فصاعداً (١) ومن ثم كان هؤلاء الملكيون في البطريركات

---

(١) بعد ان حرم مكاريوس البطريرك الانطاكي في المجمع السادس لانحرافه عن الايمان الكاثوليكي وأرسل الى رومية خلفه على كرسي انطاكية البطريرك ثوافان ولكنه اضطر للاقامة في القسطنطينية كسلفه وهكذا من خلفه على هذا الكرسي لان العرب كانوا منذ استولوا على انطاكية حظروا على البطاركة الاقامة فيها فكان البطريرك الانطاكي يعين على انطاكية ويقيم في القسطنطينية . وبذلك انقطعت سلسلة بطاركة انطاكية منها ردحاً من الزمن . ثم تجدد هذا الانقطاع مرة أخرى نحو اربعين سنة الى ان كانت ايام الملك قسطنطين المعروف بالزبلي فسمح عيسى حاكم انطاكية اذ ذاك للمسيحيين بانتخاب اسقف لهم.ومن ذلك الحين أخذ المسيحيون هناك يقيمون اساقفة عليهم واستمروا على ذلك الى القرن الحادي عشر حيث استولى الصليبيون على انطاكية وطردوا العرب منها فارتحل بطريرك انطاكية عنها الى القسطنطينية « سنة ١١٠٠ » واقام الصليبيون بطريركا عليهم من القطس اللاتيني وهو برنردوس الفرنساوي « سنة ١١٠٠ » وخلفه رودلف الفرنساوي وتعاقب بعدهما بطاركة اللاتين من رودلف الى إيماريك « سنة ١١٤٠ » الى رودلف « سنة ١١٨٧ » الى رينار « سنة ١٢٢٠ » الى ايليا روبر « سنة ١٢٤٤ » وفي ايامه استولى على انطاكية الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار وطرد اللاتين منها وانقطعت سلسلة بطاركتهم هناك من ذلك الحين

واما البيزنطيون فبعد موت البطريرك يوحنا خلفه بطريرك يوناني حسب العادة القديمة باسم البطريرك الانطاكي وظل يقيم في بيزنطية عاصمة ملكهم

الثلاثة الانطاكية والاورشليمية والاسكندرية يتبعون كنيسة قسطنطينية ويجتهدون في تقليدها والنسج على منوالها فى كل امر حتي اهملوا ليتورجياتهم وطقوس كنيسة انطاكية وتقاليدها واتخذوا طقوس هذه الكنيسة وقوانينها الكنائسية دستوراً لهم واتبعوا ليتورجياتها بعد ان ترجموها الى اللغة السريانية الكلدانية ولا يزالون يستعملونها الى اليوم (١) ومن ثم اخذت هذه الطائفة تتقلب مع كنيسة قسطنطينية كيفما انقلبت بحيث صارت اتبع لها ولبطاركتها من ظلهم. وكان ذلك مدعاة لاتباعها لها في امر المعتقد ايضاً ولهذا سموا اتباعها روماً كابنائها واشتهروا على التمادي بهذا الاسم مقروناً بصفة ملكية

وتعاقب خلفاؤه على هذا الكرسي في بيزنطيه الى ان تغلب العرب على الصليبيين في سوريا واخرجوهم منها « سنة ١٢٦٧ » فصارت انطاكية تقيم بطاركة عليها يوناني اللغة . غير أنه بعد ان خربت انطاكية اخرج المسلمون منها بطريرك الروم الانطاكي وهو اذ ذاك مخايل السادس واضطروه لنقل كرسيه الى دمشق « سنة ١٥٢٩ » ولا يزال بطاركة الروم يقيمون هناك الى ايامنا هذه

(١) كانت الكنيسة القسطنطينية تستعمل طقوسها فى ذلك العصر بحسب ليتورجية باسيليوس اسقف قيصرية الكبادوك « توفى سنة ٣٧٨ » وليتورجية يوحنا فم الذهب اسقف القسطنطينية الذي نفاه الملك اركاديوس ومات في منفاه سنة ٤٠٧ . اما قبل ذلك فانها كانت تتبع ليتورجية مار يعقوب المكتوبة بالسريانية أو بالاحرى بالاورشليمية المؤلفة من العبرانية والكلدانية « انظر اللغة السريانية » . واما الملكيون فانهم كانوا يستعملون قديماً الطقس السرياني واللغة السريانية الكلدانية دون سواها في ممارسة الفروض الدينية ولم يكونوا يعولون الا على نسخة التوراة السريانية المسماة بسيطة وهي النسخة التي كان

بل قد تغلب اسم الروم عليهم فصاروا يسمون به دون الملكيين . ذلك انه لما كان الانشقاق العظيم بين كنيسة قسطنطينية وكنيسة رومية على عهد البطريرك فوتيوس في القرن التاسع « سنة ٨٦٧ » وتم على عهد ميخائيل كيرولاريوس البطريرك القسطنطيني في اواسط القرن الحادي عشر « سنة ١٠٥٤ » على ما هو مشهور كان روم سوريا او الملكيون لم يزالوا على اتحادهم مع بطريركية قسطنطينية فشملهم الانشقاق وتمسكوا بكل ما وقع عليه الخلاف من هذه الجهة واستمر بطاركة قسطنطينية يسيطرون عليهم ويرسلون اليهم بطاركة واساقفة من اليونان او الروم الاصليين الى هذه المدات المتأخرة حيث اقام روم سوريا بطريركا منهم ولكن بقي لهم صلة غير قليلة ببطريركية قسطنطينية التي تعد كانها مرجعهم الاخير في المعتقد والتهذيب البيعي والطقس كما سنبين ذلك في الفصل الذي تفرده للروم الملكيين غير الكاثوليك .

يعول عليها وتمارس الفروض الدينية بمقتضاها النساطرة واليعاقبة والموارنة. ثم اتبعوا بعد ذلك الطقس الرومي باللغة السريانية على عهد ثودورس بلسمون البطريرك الانطاكي ومرقس البطريرك الاسكندري وذلك في نحو القرن الثاني عشر كما يؤخذ مما كتبه مكاريوس بطريرك الملكيين سنة ١٦٧١ في هذا الشأن حيث قال : « نحن في كنائسنا وبيوتنا نصلي باليونانية والسريانية » وفي اماكن كثيرة من جنوب سوريا ولا سيما في جوار دمشق يصلي الروم في كنائسهم باللغة السريانية كمقاطعة معلولا وغيرها واهلها يتفاهمون الى اليوم بالسريانية المكسرة « انظر اللغة السريانية » ولديهم الان في اديرتهم القديمة شيء كثير من كتب الطقوس والفروض الدينية التي كانوا يستعملونها قديماً بالسرياني . وفي مكتبة الواتيكان في رومية نسخ كثيرة من هذه الكتب . ومذ تغلب اللسان العربي

البروتستنتية

يفهم بالبروتستنتية في اللغتين اللاتينية والفرنساوية الاحتجاج والمقاومة ويسمى اتباعها بروتستان أي محتجون على المذهب الكاثوليكي وانجيليون لاتباعهم الاناجيل وحرفية التوراة فلا يعولون على التقاليد والتفاسير التي يعول عليها الكاثوليك وهم من هذا القبيل كالقرائين عند اليهود والوهابيين عند المسلمين « انظر اسرائيليين ص١٧٥و١٧٦ »

وقوام معتقد البروتستان ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين الهية وانسانية متحدتين بأقنوم واحد ولكل منهما فعل خاص به وهو منطبق من هذا الوجه على المعتقد الكاثوليكي الا انهم يختلفون عن الكاثوليك بامور جوهرية للغاية منها انكارهم سلطة البابا خليفة بطرس الرسول ورأس الكنيسة الرومانية وشفاعة العذراء والشهداء وسائر القديسين وتقاليد الكنيسة الكاثوليكية وفي جملتها الصوم وسائر ما تفرضه الشرائع الكنائسية على المؤمنين . وليس لديهم من الاسرار الا سر المعمودية . اما سر الاوخاريستيا فلا يعدونه من الاسرار المقدسة لانهم لا يعتقدون بالاستحالة فهم يسمونه الاشتراك أو العشاء الرباني ويصنعونه تذكاراً للفصح الذي تناوله المسيح مع تلامذته . وهكذا الزواج فلا يعتبرونه سراً من أسرار الدين بل

في سوريا على اللسان السرياني اخذ الملكيون يستعملون في اتمام فروضهم الدينية اللغة العربية ممزوجة باللغة اليونانية وكان ذلك على عهد بطريركهم افتيشيوس كرمه الذي توفي سنة ١٦٣٤

فرضاً تقضي به الشريعة الطبيعية . وسر الكهنوت غير موجود عندهم . واما سر الاعتراف فلا يسلمون به مطلقاً

والبروتستان ينتسبون الى لوتيروس وكلفينوس اكبر زعماء مذهبهم . نشأ اولهما في المانيا في القرن الخامس عشر الى السادس عشر « سنة ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦ » وأما الثاني فقد نشأ في فرنسا في القرن السادس عشر « سنة ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤ » (١)

والكنيسة البروتستنتية عدة طوائف أو شيعات اهمها ثلاثة : الشيعة المشيخية أو القسيسية ويتولى أمورها القسوس والشمامسة ويطلق على رؤسائها لقب شيوخ . والشيعة الاسقفية او الفرنوس ويسمى رؤساؤها اساقفة . وشيعة المعمدانيين

---

(١) نشأ مرتين لوتيروس في بلاد ساكس من اعمال المانيا من ابوين فقيرين . وكان في حداثته يعيش من التسول . ثم دخل احدى المدارس الابتدائية وبعد ان تلقن فيها مبادىء اللغة الالمانية انتقل الى كلية ارفور . وفي ذلك الحين شعر بميل الى العيشة الاكليريكية فلبس الثوب الاكليركي وامتاز بتقواه وتوقد ذهنه . واتم علومه اللاهوتية والفلسفية في كلية ويتمبرج . وهناك ظهرت مقدرته العلمية وتفوقه في الموسيقى الكنائسية فتطلعت اليه الانظار من كل جهة . وفي سنة ١٥١٠ أنفذ في مهمة الى رومية وعرض له هناك مع الكرسي الرسولي ما انشأ في قلبه كرهاً لسلطة البابا وسيطرة هذا

وعلى الجملة فانه ليس للبروتستان بطاركة أو مطارنة واعلى وظيفة كهنوتية عندهم وظيفة القسيس الا انها تتفاوت في الاهمية والسلطة بحسب درجة صاحبها في الوظائف الادارية . والقسيس عندهم يعمد ويعقد الزواج ويعطي سر الاشتراك أو العشاء الرباني ويتولى سائر

الكرسي العامة المطلقة فعاد الى ساكس بلاده وهو يضمر الشر للفا تيكان وأخذ يتجلى هذا الكره من خلال اقواله فى الخطب التى القاها بعد عوده من عاصمة الكثلكة . ومنذ سنة ١٥١٦ زاد كرهه للبابا وزادت رغبته في نبذ سلطته شدة واعلن رأيه في الاصلاح الديني الذي كان يرمي اليه فى نشرات اذاعها على المؤمنين . وجاءت مسئلة الغفرانات التي كانت تجمع حسناتها لاتمام كنيسة ماربطرس فى روميه فزادته تشبثاً برأيه واشتد الخلاف عليها بينه وبين رهبانية مار اغسطينس حتي قلقت الاذهان لذلك واضطر الامبراطور مكسيميليان الالماني للتداخل فخاطب البابا لاون العاشر في ذلك فاستدعى الحبر الأعظم لوتيروس الى روميه لتبرير عمله . ولما ابى الامتثال انتدب البابا نائباً رسولياً للوقوف علي جلية الامر فجاء المندوب البابوي الى المانيا ولم يشأ لوتيروس ان يقف امامه موقف المذنب ففر وجاء فراره ضغثاً على ابالة واحدثت جامعة ويتمبرج واهل ساكس بناصره فزاد جراءة وتمرداً . ومنذ سنة ١٥٢٠ استفحل أمره وجاهر بارائه في الاصلاح فصادفت هوى من افئدة امراء المانيا واعيانها فظاهروه

الرتب والطقوس • والكاثوليك لا يعترفون للبروتستان بسلطة
كهنوتية ما وفي اعتبارهم ان الكهنوت انقرض من الكنيسة
البروتستنتية بانقراض كهنتهم في الثورة الدينية الكبرى المشهورة

واشفق البابا من الشر المستطير الذي كان يتهدد الوحدة الكاثوليكية
من وراء هذا العصيان فحرم تعليم المبتدع وامر بمنشوراته ومطبوعاته
فاحرقت لانه ضمنها ما كان ينكره من حقائق الايمان الكاثوليكي
واسراره وأهمها سر المعمودية وسر الاوخاريسيا وسر التوبة . اما
لوتيروس فلم يعدم وسيلة لمناهضة البابا ومقاومته فاحرق سائر ما
اتصلت اليه يده من النشرات التي اذاعها الكرسي الرسولي رداً عليه
واحرق معها ما وضع في اثبات الحقائق الدينية من الكتب على
مشهد من الشعب . وكان الناس يعدون الى ذلك الحين من يجتريء
على مس هذه الكتب ومخالفة ما جاء فيها من اكبر المجرمين فجاء
عمل لوتيروس عاملا على تقليل احترام العامة لها واتساع شقة
الخلاف بين انصاره وانصار البابوية . وأخذ من ثم نفوذ البابا
بالتقلص من الممالك الالمانية سيما وان الامبراطور شارل كين كان
يرتاح فى سره الى ما ابداه لوتيرس من المقاومة للبابا اضعافاً لسيطرته
الدينية عليه وهي سيطرة كانت فى ذلك العصر فى ابان قوتها لامتزاجها
بالسيطرة السياسية امتزاجاً كلياً . ثم انزوى لوتيروس فى ورتبورج
بأمر الامبراطور سنة ١٥٢٣ وهناك استبدل الثوب الاكليريكي

والبروتستان منتشرون في انحاء العالم ولا سيما في انكلترا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية وهولاندا وسويسرا . ومذهبهم هو المذهب الرسمي لاكثر حكومات هذه الدول

يتلابس الفرسان . وفي سنة ١٥٢٥ تزوج الراهبة كاترين بورا وجاهر برأيه في زواج الكهنة اية كانت درجتهم . وما لبث ان ذاعت تعاليمه هذه حتى عظم نفوذه في المانيا وتبعه كثيرون من اهلها ولاسيما اهل الشمال وامتد مذهبه الى الدنمرك واسوج وما جاورها من الامصار . وقام كلفينوس احد القائلين برأيه من جهة اخرى يجاهد في البلاد الواقعة على جانبي نهر الرين وذاع تعليمه في سويسرا وفرنسا وانجلترا وغيرها من ممالك الغرب واشتد النزاع بين اتباع هذا المذهب وبين الكاثوليك فكانت حروب هائلة وفتن شديدة تطاحن فيها الحزبان ردحاً طويلاً من الزمن وجرت فيها الدماء انهاراً وقدر عدد من ذهبوا فيها ضحية هذا النزاع الديني الهائل بالملايين حتى صح أن يلقب العصر الذي جرى فيه هذا الانقلاب العظيم في اوربا بعصر الثورة الكبرى او بعصر الدم كما سميناه في كتابنا « جان جراي او ضحية الانتقام » .

اما كلفينوس فكان في اول امره كاتب اسرار اسقف نوايون في فرنسا . ولفرط ما كان عليه من الحذق والكفاءة كان يجمع الى وظيفته هذه عدة وظائف اخرى دينية وسياسية . درس علومه في جامعة باريس وغيرها من مدارس فرنسا الكلية وتلقن

اما في سوريا فالكنيسة البروتستنتية تمثلها عدة طوائف من طوائفها واتباعها هناك مزيج من لانكليز والالمان والامريكان . وقد كان عددهم قليلا جدا فازداد في العشرين سنة الاخيرة ازدياداً محسوساً بمن انضم اليهم على يد المبشرين الاميركان والانكليز من اليهود والروم الارثوذكس ولا سيما في جنوب لبنان . وقد بذل هؤلاء المبشرون الاموال عن سعة في سبيل مذهبهم هذا حتى تمكنوا برغم ما قام في وجههم من العقبات من بلوغ غايتهم والفوا طائفة من السوريين تعرف بطائفة الانجيليين . وقد نمت كثيرا بحيث يكاد عدد اتباعها الآن يناهز الثلاثين الف نفس في جملتهم اربعة الآف في لبنان أكثرهم من الروم الارثوذكس اصلاً وان تكن لاتزال فئة قليلة العدد بالقياس الى عدد المسيحيين في الديار السورية

ومما يجدر بالذكر من أمر هؤلاء المبشرين انهم ساعدوا بمدارسهم

الفلسفة واللاهوت فبلغ فيهما شأواً بعيداً . ثم تلقن علم الحقوق في كليتي اورليانس وبورج . وهناك تشرب روح البروتستنتية من ابن عمه روبر اوليفنيان . ومنذ سنة ١٥٣٣ داخله ريب فى امر المعتقد الكاثوليكي فانزوى فى سنتونج فى ضيافة كاهن فاضل ثم اتى بلاد النافار وهناك زاد ارتياباً فى امر الدين بحيث لم تأت سنة ١٥٣٤ حتى كان اعتنق المذهب البروتستنتي واتخذ جنوى احدى مدن ايطاليا مركزا لمذهبه الجديد وقاعدة لبثه فى أوربا . وفى سنة ١٥٥٣ كان قد

ومستشفياتهم ومستوصفاتهم وسائر اعمالهم الخيرية مساعدة عظيمة على تخفيف مصائب الفقر والفاقة في سوريا ونشر المدنيـة بين الطبقات السفلى والراقية من الشعب السوري • وقد تخرج من مدارسهم هناك ولا سيما من كلية الاميركان في بيروت عدد كبير من ابنـاء الاعيـان والكبراء فزاد نفوذهم بواسطة اولئك الطلبة انتشاراً في الديار السورية وباتوا فيها قوة ادبية عظيمة لها شأن خطير في رقي سوريا الادبي واخذوا ينازعون الفرنساويين في هذه البلاد ولا سيما في جنوب لبنان النفوذ والسلطة الادبية « أنظر لغات سوريا »

بلغ منزلة عليا من النفوذ الادبي والديني وانبث تلامذته واعوانه في فرنسا وهولنـدا وبلاد الايكوس وانكلترا وبولونيا يبشرون بمذهبه فانتشر في كل هذه البلاد بسرعة مدهشة وبات في مدة قصيرة دين فئة قوية من سكانها وشبت من أجله في جهات كثيرة من أوروبا فتن شديدة كان للملوك والامراء شأن عظيم فيها مما لا محل لذكره هنا . وقد انشأ كلفينوس سنة ١٥٥٩ في جنوى مجمعاً علمياً لم يلبث ان اشتهر امره حتى صار من أهم المجامع العلمية في اوروبا. وقد ترك عدة مؤلفات عد لاجلها من اكبر كتبة القرن السادس عشر

النساطرة

هم فئة كبيرة من الكلدان أو السريان الخاضعين للبطريركية الانطاكية . اتبعوا بدعة نسطور المبتدع الشهير «ص١٩٦» وكونوا طائفة مستقلة يرأسها بطريرك يعرف ببطريرك بابل واساقفة يرجعون اليه

اما قبل ذلك فمما لا ريب فيه ان الكلدان في مقدمة المسيحيين الذين تلقنوا الايمان المسيحي من الرسل انفسهم وحفظوه الى حين انتشار البدعة النسطورية . وكان يدير شؤونهم الروحية منذ اعتنقوا الدين المسيحي مطران سلوقية والبطريرك الانطاكي . وفي آخر القرن الخامس اتبعوا هذه البدعة على اثر تغلب باباوس النسطوري على أسقفية سلوقية « سنة ٤٩٨ — ٥٠٣ » وخلعه طاعة البطريرك الانطاكي فألفوا طائفة قائمة بذاتها منفصلة عن بطريركية انطاكية والكنيسة الكاثوليكية الرسولية واقاموا باباوس جاثليقاً بطريركياً عليهم فانتحل لنفسه لقب بطريرك ومن ذلك الحين اخذ بطاركتهم يتسلسلون الواحد بعد الآخر الى ان كانت سنة ١٥٦١ فانقسم النساطرة الى فئتين اقامت كل فئة منهما بطريركا مستقلاً عن الآخر يلقب احدهما بايليا وكرسيه في الموصل غربي دجله والآخر بسمعان وكرسيه في مدينة اورميا في جبال العجم . وحصروا كل بطريركية في عائلة واحدة كحق يتوارثه افرادها من واحد الى آخر

ولم يستقر بطاركتهم في مكان واحد فاقاموا اولاً في مدينتي سلوقية وقطسيفون «على شاطيء دجلة» وكانوا ينسبون اليها. ثم لقبوا ببطاركة بابل ثم بغداد بعد ان اتخذها الخلفاء العباسيون قاعدة للخلافة وما زالوا ينزلون هناك الى سنة ١٢٥٧ فانتقلوا الى الموصل فنسبوا اليها ثم لقبوا ببطاركة آمد «قراميدا اي السوداء» ثم بديار بكر في الجزيرة الفراتية . وكانت مدينة انغامالي في الملابار من اعمال الهند كرسيا لاساقفتهم من سنة ١٥٠٣ الى سنة ١٥٩٧ . وبطريركهم اليوم يعرف ببطريرك بابل اما هو فيلقب نفسه ببطريرك المشرق او الكلدان ويكرهون لقب نساطرة فلا يلقبونه به

وللكلدان النساطرة طقس خاص بهم يستعملونه بالسرياني الكلداني حيثما وجدوا . ومن مميزات اكليروسهم انهم كانوا منذ القرن الرابع للمسيح يستعملون الملابس الدارجة عند العامة (١) وليس لديهم شيء مما لرؤساء الطوائف المسيحية الاخرى من المميزات كاكليل الراس والتاج والصليب الصدري والخاتم وغير ذلك. فكل مايمتازون به قاصر على ما يتشحون به من الملابس الكهنوتية المقدسة في كنائسهم دون سواها وهي عبارة عن وشاح يشبه الغفارة عند اكليروس اللاتين وقبعة مزركشة على شكل المنصفة وعصا الاسقفية . ويقدسون على الخمير ممزوجا بالزيت والملح على مثال السريان اليعاقبة

---

(١) مما يؤثر عن الاكليروس الشرقيين انهم في الثمانية قرون الاولى من التاريخ المسيحي لم يستعملوا ملابس مميزة لهم عن سواهم من عامة الناس

وأكثر الكلدان في بلاد العجم والعراق والهند وجبال كردستان وولاية حلب واكثرهم في مابين النهرين والبلاد المجاورة لها ويقدر عددهم بنحو ٣٥٠ الفاً . اما في سوريا فلا يزيدعددهم عن عشرة آلاف اكثرهم في جهات حلب . والمقيمون منهم في بلاد العجم لهم بطريرك يقيم في ربيس « الموصل » ويتبعه ١٨ مطراناً واما الذين يقيمون في الهند فلهم متروبوليط مخصوص يرجعون اليه في سائر امورهم الروحية

السريان اليعاقبة

هم السريان الذين اتبعوا البدعة المنوفيزية « ص ١٩٨ » وانتسبوا الى يعقوب البرادعي أو البردعاني « ص ٢٠٣ » الذي ظهر في القرن السادس للمسيح وضم فرق المنوفيزية اليه كالسريان والارمن والقبط وغيرهم على نحو ما قدمنا . وهم كسائر المنوفيزيين أو اليعاقبة يذهبون ان للمسيح طبيعة واحدة الا انهم انفردوا ببعض الطقوس من حيث اعداد القربان ورسم اشارة الصليب وانتخاب البطاركة والاساقفة كما سيجيء . وقد انشقوا فيما يتعلق بالايمان عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وفيما يتعلق بالرئاسة الدينية عن الكنيسة السريانية والبطريركية الانطاكية . وألفوا طائفة قائمة بذاتها متميزة عن الطائفة السريانية الكاثوليكية منذ الربع الاول من القرن السادس بعد خلع ساويرس أول بطاركتهم عن كرسي انطاكيه التي كان اغتصبها سنة ٥١٢ بمساعدة الملك انسطاس على ما

ذكرنا « ص ٢٠٢ » وهم يبدأون منه بسلسلة بطاركتهم . ومن ذلك الحين أخذوا يقيمون لهم بطاركة على سوريا وما بين النهرين غير البطاركة الانطاكيين الكاثوليكيين خلفاء بولس السرياني . وكانت سلطة بطاركتهم في بادىء الامر تمتد على ابناء مذهبهم من الهند ومملكة فارس الى عريش مصر فاتصلت منذ الربع الاول من القرن الثالث عشر « سنة ١٢٢٢ » الى بلاد الحبشة. ذلك ان كيرلس لقلاق بطريرك كنيسة الاسكندرية عين أحد اساقفته مطراناً على اورشليم وكانت سلطته لا تتجاوز حدود العريش فلا تتعداها الى الاراضي المقدسة . فاغتاظ اغناطيوس داود بطريرك السريان وعد ذلك تعدياً على سلطته وسام توما الحبشي اليعقوبي مطراناً على الحبشة . وقبل ان تولى هذا البطريرك على السريان كان من القواعد المقررة عندهم الاينتخبوا من كان حائزاً على درجة اسقفية ما مطراناً أو مفرياناً (١) عليهم فابطل هذه القاعدة

اما بلاد الهند فقد اتصات سلطتهم اليها سنة ١٦٦٣ على أثر انقسام المسيحيين في الملابار احدى مقاطعات تلك البلاد الى قسمين

---

(١) لفظة مفريان بمعنى المثمر أو المخصب وهي عند السريان لقب بمعنى نائب البطريرك ويفهم به مطرو بوليت المشرق وهو يرأس عدة اساقفة . وقد كان كرسيه منذ سنة ٦٢٠ في مدينة تكريت في ما بين النهرين . ثم نقل الى عدة اماكن . ومنذ سنة ١١٠٠ نقل الى دير مار متى « دير كوختا » بالقرب من الموصل ولم يزل كرسياً له الى اليوم

احدهما ارثوذكسي والآخر نسطوري . فاختاس بطريرك السريان اليعاقبة فرصة انقسامهم وانفذ غريغوريوس مطران اورشليم الى الهند فاجتذب فريقاً منهم الى شيعته . وانضم الفريق الاخر الى النساطرة

وقد كانوا في بدء امرهم يخضعون لبطريرك واحد الى النصف الثاني من القرن الرابع عشر فتعدد بطاركتهم على أثر قيام خلاف شديد سنة ١٣٦٤ بين اساقفتهم الغربيين واساقفتهم الشرقيين على البطريركية .وظل هذا الخلاف مستحكم الحلقات مدة مئتي سنة كانوا في أثنائها يقيمون لهم بطاركة على سيس في قيليقية وعلى سوريا وعلى طور عبدين وعلى ماردين. وكثيراً ما كانوا يقيمون عليهم بطريركين أو ثلاثة في آن واحد. وكان هؤلاء البطاركة يلحقون اسم اغناطيوس باسمهم الشخصي ثم قدموه عليه منذ تولى البطريركية اغناطيوس يوسف وهيب اسقف ماردين « سنة ١٢٩٣ ـ ١٣٣٣ »وما زال هذا شأنهم في تعدد بطاركتهم الى سنة ١٤٩٤فزال الخلاف واتفقوا جميعا على اقامة بطريرك واحد عليهم يلقب ببطريرك اليعاقبة الانطاكي

وكان كرسي بطاركتهم منذ سنة ١٠٣٤ في ديار بكر « آمد » فنقله البطريرك ميخايل الاول سنة ١١٧٦ الى دير حنانيا المعروف بدير الزعفران بجانب ماردين ولم يزل مقاما لبطاركتهم الى اليوم وان اضطروا احياناً لمبارحته الى ماردين او الى ديار بكر او حلب او غيرها من مدائن سوريا وبين النهرين

اما اسقفياتهم فقد جعلوها ستة عشر. وعندهم لكل كنيسة من كنائس هذه الاسقفيات اسم مخصوص بحيث ان المطران الذي يقام عليها يتخذ اسمها. فاسم تيموتاوس مثلا خاص بمطران ديار بكر وباسيليوس بمطران الموصل وكيرلس بمطران معدن وديوانسيوس بمطران حلب وغريغورويوس بمطران اورشليم واثناسيوس بمطران ماردين ونصيبين وساويرس بمطران ارفا ويوليوس بمطران الجزيرة الفراتية وغريغوريوس بمطران دمشق

وبطاركتهم واساقفتهم لا يستعملون في كنائسهم التاج ولايحملون الصليب في اعناقهم ولا يلبسون الخاتم الاسقفي. وملابسهم الكهنوتية في كنائسهم مؤلفة من قبعة اوقلنسوة سوداء ومنصفة مزركشة او بدلة شبيهة بغفارة اللاتين والهرار او البطراشيل الكبير وهو بمنزلة البالبون عند اللاتين والمغوريون عند الروم

وهم يؤرخون بتاريخ الاسكندر او تاريخ السلوقيين ويعرف ايضاً بتاريخ السريان المقدونيين « انظر الكلدان الكاثوليك »

وقد كانوا من زمن عريق في القدم يقدمون الذبيحة على الفطير كسائر السريان وبعد ان اتبعوا البدعة المنوفيزية بوقت طويل استبدلوا الفطير بالخبز والخمير كالروم والقبط

ويقدر عددهم بنحو نصف مليون نفس اكثرهم في ما بين النهرين والعراق ولا يزيد عددهم في سوريا وفلسطين عن خمسين الف نفس معظمهم في ولاية حلب .

الارمن الغريغوريون

ان وطن الارمن ارمينيا (١) ولكنهم منتشرون في بلاد التتر والهند والعجم وروسيا والقوقاز وبولونيا وترانسيلفانيا والمجر ومصر واماكن اخرى . وفي سوريا عدد غير قليل منهم ولاسيما في ولايتي حلب ودمشق . والكنيسة الارمنية راسخة في فلسطين مهد النصرانية منذ القرن الخامس للمسيح ولذلك آثرنا ان نفرد لها فصلا مخصوصاً اسوة بالطوائف المسيحية الاخرى التي نشأت في سوريا او جاءت اليها من الخارج منذ عهد بعيد واستقرت فيها

اما الارمن الغريغوريون المنوفيزيون فهم الذين اتبعوا المنوفيزية وخلطوا بين طبيعتي المسيح كاليعاقبة والقبط والاحباش . ويعرفون بالبراصمة نسبة الى برصوما الراهب «ص٢٠٦» اكبر دعاة المنوفيزية في بلاد الارمن . وهم يستنكرون الانتساب اليه فيدعون انفسهم غريغوريين نسبة الى القديس غريغوريوس الارمني الملقب بالسواريج «اي المنور»

---

(١) كانت ارمينيا فيما مضى من الدهر مملكة مستقلة فاخذت بالانحطاط لاسباب لا محل لذكرها هنا الى ان اجتاحها تيمورلنك المغولي المشهور سنة ١٣٨٦ ودمر مدنها وامعن فيها نهباً وقتلا حتى أوردها مورد الاضمحلال . وكان آخر ملوكها لاون السادس من الاسرة اللوسينيانية « التي ملكت على قبرس قبل أمراء البنادقة واتصل نسبها بملوك الارمن فملكت على ارمينيا حقبة من الدهر » وقد ولد من أم ارمنية وتوفى في باريس سنة ١٣٩٣ على عهد كيرلس السادس ملك فرنسا وبه انقرضت دولة الارمن ودخلت ارمينيا في حيازة الاتراك الى اليوم وضم جزء منها الى مملكة الفرس وتناولت سلطة الفرس عليها الشؤون الدينية ايضاً بحيث أصبح لملكها السيطرة التامة على بطاركة الارمن فلا يعترف بهم هناك الا اذا ثبته ملك فارس كما هي الحال في تركيا حيث يثبت السلطان اكثر البطاركة

وهو أول من بشرهم بالايمان بالمسيح وردهم الى النصرانية مع ملكهم تريد انس على عهد الملك قسطنطين الكبير منذ اواسط القرن الرابع «سنة ٣٢٧» اي قبل ظهور بدعة المنوفيزية باكثر من مئة سنة . وكان القديس يعقوب النصيبيني السرياني صديقاً لغريغوريوس فاعانه كثيراً في نشر دعوته بين الارمن بما كان يضمن رسائله اليه من النصائح والارشادات فسدد خطاه وشدد عزيمته على الثبات فى مقاومة الصعوبات التي عرضت له فى هدايته لهم وله عندهم منزلة سامية وان يكن سريانياً لا ارمنياً

واول عهد الارمن بالانفصال عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية كان فى مجمع خلقيدونيا عند دخول بدعة المنوفيزية الى ارمينيا الصغرى سنه ٤٦٠ على يد صموئيل احد تلامذة اوطاخي ثم امتدت تدريجاً في بلاد الارمن على ما قدمنا عند ذكر البدعة المنوفيزية «ص ٢٠٩ و ٢٠٦» حتى رسخت فيها واستقرت فى سائر جهاتها الى اواسط القرن السادس فتفرعت منها بدعة اخرى انشأها يوليانس اسقف اليكارناسو سنه ٥٤٥ وقوامها قابلية جسد المسيح للفساد « ص ٢٠١ » فتبعه فريق من الارمن وهم الخياليون . وقد اتبع هذا المذهب الملك يستنيانس الاول « سنه ٥٢٧ » غير انه لم يثبت انه مات عليه

على ان الارمن ظلوا متحدين على نوع ما مع البطريركية الانطاكية الى سنة ٥٠٠ فاخذوا يرمون الى الاستقلال الذاتي وعقدوا مجمعاً فى تافين «دوين» بالقرب من تفليس لتقرير انفصالهم

عنها في ما كانوا لا يزالون متحدين به معها بعد اتباعهم البدعة المنوفيزية .
وما زالوا على مناقضتها ومشاكستها الى سنة ٥٥١ فعقدوا مجمعاً ثانياً
في هذه المدينة على عهد بطريركهم موسى الاول وهو الثالث والعشرين
من بطاركتهم وفيه انفصلوا تماماً عن البطريركية الانطاكية والكنيسة
الكاثوليكية وتاريخهم يبتديء من تلك السنة. ثم عادوا فاعتنقوا المذهب
الكاثوليكي في مجمع كارين « ارزروم في ارمينيا الكبرى » على عهد
هرقل الملك وبطريركهم عذرا وانكروا تعاليم مجمع تافين ثم نقضوا
العهد في مجمع عقده بطريركهم يوحنا الحياتي في مانشيار على حدود
هيركانيا سنة ٧٢٦ مع ستة اساقفة من السريان اليعاقبة واتحدوا
فيه مع هؤلاء لكن اتحادهم هذا لم يطل امده . وفي سنة ١١٧٧
عقدوا مجمعاً في ترسيس بامر ملكهم لاون للنظر في الاتحاد مع الروم
فطلب هؤلاء منهم عدة مطالب لم يسلموا بها وانفصلوا على خلاف

وكان الارمن في بدء امرهم شيعاً مختلفة مستقلة احداها عن
الاخرى تقيم كل منها بطريركاً لها . ثم اقتصروا على بطريركين
وجعلوا كرسي احدهما في مدينة سيس في كيليكية التي كانت قديماً
مركزاً لملوك الارمن ويتبعه ١٢ مطراناً وهو رئيس كنائس الارمن
في كيليكية وكبدوكية وقبرص وسوريا والآخر في اشمايازين وهو اكبر
بطاركة الارمن وتتناول سلطته ارمينيا الكبرى باسرها ويتبعه ٤٢
مطراناً ويثبته شاه العجم . واما بطريرك القسطنطينية فينوب فيها
عن بطريرك اشمايازين وبطريرك اورشليم ينوب في هذه المدينة عن

بطريرك سيس وهكذا بطريرك وان ويقيم في أخطمار وهي جزيرة في بحيرة وان . وبطريرك بولندا في روسيا . غير ان هؤلاء البطاركة وان يكونوا خاضعين لبطريرك اشمايازين الا انهم متمسكون بلقب بطريرك ويدعون الاستقلال التام لان لهم اختصاصات البطاركة كسيامة الاساقفة وتكريس الميرون ونحو ذلك .

وقد كان كرسي هؤلاء البطاركة اولا في اشمايازين فنقلوه الى تافين ثم الى آني عاصمة ارمينيا القديمة ومنها الى سيواس « سبطية » في آسيا الصغرى ثم اعادوه الى آني ومنها الى اخطمار المذكورة آنفاً ومنها الى روميلا على حدود ما بين النهرين حيث مكثوا مدة قرنين ولهم فيها آثار دير كبير من القرن الثالث عشر ثم نقلوا كرسيهم الى سيس وهو باق هناك الى اليوم

اما ليتورجية الارمن فقد كتبت باللغة الارمنية الا انه لما كانت الاحرف الارمنية التي انشأها لهم احد فلاسفة السريان غير كافية للكتابة كانوا يكتبون لغتهم تارة باحرف سريانية واخرى باحرف يونانية الى ان ظهر مسروب الراهب الارمني سنة ٤٠٨ واوجد الحركات والاحرف الباقية اللازمة للقلم الارمني . وكان مسروب معاصراً ليوحنا فم الذهب وكان يسترشد برأيه ويستعين بعلمه في كثير من المسائل التي كانت تعرض له ولذلك ذهب كثيرون الى ان الذهبي الفم انما هو منشىء الاحرف الارمنية ومسروب نقلها عنه . ومن ثم

اخذ الارمن يكتبون كتبهم الدينية وغيرها بالاحرف الارمنية وكان ذلك قبل ظهور بدعة المنوفيزية بنحو نصف قرن .

وفي ارمينيا الكبرى عدة قرى اتبع سكانها الكنيسة اليونانية وهم يقيمون صلواتهم حسب الطقس اليوناني باللغة الارمنية . ومن الارمن المنتشرين في آسيا الصغرى من اعتنقوا المذهب الانجيلي

اما عدد الارمن فلا يقل عن نحو ٣ملايين نفس وفي سوريا منهم زهاء خمسين الفاً اكثرهم في ولايتي حلب وسوريا « دمشق »

القبط المنوفزيون

هم فئة كبيرة من مسيحيي مصر الاصليين أبناء الكنيسة الاسكندرية. انفصلوا عن الوحدة الكاثوليكية واتبعوا البدعة المنوفيزية على يد ديسقورس البطريرك الاسكندري المشهور « ص ١٩٣ و١٩٩ » وكونوا كنيسة مستقلة عن الطائفة الملكية الارثوذكسية التي انشقوا عنها . ولهم رئيس واحد يعرف ببطريرك الاسكندرية واساقفة وكنائس قائمة بذاتها وطقس واحد هو الطقس القبطي بلغتهم القبطية

وقد اطلق عليهم اولاً اسم اوطاخيين نسبة الى اوطاخي منشيء هذه البدعة . ويسميهم بعض المؤرخين منوفيزيين وهي تسمية تشمل جميع الذين قالوا بالطبيعة الواحدة على السواء . ومنهم من يسميهم ساويريين نسبة الى ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل « ص

١٩٨ و٢٠٢ و٢٠٣ » وقد سمي فريق منهم اشيفاليون كما سيجيء .
ولما ظهر يعقوب البرادعي «ص٢٠٣و٢٠٤» وانتشر تعليمه وضم اليه أكثر فرق المنوفيزية كان القبط فى جملة من اتبعوا رأيه في الطبيعة الواحدة وغيرها فاطلق عليهم اسم يعاقبة اسوة بمن جاراه من السريان وغيرهم. اماهم فيتبرأون من اسم يعاقبة الذي اول من سماهم به سعيد بن بطريق ويزعمون انهم كانوا على مذهب المشيئة الواحدة قبل ظهور اليعاقبة بنحو قرن فلا يصح ان يسموا باسمهم وان الاولى ان ينتسبوا الى ديسقورس لانه أول من علم عندهم بهذا المذهب والى ساويرس الذي عنه أخذ يعقوب البرادعي وهو من اخص تلامذته « ص ٢٠٣ » على اننا نعلم ان مذهبهم اقرب الى مذهب اليعاقبة وبين الفريقين صلات ودية محضة نشأت منذ القديم عما بينهما من التشابه في المعتقد وبعض الطقوس ولا تزال هذه الصلات وثيقة العرى الى اليوم وان يكن اعتورها احياناً بعض التوتر والفتور وانقطعت غير مرة لاسباب بسطنا بعضها في غير هذا المكان . فلهذا وان يكن يعقوب البرادعي ظهر في عهد متأخر عن عهد اتباعهم لمذهب المنوفيزية فان اسم يعاقبة يصح ان يطلق عليهم ايضاً ولو من باب الفساحة كما يصح اطلاقه على الارمن المنوفيزيين الذين يعرفون الآن بالغريغوريين سيما وانه لما ظهر البرادعي كانت فرق المنوفيزية ضعفت فالف منها وحدة دينية جديدة ورجح رأيه فيها بحيث اضمحلت بقية آراء المنوفيزية ومن ثم نسبت هذه الفرق اليه «ص ١٩٣ و٢٠٤ و ٢٣١ »

اما اتباع القبط للبدعة المنوفيزية فيرتقي الى اواسط القرن الخامس أي قبل ظهور اليعاقبة بنحو قرن وقبيل انعقاد المجمع الخلقيدوني العام وذلك على يد ديسقورس الاول البطريرك الاسكندري الخامس عشر فهو أول من علم عندهم بهذا المذهب وحرم المجمع الخلقيدوني تعاليمه وجرده من وظيفته الكنائسية فاتبعوه وانفصلوا عن الوحدة الكاثوليكية والفوا طائفة قائمة بذاتها . ذلك أنه بعد رجوع اساقفة القبط من المجمع الخلقيدوني الى الاسكندرية اجتمعوا بالاكليروس والاعيان لينتخبوا بطريركا مكان ديسقورس لتمرده على المجمع الخلقيدوني وانكاره حقائق الايمان التي قررها فوقع اختيارهم على بروتوريوس « فروتير » فنادوا به بطريركا عليهم سنة ٤٥٣ والتمسوا من البابا لاون القديس الملقب بالكبير تثبيته وايدهم مرقيان ملك الروم « ص ١٩٩ » وهو يومئذ ناقم على جماعة ديسقورس وقد اوسعهم خسفاً وتهديداً . غير انه ما كاد يستتب الامر للبطريرك الجديد حتى مات الملك مرقيان سنة ٤٥٦ فزالت بموته عقبة كؤود من امام اعوان ديسقورس فعادوا الى اضطهاد الكاثوليك . وبعد ان اقاموا الراهب تيموتاوس التمس اسقفاً عليهم حملوا على البطريرك بروتوريوس وقتلوه شر قتلة محروقاً مع قسم كبير من جماعته في دار البطريركية بالذات « ص ٢٠٠ » ونادوا بالتمس بطريركا عليهم سنة ٤٥٧ ثم عزل هذا من البطريركية بامر لاون الكبير ثم عاد فاغتصبها سنة ٤٦١

وما لبث ان استوثق منها حتى عزل ثانية ومات منتحراً سنة ٤٧٨ فاقام اعوانه بطرس مغوس « الالثغ » الشماس بطريركا عليهم « سنة ٤٧٩ — ٤٩٠ » فعزله البابا ثم اعاده الملك زينون الى البطريركية اجابة لرغبة اقاقيوس بطريرك القسطنطينية فخرج عن طاعته فريق من القبط اطلق عليهم اسم « اشيفاليين » اي بلا رأس وبدعتهم مشتقة من المنوفيزية « ص ٢٣٦ »

وفي ايام البطريرك يوحنا الحبيس (وهو البطريرك الثلاثون على القبط) في النصف الاول من القرن السادس ظهر ساويرس البطريرك الانطاكي الدخيل المشار اليه آنفاً « ص ٢٠٢ » وبعد فراره الى الاسكندرية جد في نشر رأيه في المنوفيزية واتخذ تلميذه يعقوب البرادعي عوناً له على ذلك فتبعه كثيرون من القبط والسريان وغيرهم « ٢٠٣ »

وبطريرك القبط يعرف ببطريرك الاسكندريه وسلطته تشمل القطر المصري والسودان وتمتد الى بلاد الحبشة كما سيجيء « انظر الاحباش » والى حدود الديار السورية . واما امتدادها الى فلسطين فيرتقي الى القرن الثالث عشر في ايام البطريرك كيرلس لقلاق الذي هو اول من سام مطراناً قبطياً على اورشليم في حين ان كرسي المدينة المقدسة كان محفوظا حتى ذلك الحين لبطريرك اليعاقبة « انظر السريان اليعاقبة ص ٢٢٨ »

وايمان القبط شديد الشبه بايمان الارمن من اوجه كثيرة وهكذا الاحباش . ومما يؤثر عن طقسهم انه بعد ان انقرض اساقفتهم وكهنتهم الاولون لم يعودوا يستعملون سر العماد بمقتضى القاعدة المعمول بها في الكنيسة وفسد عندهم جوهر الذبيحة الالهية لكنهم حفظوا الاسرار منذ القدم لمناولة المؤمنين في الفصح

اما ليتورجياتهم فهي مكتوبة باللغة القبطية (١) وهم يقدسون

(١) ذهب فريق من اهل الكنيسة اليونانية الى ان ليتورجية القبط كتبت باللغة اليونانية غير انه يستجلى مما كتبه المؤرخون الثقاة في الطقس القبطي وأخصهم البطريرك بولس مسعد ان اللغة القبطية هي أحدى اللغات الاربعة « السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية » التي استعملت بها الليتورجيات منذ زمن الرسل . وفي القرن الرابع استعملت هذه الليتورجيات بالحبشية والارمنية أيضاً

والقبطية لغة أصلية قائمة بنفسها وهي من اللغات التي تسمى أمهات أو أصليات ولا تقارب بينها وبين اللغة العبرانية واللغات المشتقة منها ولا بين اللغات الباقية . فان اشتقاق افعالها واسمائها مجرد عن كل ما سواها والفاظها أصلية غير مشتقة من اللغات الاخرى ما عدا اللغة اليونانية فانه دخل عدد كبير من الفاظها الى اللغة القبطية بعد تسلط اليونان على مصر وهذا ما جعل اللغة القبطية في اعتبار فريق من علماء الكنيسة اليونانية وغيرهم يونانية مكسرة فقالوا ان ليتورجيات القبط كتبت بالقبطية التي هي لغة اصلية كما تقدم . فان اليونان لما تغلبوا على مصر احترموا لغتها القبطية ولم يجبروا اهلها على تركها بل بالضد من ذلك فان فلاسفتهم اقبلوا على تعلم اللغة القبطية ليقتبسوا بواسطتها العلوم المصرية كبيتاغورس وافلاطون وشكربوس المصري الذي تملك على أثينا سنة ١٥٥٧ ق . م وكان يلقب بذي الطبعين لمعرفته اللغتين القبطية واليونانية . وهذه جامعات هليوبوليس « عين شمس » القديمة فقد تخرج

بالقبطي في اكثر الاماكن منذ قيام النصرانية واقتباسهم تعاليمها . والقبط الملكيون الذين تمسكوا بالطقس اليوناني منذ تغلب اليونان على بلادهم يستعملون الليتورجية المنسوبة الى القديس باسيليوس والليتورجية المنسوبة الى يوحنا فم الذهب كما هي الحال عند السريان الذين تمسكوا بالطقس اليوناني على نحو ما قدمنا « صفحة ٢١٦ »

واما تاريخ القبط فيعرف بتاريخ الشهداء نسبة الى المسيحيين الذين استشهدوا على عهد الملك فالريوس ديوقلتيانس المشهور باضطهاده للمسيحيين في انحاء المشرق. وقد استشهد منهم في ذلك الحين عدد عظيم لا يقع تحت حصر . وهو يبتدىء عندهم في خريف سنة ٢٨٥ م وهي السنة التي جلس فيها ديوقلتيانس على عرش الرومان

منها عدة فلاسفة من اليونان اقتبسوا العلوم فيها باللغة القبطية . وهكذا فعل اليونان مع السريان والفرس فانهم اذ تغلبوا عليهم اعتبروا لغاتهم لما رأوا من ازدهار العلوم الرياضية فيها منذ القدم . ومما يثبت ان اللغة اليونانية لم تحل محل القبطية ان القديس انطونيوس الكبير كان مصرياً وقد وجد بعد استيلاء اليونان على مصر بعدة قرون حيث كان يلزم ان تكون اللغة اليونانية تمكنت من اهلها ومع ذلك لم يكن يفهم سوى اللغة القبطية لانها كانت لغة البلاد . وما يقال عنه ينطبق على غيره من آباء كنيسة الاسكندرية المصريين وعلى كثيرين من اساقفة مصر الذين وقعوا محاضر المجامع العامة التي شهدوها باللغة القبطية كمجمع أفسس والمجمع الخلقيدوني مما يدل على انهم كانوا يتممون فروضهم الدينية بهذه اللغة دون سواها

وتوافق سنة ٥٩٦ لاسكندر الكبير وسنة ٥٧٩٣ للخليقة (١)

والسنة القبطية مؤلفة من ١٢ شهراً و٣٦٠ يوماً ما عدا ايام النسي وهي ستة ايام . وهذه اسماء الاشهر القبطية وما يوافق كلاً منها من الاشهر الغربية :

توت « ايلول » ـ بابه « تشرين الاول » ـ هاتور « تشرين الثاني » ـ كيهك « كانون الاول » ـ طوبه « كانون الثاني » ـ أمشير « شباط » ـ برمهات « اذار » ـ برموده « نيسان » ـ بشنس « ايار » ـ بؤونه « حزيران » ـ ابيب « تموز » ـ مسرى « آب »

ومركز القبط اليعاقبة او المنوفيزيين صعيد مصر وعددهم بحسب احصاء سنة ١٩٠٧ الاخير ٦٦٧٠٣٦ ما عدا نحو مئة نفس في القدس .

وللقبط بطريرك واحد يلقب بطريرك أو بابا الاسكندرية ومركزه في القاهرة ولهم عشر مطارنة في جملتهم مطران القدس واربع اساقفة عدا عن مطران السودان ومطارنة الحبشة . ولهم تسع ابرشيات تشتمل كل ابرشيه منها على مديريتين من مديريات القطر المصري . ولهم رهبنة عدد رهبانها نحو خمسمائة نفس تعرف بالرهبانية الانطونيانية نسبة الى القديس انطونيوس الكبير المصري . واكثر الاكليروس القبطي من

---

(١) ان تاريخ الشهداء مستعمل ايضاً عند السريان والكلدان ويستعمل هؤلاء أيضاً تاريخ السلوقيين فيستعمله السريان بحسب الاشهر الشمسية والكلدان بحسب الاشهر القمرية

هذه الرهبنة . ولها اوقاف غنية يقدر ايرادها بما لا يقل عن ربع مليون جنيه . ولها في يافا دير كبير وفي القدس ثلاثة اديار طال النزاع عليها بينهم وبين الاحباش ودخل هذا النزاع في السنوات الاخيرة في دور خطير شغل افكار زعماء الامتين القبطية والحبشية واتصل امره الى الدوائر السياسية في مصر والأستانة ولندن نعالجته مدة من الزمن ولكن هناك اسباباً خطيرة لها علاقة كبرى بتقاليد الامتين وتاريخ علائقهما القديمة والحديثة لا تحمل على الرجاء بزوال هذا الخلاف قريباً .

على ان كثيرين من القبط المنوفيزيين يقدر عددهم بما يزيد عن المائتي الف انفصلوا عن الكنيسة القبطية واتحدوا مع الكنيسة البروتستانتية الانجيلية وصاروا انجيليين كالبروتستان انفسهم . ويرجع تاريخ اعتناقهم لهذا المذهب الى عهد الدكتور هوج الاميركي الذي جاء مصر في عهد الثورة العرابية واخذ يبث تعاليم الكنيسه الانجيلية بين الاقباط حتى اجتذب منهم عدداً غير قليل وما زال خلفاؤه بجماعة القبط حتى انقاد اليهم منهم هذا العدد الكبير

الاحباش المنوفيزيون :

إهم الذين انفصلوا عن الوحدة الكاثوليكية من مسيحيي الحبشة بعد ان انكروا عقيدة الكنيسة الرومانية ونبذوا سلطتها واتحدوا مع اخوانهم القبط المنوفيزيين لبواعث سياسية ذكرنا شيئاً منها في غير

هذا المكان . وكونوا طائفة تابعة لكنيسة الاسكندرية المنوفيزية في أمر المعتقد والتهذيب المبيني ولكنهم حافظوا في اتباع طقسها على لغتهم الحبشية « أنظر اللغات »

وقبل ان نتكلم عن تاريخ انفصال الاحباش عن الكنيسة الرومانية نرى ان نذكر شيئاً عن منشأهم وتاريخ اتصال الدين المسيحي اليهم :

ان مركز الاحباش بلاد الحبشة أو ايتوبيا الواقعة في افريقية بين البحر الاحمر وبوغاز باب المندب في الشرق وجبال القمر في الجنوب والسودان في الغرب وبلاد النوبة في الشمال . وقد اموها في أزمنة مختلفة ومن جهات شتى . ومن ثم فهم يقسمون من حيث منشأهم ومن حيث مذاهبهم ايضاً الى عدة أقسام أهمها قسمان كبيران هي بمنزلة اصول عامة للسواد الاعظم من القبائل النازلة هاتيك البلاد

فالقسم الاول يشمل جميع الذين جاءوا اليها من بلاد الهند قبل الاكسوميين بزمن طويل ونزلوا فيها الجهة الواقعة بالقرب من العربية السعيدة المعروفة في الكتاب المقدس ببلاد سابا ويقال لها الهند الداخلة والهند الخارجة . واول من انذر هؤلاء بالايمان بالمسيح برتلماوس الرسول وكان انذاره لهم بالسريانية الكلدانية لشيوعها اذ ذاك فى تلك الاصقاع وذكر ان بولس الرسول اتى هذه البلاد من دمشق وبشر اهلها اليهود المعروفين بالهنود والحبش

والسابيين بلغاتهم الخصوصية وهي السريانية والكلدانية والعربية « انظر ص ١٨٣ و١٨٤ و١٨٥ »

والقسم الثاني يشمل قوماً من الحميريين اتحدوا مع العرب واجتازوا البحر الاحمر واجتاحوا اقليم تيكرى في القسم الاعلى من بلاد الحبشة المعروف عند الاقدمين بالهند الداخلة أو القصوى وهي فوق بلاد النوبة فتغلبوا على أهله واسسوا هناك مملكة اكسوم فى زمن متأخر عن عهد مجيء القسم الاول الى هاتيك البلاد واطلق عليهم اسم اكسوميين . وهؤلاء تلقنوا الايمان المسيحي فيما يقال من متى الرسول وكانت لغتهم الكنائسية مخلوطة بالسريانية الكلدانية . وقد اكد بعض العلماء انهم عند دخولهم اقليم تيكرى كانوا يدينون بالدين العبراني لانتسابهم الى العبرانيين «ص١٧٨» وانهم آمنوا بالمسيح فى اوائل القرن الرابع « نحو سنة ٣٢٧ م » على يد القديس فرونسيوس بن ميروبيوس الفيلسوف الصوري المعروف عندهم بفريمو ناتوس وابي سلامه وذلك فى ايام الملك قسطنطين الكبير . ولما برح فرومنسيوس بلادهم الى الاسكندرية واخبر القديس اثناسيوس اسقفها يومئذ بتنصرهم على يده سامه اسقفاً عليهم فعاد اليهم سنة ٣٢٩ وعمد كثيرين منهم وسام كهنة وشيد كنائس وامتد الدين المسيحي فى تلك البلاد . ومن ذلك الحين جرت العادة ان يكون للاحباش اسقف يسميه لهم بطريرك القبط الاسكندري . ولما اتبعوا البدعة المنوفيزية

ظل هذا البطريرك يعين لهم اسقفاً قبطياً على المذهب المنوفيزي الى ايامنا هـذه . ولم تنقطع هـذه العادة الا حينما تسلط العرب المسلمون على الديار المصرية سنة ٦٤٠ بقيادة عمرو بن العاص في خلافة عمرو بن الخطاب فانهزم بطريرك القبط من الاسكندرية واصبح هؤلاء بغير بطريرك وانقطعت الصلات بين الاحباش وكنيسة الاسكندرية ردحاً من الزمن كان يدير شؤونهم الروحيـة فيـه بطريرك لاتيني يقيم بين ظهرانيهم . واذ لمّ القبـط شعثهم واسترجعوا بعض ما كان لهم من الشأن قبل الفتح العربي استعادوا بطريركية الاسكندرية سنة ٧٣٧ وعاد بطريركهم يسمي للاحباش اساقفة من القبط

أما اعتناق الاحباش والنوبيين للبدعة المنوفيزية فكان في القرن السادس . وأول من بث هذه البدعة بينهم انما هو البطريرك ثودوسيوس الاسكندري خلافاً لما يتوهم بعضهم من انها بثت بينهم في القرن الخامس على يد ديسقورس « ص ١٩٣ و١٩٩ و٢٣٥ و٢٣٨ » وكان انتشارها عندهم بواسطة الأساقفة الذين كان يعينهم بطاركة القبط لهاتيك البلاد واخصهم يوليانس القس الذي صار فيما بعد اسقفا كما ذكرنا في غير هذا المكان

وايمان الاحباش شديد الشبه بايمان القبط والارمن . ومما يذكر عن طقسهم انهم يغسلون المذبح المكرس بماء ورق الزيتون أو ورق الكرم . ويجوز عندهم تعريته خلافا للنساطرة فانهم لا يجوزون

تعرية المذبح ولاغسله لانه مكرس بالميرون

وقد اتخذ ملوك الحبشة هذا المذهب واهله تحت رعايتهم الخاصة وجعلوه دين حكومتهم الرسمي فانتشر في مملكة الاحباش انتشاراً كبيراً واصبح دين الاكثرية الغالبة بل دين تسعة اعشار سكانها

وكنيسة الاحباش قائمة تحت ادارة متروبوليط يسمونه « ابونا » وهو يسوسها باسم بطريرك القبط لانه بمنزلة نائبه هناك الا ان سلطته في هاتيك البلاد تعادل سلطة البطريرك الاسكندري بالذات وربما رجحت عليها وفاقت سلطة الرؤوس الاحباش انفسهم لتدين ملوك الحبشة ومبالغتهم في اكرام رؤسائهم الروحيين الى حد انهم يرفعون منزلتهم الى مستوى يدانون فيه الامراء والخاصة

اما مطارنة الاحباش فلا يزيد عددهم عن ثلاثة ويليهم في الدرجة اسقفان يعينهما المتروبوليط

ووجود الاحباش في سوريا قاصر على القدس وعددهم هناك قليل لا يتجاوز مئة عائلة . وهم على قلتهم يملكون فيها ديراً كبيراً وعدة ابنية ملحقة به ولكن القبط ينازعونهم ملكيته من زمن بعيد «ص ٢٤٢»

الروم الملكيون الغير الكاثوليك

هم فئة من السريان أو السوريين الذين تركوا طقس الكنيسة الانطاكية وتقاليدها واتبعوا طقس الكنيسة الرومية ومذهبها وخضعوا لبطاركة قسطنطينية تقرباً من ملوك الروم اتباع هذه

الكنيسة وحمانها «ص ٢١٠ وما يليها ». اما انفصالهم عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وتكوين طائفتهم على شكلها الحاضر فيرتقي الى القرن التاسع للمسيح على عهد فوتيوس البطريرك القسطنطيني . اما قبل ذلك فقد ظلوا على وئام معها الى القرن الثامن فعرضت لهم أمور واحوال اوقعت بينهم وبينها نفرة كان لروح المنافسات الشأن الاكبر في تجسيمها فتراخت العلائق بين الفريقين واستقل الروم بشؤونهم الداخلية وظلوا مدة على هذه الحال لا يخاطبون رومية . غير انه وان يكن نفورهم من الكنيسة الرومانية لم يمس في بدء الامر جوهر عقيدتهم الكاثوليكية في شيء الا انه كان اول خطوة لهم في سبيل الانشقاق والخروج عن المذهب الكاثوليكي . وما زالت العلائق متوترة بين الكنيستين الى ان جاهر فوتيوس بمذهبه سنة ٨٣٦ وقوامه انبثاق الروح القدس من الاب وحده وليس من الاب والابن كما يعتقد الكاثوليك . فحرمه البابا نيقولاوس الاول فزاد تشبثاً بهذا المذهب . وما زال يتعاظم نفوذه حتي تمكن سنة ٨٥٨ من التغلب على البطريركية القسطنطينية . وما لبث ان استوثق من الامر فيها حتى كثر اعوانه والتف حوله فئة كبيرة من ابناء الكنيسة الرومية . واتصل مذهبه الى بلاد البلغار « سنة ٨٦١ » وغيرها واستفحل أمره ولم تأت سنة ٨٦٨ حتى كان مذهبه شمل الكنيسة الرومية بأسرها وامتد الى روسيا في القرن العاشر . اما في بيزانس

« قسطنطينية » فلم يستقر مذهب فوتيوس الا في القرن الحادي عشر على عهد البطريرك سيرولاروس « سنة ١٠٥٤ »

على انه معما حصل بين الكنيستين الرومانية والرومية من التباعد والنفور في تلك الآونة استمر مذهب الروم في بيزانس منطبقاً على المذهب الكاثوليكي في جوهره يعترفون بنفس الاسرار والعقائد التي يعترف بها الكاثوليك جميعاً واقتصروا على انكار سلطة البابا العليا . وأما مسألة انبثاق الروح القدس التي وقع الاختلاف عليها بين كنيستهم والكنيسة الرومانية فلم تكن في واقع الامر الا نتيجة سوء تفاهم كان بالامكان ازالته لو اقر الروم بسلطة الحبر الاعظم وعصمته. وهكذا لم تنقطع الصلات تماماً بين الكنيستين في تلك الفترة رغم ما قام بينهما من المنازعات التي كانت منازع ملوك الروم ومطامعهم تذكي نارها اكثر الاحيان (١) بل اتصلا وتوادا

(١) كثيراً ما كان ملوك الروم يتداخلون في شؤون الكنيسة القسطنطينية حتى لم يكن يتم أمر فيها والا ويكون لهم فيه الرأي الاعلى والشأن الاكبر وكان ابناء هذه الكنيسة وابناء الفرع الذي اتبعها من كنيسة انطاكية يتقلبون تبعاً لمشيئة هؤلاء الملوك ولا سيما اذ كانوا في أبان سطوتهم . وقد خص المؤرخون بالذكر ممن لعبوا دوراً في تاريخ الروم من هؤلاء الملوك الملك الباليالوغوس الذي حرمه البابا مرتينوس الرابع لانتصاره لبدعة فوتيوس وأغرائه الروم باتباعها والانفصال عن كنيسة رومية سنة ١٢٨١ . وهو الذي انقذ القسطنطينية من الفرنساويين والبنادقة بعد أن سيطروا عليها اكثر من نصف قرن « سنة ١٢٠٤ — ١٢٦١ »

اكثر من مرة كاتصالهم في القرن الحادي عشر على عهد البابا لاون التاسع حيث عاد البطريرك بطرس الثالث الى الايمان الكاثوليكي وفي القرن الخامس عشر باعتناق البطريرك دوروتاوس الاول هذا المذهب في المجمع الفلورنتيني التيبلي الذي عقد سنة ١٤٣٩ « وقيل من سنة ١٤٤٢ الى سنة ١٤٤٥ » ورجوع عدد من رعاياه معه عن مذهب فوتيوس . غير انهم ما لبثوا ان تركوا هذا المذهب حتى استغواهم مرقس الافسسي فرجعوا اليه ولم يبق منهم على المذهب الكاثوليكي الا فئة قليلة كان اكثرها خاضعاً لاساقفة اللاتين كالروم الايطاليين وغيرهم لكن هذه الفئة لم تثبت على كاثوليكيتها بل كانت تتقلب تبعاً للظروف والاحوال

وقد جحد الروم مذهب فوتيوس واتحدوا مع الكرسي الرسولي ثم عادوا الى هذا المذهب اربعة عشر مرة منذ ظهور فوتيوس الى المجمع الفلورنتيني . وهكذا كان الروم تارة يتحدون مع الكنيسة الرومانية واخرى ينفصلون عنها الى اواسط القرن السادس عشر فعرضت امور زادت شقة الخلاف اتساعاً وبات الانفصال امراً مقضياً لا يرجى اصلاحه وازالته . وفي اواخر القرن السابع عشر انقسمت الكنيسة الرومية نهائياً الى قسمين يونانية ملكية مشاقة ويونانية ملكية كاثوليكية

والكنيسة الرومية تنقسم في جملتها الى اربع بطريركيات :

البطريركية القسطنطينية والاسكندرية والانطاكية والاورشليمية . وللبطريرك القسطنطيني الرئاسة العامة على البطريركيات الاربعة فيما يتعلق بالمسائل المدنية وقد استأثر بهذا الحق منذ القدم كما ذكرناوهو شديد التمسك به فلا يحيد عنه قيد شعرة «ص ٢١٤» وان يكن قيام الروم السوريين في السنوات الاخيرة للمطالبة بتوسيع سلطة اكليروسهم وجعل بطاركتهم منهم اضعف شيئاً من سلطة البطريرك القسطنطيني وفي ما خلا ذلك فكل بطريركية من هذه البطركيات مستقلة عن الاخرى استقلالا تاماً في سائر شؤونها الداخلية. واذا عرضت مسائل دينية ذات أهمية كبرى يعهد بالنظر فيها الى مجلس اعلى يقسم الى قسمين : مجلس السنود ويؤلف عادة من اثنى عشر متروبوليطاً . والمجلس الوطني ويؤلف من اثنى عشر عضواً من نواب الشعب . ولهذا المجلس المشكل على هذه الصورة الحق في انتخاب البطريرك بالاتحاد مع اعيان الطائفة ومن يقع اختيار المجلس عليه يرفع أمره الى الباب العالي ليستصدر له براءة التثبيت من لدن جلالة السلطان . ولمجلس السنود سلطة ان ينزل البطريرك والمطارنة عن كراسيهم ويقرهم عليها ويحدد لهم وظائفهم واختصاصاتهم اذ ما وقع خلاف في شأنها فيما بينهم أو بينهم وبين البطريرك . وللرهبان دون سواهم الحق في الارتقاء الى الدرجة الاسقفية . وأما الدرجات الاكليريكية العليا فمحفوظة للرهبان اليوناني اللغة والجنس . ولكن الروم السوريين ثاروا في السنوات الاخيرة واستعادوا كثيراً من حقوقهم القديمة

المغتصبة منذ القدم وباتوا في عهد حكومة تركيا الجديدة اكثر املا من ذي قبل بجعل الوظائف والدرجات الاكليريكية العليا في الكنيسة الرومية مشتركة بينهم وبين اليونان على السواء

والكنيسة الرومية تستظل بحماية روسيا فان لقيصر الروس عناية خاصة بها. وقد تجلت هذه العناية باجلى مظاهرها في فلسطين ولا سيما في السنين الاخيرة. فان هناك جمعية روسية كبرى مؤلفة من اكبر رجال السلطنة الروسية تحت رعاية القيصر شيدت في انحاء فلسطين من المعاهد الدينية والعلمية والخيرية على اختلاف انواعها مالا يقل عدده عن مئة معهد وانشأت هناك عدة مستعمرات روسية لا تقل عن المستعمرات الالمانية والاسرائيلية شأناً واهمية. وهي ترسل كل سنة الى فلسطين نحو خمسة عشر الف روسي على نفقتها لزيارة الاماكن المقدسة أو للاقامة فيها. وقد توسعت في مساعدة الكنيسة الرومية السورية هناك توسعاً جاوز الحد حتى رسخ في الاذهان ان روسيا انما تقصد بخص الروم السوريين بعنايتها والتفاتها دون اليونان ان تسيطر على هذه الفئة من الكنيسة الرومية وتدمجها على التمادي في الكنيسة الروسية (١)

---

(١) ان الروس اتحدوا مع الكنيسة اليونانية في القرن العاشر على أثر موآمنتهم بالمسيح حيث كان مذهب فوتيوس بلغ شأواً بعيداً من الاهمية والانتشار.

اما عدد الروم السوريين فيتراوح بين ٣٢٠ و٣٤٠ الف نفس منهم ٢٥٠ الف في فلسطين وسوريا ومن هؤلاء نحو خمسين الفاً في لبنان اكثرهم فى قضاء المتن ولا سيما فى مديرية الشوير وفى قضاء الكوره . والروم في سوريا تابعون للبطريركية الانطاكية او للاورشليمية ومقام البطريرك الانطاكي فى دمشق والبطريرك الاورشليمي فى القدس

الكلدان الكاثوليك

يفهم بالكلدان الكاثوليك جماعة السريان الذين ارتدوا عن النسطورية واتحدوا مع الكرسي الرسولي الروماني بعد ان انفصلوا عن النساطرة واعترفوا بالايمان الكاثوليكي . وقد كونوا كنيسة كاثوليكية مستقلة بطقوسها وادارتها ولها كنائس على حدة وبطريرك واساقفة يدبرون شؤونها الروحية منذ عهد بعيد وانما طقسها هو عين طقس النساطرة معدلاً على ما يوافق المعتقد الكاثوليكي وهو باللغة السريانية أو المشرقية

ورجوع هؤلاء عن البدعة النسطورية الى الايمان الكاثوليكي قديم العهد وقد تم في اوقات مختلفة وهو قسمان خاص وعام

الرجوع الخاص — اما الرجوع الخاص فيرتقي الى القرن السابع للمسيح . وأول من اتحد منهم مع الكنيسة الكاثوليكية انما هو سهدون الاسقف وابناء رعيته الجرمقيين فى بلاد العراق سنة

٦٣٠ على عهد البطريرك يشو عيهب الغدلي · وتلا ذلك رجوع كلدان قبرس سنة ١٣٤٠ على عهد البابا بندكتوس الثاني عشر ورجوع هؤلاء ايضاً مع مطرانهم تيموتاوس الطرسوسي على عهد البابا اوجينيوس الرابع وعقبه ارتداد نساطرة الملابار سنة ١٥٩٩ على أثر مجمع عقد هناك في ديامبري . وبعد اهتدائهم نقل اللاتين كرسي اسقفيتهم من انغامالي الى كنتانغانور « سنة ١٦٠٩ » وتولى اساقفة اللاتين شؤون هذه الفئة من الكلدان المهتدين من سنة ١٦٠١ الى سنة ١٦٥٣ . ثم عرضت أمور قضت بانقطاع سلسلة اساقفة الكلدان الكاثوليك من سنة ١٦٧٦ الى سنة ١٧٠٩ . الا انهم استمروا على استعمال اللغة والطقس الكلدانيين أو السريانيين في اتمام فروضهم الدينية . وتاريخ هذا الفريق من الكلدان يبتدىء سنة ٨٢٥ « سنة ٨٥٥ ميلادية »

ويشمل رجوع الكلدان الخاص ايضاً رجوع السابيين وهم من سكان بلاد العرب والعجم ويعرفون بنصارى يوحنا المعمدان لزعمهم انهم اقتبلوا الايمان علي يده وايدي تلامذته مع انهم فرقة من الكلدان النساطرة خرجوا عن طاعة بطريركهم النسطوري سنة ١٤٨٠ واعترف اكثرهم بالايمان الكاثوليكي . وكان للآباء الكرمليين شأن كبير في تاريخ ارتدادهم وثباتهم على المذهب الكاثوليكي وقتاً غير قصير . ومنذ سنة ١٦٣٠ زادوا انقياداً الى هؤلاء الآباء وكان منهم

جماعة في الهند الكنكية فاخذوا من سنة ١٦٣٣ بالرحيل عنها عملا بارشادهم هربا من الاضطهاد وتملصا من الضيق الذي احاق بهم في هاتيك البلاد

الرجوع العام — اما رجوع النساطرة العام الى الايمان الكاثوليكي فقد تم في اوقات مختلفة كالرجوع الخاص

وأول رجوع عام يرتقي الى سنة ١٢٤٧ ويعزى الى آرا نائب المشرق على النساطرة ثم تبعه البطريرك سبر يشوع وثلاث مطارنة في جملتهم مطران نصيبين وثلاث اساقفة من اعوانه واقتفي اثرهم المسيحيون الصينيون وقد تم ذلك على يد رهبان الاخوة الواعظين لعهد البابا اينوشنسيوس الرابع . ثم رجع عدد كبير منهم سنة ١٢٨٨ على يد رهبان الاخوة الاصغرين في ايام البطريرك يهب الله النسطوري « سنة ١٢٨١ — ١٣١٧ » وعلى عهد البابا نقولاوس الرابع . ثم اتحدوا مع الكرسي الرسولي في اواسط القرن السادس عشر علي عهد البابا يوليوس الثالث فاقام يوحنا صاعود رئيس دير هرميزدا بطريركا عليهم باسم يوحنا سنة ١٥٥٢ فلم يتمكن من الاقامة في الموصل لانها كانت كرسي بطريرك النساطرة فيضطهده فاضطر للاقامة في آمد « ديار بكر » ولكنه لم يأمن هناك شر خصمه فتصدى له البطريرك النسطوري وما زال على مناوئته ودس الدسائس له حتي اغضب المسلمين عليه فقتلوه سنة ١٥٥٥ وتوالى

خلفاؤه على كرسي آمد من عبد يشوع الى عطا الله « سنة ١٥٦٥ ـ ١٥٨٠ » الى سمعان دنحا وقد اقام في اورميا في جبال العجم وتعاقب خلفاؤه هناك بهذا الاسم الى ان كانت سنة ١٥٩١ فقام في الموصل بطريرك باسم ايليا وعقد سنة ١٦١٦ مجمعاً في ديار بكر جحد فيه ضلال ديودورس وتودورس « ص ١٩٦ » وتلميذهما نسطور (١) وحذا حذوه البطريرك سمعان النسطوري في اورميا فانكر سنة ١٦١٩ بدعة نسطور وخضع للكرسي الرسولي . وبعد وفاة البطريرك ايليا خلفه البطريرك سمعان ايليا سنة ١٦٢٨ واتحد مع الكنيسة الرومانية واعتمده الكرسي الرسولي نهائيا سنة ١٦٥٧

وعلى هذا النحو كان يقام بطاركة على الكلدان الكاثوليك تارة باسم ايليا وأخرى باسم سمعان الى ان جلس على السدة البطريركية ايليا المعروف بيوحنا « سنة ١٦٦٠ ـ ١٧٠٠ » فاتخذ اسم يوسف وجعل كرسيه في ديار بكر وتعاقب خلفاؤه هناك بهذا الاسم من يوسف الثاني « سنة ١٦٩٥ ـ ١٧١٣ » الى يوسف الثالث « سنة ١٧١٣ » الذي سمي البطريرك البابلي الى يوسف الرابع الى تيموثاوس مطران آمد الذي اثبته البابا اكليمنضوس الثالث عشر سنة ١٧٥٩ . وفي سنة ١٧٧٠ جحد البطريرك سمعان

---

(١) لم تزل ترجمة اعمال هذا المجمع محفوظة في روميه وهي بقلم اسحق الشدراوي مطران طرابلس على الطائفة المارونية المتوفي في جبيل سنة ١٦٦٣

النسطوري واساقفته بدعة نسطور وهو اذ ذاك في كردستان وما لبث ان اعلن انفصاله من الكنيسة النسطورية حتى اثبته الكرسي الرسولي بطريركا على الكلدان الكاثوليك

ولما كان يتعذر على هؤلاء البطاركة مباشرة أعمال وظيفتهم في البلاد الخاضعة لبطريركيتهم لاضطهاد بطاركة النساطرة لهم وهم اذ ذاك في ابان صولتهم كانوا يقيمون حيثما يأمنون شر خصومهم والكرسي الرسولي يعهد الى الاسقف اللاتيني الذي يسميه على بابل بتدبير شؤون رعاياهم . وعلى هذا النحو استمر التسلسل في بطاركة الكلدان الكاثوليك كما استمر في بطاركة النساطرة الى ايام البابا بيوس السادس

وممن جحدوا بدعة نسطور البطريرك يوحنا هرمز الكلداني وكان عمه البطريرك ايليا النسطوري اقامه خليفة له في البطريركية بحق الارث طبقاً للقاعدة التي كان معمولا بها عندهم منذ القرن السادس عشر غير ان رعيته انكرت عليه هذا الحق وبقي معروفاً بمطران الموصل الى ان اثبته بيوس الثامن بطريركا على بابل سنة ١٨٣٠ بعد ان ألغيت بطريركية ديار بكر على عهد البابا لاون الثاني عشر . وكان الكلدان يعتبرون بطريركية ديار بكر وبطريركية الموصل بطريركيتين مستقلتين احداهما عن الاخرى فازال البابا هذا الالتباس سنة ١٨٢٨ بعدم اعترافه الا ببطريرك

واحد كلداني كاثوليكي لبابل وللموصل . وقد أيد ذلك نهائياً البابا غريغوريوس السادس عشر بالبراءة التي انفذها الى نقولا اشعيا يعقوب لتثبيته بطريركاً على الكلدان . ولما استقال هذا البطريرك خلفه يوسف اودو سنة ١٨٤٨ وفي ايامه اتبع الكلدان الحساب الغريغورياني « سنة ١٨٥٦ » (١) ومنذ اواخر القرن التاسع عشر أخذ بطاركتهم واساقفتهم يستعملون التاج والصليب الصدري والخاتم وكانوا قبل ذلك لا يستعملون شيئاً من ذلك على مثال النساطرة

وعدد الكلدان الكاثوليك نحو ٢٥ الف نفس منهم زهاء سبعة آلاف في سوريا اكثرهم في ولاية حلب

السريان الكاثوليك

طائفة خرجت عن اليعاقبة المنتسبين الى يعقوب البرادعي « ص١٩٨ و٢٠٣ » واتحدت في كل أمر مع الكرسي الرسولي

(١) كان للكلدان والسريان قبل ان يستعملوا الحساب الغريغورياني طريقتان تعيين الايام احداهما بموجب الاشهر الشمسية بتاريخ الشهداء الذي ابتدأ في ولاية ديوقلتيانس والثانية بموجب الاشهر القمرية ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندر وتاريخ السلوقيين او تاريخ السريان المقدونيين وهو يبتدئ قبل التاريخ المسيحي بثلثمئة وأحدى عشر سنة على الاصح لا بثلثمئة وتسع سنوات كما يزعم بعضهم . وقد اختلف على الشهر الذي تبتدئ سنته به فمنهم من قالوا ايلول « ستمبر » ومنهم من جعله تشرين الاول « اكتوبر » وبعضهم كان يبتدئ بهذه السنة من نيسان « ابريل » . وقد استعمله الفينيقيون واليهود والفلسطينيون وغيرهم « ص١٧٦ ح » . ومن السريان والكلدان من استعملوا تاريخ الانطاكيين ويبتدئ قبل التاريخ المسيحي بسبعة واربعين سنة

الروماني وخضعت تمام الخضوع لصاحبه بعد ان رفضت بدعة اليعاقبة واعترفت بالمعتقد الكاثوليكي تماما . فكونت كنيسة مستقلة لها بطريرك خاص يعرف ببطريرك السريان الانطاكي وأساقفة وكنائس وانما طقسها هو عين طقس اليعاقبة معدلا على ما يوافق المعتقد الكاثوليكي

اما رجوع هذه الفئة من السريان الى الوحدة الكاثوليكية فكان في بدء الامر متقاطعاً بحيث لم يتيسر لها الاستمساك بمعتقد الكنيسة الرومانية وتكوين طائفة مستقلة ذات رعاة وقوانين وكنائس قائمة بذاتها منذ اول عهدها بالتقرب من الكرسي الرسولي بل تخلل هذا التقرب جفاء يختلف شدة باختلاف الفترات التي انقضت عليه والادوار التي تقلبت فيها هذه الفئة الى ان ثبتت على العقيدة الكاثوليكية وانشأت كنيستها بالشكل الذي نراها عليه الان

وأول رجوع السريان عن بدعة البرادعي وانضمامهم الى الوحدة الكاثوليكية كان سنة ١٢٤٧ على يد البطريرك اغناطيوس الثاني ونائبه . ثم رجعوا مرة أخرى في المجمعين الفلورنتيني واللاتراني اللذين عقدا سنة ١٤٤٤ وبعث بطريركهم بصورة ايمانه اليهما على يد رئيس اساقفة الرها . وفي اواسط القرن السابع عشر اتحدوا مرة ثالثة مع الكنيسة الكاثوليكية بجهود اندراوس اخيجان السرياني الحلبي مذهب اليعاقبة على يد يوسف بطرس العاقوري بطريرك

الموارنه . وقد تلقى اندراوس العلوم اللاهوتية والفلسفية في مدرسة الموارنة في رومية (١) ورسمه البطريرك يوحنا بطرس الصفراوي الماروني قساً فطراناً على السريان في حلب سنة ١٦٥٦ ثم ارسله الى حلب مصحوبا بالقس اسطفانس الدويهي الماروني (٢) ليكون مساعداً له بالوعظ والارشاد فرد كثيرين من السريان اليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي . ولما توفى اغناطيوس سمعان بطريرك اليعاقبة سنة ١٦٥٩ في دمشق أقيم المطران اندراوس الآنف الذكر بطريركا على السريان الكاثوليك «سنة ١٦٦٢ - ١٦٧٨» واثبته البابا اسكندر السابع وبه بدأ السريان بسلسلة بطاركتهم. وقد توفى في حلب بعد ان سام اخاه روحيجان مطراناً على هذه المدينة وملحقاتها وسماه ديوانسيوس . ومن ذلك الحين اخذ بطاركة السريان الكاثوليك يستعملون التاج والصليب الصدري وخاتم الاسقفية . وخلفه على كرسي البطريركية السريانية اغناطيوس بطرس غريغوريوس فوسع نطاق هذه البطريركية ورسم مطرانين احدهما على حلب والآخر على اورشليم واقام مفريانا «نائبا بطريركياً» على المشرق . وقد اثبته الحبر

(١) ان مدرسة الموارنة في رومية انشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٤ مكافأة لهم على شدة استمساكهم بعروة الدين الكاثوليكي منذ نشأتهم

(٢) هو البطريرك اسطفان الدويهي من أشهر علماء الموارنة . رقي الى البطريركية سنة ١٦٧٠ وتوفي في دير قنوبين في جبة بشري سنة ١٧٠٤ ودفن هناك في مغارة القديسة مارينة في مقبرة بطاركة الموارنة

الروماني في البطريركية سنة ١٦٧٩ ولم يدم له الدهر الى زمن طويل فسجن في آطنه بدسيسة البطريرك جرجس اليعقوبي ومات في سجنه سنة ١٧٠١ . وبوفاته انقطعت سلسلة بطاركة السريان الكاثوليك الى سنة ١٧٨٣ فاقيم المطران ديونسيوس ميخايل جروه الحلبي بطريركا عليهم بعد ان جحد مذهب الطبيعة الواحدة وهدى الى الايمان الكاثوليكي اربع اساقفة يعقوبيين وهم ابرهيم ونعمه وموسى وجورجيوس بشاره فنادى به هؤلاء الاساقفة فى دير ماردين بطريركا على السريان الكاثوليك. ولم يشأ البابا بيوس السادس ان تظل هذه الطائفة محرومة من رئيس يدير شؤونها فاثبته سنة ١٧٨٣ بطريركا عليها . وعلى اثر ذلك انتقل البطريرك جروه الى لبنان واقام فى دير سيدة النجاة المعروف بدير الشرفة فى مقاطعة كسروان الى ان توفى هناك سنة ١٨٠٠ فرشح للبطريركية السيد كيرلس بهنام مطران الموصل فاباها ودعي لها الخوري ميخايل ضاهر الحلبي فسيم مطراناً ثم بطريركا سنة ١٨٠٢ واثبته البابا بيوس السابع لكنه لم يثبت في البطريركية طويلا فتنازل عنها سنة ١٨١٠ وخلفه غريغوريوس سمعان الموصلي مطران اورشليم سنه ١٨١٤ ولم يثبت فيها ايضاً فتنازل عنها كسلفه سنة ١٨١٨ وخلفه غريغوريوس بطرس جروه الحلبي مطران اورشليم « سنة ١٨٢٠ ـ ١٨٥٨ » فاثبته البابا لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٨ . وفي ايامه اتبع السريان الكاثوليك الحساب الغريغورياني سنة ١٨٣٦ « ص ٢٥٧ » وخلفه انطونيوس السمحيري اسقف ماردين سنة

١٨٥٣ فنقل كرسي البطريركية من دير الشرفة الى ماردين حيث شيد كنيسة والى جانبها داراً للبطريركية وهكذا تسلسل بطاركة السريان الكاثوليك الى ايامنا هذه .

ولم تنم هذه الطائفة نمواً كافياً لكثرة ما عانته من اضطهاد اليعاقبة لها وقد قاست منهم الاهوال وظلت مغلوبة على امرها الى سنة ١٨٣٩ فانعم الباب العالي عليها بفرمان يحررها به من سيطرة بطريرك اليعاقبة ويؤمنها على كيانها وراحتها منه وخصها بامتيازات وحقوق رفعت منزلتها وعززت مركزها بين الطوائف المسيحية

اما عدد السريان الكاثوليك فيقدر بزهاء خمسين الف نفس منهم ١٥ الفاً في سوريا ولبنان

الموارنة

هم طائفة من السريان كاثوليكية المذهب سورية الاصل من اقدم الطوائف المسيحية الارثوذكسية واشدها تشبثاً بايمان الكنيسة الرومانية واكثرها ثباتاً عليه واحتفاظاً به (١) اشتهر امرها في جبل

(١) ان ثبات السريان الموارنة منذ البدء على الايمان الكاثوليكي مؤيد خصوصاً بما جاء من الشواهد التاريخية الصريحة في الخطابات والبرآت الصادرة من الاحبار الرومانيين الى بطاركتهم واكليروسهم واعيانهم في أزمنة وظروف مختلفة استناداً الى ما في مكتبة الفاتيكان الشهيرة من المستندات التاريخية المعتبرة التي هي في نظر أهل العلم من انفس الاثار المحفوظة في مكاتب العالم ومتاحفه

وأول ما اثبته التاريخ من ذلك الخطاب الصادر من البابا اسكندر الرابع الى البطريرك سمعان الثاني على أثر التجاء الصليبيين اليه وبه سماه

لبنان منذ اواخر القرن السابع أو اوائل الثامن للمسيح فاستقلت بذاتها استقلالا نوعياً في طقوسها وادارتها عن سائر الطوائف المسيحية في سوريا عندما كان كرسي نطاكية خالياً من بطريرك بسبب الفتح العربي فسمت لها بطريركا واساقفة وكونت كنيستها المارونية

البطريرك الانطاكي . وخطاب البابا لاون العاشر الى البطريرك سمعان الحدثي سنة ١٥١٥ . وخطاب البابا غريغوريوس الثالث عشر المنفذ من لدنه كبراءة صادرة في شأن مدرسة الموارنة في رومية التي انشأها سنة ١٥٨٤ مكافأة لهم على تشبثهم بالايمان الكاثوليكي منذ نشأتهم . وبراءة البابا اكليمنضس الثامن الى البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٩٥ . وشهادة الكردينال نارلي عند تكلمه على هذه المدرسة في فاتحة كتابه المطبوع سنة ١٦٨٥ . وخطاب البابا اكليمنضس الحادي عشر الى البطريرك اسطفان الدويهي سنة ١٧٠٢ . ورسالته الى البطريرك جبرائيل البلوزاني سنة ١٧٠٥ وفي رسالة أخري انفذها الى الشعب الماروني سنة ١٧١٣ . وفي براءته الى البطريرك يعقوب عواد الحصروني سنة ١٧٢١ . وخطاب البابا اينوشنسيوس الثالث عشر الذي انفذه كبراءة الى البطريرك عواد المذكور آنفاً سنة ١٧٢٣ . وبراءة البابا اكليمنضس الثاني عشر الي البطريرك يوسف الخازن سنة ١٧٣٥ . ورسالته الي الشعب الماروني في تلك السنة نفسها . وأخص من اشتهر من الاحبار الرومانيين بمدح الموارنة واطراء ايمانهم القديم الراسخ البابا بندكتوس الرابع عشر أولا في براءته الصادرة في شأن تثبيت المجمع اللبناني الذي عقد سنة ١٧٣٦ . وفي رسالته اليهم في شأن هذا المجمع سنة ١٧٤١ . وفي رسالة أخرى وجهها اليهم سنة ١٧٤٢ اثباتاً لتقسيم الابرشيات المارونية وتحديدها . وفي خطاب القاه في مجمع الكرادلة سنة ١٧٤٤ . وفي رسالة أخرى الى الموارنة سنة ١٧٥٣ وفي خطابه الى البطريرك طوبيا الخازن سنة ١٧٥٧ . ومنهم البابا اكليمنضس الثالث عشر في رسالته الى الشعب الماروني سنة ١٧٦٧ . والبابا اكليمنضس الرابع عشر في خطابه الى البطريرك يوسف اسطفان سنة ١٧٧٠ والبابا بيوس السادس في رسالته الى الشعب الماروني سنة ١٧٧٩ . والبابا

على نحو ما تقدم . وفي اول عهد الصليبيين اتصلت هذه الطائفة بالافرنج الذين جاءوا الى سوريا وتملكوها وعرفتها كنيسة رومية على هذه الصفة واثبتت لها بطاركتها واساقفتها واعتمدت عاداتها وتقاليدها الكنائسية بعد ما عدلت على ما يقرب من عادات وتقاليد الكنيسة

بيوس السابع في براءته الى البطريرك يوحنا الحلو ٠ وفي رسالته الى مطارنة وأساقفة الموارنة سنة ١٨١٦ ٠ وفي براءته الى هذا البطريرك والى الاكليروس الماروني سنة ١٨١٩ ٠ والكردينال بولبوس ماريا ديلاصو ماليا رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس في رسائله الى البطريرك يوسف جيش سنة ١٨٢٤ ٠ الصادرة بأمر البابا لاون الثاني عشر ٠ والبابا بيوس الثامن في رسالته الى هذا البطريرك سنة ١٨٣٠ ٠ والبابا غريغوريوس السادس عشر في براءته اليه سنة ١٨٣٢

وهناك شهادات وأدلة أخرى مثبتة في كثير من الخطابات الصادرة من الكرسي الرسولي ومن عدة باباوات كالبابا بولس الخامس واوربانوس الثامن وغيرها أو من رؤساء مجامع الكرادلة ومجامع انتشار الايمان الى بطاركة الموارنة واكليروسهم منها ما يتصل عهده بالازمنة المتقدمة ومنها بالازمنة المتأخرة على عهد البابا بيوس التاسع ولاون الثالث عشر وبيوس العاشر وهم الباباوات الثلاثة الذين تعاقبوا على كرسي رومية في ايام البطريرك بولس مسعد « سنة ١٨٥٤ — ١٨٨٩ » والبطريرك يوحنا الحاج « سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٨ » والبطريرك الياس الحويك « سنة ١٨٩٩ ولم يزل بطريركا على الموارنة الى اليوم »

وفي البراآت التي انفذوها اليهم وفي كثير من الرسائل الموجهة منهم الى هؤلاء البطاركة أو الى الشعب الماروني من الادلة التاريخية على استمساك الموارنة بعروة الايمان الكاثوليكي منذ نشأتهم الى اليوم ما لا يقل شأناً وأهمية عما جاء في خطابات هؤلاء الباباوات ٠ عدا ما هنالك من الشهادات الواردة في تآليف علماء الموارنة وغيرهم من أقطاب الكنيسة الكاثوليكية

اللاتينية كما يستدل من الآثار التاريخية المعتبرة التي تؤيد ذلك .
« طالع كتاب البراهين الجلية للمطران يوسف دريان »

والموارنة في الاصل من سكان لبنان الاصليين امتزج بهم كثير من بقايا شعوب مختلفة الاجناس منهم الفينيقي والآرامي والعربي والعجمي واليوناني والافرنجي بدليل ما في سحناتهم من الاشكال التي وسمت بها كل هذه الشعوب. ومن المقرر تاريخياً ان كثيرين من بقايا الصليبيين ممن لم يتمكنوا من اللحاق باخوانهم في جلائهم عن سوريا والعودة الى بلادهم على اثر تغلب العرب المسلمين على الديار الشامية لجأوا الى جبل لبنان واعتصموا به واختلطوا بأهله اختلاطاً حقيقياً لوحدة الدين والمذهب ونسوا على تراخي الايام اصولهم بحيث لم يعودوا يذكرون الا انهم موارنة من جبل لبنان (١)

أما اسمهم هذا فهو نسبة الى القديس مارون الذى اعتزل العالم وانزوى في أحد الكهوف من جبل قورش فى اواخر القرن الرابع

---

(١) ان أول سكنى الصليبيين في جبل لبنان يرجع الى سنة ١١٨٠ عند ما اتفق اندرونيكس مع ملوك الروم عليهم فحاربوهم واستظهروا عليهم في شمالي سوريا وبعد ان أمعنوا فيهم قتلا وضربا وتحقيراً أحرقوا كنائسهم واديرتهم واستباحوا اعراضهم وأموالهم فولوا مدبرين من الديار السورية عن طريق سواحل الروم واخلوا بلاد فينيقية والرها وانطاكية وتخلف منهم قوم ضلوا الطريق ولم يستطيعوا اللحاق باخوانهم والعودة الى بلادهم فآثروا البقاء في سوريا ولم يجدوا فيها ملجأ أميناً يأمنون فيه شر العدو كجبل لبنان فشدوا الرحال اليه واستوطنوه ثم أمه آخرون منهم فى القرن الثالث عشر وانضموا الى أخوانهم هناك فكانوا أبر من أبنائه به واشد منهم غيرة عليه

وتوفى هنـاك في اوائل القرن الخامس على ما روى توادوريطس . وتنازع جثمانه بلدتان من الجوار تغلبت احداهما على الاخرى واستولت عليه وحفظته عندها ولم يذكر توادوريطس اسم هذه البلدة الا أنه بعد مدة وجيزة من موته ظهر بين أديرة سوريا دير كبير بالقرب من مدينة حماة على ضفاف نهر العاصي باسم مارون الناسك. وكان يعرف بدير البلور لجمال بنائه . وقد بلغ عدد رهبانه زهاء ثمانمائة راهب اشتهروا منذ اول ظهورهم بالانتصار للمجمع الخلقيدوني الذى عقد سنة ٤٥١ بأمر الملك مرقيان « ص ٢٠٠ » وحرم تعليم اوطاخي ومن اتبع بدعته . وبلغوا في التمسك بتعاليم هذا المجمع واستبسالهم في الدفاع عنه حداً قصياً . وقام النزاع بينهم وبين الاوطاخيين وبلغ اشده على عهد انسطاس ملك الروم. وكان هذا الملك من انصار المنوفيزية فعضد اتباعها ومكن ساويرس بطريرك اليعاقبة من اغتصاب بطريركية انطاكية من افلبيانوس سنة ٥١٢ وحمل على الكاثوليك وفي جملتهم الموارنة حملة شعواء فاضطهدهم وخص بنقمته رهبان القديس مارون فقتل منهم زهاء ثلاثمائة راهب باغراء ساويرس وهدم ديرهم فتشتتوا في انحاء سوريا ولو افسح الله في اجله لابادهم عن آخرهم « ص ٢٠٢ » وبعد ان استعادوا مقامهم على عهد يستين خليفة انسطاس وعلى عهد ابن أخته يستنيانس الكبير الذي جدد الاديرة التي كان دمرها انسطاس في افاميا « ص٢٠٣ » وفي جملتها ديرهم

وعزز مركزهم على ما ذكر بروكوب لموا حينذاك شعثهم وأخذوا يبثون تعاليمهم الموافقة لروح المجمع الخلقيدوني حتى كثر اتباعهم وملأوا تلك الجهات .

وكان اليعاقبة يسمون أولئك الرهبان ومن كان على رأيهم تارة خلقيدونيين وأخرى لاونيين « نسبة الى البابا لاون الكبير الذي بامره عقد المجمع الخلقيدوني » وطوراً اتباع دير مارون وأشياع رهبان مارون الخ كما يؤخذ من الآثار الباقية من كتب اليعاقبة أنفسهم . وقد تغلب هذا الاسم مع التمادى على هذه الفئة من اتباع البطريركية الانطاكية حتي اختصر اخيراً بقولهم المارونيين أو الموارنة وكثر عديدهم في كل ناحية حتى العراق .

وفي اول القرن السابع ظهر يوحنا مارون (١) في بلاد البترون من اعمال جبل لبنان وهو راهب من رهبان مار مارون فوجه عنايته الخاصة الى موارنة لبنان وامتاز بغيرته الشديدة على مصالحهم حتى ذاع خبره في تلك البقاع واشتهر امره فسامه يوحنا الدمشقي اسقف

(١) كان مقام يوحنا مارون في الدير المعروف باسمه في قرية كفرحي من بلاد البترون في جبل لبنان وهو مدفون في كنيسة ذلك الدير وهو الذي شيده على اسم القديس مارون بعد ان دكت عساكر يستنيانس الاخرم الدير المنسوب اليه على العاصي سنة ٦٩٤ م ونقل يوحنا المذكور رأس ماري مارون الى هذا الدير وسمي بالسريانية ريش موران أي رأس سيدنا ثم دعي باسم يوحنا مارون لموته ودفنه فيه . وسنذكر شيئاً عن تاريخ هذا الدير عند التكلم عليه في الجزء الثاني من هذا الكتاب

فيلادلفيا والنائب الرسولي يومئذ في ديار الشام مطراناً على الموارنة وفوض اليه ان يقيم أساقفة على البلاد التي استولى عليها المردة (١)

ولما استحوذ العرب المسلمون على سوريا وغلبوا ملوك الروم على أمرهم وتقلص ظل هيبتهم عنها وحظر الخلفاء على البطريرك الانطاكي الاقامة في انطاكية عاصمة البلاد يومئذ وجه مقدونيوس بطريرك القسطنطينية لذلك العهد جل عنايته الى الفئة التي كان لها صلة بكنيسته من اتباع البطريركية الانطاكية ورأى الفرصة سانحة للاستزادة من السيطرة عليها فحمل ملوك الروم على الاهتمام بامرها واخذ يسمي بطاركة لها بسلطانه غير ناظر الى رضاها وموافقتها له على تعيين واحد دون آخر فكان هؤلاء البطاركة يقيمون تحت سيطرته في نفس قسطنطينية « ص ٢١٧ » وقد استمرت هذه الحال ردحاً من الزمن الى ان سمح العرب للبطريرك الانطاكي بالاقامة في سوريا على تمام حريته الدينية . الا انهم اشترطوا عليه ألا يتخذ انطاكية مقراً له وأجازوا له الاقامة في دمشق الشام . ولهذا ترى بطاركة الروم السوريين الانطاكيين يقيمون في دمشق الى ايامنا هذه « ص ٢١٥

---

(١) كان المردة في ذلك الحين قد استولوا على جميع البلاد الواقعة بين الجبل الاسود على حدود انطاكية والقدس ساحلا وجبلا « سنة ٦٧٥ — ٦٧٦ » على ما روى توافان وشدران المؤرخان الروميان . وقد ألقوا الرعب في قلوب العرب والفرس لما كانوا عليه من البسالة والبطش ولولا استبسالهم في الدفاع عن مملكة الروم لبلغ العرب الى قسطنطينية وفتحوها وسنأتي على تفصيل ذلك عند التكلم عليهم في تاريخ سوريا ولبنان

و٢١٦ ح »

اما موارنة جبل لبنان وهم فئة من ابناء الكنيسة الانطاكية على نحو ما قدمنا فظلوا احراراً في كل وجه ولم يتمكن العرب من اخضاعهم تماماً والاستيلاء على بلادهم لوعورة مسالكها الا ان تضييق هؤلاء الغزاة على البطريرك الانطاكي الى هذا الحد حتى اضطروه للاقامة في عاصمة الروم واتخاذ البطريرك القسطنطيني بطريركية انطاكية تحت حمايته وسيطرته واستنكار الموارنة لهذه الحماية التي لم يكن الغرض منها الا ادماج بطريركيتهم في البطريركية القسطنطينية كل ذلك حملهم على الاستقلال بذاتهم فاكتفوا بمطرانهم يوحنا مارون وانتخبوه بطريركا عليهم وما لبثوا ان استتب لهم الامر حتى كوّنوا هم وبطريركهم هذا واكليروسهم كنيسة علي حدة بطقس وقوانين ومراتب كسائر الكنائس المستقلة على مذهب رهبان دير مار مارون (١) واتخذ بطريركهم لقب البطريرك الانطاكي لانهم فئة أصلية من فئات البطريركية

---

(١) للموارنة رتب وقوانين خاصة بهم مدونة في أعمال المجمع اللبناني الذي عقد سنة ١٧٣٦ فى ايام البطريرك يوسف ضرغام الخازن لتنظيم شؤون الطائفة المارونية وتعديل قوانينها الكنائسية وقد اثبته البابا بندكتوس الرابع عشر نهائياً سنة ١٧٤١ « ص ٢٦١ ح »

وطقس الموارنة سرياني باللغة السريانية ماعدا بعض مقاطيع من رتب كنائسية ترجمت الى العربية حديثاً لتتناولها افهام العامة . وهم

الانطاكية وهم يلحقون باسمه الاصلي اسم بطرس تيمنا باسم القديس بطرس زعيم الرسل ومؤسس كرسي انطاكية . واتخاذهم هذا اللقب يرتقي الى العصر الذي فيه كونوا طائفتهم والفوا جامعتهم

يعولون على الليتورجية السريانية البسيطة دون غيرها وهي أقدم الليتورجيات واصحها ترتقي الى عهد الرسل . واقطاب الكنيسة السريانية لا يعتمدون الا عليها لانها مستخرجة رأساً من الاصل العبراني « انظر ص ١٨٤ و١٨٥ ح » واما الكتب الدينية عند الموارنة فهي مكتوبة باللغة السريانية وما هو موضوع منها بالعربية مكتوب بالقلم الكرشوني « انظر اللغات » . وقد كانوا قبل سنة ١٤٧٠ يستعملون في كتاباتهم السريانية القلم السطرنجيلي المربع وهو نوعان كبير وصغير ويعرف الصغير بالنسطوري ايضاً لانه مستعمل عند النساطرة منذ تسعمائة سنة الى اليوم . ولم يكن هذا القلم قاصراً على الموارنة بل كان شائعاً عند السريان جميعاً كالملكية واليعاقبة والكلدان والموارنة . ثم تركه الموارنة واليعاقبة واستعملوا نوعاً آخر من القلم السرياني يعرف بالبسيط . وكان ترك الموارنة له في القرن الخامس عشر على عهد البطريرك بطرس الحدثي على نحو ما قدمنا ولا يزال شائعاً عندهم في الكتابات الدينية الى ايامنا هذه

والموارنة يستعملون الحساب الغريغورياني « نسبة الى البابا غريغوريوس الثالث عشر الذي صحح التاريخ المسيحي بامره » منذ

الدينية يوم عظمت شوكة العرب في سورية وخلا كرسي البطريركية في عاصمتها على نحو ما قدمنا وانقطعت المواصلات من بين الفئات

سنة ١٦٠٦ م على عهد بطريركهم يوسف الرزي وقد كانوا قبل ذلك يستعملون تاريخ الاسكندر أو تاريخ المقدونيين «انظرص ٢٥٧ ح» واول ما استعملوا هذا الحساب فى لبنان وانحاء سوريا ثم في قبرس . على ان اتباعهم له لم يخل من صعوبة ولاسيما في حلب حيث هب رؤساء الطوائف المسيحية لمعارضة يوحنا الحصروني مطران حلب الماروني في استعماله أشد معارضة واستنجدوا عليه والي حلب لكنه تغلب عليهم في حكاية طويلة لا محل لذكرها هنا . ولم تكن معارضة المسيحيين لموارنة حلب في ذلك لتذكر بجانب ما لاقاه موارنة دمشق من احتجاج الروم الملكيين المنشقين عليهم ومعارضتهم لهم . وقد اشتد الخصام بين الفريقين اشتداداً أدى الى مداخلة والي دمشق لحسم الخلاف فأمر باجتماع بطريركي الطائفتين فاجتمعا وتحاجا امامه وكان الحق في جانب بطريرك الموارنة ولما لم يذعن خصمه سجنه الوالي في القلعة

وهم يستعملون الفطير في الذبيحة الالهية منذ عهد عريق في القدم لا يعرف له بدء كما يشهد كثيرون من العلماء اما استعمالهم للتاج والصليب الصدري والخاتم الاسقفي فيرتقي الى اوائل القرن الثامن

التابعة لها « ص ٢٦١ ح و٢٦٢ و٢٦٧ م » (١)

ولما جاء الصيبيون الى سوريا في اوائل القرن الثاني عشر استقبلهم الموارنة كاخوان لهم في الدين والايمان وحاربوا بين صفوفهم وكان لهم شأن يذكر في كثير من الانتصارات التي احرزها اولئك

(١) ان تسمية بطريرك الموارنة بالبطريرك الأنطاكي عريقة في القدم أي منذ انفصل الموارنة عن سائر الطوائف المسيحية وكونوا طائفة قائمة بذاتها في اواخر القرن السابع أو اوائل الثامن على نحو ما ذكرنا في المتن كما يستدل من البرآات المنفذة من الاحبار الرومانيين الى بطاركتهم والمحفوظ اكثرها في مكتبة البطريركية المارونية الى ايامنا هذه . وقد تمكنت هذه التسمية خاصة من بطاركتهم بعد ان طرد العرب المسلمون الصليبيين من انطاكيه وما يليها من الديار الشامية أي منذ سنة ١٢٤٥ الى سنة ١٢٦٦ حيث استولى العرب على انطاكيه فانهزم الافرنج الى جبل لبنان والتجأوا الى سمعان الثاني بطريرك الموارنة فاحتفى بهم واكرم مثواهم وبعث الى البابا اسكندر الرابع يوقفه على ما حل بهم فاثنى زعيم الكثلكة عليه وشكر له اهتمامه بامرهم واوصاه بهم خيرا ولقبه في الرسالة التي انفذها اليه يومئذ بالبطريرك الانطاكي كما صرح بذلك البابا بندكتوس الرابع عشر والبابا لاون العاشر في غير رسالة انفذاها الى البطريرك الماروني «ص ٢٦١ح» ومن ذلك الحين أخذ بطاركة الموارنة يسيمون كهنة واساقفة من سائر الطوائف الكاثوليكية شرقية كانت أو غربية أخصها طائفه

اللاتين التي وضعها البابا اسكندر الآنف الذكر تحت حمايتهم وذلك بحكم السلطة الممنوحة لهم من الاحبار الرومانيين. ولم يزل بطاركة الموارنة يلقبون بهذا اللقب الى ايامنا هذه

(١) ان الموارنة انجدوا الافرنج في كثير من حروبهم في سوريا وابلوا بلاء حسناً في غير وقعة جرت لهم مع العرب وانصارهم وعلى الخصوص سنة ١١١٠ عندما حاصر بلدوين ملك القدس بيروت وصيداء فلم يستطع فتحهما من دونهم وفي الحرب التي وقعت بينه وبين الامير معن زعيم الايوبية قبل ارتحاله من بلاده الى ديار الشام سنة ١١١٧. وقد انجدوهم ايضاً عندما زحفوا بقيادة ملكي فرنسا والنمسا الى قسطنطينية وقونية ونيقية وازمير وافسس واللاذقية سنة ١١٤٦. وفي محاصرتهم لطرابلس سنة ١٢٨٧ حتى استفز ذلك حسام الدين لاجين الملقب بقرا سنقر للانتقام منهم على موالاتهم للافرنج واجتاح كسروان ولكنه لم يقو عليهم ففتكوا بنحو ثلاثين الف مقاتل من جيشه بالقرب من جبل الشقعة في بلاد جبيل. ثم اعاد الكرة عليهم بعد حين بعساكر دمشق وطرابلس على ما سيجيء في القسم التاريخي. وقد انجد الموارنة هؤلاء الافرنج في وقعات اخرى كثيرة سيأتي ذكرها. وفي تاريخ الصليبيين ان فريقاً من الموارنة صحبوا فرسان ماريوحنا في غزوتهم لجزيرة رودس سنة ١٥٣٠

وقد اتصل الموارنة بواسطة الصليبيين بكنيسة رومية تمام الاتصال وأخذ بطاركتهم منذ ذلك الحين يقبلون درع البطريركية والتثبيت من أحبارها . ولهذا ظن بعضهم انهم في ذلك الحين رجعوا الى الكثلكة باتحادهم مع الكنيسة الرومانية مع ان الحقيقة انهم كانوا مستقلين تمام الاستقلال عن كنيسة قسطنطينية منذ انقطعت علاقاتهم مع البطريرك الانطاكي وكانت المواصلة مع كنيسة رومية متعذرة عليهم لاسباب شتى يدركها كل من له المام بتاريخ هاتيك الاعصر حتى جاء الصليبيون الذين يشهد تاريخهم بانهم منذ دخلوا سوريا وعرفوا الموارنة سكان لبنان الاصليين وجدوهم على مذهبهم الديني واستأنسوا بهم ولم يروا من مانع يقضي عليهم باجتنابهم فامتزجوا بهم تمام الامتزاج واخذوا يقدسون في كنائسهم ويتممون الاسرار البيعية عندهم ويمارسون جميع الفروض الدينية معهم . ولكثرة ما كان بين الفريقين من الاختلاط أخذ الموارنة شيئاً من رتبهم الدينية (١)

ثم انتقلوا معهم الى مالطه وبلغوا هناك شأوا بعيداً من السطوة حتى روي انه كان لهم قنصل في تلك الجزيرة . وقد احسن الافرنج مكافأتهم فمنحوهم امتيازات جلّى وخصوهم بعناية كبرى كما سيأتي

(١) ان استعمال الموارنة لبعض رتب اللاتين يرتقي الى سنة ١٢١٤ التي فيها عقد المجمع اللاتراني على عهد البابا اينوشنسيوس الثالث فشهده بطريركهم ارميا العمشيتي وقرر ان يتبع من رتب اللاتين ما رآه في ذلك المجمع ملائماً لطائفته . واما استعمالهم للملابس الكنائسية اللاتينية فيرجع الى اواخر القرن الثاني عشر اي قبل زمن البطريرك ارميا بوقت قصير

وذلك بشهادة كثيرين من المؤرخين وآباء الكنيسة كالاب غريفون الباجكي والاب افرنسيس سوريانوس رئيس اديرة القدس وغيرهما . ولولا وحدة الدين لما كان اولئك الافرنج قربوهم واستأنسوا بهم بدليل ماكان مأثوراً عنهم من شدة تمسكهم بمذهبهم الكاثوليكي وشدة كرههم لمن ليسوا على دينهم وهم انما اثاروا حروبهم المشهورة على العرب من أجل الدين فلا يعقل ان يجدوا قوماً في البلاد التي اجتاحوها على دينهم ومعتقدهم ولا يصافونهم ويتحدون معهم . وعلى ذلك كان ما كان من اتصال الموارنة بكنيسة رومية بواسطة اولئك الافرنج بحيث لم ينفكوا عن علاقتهم بها حتى ايامنا هذه كما وانهم ما برحوا منذ ذلك الحين محتفظين بعلاقتهم بهولاء الافرنج « الفرنساويين » الى اليوم بل ان هذه العلاقة زادت في الازمنة الاخيرة احكاما وقد ايدتها الحكومة الفرنساوية رسمياً بغير عمل اتته في مصلحة هؤلاء القوم « انظر حالة المسيحيين السياسية » (١)

---

(١) ان علاقة الموارنة بالدولة الفرنساوية قديمة العهد تتصل بالعصر الصلبي . ومنشأها في الاصل ديني وهي الان سياسية اكثر منها دينية . على ان شأن الدين في هذه العلاقة منذ البدء لا يختلف في شيء عنه في علاقات الطوائف والشعوب الشرقية بالدول الاوروبية على العموم . فان الصليبين تذرعوا بالدين لاستمالة مسيحيي

وبطريرك الموارنة يقيم شتاء في دير سيدة بكركي بقرب جونيه في مقاطعة كسروان « لبنان » ويقيم صيفاً في الديمان على شفير وادي

سوريا ولبنان اليهم وحملهم على موآزرتهم في الحروب التي اصلوا نارها على العرب ولا سيما موارنة جبل لبنان وهذا هو شأن كل دولة تقدمتهم أو جاءت بعدهم في ما اثارته من الحروب في البلاد الشرقية تذرعاً لبسط نفوذها عليها أو امتلاكها

ومما يؤيد علاقة الموارنة بفرنسا ويزيدها أهمية ووضوحاً ثباتهم على ولائها واستمساكهم بمودتها دهرا طويلا حتى ان الفرنساويين انفسهم باتوا على التمادي يعتبرون لبنان وطن الموارنة وطناً ثانيا لهم . ولذلك اسباب كثيرة ترجع الى نزول الافرنج ارض لبنان والتجائهم اليه ابان محنهم وامتزاجهم باهله الموارنة امتزاجاً كلياً وخاصة في ولاية لويس التاسع ملك فرنسا فانه لما هم هذا الملك بالعودة الى فرنسا أثر ما بلغه من مرض والدته اسكن ذويه وبعض خاصته في جبل لبنان ولما لم يعد اليه اضطر هؤلاء للبقاء في لبنان واختلطوا مع سكانه بالزواج وتناسلوا فيه بحيث صاروا واللبنانيين عائلة واحدة . ومما يؤيد هذه العلاقة على وجه أجلى ما جاء في الخطابات التي وجهها ملوك فرنسا الى موارنة لبنان في ازمنة مختلفة — وهي محفوظة في مكتبة البطريركية المارونية الى ايامنا هذه — تثبيتاً لحمايتهم لهم وايذاناً بما لهم من المنزلة الممتازة عندهم ولا سيما الخطاب الذي بعث به لويس التاسع

قديشا بقرب حصرون والحدث على مسافة ساعتين من ارز لبنان في الشمال. وقد كان البطريرك الماروني ينزل قديماً في دير سيدة ميفوق

الآنف الذكر وهو في عكاء الى الامير سمعان زعيم الموارنة حينذاك موجها الى الشعب الماروني وبطريركه واكليروسه واعيانه . وقد انفذه اليه في ٢٨ ابريل « نيسان » سنة ١٢٤٩ على أثر مجيء هذا الملك الى سوريا وانجاد الموارنة له بخمسة وعشرين الف مقاتل من نخبة شبانهم بقيادة الامير سمعان . قال فيه بعد المقدمة ما ترجمته :

« .... ونحن موقنون ان الامة المارونية هي قسم »
« من الامة الفرنساوية لان محبتها للفرنساويين تشبه محبة »
« الفرنساويين بعضهم لبعض . وعليه فيجب من قبيل العدل ان »
« تتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها »
« الفرنساويون من جانبنا . وان تقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون »
« ولذلك فاننا نستحثك ايها الامير الرفيع الشأن على ان تسعى كل »
« السعي الى ما يعود على أهل لبنان بالسعادة وان تعني باقامة »
« اشراف من اكثر الناس أهلية لذلك كما هو جار في فرنسا . »
« اما نحن وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسا فنعدكم »
« وعداً ثابتاً باننا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما »
« نوليها للفرنساويين انفسهم ونسعى في كل وقت فيما يكون آئلا »
« لسعادتكم »

القديم ولما اشتدت عليه وطأة الاضطهاد ودمر حاكم اطرابلس هذا الدير واسر من فيه من الاباء والرهبان نقل كرسي البطريركية الى دير سيدة قنوبين في وادي قديشا آلآنف الذكر وظل هـذا الدير

ومما يؤيد هذه الحماية ايضاً ما جاء في الخطاب الذي انفذه لويس الخامس عشر الى البطريرك يوسف ضرغام الخازن فى ٢١ ابريل « نيسان » سـنة ١٧٣٧ . وما تضمنه الخطاب الموجه الى بطريرك الموارنة من لويس السادس عشر في ٢٤ اغسطس « آب » سـنة ١٧٨٧ . فان في هذه الخطابات وغيرها مما لا يسع المقـام ذكره هنا يمنح ملوك فرنسـا لاكليروس الموارنة واديارهم وكنائسهم اينما وجدت وللموارنة جميعاً نفس الامتيازات والحقوق التى يتمتع بهـا الفرنساويون بعينهم عدا ما خصوا به امراءهم وكبارهم من حق اعطاء القاب شرف لافراد طائفتهم اسوة بالملوك والامراء المستقلين

وقد كانوا يعينون قناصلهم في بيروت من أعيان الموارنة . وأول من ذكر من هؤلاء القنـاصل الشيخ ابو نوفل الخازن تعين قنصلا للدولة الفرنساوية في بيروت سـنة ١٦٥٩ وخلفه فى القنصلية ابنه الشيخ ابو قنصوه فياض وبعد وفاته سـنة ١٦٩١ خلفه ابنه الشيخ حصن سنة ١٦٩٧ وتوفي سـنة ١٧٠٨ تاركا القنصلية لابنه الشيخ نوفل وتوفى هذا سـنة ١٧٥٣ . ولدى هذا الفرع من الاسرة الخازنية كثير من الفرمانات والمكاتبات المتعلقة بالامتيازات الممنوحة لها من

كرسياً للبطريركية المارونية من سنة ١٤٤٠ الى اواسط القرن التاسع عشر ثم استبدل بغيره ثم بدير بكركي المشار اليه آنفا . ودير قنوبين يعد

لدن ملوك فرنسا . ولديها ايضـا كثير من التحف الثمينة مهداة الى بعض افرادها من اولئك الملوك تدل على ما كان لهذه الاسرة عندهم من المنزلة الرفيعة وما للموارنة من الشأن والاهمية فى اعتبارهم

ولقد عثروا فى المكتبة الوطنية في باريس بخطاب موجه من اسطفانوس بطريرك الموارنة الى قنصل فرنسا فى صيدا وهو مؤرخ في ٢٦ تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٦٧١ ومسجل فيها بنمرة ٤٦٢٢ يثبت صاحبه فيه بأدلة تاريخية علاقة الموارنة بالدولة الفرنساوية منذ وطأت قدم أول فرنساوي ارض سوريه . وفى هـذا الخطاب يعدد البطريرك الماروني مآثر لويس الرابع عشر ويشير الى ما كان للموارنة من اليد الطولى فى نصرة الجنـد الفرنساوي فى الحروب الصليبية ونزول غودفروا دي بولبون ملك اورشليم ضيفا مع جنـده عليهم فى لبنان ومحاربتهم بين صفوفه في غزوته للاراضي المقدسة وتفوقهم فى تلك الحرب حتى قال فيهم غليوم دي تيرما ترجمته: « ...... وهم قوم اشـداء باسلون يمتازون بخلال كريمة عضدوا جيشنا فى الحروب التي جرت له مع العدو فـكان لهم شأن خطير في ما احرزناه من الانتصارات البـاهرة فى تلك الحقبة » ثم يذكر ما كان لهم من الشأن فى الحروب التى اصلى الفرنساويون نارها سـنة ١٠٩٩ وسنة

المقام الاول لبطاركة الموارنة وقد دفن فيه عدد كبير منهم ولم تزل مدافنهم محفوظة هناك الى اليوم وان يكونوا اقاموا في ازمنة مختلفة في جهات شتى من لبنان كبلاد الشوف وبلاد جبيل (١) لان اقامتهم في هذه الجهات لم تكن لآجال طويلة

ومن مميزات بطريركهم التي يعدونها من التقاليد الموروثة انه لا يخرج من لبنان الا لزيارة بابا رومية أما لتجديد خضوعه له بصفته زعيم الكثلكة الاكبر لمناسبة ارتقائه الى السدة الرسولية واما بناء على دعوة ترد عليه منه لحضور مجمع وما شاكل ذلك (٢)

١٥٨١ ومرافقتهم للويس التاسع القديس ملك فرنسا في غزوته لقبرس ونزول قسم من جيشه بين ظهرانيهم في لبنان على الرحب والسعة . وأشار الى حروبهم في صفوف الجند الفرنساوي حينذاك مدة ٣٠ سنة متواصلة وتغلبهم على العرب ومطاردتهم لهم الى ما وراء حدود لبنان واتصالهم بكنيسة رومية اتصالا لا انفصام له الى آخر ما هو معلوم من تاريخ الموارنة في تلك الحقبة

(١) يروي انه لما قدم الصليبيون الى طرابلس سنة ١٠٩٩ واستولوا على البقاع المحيطة بها كان يوسف الجرجسي بطريرك الموارنة يقيم في دير سيدة يانوح في جبة المنيطرة من بلاد جبيل وظل فيه الى سنة ١١٢٠ م

(٢) أول من زار رومية من بطاركة الموارنة البطريرك ارميا العمشيتي . أمها سنة ١٢١٤ بدعوة من البابا اينوشنسيوس الثالث ليشهد المجمع اللاتراني الرابع « أنظر ص ٢٧٣ ح » الذي عقد سنة ١٢١٥ . وتلاه البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧ على عهد البابا بيوس التاسع وقد زار

وللموارنة بطريرك واحد و١٢ مطراناً و١١ ابرشية وهي : طرسوس – عرقا – قورش «وهي ابرشيات اسمية لان عدد الموارنة فيها قليل جداً» حلب – قبرس – بعلبك – دمشق – اطرابلس – صور – صيداء – البترون وهي ملحقة بالبطريركية رأساً – ونيابة بطريركية بالقطر المصري . واما موارنة اميركا واستراليا وافريقيا فلا ابرشيات لهم . ويدير شؤونهم الروحية كهنة بصفة نواب بطريركيين يرجعون في امورهم الى البطريرك رأساً

ويبلغ عدد الموارنة فى أقل تعديل خمسمائة الف نفس منهم نحو مئتي الف متفرقين بين القطر المصري وبر الاناضول وقبرس واميركا

وقتئذ باريس وبمعيته بعض الاساقفة والكهنة وابن اخيه بصفة كاتب سره المدني وهو والد صاحب هذا الكتاب فبالغ نابليون الثالث والامبراطورة اوجيني في اكرامه واكرام ابن اخيه ثم ام الاستانة فاكرم السلطان عبد العزيز مثواه وانزله قصراً فخماً مع حاشيته وعامله معاملة امير خطير الشأن «طالع سفر الاخبار للمطران يوسف الدبس» وآخر من أم عاصمة الكثلكة من هؤلاء البطاركة البطريرك الياس الحويك وهو بطريرك الموارنة الحالي . قصد اليها سنة ١٩٠٥ بحاشية كبيرة مؤلفة من بعض المطارنة والكهنة والاعيان ثم أم باريس فنزل ضيفاً على الحكومة الفرنساوية على الرحب والسعة كسلفه البطريرك بولس مسعد وبرحها الى الاستانة للاعراب عن اخلاص طائفته لحكومتها «راجع الكوكب السيار للاب اوغسطين البستاني

وذهب بعضهم الى ان اول من ام رومية من بطاركة الموارنة البطريرك يوحنا مارون وقد أيد البطريرك اسطفان الدويهي هذا الرأي غير ان المنسيور يوسف سمعان السمعاني وغيره ممن بحثوا في تاريخ الموارنة من المحدثين يرتابون في صحة ذلك

واستراليا وافريقيا واوربا والباقون في لبنان وسوريا. ولهم شأن كبير فى الديار الاميركية ولاسيما فى الولايات المتحدة والبرازيل والجمهورية الفضية وقد ألفوا هناك جامعة قومية لاتقل أهميته عن ارقى الجامعات الاوروبية ولهم متاجر واسعة وبينهم عدد كبير من أهل الادب والعلم يشغلون مراكز ممتازة بين رجال الجاليات الاجنبية . اما فى قبرس فقد كان لهم فيما سلف من الزمن شأن خطير وكانوا هنك يعدون بعشرات الالوف ثم تناقص عددهم الى ان هبط الى بضعة مئات الا انهم لم يزالوا يشغلون مركزا ممتازا بين جاليات تلك الجزيرة . اما فى فلسطين فان عددهم اليوم قليل بالنسبة الى عدد المنتمين الى الطوائف المسيحية الاخرى . مع أنهم كانوا قد بلغوا قديماً شأواً بعيداً من الرقي والنجاح وتكاثر عددهم جدا . ويؤخذ من تاريخهم هناك انه كان لهم فى اورشليم فى القرن السادس عشر كنيسة كبرى باسم مار جرجس الخضر فضبطها المسلمون واعطوها للقبط ثم اخذ الموارنة دير المخلص من القبط سنة ١٥٦٢ . ومغارة الصليب نفسها فى القدس كانت في حيازتهم من اول القرن الرابع عشر مع اربعة مذابح فى اربعة كنائس مختلفة . وقد جادت عليهم بها سانسيا ملكة جزيرة صقلية ومنحتهم معها مذابح فى سائر كنائس القدس . وظلت مغارة الصليب تحت مطلق تصرفهم الى ما بعد وفاة البطريرك اسطفان الدويهي أي الى أول القرن الثامن عشر ثم خرجت من يدهم

وأخذوا من ذلك الحين يتخلون تدريجاً عما كان لهم من المذابح في المدينة المقدسة لاتباع من كان منهم هناك الطقس اللاتيني حتى لم يعد لهم شيء منها واستمروا على هذه الحال الى اواخر القرن التاسع عشر فابتاعوا لهم دارا وشيدوا كنيسة واقيم عليهم كاهن بصفة نائب بطريركي . وعددهم الان هناك قليل لا يعتد به

ذلك ما سمح لنا المقام بذكره عن الطائفة المارونية ومن اراد الوقوف على تاريخها مفصلا فعليه بالرجوع الى المطولات كالدر المنظوم للبطريرك بولس مسعد وتاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي والبراهين الجلية للمطران يوسف دريان . والكوكب السيار للاب اوغسطين البستاني وسفر الاحبار وتاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس

الروم الملكيون الكاثوليك

هم فئة من السريان السوريين المعروفين بالروم الملكيين « ص ٢١٠ و٢٤٦» رجعوا الى الاتحاد مع رومية وانضموا الى الوحدة الكاثوليكية في كل امر منذ اواخر القرن السابع عشر . وقد حافظوا على الطقس الرومي القسطنطيني كما هو عند الملكيين وان يكن قد ترجم معظمه الى اللغة العربية « ص ٢١٦ ح » وقد كونوا طائفة مستقلة بذاتها لها بطريرك واساقفة وكنائس على حدة

اما رجوع الملكيين عن مذهب فوتيوس « ص٢١٧ و٢٤٧م» الى الايمان الكاثوليكي فقديم العهد يرتقي الى القرن الحادي عشر وما بعده « ص ٢٤٩ م » ولكنه كان يومئذ متقاطعاً وقاصرا اكثر الاحيان على فئات قليلة منهم ولذلك لا يصح ان يرجع بتاريخ ارتدادهم التام وتكوين طائفتهم الكاثوليكية تكويناً ثابتاً قائماً على أركان راسخة كما هي عليه الان الى تلك الازمنة المتقادمة لان هذه الفئات لم تكن تثبت على حال بل كانت تتقلب طبقا لاحكام الزمان وعلى مشيئة رؤسائها تارة تتحد مع كنيسة رومية وأخرى تنفصل عنها بحيث لم تؤلف من أول عهدها بالارتداد طائفة قائمة بذاتها ذات كنائس ورؤساء مستقلين عن رؤساء الملكيين المنشقين أو متسلسلين الواحد بعد الاخر ولو الى حين يدبرون شؤون رعيتهم بمقتضى قوانين تتفق مع روح الكنيسة الرومانية . وعليه فتاريخ هذه الفئة من البطريركية الانطاكية في اعتبار المؤرخين الثقاة الذين تتبعوا مجرى الادوار التي تعاقبت على الكنيسة الرومية يبتدىء في اوائل القرن الثامن عشر حيث كوّنوا حقيقة حينذاك طائفة منفصلة عن طائفة الملكيين المنشقين ومتميزة عنها بقوانين وفرائض تتفق مع روح الكنيسة الرومانية وبرؤساء مخصوصين يرجعون الى الكرسي الرسولي فى سائر ما يرجع به اليه رؤساء الطوائف الكاثوليكية جميعا. ومن ثم تمكن الثقاة من اعتبار الكنيسة الرومية منذ ذلك الوقت

طائفتين مستقلتين احداهما عن الآخرى : الروم الملكيين المنشقين والروم الملكيين المتحدين او الكاثوليك . كما يؤخذ من تصريح البابا بندكتوس الرابع عشر في المجمع الذي عقده سنة ١٧٤٤ لتثبيت كيرلس تاناس اول بطاركة الروم الكاثوليك منذ القوا وحدتهم الطائفية على نحو ما قدمنا .

واهم ارتداد للملكيين الى المذهب الكاثوليكي يرجع الى عهد البطريرك كيرلس الحلبي الملكي على اثر جدال ديني جرى له ولاربعة من اساقفته اخصهم اوتيميوس البعلبكي اسقف صور وصيداء مع اسطفان الدويهي بطريرك الموارنه فافحمتهم حجج الدويهي واقروا بالمعتقد الكاثوليكي وانفصلوا عن الملكيين المنشقين وكونوا طائفة قائمة بذاتها واقاموا عليهم بطريركا منهم . ثم وقعت نفرة بين بطريركهم الجديد اثناسيوس والبطريرك كيرلس الحلبي المذكور انفاً انتهت باتفاقهما على ان اثناسيوس يرأس ابرشية حلب وكيرلس ابرشية انطاكية ثم عاد اثناسيوس وانضم الى الملكيين المنشقين ومات فى حلب سنة ١٧٢٤ منفصلا عن الكنيسة الرومانية وخلفه على كرسي حلب سيلفسترس من الملكيين المنشقين . وكان كيرلس الحلبي توفي سنة ١٧٢٠ فخلفه على كرسي انطاكية القس ساروفيم تاناس باسم كيرلس تاناس وحكم الكرسي الرسولي بصحة انتخابه سنة ١٧٢٩ ثم اثبته واقره على البطريركية سنة ١٧٤٤ فكان اول من اثبته الكرسي الروماني من بطاركة الروم الكاثوليك ولهذا عد اول بطاركتهم .

وفي تلك الآونة كان الملكيون الكاثوليك لم يزالوا ضعيفي الجانب واخصامهم المنشقون فى ابان منعتهم وقوتهم . فلم يرق لبطريركهم سيلفسترس ما رآه من تقرب زميله تاناس الى الكرسي الروماني فانبرى منذ سنة ١٧٢٥ لمشاكسته واضطهاده وما زال به حتى ضايقه واحرج مركزه فاضطر هذا للرحيل عن دمشق والالتجاء الى جبل لبنان فانتصر له يعقوب عواد بطريرك الموارنه واساقفته وبعثوا يلتمسون له مساعدة فرنسا على يد سفيرها في الاستانة فنمي الخبر الى سيلفسترس فوشى بهم الى سليمان باشا المظم بانهم يغرون الملكيين الكاثوليك بالخروج عليه ونبذ طاعة الدولة العثمانية فبعث بجيش من جنده الى دير سيدة قنوبين فى جبة بشري وهو يومئذ كرسي البطريرك الماروني فنهبوا الدير والقوا القبض على اكثر رهبانه وعلى شقيق البطريرك عواد وسجنوه في طرابلس الى ان افتداه الموارنة بالمال (١) ثم عاد البطريرك كيرلس تاناس الى دمشق سنة ١٧٤٥ في السنة التالية لتثبيت الكرسي الرسولي له بطريركا على الروم الكاثوليك . ولكنه لم يلبث أن استرجع كرسيه حتي عاد البطريرك سلفسترس الي اضطهاده وتمكن من خلعه في تلك السنة عينها . ثم عاد اليها وظل فيها الي سنة ١٧٥٩ فتنازل عن البطريركية بعد ان اختار لها أثناسيوس جوهر الدمشقي ومات في عزلته في السنة التالية ولكن

---

(١) وقد اجتاحت عساكر طرابلس جبة بشري سنة ١٧٢٦ مرتين متواليتين وذلك في حكاية طويلة لا محل لذكرها هنا « انظر تاريخ لبنان »

الاساقفة عارضوا في تسمية ثناسوس بطريركا عليهم وصوب الكرسي الرسولي معارضتهم فحكم ببطلان هذا التنازل واقام عليهم بطريركا السيد مكسيموس مطران حلب سنة ١٧٦٠ لكنه توفي في السنة التالية . ومن ذلك الحين لم تنقطع سلسلة بطاركة الملكيين الكاثوليك وحافظوا على الايمان الكاثوليكي تمام المحافظة الى ايامنا هذه

وقد اتبع الروم الكاثوليك الحساب الغريغورياني اسوة بالطوائف المسيحية الغربية سنة ١٨٥٨ وذلك بعد مخاصمات ومنازعات شديدة فيما بينهم ادت الى استعفاء بطريركهم اكليمنضوس باحوص من البطريركية ثم عاد اليها بامر الكرسي الرسولي . اما قبل ذلك فكانوا يستعملون تاريخ الخليقة كالروم الملكيين المنشقين وغيرهم (١) وقد استعملوا ايضاً فيما مضى تاريخ الاسكندر الذي يبتدى سنة ٣١١ قبل المسيح « انظر ص ٢٥٧ ح » وتاريخ الهجرة الذي يبتدىء على الاصح في منتصف تموز « يوليه » سنة ٦٢٢ مسيحية . وهم يقدمون الذبيحة الالهية على الفطير اسوة بالروم . والملابس الكهنوتية عند اكليروس الفريقين واحدة وهكذا الطقوس

وللروم الملكيين الكاثوليك بطريرك واحد يلقبونه بالبطريرك

---

(١) ان تاريخ الخليقة يرتقي في اعتبار من اتبعه الي سنة ٥٥٠٨ قبل ميلاد المسيح ويسمونه تاريخ آدم او تاريخ انشاء العالم واما في اعتبار اهل العلم ولا سيما المحدثين فهو يرتقي الي ما قبل ذلك بازمنة متباعدة جداً يتبعون في تقديرها ما هو مقرر علمياً عن قواعد علم الجيولوجيا مما لا محل لذكره هنا

الانطاكي والاورشليمي والاسكندري ومركزه الرسمي في دمشق شتاء وفي عين تراز « لبنان » صيفا

اما عددهم فيقدر بنحو ١٥٠ الفاً منهم ١٢٠ الفاً في سوريا ولبنان و٣٠ الفاً في جهات مختلفة كمصر واميركا وغيرها . واكثرهم في دمشق وحلب ومصر . وقد احرزوا في مصر على الخصوص شأواً بعيداً من الرقي والنجاح تحسدهم عليه الطوائف المسيحية واعيانهم قدوة اعيان المسيحيين في الغيرة على مصالح طائفتهم وتضافرهم لتعزيز مركزها والنهوض بها الى مستوى الطوائف الغربية الراقية .

اللاتين :

هم الكاثوليك الرومانيون الذين يتبعون الطقس اللاتيني بتمامه وتتعلق ادارتهم بالكرسي الرسولي وصاحبه رأساً كما سيجيء . واكثرهم من الاوربيين الذين هاجروا الى سوريا في ازمنة مختلفة ويعدون اجانب عنها . الا ان من اللاتين المستوطنين فلسطين وقبرس من صاروا يعدون من الوطنيين لتقادم العهد على اقامتهم هناك

والظاهر ان وجود اللاتين في سوريا يرتقي الى عهد قديم . الا انهم لم يكونوا هناك طائفة معروفة ذات شأن بين الطوائف المسيحية في سوريا الا في عهد الصليبيين اي منذ القرن الثاني عشر . فمنذ اواخر القرن الرابع كان حوالي اورشليم عدة اديرة انشأها جماعة من الرهبان المتنسكين كانوا منقطعين هناك الى عبادة الله وكانت تضم

عدداً كبيرا من الراهبات والرهبان اللاتين . وفي تاريخ رهبانية القديس امبارك الفلسطينية انه في سنة ٦٠٢ انشأ الراهب بروب في اورشليم اول دير لهذه الرهبانية بامر البابا غريغوريوس الكبير . وفى اواخر القرن الثامن كان في المدينة المقدسة على عهد كرلمان وهرون الرشيد دير كبير قائم على جبل الزيتون . ومن ذلك الحين لم تنقطع اقامة الذبيحة الالهية على الطقس اللاتيني في فلسطين ٠

ومنذ القرن الثاني عشر تكاثر عدد اللاتين هناك وفي اكثر جهات سوريا وباتوا فى هاتيك الاصقاع قوة عظيمة لهم من الشأن السياسي اضعاف ما لهم من الشأن الديني وان يكونوا جاءوا الي سوريا من اجله « انظر عصر الصليبيين في القسم التاريخي » ٠ وفي القرن الثالث عشر عهد الي رهبانية الفرنسيكان بتدبير شؤون اللاتين الروحية في فلسطين . ولديرهم اليوم في القدس السلطة العليا على سائر اللاتين المنتشرين هناك وفي مصر وقبرس وارمينيا . ولهم في هاتيك الاصقاع زهاء ستين ديراً تتولي رعاية ثمانين الف لاتيني . ولهم في فلسطين وحدها ثمانيـة عشر ديرا كبيرا الحق بكل منها ملجأ للزوار ومدرسة ومستوصف او معهد آخر خيري . واكثر اللاتين في الاراضي المقدسة يقيمون في اورشليم وبيت لحم ويافا وعكاء والناصرة . ولايقل عددهم في هذه المدن عن اثني عشر الف نفس في جملتهم ثلاثة آلاف في القدس . ومنذ سنة ١٨٤٨ ضمت ابرشية قبرس الى ابرشية فلسطين واصبحتا ابرشية واحدة يرأسها بطريرك لاتيني يقيم في القدس

ويعرف بالبطريرك الاورشليمي . ولهذه الابرشية في انحاء فلسطين ٢٣ خورنية انشئت حديثاً يتولاها كهنة من اللاتين الاجانب واللاتين الوطنيين والموارنة ولا سيما في عبر الاردن . ولكل خورنية مدرسة او معهد آخر خيري . ومنذ أنشئت البطريركية الاورشليمية زاد عدد الرهبانيات اللاتينية فى فلسطين زيادة كبيرة كما سترى عند ذكر القدس فى الجزء الثاني من هذا الكتاب . واما في ما بقي من البلاد السورية فيقدر عدد اللاتين بنحو خمسين الف نفس تدير شؤونهم الرهبانيات اللاتينية كرهبانية الفرنسيسكان والكبوشيين وغيرهم .

ولهذه الطائفة بطريرك يسميه الكرسي الرسولي فى اورشليم ويعهد اليه بادارة كل ما يدخل ضمن حدود هذه البطريركية مع جزيرة قبرس وماهو خارج عنها. وقد توالى على الكرسي البطريركي اللاتيني في الازمنة الحديثة اربع بطاركة: يوسف فالركا « ١٨٤٧ » ومنصور براكو « ١٨٧٣ ولود فيكوس بيافي « ١٨٨٩ » وفيلبوس كمساي « ١٩٠٦ » وهو البطريرك الحالي. ويقيم لهم هذا الكرسي نواباً رسوليين يسوسونهم فى امورهم البيعية ويستمدون سلطتهم منه مباشرة . وسلطتهم غير قاصرة على اللاتين بل تتناول جميع الطوائف الكاثوليكية الشرقية الخاضعة لسلطة روميه على السواء . ولهم عليها السيطرة التامة . ولعلاقاتهم بهذه الطوائف اخبار وشؤون لا يسع المقام تفصيلها هنا .

الارمن الـكاثوليك :

هم فئة من الارمن انفصلوا عن الغريغوريين المنوفيزيين بعد ان انكروا المنوفيزية وانضموا الى الوحدة الـكاثوليكية بخضوعهم للحبر الروماني واعترافهم بمعتقد الـكنيسة الرومانية التي هي محور هذه الوحدة وحلقة اتصال الطوائف الـكاثوليكية احداها بالاخري . ومن ثم كونوا طائفة مستقلة لها بطريرك خاص ورعاة يسوسونها . وانما طقسهم هو نفس طقس الغوريغوريين بعد تعديله على ما يتفق مع المذهب الـكاثوليكي

واتحاد الارمن مع الـكنيسة الرومانية قديم وقد تم في أوقات وأزمنة مختلفة . ولـكنهم لم يكونوا يثبتون على هذا الاتحاد الى وقت طويل ولذلك لا يمكن الرجوع باستقلالهم وتكوين وحدتهم المذهبية الى ما قبل اواسط القرن الثامن عشر حيث كونوا طائفتهم بالشكل الذي نراها عليه اليوم في عهد البطريرك بطرس ابريهام العينتابي

وأول عهد ارتدادهم يرتقي الى ايام البابا اوجينيوس الرابع ذلك ان في عصره كانت بلاد تتاريا الصغرى من أهم مواطن الارمن خاضعة لمشيخة جنوا الايطالية فكتب الى حاكم تودوسيا أحدى مدن هذه المقاطعة ليسعى الى استمالة قسطنطين الخامس بطريرك الارمن الغريغوريين في سيس الى المذهب الـكاثوليكي فافلح الحاكم في مسعاه . وكان ان عقد البابا المجمع الفلورنتيني في فلورنسا فانفذ هذا البطريرك اليه اربعة نواب وقعوا عقد الاتفاق مع الـكنيسة

الرومانية واصدر لهم البابا ذلك الارشاد المشهور بارشاد الارمن.
ثم انفصلوا عن الكنيسة ولم يبق منهم على المذهب الكاثوليكي الا أفراد قلائل . ولما تكاثر عدد الكاثوليك منهم فيما بعد اقام عليهم الكرسي الرسولي بطريركا سماه بطريرك كيليكيه وهو لقب بطاركتهم الى اليوم وكان رجوعهم اذذاك تارة قاصراً على رؤسائهم وحدهم وأخرى مع رعاياهم والخلاصة انهم بعد المجمع الفلورنتيني كانوا لا يستقرون على حال تارة يتحدون مع الكنيسة الرومانية وطوراً ينفصلون عنها . وكثيرا ما كان الكاثوليك منهم يقضون مدة بلا بطريرك

وأول انشقاق حدث لهم بعد اتحادهم الاول مع الكرسي الرسولي كان على عهد غريغوريوس النارغنسي في ايام الملكين الاخوين باسيليوس الثاني الذي توفى سنة ١٠٢٥ وقسطنطين الثامن المتوفي سنة ١٠٢٨ . وفي سنة ١٠٨٠ خضع بطريركهم غريغوريوس مع رعيته الى البابا غريغوريوس السابع وتلا ذلك خضوع جاثليقهم غريغوريوس الثالث وبعض اساقفتهم وفريق منهم للبابا اوجينيوس الخامس في اواسط القرن الثاني عشر على اثر رسالة باباوية وجهها وهو في فيتربو الى كنيستي الارمن والسريان . وحضر جاثليقهم المذكور المجمع اللاتيني الذي عقد في اورشليم سنة ١١٤٤ للنظر في بدع الارمن ومات في مصر فاقام كيرلس بطريرك القبط الاسكندري حنانيا بطريركا على الارمن فابوا الاعتراف به واقاموا اخا غريغوريوس

المعروف باسم ينارسي الرابع الفيلاينسي بطريركا عليهم خلفاً له فجعل كرسيه في سيس واتحد مع الكرسي الرسولي ضد الارمن الغريغوريين وهو من أشهر مؤلفي الارمن

وممن خضعوا للكرسي البابوي من بطاركة الارمن غريغوريوس الرابع الملقب بالصبي فاثبته البابا لوشيوس الثالث سنة ١١٨٤ . ثم قسطنطين الاول فاثبته البابا غريغوريوس التاسع سنة ١٢٣٩ وقد اتحد الارمن ايضاً مع الكنيسة الرومانية في مجمع سيس سنة ١٣٠٧ . وفي ايام البابا اكليمنضوس السادس « سنة ١٣٤٢ ـ ١٣٥٢ » اعتنق بطريركهم ميكيتار المذهب الكاثوليكي بعد ان عرض عليه الكرسي الرسولي اربعة عشر قاعدة للاعتقاد بسلطة الكنيسة الرومانية

أما عودهم الى المذهب الكاثوليكي في ارمينيا الصغرى فكان على يد برتلماوس وتوما وتداوس . وأول من آمن منهم وقتئذ بهذا المذهب ملكهم لاون فاقتدى به جاثليقهم والقسم الاكبر منهم وكان ذلك على عهد البابا اينوشنسيوس الثالث . وممن رجع من اكليروسهم الى الايمان الكاثوليكي البطريرك عازريا وكان رجوعه في ايام البابا غريغوريوس الثالث عشر . والبطريرك مخائيل على عهد البابا اكليمنضوس الثامن . والبطريرك خاشيا دور على عهد البابا اسكندر السابع . والبطريرك يعقوب على عهد البابا اينوشنسيوس الحادي عشر . والمطران يوليانس في ايام البابا بيوس الرابع وقد

اقتدى به وقتئذ ارمن قبرس وانضموا الى الوحدة الكاثوليكية

وأما أرمن روسيا وبلاد ليه وخاصة غاليتسيا فهم خاضعون للكرسي الرسولي منذ بدء القرن السابع عشر ومطرانهم يقيم في لاوبولي ويعينه منذ سنة ١٨١٩ ملك واستريا بناء على تصريح البابا بيوس التاسع . وفي اواسط القرن السابع عشر خضع اربعة من رؤساء الارمن للكرسي البابوى وهم المطران يوحنا الملقب بالمعلم الاطرش والمطران زكريا وموسى الثاني بطريرك اشميازين والمطران فيلبس . وفي تلك المدة عينها اتحد ارمن ما بين النهرين وسوريا مع الكنيسة الكاثوليكية على يد ملكيور طاسياس مطران ماردين المتوفي سنة ١٧١٤ ويعقوب مطران مرعش (١) واما الارمن الكاثوليك في قسطنطينية فقد كان يسوسهم مطران اللاتين هناك الى سنة ١٨٣٠ فعين لهم البابا بيوس الثامن مطراناً عليهم من نفس طائفتهم . ومطارنة اللاتين يتولون امر الارمن بواسطة الرهبنات التي اقتبلوا الايمان على يدها حينما قل عددهم وضعف شأنهم

وفي اوائل القرن الثامن عشر كان لهم في سيس بطريرك على المذهب الكاثوليكي باسم بطرس وهو الذى سام ابريهام الارمني العينتابي كاهناً ثم جعل فيما بعد مطراناً لحلب سنة ١٧٠٨ ثم انتخب بطريركا للارمن على كيلكية سنة ١٧٣٩ ولقب ببطرس كسلفه

(١) المطران يعقوب الارمني اقام مدة في دير سيدة قوبين في ضيافة البطريرك اسطفان الدويهي بطريرك الموارنة

وانتقل هذا اللقب الى خلفائه. وقد عرض لهذا البطريرك ما حمله على الرحيل عن بلاده ولم يجد بقعة كلبنان يأمن فيها شر خصومه في الدين فانفذ البابا بندكتوس الرابع عشر « ص ٢٦٢ ح » الى بطريرك الموارنة واكليروسهم جميعاً رسالة عامة يوصيهم فيها بهذا البطريرك . فانتقل من ثم الى لبنان ونزل دير المخلص المعروف بدير الكريم في كسروان من سنة ١٧٤٠ الى ١٧٤٩ وتوفي ودفن فيه فخلفه يعقوب مطران حلب سنة ١٧٤٩ وجعل كرسيه في دير سيدة بزمار بالقرب من الكريم وتوفي هناك ودفن في دير الكريم وخلفه ميخايل مطران حلب سنة ١٧٥٣ فوسع البابا اكليمنضس الثالث عشر ولايته لما آنس فيه من النشاط والكفاءة فجعل ارمن ما بين النهرين تحت سلطته سنة ١٧٦٠ ثم ولاه البابا اكلمنضس الرابع عشر على ارمن توقات وبركسيك في آسيا الصغرى سنة ١٧٦٩ وخلفه باسيليوس مطران آطنه سنه ١٧٨٠ وخلف هذا غريغوريوس مطران آطنه سنة ١٧٨٨ وانشأ للارمن سنة ١٧٩١ في دير بزمار المشار اليه آنفاً مدرسة اكليريكية لا تزال الى اليوم (١) وخلفه غريغوريوس الثاني مطران مرعش سنة ١٨١٢ وخلفه يعقوب اسقف اماسيا سنة ١٨٤١ وخلف هذا

---

(١) دير بزمار مركز رهبانية الارمن سكريتيين التي انشئت منذ اوائل القرن الثامن عشر وقوانينها مقتبسة من قانون رهبانية ماري انطونيوس اللبنانية المارونية وقد اضيف اليها قوانين خاصة اصطلاحية

مخايل اسقف قيصرية باسم غريغوريوس الثالث سنة ١٨٤٣ وهكذا تسلسل بطاركة الارمن من ذلك العهد الى اليوم من غريغوريوس الى انطون حسون «١٨٦٦» الى اسطفان عزريان «١٨٨١» الى عمانوئليان «١٨٩٩» الى صباغيان «١٩٠٤» الذي تنزل سنة ١٩٠٩ الى ترزيان «١٩١٠» وقد اعتزل البطريركية سنة ١٩١٢ لاسباب سياسية. وقد نقلوا كرسي البطريركية الى الاستانه سنة ١٨٦٦ في عهد البطريرك حسون لان مصلحتهم كانت تدعوهم الى الاقامة في عاصمة السلطنة ولا تزال هناك الى الآن

وقد ابتدأ بطريرك واساقفة الارمن يحملون الصليب الصدري في ايام البطريرك بطرس يعقوب «سنة ١٨٤١» واما استعمال الخاتم الاسقفي فيرتقي عندهم الى عهد قديم .

وهم يقدمون الذبيحة على الفطير منذ عهد بعيد. وفي ذلك اقوال فمنهم من يرجع بذلك الى عهد سابق لظهور بدعة اوطاخي ولزمن القديس غريغوريوس الكبير ومنهم من يرجع به الى زمن انعقاد المجمع التيبلي السادس . وعلى كل حال فهو يرتقي الي ما قبل القرن الثالث عشر بزمن طويل

اما عددهم فلا يزيد عن مئة الف منهم نحو ١٥ الفا في سوريا والباقون منتشرون في بر الاناضول والاستانة ومصر واوربا وبعض جهات ارمينيا

القبط الكاثوليك

هم فئة من ابناء الكنيسة القبطية أو الاسكندرية انفصلوا عن القبط المنوفيزيين بعد ان أنكروا المنوفيزية واتحدوا مع الكرسي الرسولي

اعترفوا بالعقيـدة الـكاثوليكية ومن ثم كونوا طائفة مستقلة لها بطريرك خاص يعرف بالبطريرك الاسكندري واساقفة وكنائس على حدة . وانما طقسهم هو نفس طقس القبـط المنوفيزيين معدلا على ما يتفق مع المعتقد الـكاثوليكي

ورجوعهم الاول الى المذهب الـكاثوليكي يرتقي الى اواسط القرن الخامس عشر بعدمضي سنتين من المجمع الفلورنتيني العلم الذي عقد سـنة ١٤٣٩ م كما يستدل من البراءة الـتي انفـذهـا البـابا اكليمنضس الثاني عشر الى البطريرك يوحنا الارمني سنة ١٧٣٥ وكما يستفاد مما كتبه المؤرخون الثقاة في هذا الشأن . ثم انفصلوا عن الكنيسة الرومانية وعادوا الى الاتحـاد معها في القرن السادس عشر على عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر . ثم في ايام بطريركهم جبرائيل الثامن « أو يوحنا الاسكندري » على عهد البـابا اكليمنضوس الثامن فى أواخر القرن المذكور . ولـكنهم لم يثبتوا على ذلك طويلا فعادوا ونبذوا سلطتها وظلوا على ذلك الى اواسط القرن الثامن عشر حيث بعث بطريركهم يوحنا الى البابا اكليمنضس الثاني عشر المشار اليه آنفاً يعترف بسلطته وبالمعتقد الـكاثوليكي فاقره الحبر الاعظم على بطريركية الاسكندرية . الا انهم ما لبثوا ان انضموا الى الوحدة الكاثوليكية حتى عادوا الى المنوفيزية . ويستدل من البراءة التي انفذها البابا بندكتوس الرابع عشر سـنة ١٧٤١ الى اثناسيوس القبطي

مطران اررشليم ان فريقاً من القبط كان في تلك الحقبة على المذهب الكاثوليكي

على ان عدد القبط الكاثوليك في تلك الازمنة كان قليلا لما كانوا يعانونه من اضطهاد القبط المنوفيزيين لهم . ولم يتكاثر عددهم الا منذ اواخر القرن التاسع عشر . وقد زاد القبط اقبالاً على الكثلكة على أثر ما آنسوه من عناية البابا لاون الثالث عشر بهم ولا سيما في آخر ايامه حيث مدهم بالاموال لانشاء المدارس الدينية وعهد الى الاباء اليسوعيين في مصر بتربية ناشئتهم وتخريج المختارين من ابنائهم الى الدعوة الاكليريكية واعاد لهم كرسي بطاريركية الاسكندرية باقامة المطران كيرلس مقار بطريركاعليهم سنة ١٨٩٩ وهو من اكبر علماء الكنيسة القبطية . ولكنهم ما عتموا ان اشتد ساعدهم والفوا جامعتهم الطائفية حتي قام فريق منهم على هذا البطريرك فاجبره الكرسي الرسولي على التنازل عن البطريركية «١٩٠٨» والانزواء في لبنان فشق عليه ذلك وحاول الانضمام الي الكنيسة الرومية فاخفق سعيه وعاد لخضع لرومية . ويدير شؤون القبط الروحية اليوم احد مطارنتهم بصفة نائب بطريركي أو مدبر رسولي بامر الكرسي الرسولي

ومركز القبط الكاثوليك في مصر كالاقباط المنوفزيين وعددهم جميعا بحسب احصاء سنة ١٩٠٧ الاخير ١٤٥٧٦ نفساً

وليس في سوريا الا عدد قليل جداً منهم كالاحباش الكاثوليك

الاحباش الكاثوليك.

هم الذين انفصلوا عن الاحباش المنوفيزيين وخضعوا للكرسي الرسولي الروماني بعد ان انكروا المذهب المنوفيزي واعترفوا بالمذهب الكاثوليكي

واول عهدهم بذلك يرتقي الى اواسط القرن الخامس عشر حيث بعث زاراع يعقوب ملك الحبشة سنة ١٤٤٢ الى البابا اوجينيوس الرابع يطلب الاتحاد مع الكنيسة الرومانية هو والاكليروس الحبشي. لكنهم ما لبثوا ان خضعوا للكرسي البابوي حتي تناسوا عهودهم وانفصلوا عن الوحدة الكاثوليكية وظلوا كذلك الى اواسط القرن السادس عشر فبعث ملكهم داود سنة ١٥٣٣ الى البابا اكليمنضوس السابع يعرب عن احترامه له ورغبته في الخضوع لسلطته: فانفذ البابا اليه من رومية اساقفة ومتروبوليطا باسم بطريرك الحبشة. ثم الحق بهم مرسلين من رهبانية اليسوعيين تولوا امر الكنيسة الحبشية الجديدة وقاموا بتدبير شؤونها احسن قيام وكان منهم بطريرك على الحبشة باسم مندس « سنة ١٦٢٤ » ولكن المنوفيزيين هناك عادوا فتغلبوا على الكاثوليك واستمالوا اليهم ملك الحبشة فطرد المرسلين من بلاده سنة ١٦٣٣ وبجلائهم عنها تلاشت الكثلكة فى هاتيك البلاد. ثم عادت الي الظهور فيها فيما يلي من الزمن ولكنها لم تنم بل ظلت منحصرة فى منطقة ضيقة منها الى اواخر القرن

التاسع عشر حيث انتعشت واخـذت في الانتشار وكانت الامتيازات الاجنبية من اكبر العوامل لحماية دعاتها ودرء شر المنوفيزيين عنهم

وفي الحبشة الآن مرسلون من رهبانيتي العازاريين والكبوشيين علي كل رهبانية منها نائب رسولي ترجع اليه فيما يتعلق بالجهة الداخلة في اختصاصها . وقد رد هؤلاء المرسلون الى الايمان الكاثوليكي عدداً كبيراً من الاحباش في اقاليم مختلفة من تلك المملكة الواسعة الارجاء بحيث اخذ عدد الكاثوليك هناك يتزايد سنة فسنة حتى صار يقدر بعدة آلاف بالرغم عما عانوه من المشاق فى سبيل مذهبهم الجديد وما قام من العقبات الكؤود فى وجه القائمين هناك بالدعوة الى هذا المذهب. وبات ملك الحبشة اليوم اكثر ميلاً من ذي قبل الى انشاء علائق ودية جديدة مع الكرسي الرسولي واكثر انعطافاً الى رعاياه الكاثوليك

اما فى سوريا فعدد الاحباش الكاثوليك قليل جداً وربما كان فى القدس بضعة افراد منهم لا شأن يذكر لهم بجانب الاحباش المنوفيزيين

حالتهم السياسية

وامتيازاتهم

المسيحيون في الشرق الادنى ولا سيما في البلاد العثمانية وعلى الاخص في سوريا ولبنان ينتمون الى الدول الاوروبية من عهد بعيد . فغير الكاثوليك فريقان فريق ينتمي الى الدولة التي تدين بدينه كالروم مثلا وينتمون الى روسيا لاعتبارات دينية وسياسية والروم الاغريق الى دولة اليونان والبروتستان الى الدول التابعين لهن فالاميركان منهم الى الولايات المتحدة والانكليز الى انكلترا والالمان الى المانيا. وفريق لا ينتمي الى دولة اوروبية ما بل يستعين باوروبا باسم المسيحية دفعاً لحيف يحل به أو اذى يلحقه ممن ليسوا على دينه من العثمانيين كالارمن واليعاقبة والنساطرة • وأما الكاثوليك فينتمون الى فرنسا وحماية فرنسا لكاثوليك الشرق الادنى قديمة العهد يرجع ما يتعلق منها باللاتين والموارنة الى عهد الصليبيين وما يتعلق منها بالطوائف الكاثوليكية الاخرى الى عهد نابليون الاول يوم عقد بونابرت مع الكنيسة الرومانية اتفاقا يعرف « بالكونكوردات » عهد فيه الى فرنسا بحماية الكاثوليك في الشرق بلا تمييز بين طائفة وأخرى وان يكن الغرض منه اولا حماية اللاتين . الا ان من الطوائف الكاثوليكية في البلاد العثمانية ما لها ميزة على سواها تجعل نصيبها

من هذه الحماية أوفر من نصيب غيرها لاعتبارات سياسية وتقليدية لا محل لايرادها هنا

وقد زادت المعاهدات التي عقدت بين الدولة العثمانية والدول الاوربية حماية اوربا للمسيحيين في الشرق وضوحاً واحكاماً وجاءت معاهدة برلين « سنة ١٨٧٨ » مؤيدة لهذه الحماية ولا سيما حماية فرنسا للكاثوليك بحيث احرزت هذه الدولة في البلاد العثمانية منزلة ممتازة مكنتها من بسط نفوذها الادبي عليها ولا سيما على لبنان وسوريا فوثقت عرى الود بينها وبين قسم كبير من السكان وانتشرت الآداب الفرنساوية فيها بما انشأته الرسالات الدينية الفرنساوية من المدارس والمعاهد الخيرية « انظر اللغة الفرنساوية »

وبعد ان انفصلت الحكومة الفرنساوية حديثاً عن الكنيسة الرومانية في وزارة كومب المشهورة وحمل اعداء الكاثوليك عليها تلك الحملة المنكرة اشتد التنازع والمناظرة بين الدول الاوربية الكبرى التي يكثر في الشرق عدد الكاثوليك من رعاياها كايتاليا والنمسا واسبانيا وبين فرنسا على حماية الكاثوليك في البلاد العثمانية اشتداداً كبيراً عن ذي قبل كل دولة بالنظر الى رعاياها وادت هذه المناظرة الى مخابرات سياسية بين هذه الدول من جهة وبينها وبين الباب العالي من جهة اخرى الى ان تقرر فيما بينهن ان يكون لكل دولة منهن حق حماية الرسالات الدينية المنسوبة اليها في البلاد العثمانية هذا اذا لجأت اليها والا فلفرنسا الحق الاول بهذه الحماية بناء على المعاهدات السابقة التي تخولها حق

حماية المرسلين الكاثوليك جميعاً في الشرق

اما في سوريا فاذ اشهرت وزارة كومب تلك الحرب الشعواء على الكنيسة الكاثوليكية اوجس الكاثوليك هناك خيفة واشفقوا من ان تتناولهم نتائج هذه الحملة وباتوا يتوقعون ان تعلن فرنسا رفع حمايتها عنهم . ولكن الدولة الفرنساوية لم تغير شيئاً من سياستها التقليدية في الخارج ولم تشأ ترك ذلك المركز الادبي العظيم الذي احرزته في سوريا بعد جهاد طويل بذلت فيه مهج رجالها وعناء شديد ضحت فيه شيئاً كثيراً من مصالحها خارجا عن سوريا من اجل المركز الذي لها فيها وهي فيما نعلم اكثر الدول محافظة على التقاليد الموروثة بعد انكلترا واكثرها مباهاة وتفاخراً بتاريخها القديم . فاعلنت تمسكها بحماية الكاثوليك في الديار السورية باشد من ذي قبل . وشفعت ذلك بادلة جديدة محسوسة تأييداً لسياستها التقليديه في هاتيك البلاد . وضاعفت من عنايتها على الخصوص بامر التعليم وهو الوسيلة الكبرى لنشر لغتها وحضارتها وبسط نفوذها الادبي حيثما تدعو مصلحتها الى تقوية مركزها السياسي . ولاتزال شديدة الاهتمام بمدارس الرسالات الدينية الفرنساوية وبكثير من المدارس الكاثوليكية الوطنية في لبنان وسوريا وغيرهما من البلاد العثمانية رغم ما ابدى اعداء الكاثوليك في فرنسا من المقاومة في هذا السبيل ترويجاً لفكرة التعليم المدني أو اللاديني

وقد خص السلاطين العظام انفسهم الطوائف المسيحية في الممالك

العثمانية بانعامات جلي وجعلوها مستقلة في شؤونها الداخلية دينية كانت او مدنية وخولوا مجالسها الروحيـة سلطة واسعة فما يتعلق بالاحوال الشخصية على اختـلاف درجاتها واصدروا بشكل ذلك فرمانات شاهانية محفوظة الى اليوم في خزائن البطريركيات ومدونة في السجلات الرسمية في نظارة المذاهب والاديان في عاصمة السلطنة وهي المرجع الاخير في كل ما يحدث في الممالك العثمانية بين المحـاكم المدنية والشرعية وبين مجالس بطريركيات هذه الطوائف من المشاكل والاختلافات الناشئة عن تنازع الاختصاص في النظر بالدعاوى التي ترفع اليها . وحكومة تركيا الجديدة تفكر في تعديل اختصاص هذه المجالس . ولـكن لا بد ان تبقى القاعدة المعمول بها الان دستوراً للعمل في هذه المجالس الى ان يتسنى استبدالها بما هو اكثر منها انطباقا على حاجة المسيحيين في هذا العصر واصلح لحـالهم وادعى لزيادة تعلقهم بدولتهم وتمسكهم بعثمانيتهم

المسلمون

ان الاسلام في سورية دين الاكثرية المطلقة . ويقدر عدد الذين يدينون به بنحو ٧٠ في المئة من سكانها ولهم السيطرة والنفوذ على سائر السكان والمنزلة الاولى عند الحكام . لانه دين الحكومة الرسمي خلافاً لما هي الحال في مصر حيث تعاظم النفوذ الاوربي في الربع الاخير من القرن الماضي ولا يزال حتى اضعف من سيطرة المسلمين مع انهم تسعة اعشار الامة المصرية. وقد كان للاسرة العلوية المالكة ولا سيما لعهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاسبق شأن كبير ويد طولى في اضعاف هذه السيطرة وجعل عناصر الامة على اختلاف منازعها واديانها سواء امام القانون. وهي أحدى الخلال التي ورثها البيت العلوي العظيم عن جده الاكبر محمد علي الكبير مؤسس مجده وواضع قواعد الحضارة المصرية الحديثة

وليس الغرض هنا تحديد الاسلام تحديداً منطقياً وتعريفه من حيث ملائمته لطبائع البشر وانطباقه على منازعهم الطبيعية أو مخالفته لها . وانما الغرض من ذلك ان ننظر اليه و نبحث فيه من حيث هو دين أمة عظيمة لا يقل عددها عن نحو ١٨٠ مليوناً اقل ما يقال فيه انه ايقظ الامة العربية من سباتها وانتشلها من وهدة الهمجية التي كانت تتخبط فيها وانشأ لها حضارة جديدة كانت اساساً لما

احرزته فيما يلي من الزمن من المجد الباذخ والعلم الراسخ . والقرآن الذي هو كتاب الاسلام كان بلانزاع سبباً في وضع فنون لغة العرب كاللغة والصرف والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان والقراءة والاصول الدينية والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث وعلم المحبة الآلهية وغيرها وكان اساساً لآداب هذه اللغة الغنية. وقد اتم العمل الذي بدأت به اليهودية والنصرانية في بلاد العرب من محاربة الوثنية والقضاء على الجهل الذي كان مخيما على هاتيك البلاد قضاء مبرماً

والمسلمون ينتسبون الى نبيهم محمد الذي يتصل نسبه لابيه عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشم شريف مكة بآل هاشم وهم بطن من بني قريش المنتسبين الى أحد ابناء اسمعيل بن ابراهيم الخليل ابي المؤمنين كغيرهم من قبائل العرب كما سيجيء . وقد كانت حراسة الكعبة في مكة منوطة بهم . توفي والده سنة ٥٧٠ م حوالي ولادته . وفي السادسة من عمره صحب امه امينه الى المدينة . وفيما كانت عائدة منها ادركتها الوفاة في الطريق فتولى جده عبد المطلب تربيته ثم مات فلحق بعمه ابي طالب فاخذ يستصحبه في اسفاره التجارية الى المدينة وبصرى عاصمة العربية الحجرية على ما ذكرنا في غيرهذا المكان الى ان بلغ الخامسة والعشرين من عمره فانصرف الى الاتجار باسم خديجة بنت خويلد التي تزوجها فيما بعد وهي زوجته الاولى. وفي خلال اسفاره التجارية الى بصرى تعرف الى الراهب سرجيس المعروف بحيرا من اتباع النسطورية .

كانت الوثنيـة في ذلك العصر لم تزل في ابان اختمارها وقوتها في بعض انحاء البلاد العربية رغم ما كان راسخاً في كثير من جهاتها من مبادىء اليهودية والنصرانية وتعاليمهما . وكان نبي الاسلام بلغ الاربعين من عمره فشعر بمقت العبادة الوثنية وهاله بقدر ما آلمه ما رآه في قومه من الجهل المطبق والغباوة الفاضحة واتفق له ان شهد مشهداً على جبـل حـراء بالقـرب من مـكه كان سـبباً لدعوته النـاس الى وحدانيـة الله وترك الاشـراك بعبادته وسمي تعليمه الاسـلام اي الخضوع او التسليم لله . وقد اقر ما كان ذائعاً عنـد العرب من احكام التوراة والانجيل واعترف برسالة الانبياء الذين تقدموه ولا سيما موسى وعيسى غير ان دينه كان في شرعه ناسخاً لمـا قام قبله من الاديان .

وقد قصر دعوته هذه في بادىء الامر على عشيرته وقومه ثم اتسعت دائرة اعماله وتناولت رسالته عدة قبائل . فانقاد اليه كثيرون وكثر اتباعه فالف منهم وحدة دينية جديدة واشهر حرباً عواناً على الوثنية فجاهد دعاتها ضده مستقتلين في الذود عن معتقدهم واخذوا يضطهدون من اسلم من جماعة النبي فهرب عدد كبير منهم الى المدينة ثم لحق هو بهم سنة ٦٢٢ م وانتشر مذهبه هناك انتشارا عظيما .

ولـما استتب له الامر في المدينة عمد الى اهل مكه فحاربهم وظفر بهم في وقعة بدر سنة ٦٢٤ م . ثم جرت له معهم وقعة اخرى في جبل أحد سنة ٦٢٥ م انجلت عن اندحار رجاله . وما زال بين

كر وفر يجاهد جهاد المستقل ضد الوثنيين والغزوات تتلو الغزوات حتي استولى بجماعته المسلمين علي مكه سنة ٦٣٠م فحطم الاصنام واعمل فى الوثنيين السيف وقضى علي عبادة الاوثان القضاء الاخير . وادركته منيته في ٨ جزيران « يونيو » سنة ٦٣٢ م وهو فى المدينة وعمره ٦٣ سنة ودفن هنـاك علي ما سيأتي في الـكلام على الخط الحجازي فى الجزء الثاني من هذا الـكتاب .

وتاريخ الاسلام يبتدئ في ١٦ تموز « يوليو » سنة ٦٢٢ م وهو اليوم الذى فيه هاجر النبي وجماعته من مكة الى المدينة . والسنة الاسلامية قمرية ومؤلفة من ١٢ شهراً كالسنة الشمسية وهي . محرم – صفر – ربيع الاول – ربيع الثاني – جمادى الاول – جمادى الثانى – رجب – شـعبان – رمضان – شوال – ذو القعدة – ذو الحجة . والاشهر المفردة ٢٩ يوما والمزدوجة ٣٠ يوما والسنة ٣٥٤ يوما وسنة الـكبيس ٣٥٥ يوما وتتـكرر ١١ مرة كل ٣٠ سنة . وفى كل ٣٣ سنة يمر كل شهر من أشهر السنة القمرية على فصولها الاربعة

الشيع والمذاهب الاسلامية – المسلمون شيع كثيرة مختلفة المذاهب والمنازع الدينية. انقسموا في ازمنة مختلفة وقد أدى هذا الانقسام فيهم الى منازعات كثيرة وحروب شتى اصطلت نارها فيما بينهم وهي اشبه بالمنازعات والحروب التي قامت بين الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبها صحابة القرون الطوال على نحو ماقدمنا «ص ١٩٤ و ١٩٥»

ويرجع المسلمون من حيث المعتقد الى ثلاثة اصول عامة : السنية

والشيعة والبلسية. ولكل منها عدة فروع وتجمعها خمس قواعد دينية اساسية ١ النطق بالشهادتين: الاقرار بالوحدانية وبرسالة صاحب الشريعة الاسلامية ٢ اقامة الصلاة ٣ ايفاء الزكاة ٤ صوم رمضان ٥ حج البيت الحرام

وقد كثرت شيع الاسلام الدينية والسياسية وتعددت فروع أصوله الثلاثة العامة المشار اليها آنفاً كالمعتزلة والمكرمية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية. وكثرت طرقه كالقادرية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية والدسوقيه والبدوية والخلوتية والبكرية والمولوية والبقطاشية واكثر اتباع الطريقتين الاخيرتين من الاتراك لانهما نشأتا في مدينة قونية. وتجمع هذه الطرق وغيرها من الطرق النسكية طائفة الصوفية وتلامذة شيوخ هذه الطرق يسمون بالدراويش (١). وقد ملأت هذه الشيع البلاد الاسلامية ووقع فيما بينها حروب داميات وفتن شديدة وما زال الحال كذلك الى أن ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري وكان من المعتزلة (٢) ثم ترك مذهب الاعتزال وانشأ له

---

(١) دراويش جمع درويش وهو اسم فارسي بمعني عتبة الباب وهم يعيشون بالزهد والنسك وليس للحياة المادية قيمة عندهم فيجاذفون بها ويجهدون انفسهم باعمال شاقة تستثير العواطف . وهم متفرقون ليس لهم جامعة قومية ولا شأن يذكر في ديار الشام (٢) المعتزلة فرقة عظيمة من فرق الاسلام ظهرت في صدره في ايام التابعين وكان عملها موجها ضد السنية واستفحل أمرها في ولاية العباسيين ولا سيما في عهد المعتصم والمتوكل ولو لم تنتصر الدولة العثمانية السنية ولم يتخذ سلاطينها مذهبهم لقضى المعتزلة عليهم قضاء مبرما وقد تفرعوا الى شيع كثيرة

مذهباً جديداً قوامه التوسط بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب اهل التجسيم. فتبعه اهل السنة وتميزوا بهذا المذهب عن غيرهم من الفرق الاسلامية . وكان ذلك في اوائل القرن الرابع للهجرة فانقسم حينئذ المسلمون الى خمس فرق : السنية — المرجئة — المعتزلة — الشيعة — الخوارج . وانقسمت الاربعة فرق الاخيرة الى عدة طوائف اجمعت على مخالفة اهل السنة ولكنها ظلت على خلاف فيما بينها في كثير من الامور كما هي الحال عند النصارى بين الكنيسة الرومانية والطوائف غير الكاثوليكية التي انفصلت عنها واجمعت على مخالفتها ولكنها اختلفت فيما بينها على اوجه هذه المخالفة وطرقها

ولما كان لتاريخ الفرق الاسلامية ولا سيما الكبرى منها علاقة شديدة بتاريخ سورية العام بل ويعد جزء منه راينا ان نفرد لكل منها فصلا مخصوصا ونلحق ذلك بلمحة من تاريخ بعض فرق فرعية لوجود كثير من اتباعها في الديار الشامية الى اليوم اذ لا يخلو ذلك من فائدة

السنية

هم اقوى شيع الاسلام واكثرها حضارة وتمدنا وشيعتهم اصل لجميع الطوائف الاسلامية . اما اسمهم فمشتق من « السنة » وهي عندهم الحديث النبوي المراد به التقليد ويعتبرونه اعتبارهم للقرآن بالذات ويفسر غالبا ما ابهم منه ويعيض عما لم يرد فيه. واول من جمع الحديث رجل يدعى الزهري ظهر في دمشق سنة ٧١٩ م. والسنيون يعتبرون

ابا بكر اول الخلفاء بعد محمد وثانيهم عمرو بن الخطاب وثالثهم عثمان ورابعهم علي بن ابي طالب خلافا للشيعيين فهم يعدون عليا اول الخلفاء

اول من نادى بمذهب السنية واذاعه بين العرب ابوالحسن الاشعري المشار اليه آنفا. انتشرت دعوته اولا في العراق منذ سنة ٣٨٠ للهجرة ثم امتدت الى الشام واعتنق مذهبه الملك الناصر صلاح الدين الايوبي الكردي وخلفاؤه وايدوه . واتصل الي من ولي مصر من دول الاتراك وانتشر في المغرب واريقت بسببه هناك دماء غزيرة . وبلغ في الممالك الاسلامية من الانتشار والاهمية شاوءا بعيدا انسى القوم غيره من المذاهب حتى لم يبق مذهب يخالفه الا مذهب الحنابلة . وظل الحال كذلك الى ما بعد القرن السابع للهجرة حيث ظهر تقي الدين ابو العباس الحراني فتصدى للرد على الاشاعرة وعلى الرافضية والصوفية فافترق الناس فيه فريقين : فريق يؤيده ويعول على رأيه والفريق الآخر يضلله . ثم قام ايضا الماتريدية اتباع ابي منصور الماتريدي وهم طائفة الفقهاء والحنفية نخالفوا الاشاعرة وسفهوا آراءهم.وظهر مؤخرا في بلاد العرب مذاهب اخرى مضادة لمذهب اهل السنة منها مذهب الزيدية ومذهب المكرمية في اليمن ومذهب الوهابية في بلاد نجد والدرعية وسياتي الكلام على بعضها .

وكان الاشاعرة يعرفون بالصفاتية لاثباتهم صفات الله وكانوا اولا عصبة واحدة متفقة على كليات مذهبهم وجزئياته ثم اختلفوا فيما

بينهم على الالفاظ الواردة فى السنة والكتاب فكانوا في ذلك فريقين: فريق يسلم بالتاويل والتفسير والآخر يابى عليه ذلك ويقال لهم الاشعرية الاسرية . فصار للمسلمين في ذلك خمسة آراء : ١ اعتقاد مايفهم مثله من اللغة ٢ السكوت عنها مطلقا ٣ السكوت عنها بعد نفي ارادة الظاهر ٤ حملها على المجاز ٥ حملها على الاشتراك . ولم يزالوا على هذا الخلاف الى اليوم

على ان الاختلاف يتناول ما اشكل فهمه من القرآن والحديث ولا يمس المعتقد الامساسيسيراً وهو في الفتيا او في اعراض الدين اكثر منه في جوهره. وفي ما خلا ذلك فاهل السنة متفقون ولهذا يطلق عليهم جميعا اهل السنة والجماعة

وقد رد علماؤهم هذه الاراء الى اربعة مذاهب : مالكية نسبة الى مالك بن انس الابطحي. وحنفية نسبة الى ابي حنيفة النعمان الفارسي. وشافعية نسبة الى محمد بن ادريس الشافعي القرشي المدفون في مصر. وحنابلة نسبة الى احمد بن حنبل . وقد ظهر هؤلاء الائمة الاربعة في اواسط القرن الاول للهجرة الى اواسط القرن الثانى

واكثر مسلمي سوريا من السنية وهم ينزلون المدن العامرة خلافا للشيعة فانهم يقيمون في القرى وكثير منهم رحل لا مأوى لهم لا المضارب والخيام كما سيجيء.

الشيعة

الشيعة ويقال لهم متاولة طائفة من اقوى طوائف الاسلام وهم

من اصل فارسي وتسعة اعشار الايرانيين منهم . سميوا متاولة من قولهم توالينا بعد الله في الدين خمسة : محمد وفاطمة وعلى والحسن والحسين . ولهم في ذلك وغيره عقائد يأباها اهل السنة ومن اجل هذا يسمونهم رافضية وشيعية . وهم يتبعون علي ابن ابي طالب صهر النبي ويعدونه لاسباب سياسية في الاصل اول خليفة له . ولا يقل عنه في اعتبارهم منزلة وقدرا . وان الثاني عشر من نسله وهو الاخير المعروف عندهم بالمهدي عاش عيشة نسكية منزويا في كهف في جوار بغداد ويعتقدون انه لم يمت بل حجب كما حجب مار الياس الحي في اعتبار النصارى . وانه سيظهر قبل اليوم الاخير ويجمع المسلمين على يديه وبذلك يتم له توحيد الجامعة الاسلامية . ثم يسير بجماعته الى الجنة ونحو ذلك من الاعتقادات التي يستنكرها السنية ويخالفونهم فيها كما يخالفونهم في الخلافة التي لا يقرون بحق الاولية فيها لغير ابي بكر على نحو ما تقدم .

أما وجود المتاولة في سوريا فقديم يرتقي الى عهد علي ابن ابي طالب . ظهر منهم رجل علم بالوهية علي فطرده علي الى العراق وهناك نظم مذهبه ودعا شيعة علي اليه فتبعه كثيرون وسمي اتباعه خوارج لخروجهم على علي . ولاسباب سياسية لا محل لذكرها هنا جاء قوم من اتباعه الى سوريا وانتشروا فيها وجرى لهم مع اهلها ولا سيما مع اللبنانيين حروب كثيرة سيأتي الكلام عليها في القسم التاريخي . ولما استولى السلطان سليم الاول على الديار الشامية سنة ١٥١٦ م وسمع اهل البلاد بحلمه

وعدله جاءوا اليه من انحائها يقدمون الطاعة له فامنهم على ارواحهم وارزاقهم . وكان في جملة الذين استأنسوا بوعوده متاولة بلاد بعلبك فانهم امنوا على اثر السكون الذي ساد في الديار السورية وقتئذ اعتداء اللبنانيين عليهم ومناوئتهم لهم فرحل قوم منهم من بلاد بعلبك الى لبنان واستوطنوا عدة قرى منه ولا سيما في كسروان كفاريا وحراجل وبقعاته وانتقل متاولة قرية السنّي في البقاع الى فنقا وساحل علما وفيطرون وغيرها وخالطوا اهلها ولا يزال الى اليوم في فيطرون اربعة بيوت من المتاولة الذين جاءوا اليها من البقاع . واقام فريق منهم في عرامون وغزير ثم ارتحل قوم منهم الى قضاء المتن والجرد فتفرقوا بين برمانا والقرى الجردية وعاشوا هناك زمناً طويلا وتناسلوا ونموا ولا سيما في كسروان وعلى الاخص في اواسطه وصروده وملكوا قسماً كبيراً من اراضيه الجردية وظلوا كذلك الى منتصف القرن التاسع عشر حيث قويت شوكة النصارى في القرى التي كانوا يقيمون فيها وكثرت املاك الاديرة والاوقاف في تلك الجهات . وكان الفقر قد انتاب المتاولة وسد في وجوههم منافذ الرزق لكسلهم واستسلامهم للملاذ شأن كل أمة ابطرها الرخاء واسكرتها خفقة العيش فاخذوا بالرحيل عن اواسط كسروان ثم ما لبثوا ان استقروا في صرود البلاد واعاليها حتى اخذ عددهم يتناقص فيها لتكاثر عدد المسيحيين هناك ومزاحمتهم لهم الى ان انجلوا تماما عن كثير من القرى الجردية وقل عددهم كثيراً في البعض الآخر منها واستقروا في الصرود العالية من البلاد ولا سيما في

جبة المتيطرة مايلي افقا شمالا حيث لايزال عددهم كبيراً الى اليوم ويملكون هناك كثيراً من الاراضي الخصبة

أما في الولايات السورية فلهم قرى شمالي فلسطين وفي شعرة بعلبك في الشمال الشرقي من لبنان الى حمص وما يليها من بلاد الشمال حتى انطاكية وولاية آطنه . وعددهم في سوريا يناهز ١٣٠ الفاً منهم زهاء ٥٠ الفاً في لبنان . وهم متصفون بالغدر والخيانة والتعصب الديني فلا يؤمن جانبهم ولا يخالطون اناساً ليسوا على مذهبهم كالوهابيين في بلاد نجد . وقد جرت النعرة الجنسية عندهم مجرى الامثال واللصوصية عندهم تكاد ان تكون مهنتهم الوحيدة. فان اعمالهم في لبنان وما يحيط به من البقاع محصورة في السلب والنهب وقطع الطرق على السابلة

الطائفة الباطنية

هي طائفة كبيرة كان لها شأن خطير في ما سلف من الدهر . وقد قامت منها دولة في العراق العجمي تولى منها ثمانية ملوك حكموا واحداً وسبعين سنة وتنسب الى حمدان الاشعث المعروف بقرمط او حمدان بن قرمط الملقب بالمدثر والمطوق وصاحب الخال . ظهر سنة ٧٧٨ م في العراق وسمي تعليمه علم الباطن فقيل لأشياعه الطائفة الباطنية . وما كاد يشيع تعليمه حتى اشتد ساعده وعظمت منزلته فزحف سنة ٧٩٤ م على الكوفة والبصرة وما بين النهرين وفتحها فذلت لسلطانه صاغرة . ثم قام منهم ابو سعيد الجنابي نسبة الى جنابة سنة ٨٩١ م وابنه ابو طاهر سليمان بن ابى سعيد الحسن بن بهرام القرمطي وتظاهر

في بدء أمره بالتقوى والصلاح حتى التف حوله خلق كثير وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده ولا سيما ابنه طاهر الذي لقب بالمهدي. فانه ماكاد يأنس القوة من نفسه حتى حشد جيشاً عظيما من اهل البلاد التي اخضعها سلفه وسار به الى مكة ففتحها واستولى على الحجر الاسود في خلافة المقتدر بالله بن المعتضد العباسي سنة ٩٢٩ م وظل هذا الحجر في ايدي القرامطة ٢٢ سنة ثم ردوه الى مكانه. وقد ارهب بني العباس واوقع جماعته بجيوش بغداد وانتشر دعاته في انحاء البلاد حتى لم يخل بلد منهم.

وقد تفرعت هذه الطائفة الى عدة طوائف اخصها الرافضية او غلاة الشيعة والاسمعيلية والحرمية والدولة الفاطمية التي ينتسب الدروز اليها والنصيرية وهم عدة فروع اهمها الكلازية والمشرقية وغيرهما. وقد امتاز هؤلاء بتطرفهم في مخالفة السنية وخروجهم عن قواعد السنة خروجا ادى الى اعتبار هؤلاء لهم اهل شرك لا يجوز ادماجهم في الفرق الاسلامية

الاسمعيلية:

هم فرع من الطائفة الباطنية التى تقدم ذكرها « ص ٣١٥ » ينتسبون الى اسماعيل منشيء بدعتهم وهو سادس خليفة لعلي بن ابى طالب وقد ظهر في منتصف القرن الثامن للمسيح. ويسميهم الفرس مشايخ الجبل والمساهون ملحدين لفساد تعاليمهم. اشتهروا فى القرون الوسطى ابان الحروب الصليبية بالاعمال البربرية ويوصفون فى تاريخ العصر

الصليبي بقتلة وسفاكي الدماء وبطائفة الحشاشين أو الحشيشية .

اما معتقدهم فيشبه من بعض الوجوه معتقد الشيعيين وهو مزيج من الخرافات الوثنية جمعوا اليها مبادىء مبهمة من فلسفة اليونان وتعاليم الدهريين ومذهب زوورواستر . واضافوا الى ذلك كله مبدأ التقمص كما هي الحال عند الدروز الى غير ذلك مما لا يقع تحت قياس . ولم يبق من مذهبهم اليوم الا مزيج مبهم من هذه المبادىء والتعاليم الفاسدة لا يعرف له منشأ صحيح ولا تعليل ينطبق على معقول او منقول . من ذلك ما يذهبون اليه اليوم من أن الاله ظهر في محمد آغو خان ابن علي خان الذي كان وزيراً لحسين شاه العجم . وقد نفي الى بومباى في الهند وهو يدعى انه من سلالة الحسين بن على بن ابي طالب

ومعظم الاسمعيلية في بلاد اليمن . والسوريون منهم يقيمون في مقاطعة الخوابي الى الجنوب الشرقي من المرقب في ارياف طرطوس وفي مقاطعة القدموس شرقي المرقب في جبال النصيرية وفي مصياف الواقعة شماليها على الحدود وعددهم هناك نحو ٢٥ الفا

الدروز

الدروز شيعة من شيع المسلمين المتفرعة من الطائفة الباطنية « ص ٣١٤ » وينتسبون الى الدولة الفاطمية التي ملكت على مصر بعد دولة بني طولون الاخشيديين « ٩٣٥ — ٩٦٩ م » واشهر ملوكها المعز لدين الله صاحب القيروان الذي تولى الملك سنة ٩٦٩ م

وفتح مصر وجعل القاهرة مقر خلافته وهو ابو تميم معد بن المنصور أسماعيل بن القائم بن عبيد الله الملقب بالمهدي مؤسس هذه الدولة. وسميت هذه الدولة بالفاطمية نسبة الى فاطمة الزهراء زوجة علي ابن ابي طالب وبنت نبي المسلمين وبالعلوية نسبة الى الامام علي وبالعبيديه نسبة الى عبيد الله المهدي المذكور

والى هذه الدولة ينتسب الدروز وقد نشأوا في ايام الحاكم بامر الله ابو علي المنصور العبيدي بن العزيز بالله ويقال له الحاكم بامره وهو السادس من ملوك الفاطميين (وقيل بل هو ثالث ملوكهم) وقد تولى على الديار المصرية وعمره احدى عشرة سنة « سنة ٩٩٦ ـ ١٠٢٠ » وهو منشيء مذهب الدروز . وكان يرسل دعاة ومبشرين الى الشامات والى مابين النهرين لينذروا بمذهبه وكان يدعي علم الغيب

وقد عرف هذا الفرع من الطائفة الباطنية بالدروز نسبة الى رجل عجمي الاصل يقال له محمد بن اسمعيل الدرزي المسمي فى كتبهم نشتكين وهو احد دعاة ومبشري الحاكم بامرالله . جاءمصر سنة١٠١٦ م « ٤٠٧ هجرية »ودخل في خدمة الحاكم واذ كان من الطائفة الباطنية ودعاة تعليمها زين للملك الادعاء بالالوهية او وافقه على اثبات ادعائه بها . فصادف ذلك هوى من فؤاد الخليفة وهوشاب تستهويه الاحلام . فجرى على الخطة التى رسمها له الدرزى لبلوغ غرضه وايده في دعوته الناس الي الاعتقاد بالوهيته وبالتقمص وجاهر الدرزي بتعليمه وانشأ كتابا شرح فيه مذهبه شرحا وافياً

وزعم فيه ان نفس آدم جازت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقمصة من واحد الى آخر حتي انتهت الى الحاكم واستقرت فيه وان الحاكم مبدع الكون الى غير ذلك مما لاحاجة لنا بذكره. ولشغب حدث ضده في القاهرة على اثر نشره هذا الكتاب وتلاوته في الجامع ارسله الحاكم سراً الى سورية اشفاقا عليه من هياج الشعب الذي عده كافرا وهم بالفتك به . فنزل في وادي التيم بالقرب من جبل الشيخ ونادى هناك بالوهية مولاه . وكان ذلك في ايام الامراء التنوخيين . ولما كان بنو تنوخ من الطائفة الباطنية ينزعون الى هذه الدخيلة وهم وقتئذ اصحاب البلاد صادفت دعوته هوى من نفوسهم فانقادوا الى تعليمه وعضدوه فتبعه كثيرون من اهل البلاد . ومما زاد هذا المذهب انتشاراً في تلك الارجاء انه كان عند الحاكم رجل آخر يسمى حمزه بن علي بن احمد وهو عجمي ايضا ويلقب عندهم بالهادي وكان مزاحما لمحمد بن اسماعيل الدرزي المشار اليه آنفا فانفذه الحاكم الى بلاد الشام حيث قام بالتبشير بمذهبه ودعوة الناس اليه وعلم بالوهية الحاكم وجعل نفسه نائبا له . وكان محمد الدرزي قتل في وقعة مع الترك سنة ١٠٩٩ او السنة التالية لها على قول بعضهم . فلم يعد لحمزه من مزاحم فشاعت دعوته وجعلها مذهبا دينيا قائما بذاته ذا اتباع واشياع . والدروز يبالغون في اكرامه ويقدسون اسمه ويلعنون الدرزي ويكرهون الانتساب اليه فيسمون انفسهم موحدين اي قائمين بتوحيد الحاكم

اما الحاكم فانه قتل سنة ١٠٢٠ « وقيل سنة ١٠٢٨ » ذلك انه اتهم اخته سيدة الملك برجل يقال له ابن دواس فخافت ان يفتضح امرها فيقتلها شقيقها ويلحقه بها ففتكت به خوفا على حياتها. وعلى اثر مقتله كتب حمزه رسالة تعرف عند الدروز بالسجل المعلق وعلقها على باب الجامع زعم فيها ان الحاكم اختفي امتحانا لايمان المؤمنين

وكانت ديانتهم في بدء امرها مستترة فلما قهرهم ابرهيم باشا الفاتح المصري المشهور وفتح معابدهم في المكان المعروف بخلوات البياضه في جبل حاصبيا من اعمال لبنان وقعت كتبهم بايدي الجند وتداولتها الايدي فظهرت ديانتهم وعرفها الناس

اما كتب الدروز فهي رسائل الحاكم وحمزه وتعليقات الشيخ بهاء الدين الصابري والشيخ زين الدين معاضد والشيخ يوسف الكفرقوقي من وادى التيم . وقد علق على هذه الرسائل الامير عبد الله التنوخي الملقب بالسيد وهو ولي من اوليائهم وله مقام في قرية عبيه يزورونه بالنذور والهدايا . ومن كتبهم ايضا كتاب المشاهد والاسرار التوحيدية في اربع مجلدات نقل بعضها الى فرنسا سنة ١٧٠٠ . ويوجد من كتبهم في مكتبة الامة في باريس وفي مكتبة الفاتيكان برومية وفي المكتبة الامبراطورية في فينا وفي مدرسة ليد وفي جامعة اكسفورد وغيرها

وهم يؤمنون باله واحد ظهر ظهورا بشريا عشر مرات آخرها في شخص الحاكم بامره كما ظهر عند المسيحيين في شخص

المسيح . ومن معتقدهم ان الحاكم سيعود الى الظهور عند انتهاء العالم حيث ياتي ياجوج وماجوج من داخلية الصين وهم عندهم « القوم الكرام » فيتجلى على البيت الحرام ويقتل ابليس والشيطان ويهدم جماعته الكعبة ويفتكون بالنصارى والمسلمين وينشيء مملكة واسعة ويؤمن به سائر سكان العالم .

ويبالغ عقالهم فى تكريم الحاكم بامره فيحظرون على ابناء مذهبهم الاقرار لغيره بالالوهية وبحق العبادة او التكريم. ويعتقدون بالتقميص والارواح عندهم على عدد واحد لاتزيد ولا تنقص فهي تجوز من انسان الى آخر خلافا لما هى الحال عند النصيرية وفريق من اليهود الذين يعتقدون بالتناسخ القائم بتقمص روح انسان الى جسم حيوان او جماد. ومن ذلك انهم يذهبون الى ان اصفياء الله ومختاريه يتقمصون كل بدوره مرارا الى اجسام الانبياء والابرار ومن معتقدهم في التقمص ان ابليس ظهر في جسم آدم ثم جاز الى نوح فالى ابراهيم فموسى فعيسى فمحمد ثم الى سعيد . وان الشيطان ظهر في جسم شيت ثم انتقل الي سام فاسماعيل فيشوع ابن نون بعدها رون ثم ظهر فى شمعون « سمعان » الصفا ثم فى علي بن ابي طالب ثم فى القداح صاحب القرامطة . ويجوز عندهم عدم الاباحة بمعتقدهم لانهم انما يعولون فيه على الباطن لاعلى الظاهر. ولايحق افشاء شيء من اسراره ومبادئه الا لمن كان متمسكا بدينه منهم ويستحلون في الباطن مايستحله معظم اتباع الطائفة الباطنية وغيرهم

من اهل الشرك من عدم الاعتراف لمن كانوا خارجين عن مذهبهم بحق ماموروثاً كان اومكتسباً . ويعتقدون بكل ما كفر به اولئك . اما اعتقادهم بالانجيل و قرآن فانما هو اعتقاد ناقص بل ليس فيه ما يدعو الى تسميته اعتقادا لانهم يختارون منهما ما يمكن تخريجه وتأويله على وجه يتفق مع تعليمهم . و يذهبون الى ان القرآن وحي نزل على سلمان الفارسي فاخذه نبي المسلمين عنه ويسمونه المسطور المبين . والله عندهم هو حمزه بن علي و و دون الحاكم بامره منزلة وعظمة

واخص مايأبونه من الفرائض سبعة : الشهادتين والصلاة الخمسة والزكاة وصوم رمضان والحج والجهاد والولاية . وقد اسقطها عنهم فيما يزعمون الحاكم لما تجلى سنة ١٠١٧م واستبدلها بسبع فرائض اخرى منها الصدق والمحافظة على الاخوان وغير ذلك .

غير ان من طقوسهم ماينطبق على طقوس المسلمين ولا سيما في الجنازات . وعادات الفريقين وتقاليدها متشابهة من اوجه كثيرة وان يكن هناك بون عظيم بين معتقدات الفريقين

والدروز طبقتان عقال وجهال . والعقال ثلاث طبقات : خاصة وهم الواقفون على اسرار الدين . وعامة وهم من لم يفتهم بعض الحقائق من دينهم . ومنزهون وهم العباد الزاهدون في الدنيا ويعيشون عيشة نسك وتقشف وحرمان . والعقال يتولون الشؤون الدينية ولهم وحدهم حق الوقوف على اسرار الدين وهم لايدخنون ولا يشربون المسكر . واما الجهال فليس لهم ما للعقال من المميزات ومحظور عليهم

الاجتماع بهم في خلواتهم ومجالسهم

ولقد اشتهر الدروز بالمجاملة والعصبية والشجاعة وذمة الجوار واكرام الضيف والاخذ بالثأر والتكتم. وهم شديدو الحرص على كرامة اعيانهم وكبارهم حرصهم على اعز شيء عندهم. فيبالغون في احترامهم لهم ويضحون النفس والنفيس في سبيل مرضاتهم واكتساب ثقتهم. ولذلك فان لابناء البيوت الكبيرة منهم شأناً خطيراً عندهم ولزعمائهم نفوذاً كبيرا عليهم لم يضعفه ماتوالى على البلاد من الحوادث والفتن على يد هؤلاء الزعماء ولم تؤثر عليه الحركة الفكرية التي تشأت بين سكان سورية ولا سيما بين اللبنانيين فى الربع الاخير من القرن الماضي تأثيراً يذكر كما اثرت على نفوذ اعيان المسيحيين من سكان لبنان. وعلى الاجمال فان اجتماع الدروز تحت كنف كبارهم والتفافهم حولهم حفظا وحدتهم واوجدا لهم جامعة قومية متميزة عن سائر الجامعات القومية في سورية. وبهذه الصفات الجليلة حفظوا كيانهم وسط الطوائف التى خالطوها واقاموا بين ظهرانيها ردحا طويلا من الدهر بالرغم عما جرى لهم معها من الحوادث والحروب الطاحنة وما قام بين احزابهم ولا سيما بين الحزبين المشهورين الجنبلاطي والازبكي من الفتن والمنازعات التى لم تزل اخبارها راسخة في الاذهان وآثار نتائجها ظاهرة في جنوب لبنان الى اليوم

والدروز يقيمون في حوران في جبل الشوق وبعض المتن من جنوب لبنان ويقدرعددهم بزهاء ١٥٠ الفا واما في لبنان فعددهم ينا هز ٥٠ الفا

النصيرية

طائفة قديمة سريانية الاصل كان لها شان يذكر في عصر الرومان وكان عليها أمير يلقب بشيخ الجبل. وهي فرع من القرامطة الذين نشأوا في الكوفة من العراق العربي وهم من الطائفة الباطنية. انشأها رجل يدعى نصر أو نصير النميري من موالي علي بن ابي طالب بين آخر القرن التاسع واوائل العاشر للمسيح وسمى اتباعه نصيرية وانصارية. وكان لنصير اثنا عشر رسولا ينذرون بتعاليمه. وقد اله علي بن ابي طالب وزعم ان الشمس وقفت له كما وقفت ليشوع بن نون! ولذلك كان يعلم اتباعه ان يسجدوا للشمس اربع مرات في النهار مرتين قبل الشروق ومرتين قبل المغيب. وقد ظهر اولا في الكوفة ثم ارتحل الى الشام وذاع مذهبه هناك ثم اختفي وطمست اخباره. وتلاه محمد بن جندب ثم عبدالله الجنان الجنبلان الفارسي وعقبه الحسين بن حمدان الخصيبي وهو اعظم دعاة النصيرية.

والنصيرية قسمان شمالي وكلازي. فالشماليون يرسلون لحاهم ويحرمون التدخين واكل بعض انواع الخضرة ويحظرون على الرجال لبس الاحمر. والكلازيون يخالفونهم في ذلك كله ويمتازون عنهم بكثير من العادات والمعتقدات منها الزام مشايخهم تبادل نسائهم فيما بينهم ومن ابى امتنع عليه دخول الجنة. وفيما خلا ذلك فالفريقان متفقان على تحريم الزنا واكل بعض اللحوم كلحم الخنزير والخنكليس والسمك والحجل والقنفذ. ومما يستملح من عاداتهم ان مشايخهم لا يوآكلون

الحكام الذين تعودوا اختلاس اموال الناس . والكلازيون يعبدون القمر ويزعمون ان عليا يشغل النقطة السوداء منه . ومن النصيرية من يعبدون السماء . ومنهم من يعبدون الشفق او الهواء . ومنهم من يعبدون الشمس لزعمهم ان عليا استقر فيها . والشماليون يؤلهون محمد بن عبد الله ويعتقدون انه يتصل بعلي ليلا وينفصل عنه نهارا وان محمدا والسيد سلمان الفارسي وعلى بن ابى طالب هم الثالوث الاقدس فعلي هو الاب ومحمد الابن وسلمان الروح القدس . وان سلمان خلق المقداد والمقداد خلق الناس او على رأي بعضهم ان المقداد خلق الايتام الخمسة وفي جملتهم المقداد . وهؤلاء جميعا خلقوا العالم ونظموا السموات والارض وهم : المقداد وابو الدر وعبد الله بن رواحة « وهو في اعتقادهم عزرائيل » وعثمان وقنبر . الي غير ذلك من الاعتقادات الوثنية التى لا فائدة من ذكرها هنا . وهم يعتقدون التناسخ غير انهم لا يحصرونه في البشر كالدروز بل ان الروح تنتقل عندهم الى الحيوانات والمعادن فيزعمون ان الروح الشقية تدخل فى خنزير او كلب او ذئب ونحوه . واما الروح الصالحة فتدخل في جسم بشري الى ان تبلغ دربا التبان . ومن اجل ذلك يفتح النصيري كوة فوق باب بيته تجتاز منها ارواح المولودين والاموات حديثاً ويشبهون الدروز ايضا فى مسألة العقال والجهال ولعقالهم حق الوقوف على اسرار الدين دون سواهم كما هي الحال عند الدروز . ويشبهونهم ايضا فى انكار مصالح من ليسوا على مذهبهم وفي الايمة

والناطق والاساس والسابق والتالي ولكنهم يخالفونهم فى صفات اصحاب الادوار وفي استعمالهم الخمر فى الامور الدينية وفى الاعياد. ويشبهون المسلمين في اعترافهم بالقرآن والمجوس بعبادة الشمس والاجرام الفلكية والنصارى بتكريم المسيح وبطرس زعيم رسله . ويعيدون عيد الغدير وعيد الاضحى وعيد المهرجان وعيد البرباره وعيد ميلاد المسيح وعيد الختان والغطاس وعيد يوحنا المعمدان وفم الذهب والشعانين والعنصرة وعيد مريم المجدليه وعيد النيروز وليلة نصف شعبان وليلة اول رمضان وبعض لياليه . والقرويون منهم يصومون رمضان . ومصدر هذه الاعياد عندهم فارسي وما نوي . وجاء في الدر المنظوم عنهم ان تنصرهم يرتقي الى سنة ١٧٣٣ على عهد ماريكوس ملك القدس فاعفاهم لذلك من اداء الجزية لفرسان الهيكل وقدرها كل سنة الف درهم . ثم عادوا الي مذهبهم القديم . غير انهم مازالوا يحفظون عادات نصرانية ويحتفلون بالاعياد المسيحية الآنفة الذكر ولكن على اسلوب مخالف لاسلوب المسيحيين

ولمشايخهم ثلاث رتب رتبة الامام ورتبة النقيب ورتبة النجيب . وهم يرجعون اليهم في جميع امورهم وليس لحكمهم عندهم من مرد ولادخال الغريب فى دينهم طرق ونظامات غريبة تشبه الطرق المستعملة في الجمعيات السرية . واهم مايعولون عليه في ذلك اليمين التي يقسمها طالب الدخول في دينهم على كتمان السر فهي تبيح لهم قتله وشرب دمه اذا اباح بسر من اسرار الدين . واول ما يستعملونه لذلك من

الاسرار الدينية التبرؤ او سورة الشتائم للتي انشأها لهم ابو سعيد الميمون . وفي هذه السورة يلعنون ابا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد وسعيد وخالد بن الوليد ومعاوية وابنه يزيد والحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الملك بن مرون وهرون الرشيد واسحق الاحمر واسمعيل بن خلاد والشيخ البدوي والرفاعي والدسوقي والمغربي وعبد القادر الكيلاني والبطريرك يوحنا مارون وكل يهودي ومسيحي والمذاهب الاسلامية الاربعة : الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي . وهم لايعلمون النساء الصلاة لاعتقادهم انهن خلقن من ذنوب الابالسة . واكثرهم يعتقدون ان النساء مجردات عن النفس الناطقة كالحيوانات . ومن قبيح مايزعمونه أن ارواح الشرفاء والعلماء من المسلمين والنصارى واليهود تحل في هياكل بعض الحيوانات وان من كان شريراً من النصيرية تحل روحه عند موته في هياكل المواشي . وهم ينتظرون بعذاب جميع الطوائف . ولهم اشارات يعرفون بها بعضهم بعضا . ولهم كتب دينية خاصة بهم جمعوا فيها كثيراً من خرافات الوثنيين على مثال الخرافات المتقدمة الذكر .

وكان النصيرية عند اول ظهورهم ينزلون شواطيء الفرات ثم انتقلوا على التمادي الى جبال النصيرية حيثما يقيمون اليوم وهي سلسلة جبال تبتدىء عند مصب نهر العاصي من الجنوب بعد الجبل الاقرع الواقع بالقرب من انطاكية وتمتد الى وادي قلعة الحصن ودير الحيرة حيث تبتدئ سلسلة لبنان الشمالية . وهم هناك منصرفون

الى حرانة الارض . ولهم في ولاية آطنة عدة قرى ولا سيما بقرب مرسين على شاطىء البحر غربي جبل بركات وقد عرفنا بلادهم بنفسنا سنة ١٨٩٧ وما يليها

الحرمية

فرع من الطائفة الباطنية ينتسب الى بابك الحرمي الذى ظهر فى خلافة عبد الله بن المامون بن رشيد العباسي واستولى على بلاد همران وعلى الجبال ثم انهزمت جماعته الى بلاد الروم . ويسمى اتباعه ملحدون وهم ينزلون شمالي سوريا وعددهم هناك قليل يكاد ان لا يذكر .

الوهابيون

هم اشهر من قام من المبتدعين في الاسلام في الازمنة الحديثة واحدثوا انقلابا فيه جديرا بالذكر . اشتهر امرهم فى آخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر برئاسة زعيمهم محمد بن عبد الوهاب التميمي الذى ظهر سنة ١٧٤٦ في داريا من بلاد نجد وقاموا بثورة هائلة يريدون بها اعادة الاسلام الي بساطته القديمة . وكان اول ما ساءهم منه مبالغة اهله في تكريم الاولياء حتي العبادة . على ان الغرض الحقيقى من ثورتهم هذه لم يكن قاصرا على الوجهة الدينية بل هناك اعتبارات واغراضا سياسية ادت بهم الي توجيه حركتهم ضد الاتراك وان تكن فى ظاهرها دينية بحتة

انفوا حزبهم في العراق ولما قويت شوكتهم واشتد ساعدهم جمعوا جموعهم وزحفوا علي الطائف ومكة فملكوهما وحاصروا

جده واخذوا مدينة يثرب وعمدوا الى قبور الاولياء فهدموها ودكوها من اسسها . ولم يقفوا عند هذا الحد بل هدموا قبر النبي وقبر الحسين والحقوا بهما مسجد علي . ولما استتب لهم الامر في هاتيك الاصقاع صرفوا عنايتهم الى اعادة آداب الاسلام وعادات المسلمين الى بساطتها الاصلية وحرموا التدخين وشرب المسكر الى غير ذلك من العادات المضرة وما زالوا اصحاب الامر في تلك البلاد الى سنة ١٨١٥ . ولولا وقوف محمد علي باشا الكبير والي مصر في وجههم واستظهار ابنه ابراهيم باشا الفاتح المصري الشهير عليهم واخراجه لهم من الحجاز لاحدثت ثورتهم هذه انقلاباً عظيماً في الاسلام ولكانوا اليوم دولة عظيمة في الشرق تحسب لها دول الغرب حساباً كبيراً

ومن مذهب الوهابيين التوحيد المحض وعدم الاعتراف بغير الله والرجوع في جميع الشؤون الدينية الى القرآن وسنة الصحابة غير ملتفتين الى التفاسير كما هو الحال عند البروتستان وعند القرائين من اليهود « ص ١٧٥ و١٧٦ و٢١٨ » وهم شديدو التعصب لمذهبهم فيكرهون من لم يكن عليه ولا يخالطونه ولا يقبلونه في بلادهم مهما عظم شأنه . ومما يؤثر عنهم انهم يكرهون الناس على الصلاة اكراهاً ولا يجيزون الالتجاء الى الاولياء والانبياء . ويذكرون اسم النبي مجرداً عن الالقاب وعبارات التكريم لئلا يعد ذلك منهم اشراكاً بالله . ولهم اطوار غريبة يستنكرها المسلمون لا محل لوصفها هنا . وهم ينزلون خاصة بلاد نجد وعددهم هناك غير قليل . اما في الديار السورية

فوجودهم نادر فتكاد لاتعثر بواحد منهم الا في الجهات المتطرفة منها

* * *

الى هذا انتهى الكلام عن المسلمين وفرقهم الاصلية والفرعية. ولما كان من سكان سورية من ليسوا على مذهب الاسلام ولا هم ايضا من الطوائف المتفرعة من النصرانية او اليهودية رأينا أن نفرد لكل شيعة من شيعاتهم فصلا مخصوصا اتماماً للفائدة:

البهائيون

ينتسب البهائيون الى رجل اعجمي يقال له بهية الله ظهر في بلاد فارس، في منتصف القرن التاسع عشر واسس مذهباً جديداً سماه « باب الحق » زعم انه وفق فيه بين تعاليم الانجيل وتعاليم القرآن وقد انتشر مذهبه هناك بسرعة مدهشة حتى بلغ عدد اتباعه نحو مئتي الف نفس. ولما استفحل أمره في بلاد فارس اضطهدته حكومتها وشبت ثورة في البلاد هلك فيها من اتباعه خلق كثير حتى اضطر للفرار الى بغداد. واتصل خبره الى الدولة العثمانية فنفته الى ادرنه ثم الى عكاء وقد توفى هناك وخلفه ابنه عباس فقام بدعوته خير قيام. ولم يزل الى اليوم يجاهد في نشرها. وله منزلة عليا بين قومه وهم يؤلهونه. وللرجل صفات ممتازة ويعد من الطبقة الراقية. ويقيم في عكاء حيثما صرف والده آخر ايامه. واشياعه ايرانيون وعددهم هناك قليل الا ان منهم جماعة من اهل العلم والمعرفة اشتهروا بادآبهم الرائعة وما من سائح من الاميركان والاوروبيين يأتي عكاء

ويزور زعيم البهائيين الا ويخرج من داره معجبابصفاته مثنياً على فرط ادبه وسمو اخلاقه

اليزيدية

شيعة كبيرة في كردستان ينزل قوم منها في جبل سنجار في الشمال الشرقي من الجزيرة الفراتية . ومنهم من يقيمون في جهت انطاكية وفي ضواحي حلب ويعرفون بعبدة الشيطان وطفاء السرج ودينهم مزيج غريب من مذاهب واديان شتى اخصها الدين المسيحي والدين الوثني . وهم يعبدون الشيطان ويسمونه كاروبين ويكرمونه الى حد أنهم يفتكون بمن يتجرأ على لعنه . ويعتقدون بالتناسخ كالنصيرية « ص ٣٢٣ » والدروز « ص ٣١٦ » ويسجدون للشمس ثلاث سجدات كل يوم عند طلوعها فوق الافق . ولهم اطوار وعادات غريبة مستهجنة ومعتقدات وثنية فاسدة تشبه بعض معتقدات النصيرية من عدة اوجه وعندهم الختان والمعمودية . وهم قسمان بيض وسود فالسود هم رؤساء الشيعة سموا سوداء لسواد ملابسهم . والبيض هم عامة الشعب سموا هكذا لان ملابسهم بيضاء . ويبلغ عدد اليزيدية زهاء عشرة الاف نفس

الصائبون

شيعة في شمالي سورية دينها مزيج من عدة مذاهب ويزعم اتباعها انهم مسيحيون ويسمون انفسهم « مندي يحي » اي تلاميذ ماري يوحنا . والحقيقة انه ليس عندهم من تعاليم الدين المسيحي ومبادئه

الا مانذر . والظاهر انهم متسلسلون من احدى الشيعات اليهودية القديمة .
ولهم معتقدات غريبة كاليزيدية والنصيرية منها اعتقادهم ان الدين المسيحي يقوم بالاكثار من تطهيرات الجسد ولهم طرق مخصوصة لممارسة هذه التطهيرات وهي قاصرة عليهم دون غيرهم . وهم دون اليزيدية اهمية وعدداً

وهناك طوائف اخرى لا اهمية لهـا اعرضنا عن ذكرها ضناً بالوقت وتفرغا لمابقي لدينا من المواضيع الهامة التي انما لاجلها وضعنا هذا الكتاب .

اخلاق السوريين
وعاداتهم وتقاليدهم

اهم الصفات المأثورة عن السوري حدة الطبع والنشاط والهمة والاباء والغيرة والثبات وحب الطبيعة والشعر بمعناه الحقيقي اي تلك الصفات المقتبسة من جودة الهواء وصفاء الجو وجمال الطبيعة وقوة المناخ وكثرة الاحتكاك بالشعوب الناهضة النشيطه والامم الفاتحة ومناهضتها ومنازعتها السلطة . وهذه المميزات تتجلى خاصة باجمل مظاهرها عند اللبنانيين ولا سيما عند من لم يختلطوا منهم باهل المدن ولم يكثروا من التعاطي معهم فظلوا بمعزل عن المؤثرات التي تكيف الاخلاق وتغير فيها ما شاء ناموس تنازع البقاء تغييره من اطوار المرء وعاداته واخلاقه. فان اللبناني ينشأ على هذه الصفات وعليها يشب ويشيب لان عناصر الطبيعة باجمعها تقضي بنموها وتأصلها فيه فلا تنفك احداها عن الآخرى حتى الموت. فهو لا يستطيع ولو بلغ به نكد الطالع الى ادنى دركات جوعا. وكثيراً ما تكون شدة اعتماده على نفسه واعتداده بمقدرته وكفاءته سبباً في هلاكه فيقذف بنفسه الى مهاوي الاخطار ويجاذف بحياته سعياً الى حاجة يتطلبها فلا يرجع

الا وهو غانم وهـذا هو السر في ما نراه عليه فى ديار الغربة من اليسر وسعة الرزق والنفوذ . ولنا على نشاطه وميله الي الانتشار والاستقلال والاباء امثلة كثيرة لاسبيل لايرادها هنا . وهو من طبعه غيور على مصلحة وطنه وبني جنسه ودينه وكثيرا ما يذهب ضحية هذه الغيرة . وما نراه احيانا من استكانته وقلة اكتراثه لما يعرض له من امور وطنه ومواطنيه انما هو سراب لا حقيقة له اقتبسه بمعاشرة اهل المدن ومخالطتهم وهو من مقتضيات روح العصر بل من اخص مميزات ضحايا المدنية الحديثة فلا مفر له منه ولا سيما اذا كان يلتمس اصلاحا لشأنه ومرتزقا له ولعياله . على ان ما نشأ عليه من غيرة واباء يظل برغم تلك العوامل والمؤثرات كامناً فى صدره الى ان يستثيره عامل ما فيعود الى الظهور .

ومن التقاليد الموروثة عند السوريين عموما واللبنانيين منهم خصوصا الاخذ بالثأر وحفظ الذمام واقراء الضيف واغاثة الجار واجارة اللاجئ اليهم المستجير بهم فلا يطيقون صبرا على حلول كرب به ونزول عقاب عليه وهو في حماهم . ولهم في اكرام الضيف عادات وتقاليد موروثة جديرة بالاعجاب لايسعنا ذكرها لضيق المقام واشد السوريين محافظة على هـذه التقاليد من كان منهم اكثر امتزاجا من سواه بالعرب لانها تقاليد عربية اقتبسها السوريون منهم على تعاقب الايام وهم سكان الجهات المتاخمة لبلاد العربية وللاقاليم السورية المتطرفة كبعض جهات فلسطين ودمشق

وضواحيها واواسط لبنان وصروده واهل التخوم اللبنانية والسورية الشمالية والجنوبية واهل القرى الذين لم يختلطوا كثيراً باهل المدن اختلاط اهل الجهات الاخرى بهم ومن لم يهاجر منهم فهؤلاء جميعهم حفظوا هذه التقاليد وتلك الاخلاق والعادات الموروثة ولم يتطرق اليها اقل فساد أو تغيير

ومن اكثر عادات السوريين واللبنانيين شيوعاً بينهم واشدها رسوخا فيهم اشتراك بعضهم مع البعض الآخر اشتراكا محسوساً في السراء والضراء وخاصة في لبنان وحوران حيث يتقسمون نفقات الاعراس والمآتم فيخففون وطأة المصائب على اصحابها ويلطفون من متاعبهم واحزانهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا

ومن عاداتهم ولا سيما في لبنان الندب في المآتم وهو انواع شتى كالغناء ومنها الحداء والترويد والعراضة (اطلاق النار) والزغرطة واكثر مايكون ذلك في الاعراس والاحتفالات الكبيرة التي تقام اما احتفاء بقدوم كبير او تكرمة لزعيم عند توليه منصباً في الحكومة وما شابه ذلك . ومن الاغاني الشائعة عند العامة المعنى والقرادي وهو شعر عامي موزون له عندهم قواعد وضوابط والشاعر العامي يعرف بالقوال واكثر مايستعملون هذا النوع من الشعر في الافراح والاحتفالات وكثيراً ماتنتهي المباراة بين القوالين ومن يتشيع لهم من الحاضرين بالخصام والاقتتال . وهذا النوع من الشعر شائع في القطر المصري ولكن مع بعض الاختلاف في

الوزن واللحن . ومن عاداتهم الرقص البلدي المعروف بالدبكه وهو يشابه رقص اليونان ورقص البولكه الافرنجي من عدة اوجه . ولعب السيف ويعرف عندهم بالحكم واكثر شيوعه في اعالى لبنان وشماليه وفي الجهات الراسخة فيها العادات العربية اكثر من سواها في انحاء سورية وفلسطين

وللسوريين في الجنازات والاعراس والولائم والاحتفالات الوطنية نفس التقاليد والعادات المتبعة فى مصر وبلاد العرب وان اختلفت في بعض التفصيلات . وذلك مما يدل دلالة صريحة على أن مصدرها واحد يرجع الى الفتح العربي الذي هو ايضاً منشأ ماتراه من التقارب والتشابه بين اخلاق المصريين والسوريين وعاداتهم وتقاليدهم الدينية والمدنية من جهة وبينها عنداليونان من جهة أخرى لما هو مشهور من اختلاط اليونان بهذين الشعبين اللذين نشأت في ارضهما المدنية القديمة ومنها انبعثت انوار العلم الى اقطار الدنيا وما هو مقرر تاريخياً من تبادل المعارف والآداب بين هذه الشعوب الثلاث من زمن عريق فى القدم (انظر اللغتين العربية واليونانية) ومن اجل هذا التشابه في التقاليد والعادات حتى وفي ما لا يخضع للمؤثرات الطبيعية من الطباع والأخلاق بين السوريين والمصريين نشأ ماتراه سائداً بينهما من اتفاق المشارب واتحاد القلوب . ولدينا على ذلك شواهد كثيرة تتجلى خاصة بأتم مظاهرها في علاقات الافراد من

الشعبين بعضهم مع بعض وميل الذين امتزجوا من المصريين بالسوريين في مصر وسوريه الى الديار الشامية وشغف الطبقة الراقية منهم بها وفي اتفاق كلمة اعيانهم وعلمائهم وحكامهم على الامتداح من آداب السوريين واللبنانيين واجماع هؤلاء على الاعجاب باخلاق المصريين واعتبارهم لهم اخواناً صادقين لهم عليهم حقوق اللغة والجوار.

اما الملابس عند السوريين فاكثر مايقع فيها من الاختلاف والتباين عند رجال الدين من المسلمين واليهود والمسيحيين مما لامحل لذكره هنا. وأما ملابس الشعب فاشكال شتى منها السروال والكبران والطربوش المغربي واكثر شيوع هذا الزي في لبنان ولا سيما عند الطبقة الدنيا من الشعب وخاصة في القرى الجردية. وهذا الزي يشابه زي اهل الجبال في بلاد اليونان. والقنباز «القفطان» ويلبسونه خاصة في دمشق وحلب ومدن فلسطين الداخلية وعند من نال من الطبقة الوسطى في لبنان قسطا من اليسر وشيئا من المدنية الحديثة. واما الملبوسات الافرنجية فاكثر شيوعها في المدن والبلدان الساحلية وبين الذين تغربوا الى مصر او اوربا او اميركا. وهم يلبسون الطربوش الاسلامبولي فيتبعون في شكله القواعد المتبعة في مصر. وأما العرب فيلبسون القفطان وفوقه رداء طويلا ويسترون رؤوسهم بكوفية يشدونها عليها بغديرة من الصوف اوالشعر تعرف بالعقال. ونساؤهم يلبسن رداء طويلا يشابه القفطان ويجزن شعر رؤوسهن وهكذا المتاوله والنصيرية. واما النساء السوريات فيتقلدن

الاوربيات في الملابس وفي كثير من العادات. وللطبقة الراقية منهن في هذا التقليد مهارة غريبة حتى انه يستحيل تمييزها من هذه الجهة عن الطبقة الراقية فى اوروبا. وفي هذا الاندفاع الغريب بتقلد نساء السوريات للاوربيات معايب كثيرة باتت في ايامنا هذه شراً وبيلا على سوريه وبلاء عظيما على آداب السوريين وان يكن اساسه جميلا يدل على فطنة السوري وقابليته الغريبة للترقي. والنسوة في اكثر انحاء سوريه ولا سيما في الشمال والجنوب كن الى نحو ثلاثين سنة خلت يلبسن القفطان وكان لهن في عمله تفنن غريب كما هي الحال اليوم فى الزي الاوربي الحاضر. وكن يلبسن على رؤوسهن طنطورا وهو قبع مستطيل مخروطي الشكل مزين بقطع المسكوكات القديمة وبغيرها من مواد للزينة تختلف باختلاف مرتبات النساء ودرجاتهن في الثروة. وهو اشبه شيء بالقبعة الافرنجية المعروفة عند اهل الزى اليوم باسم « توك ». وهن اليوم يلبسن الملابس الشائعة المتقدمة الذكر ويخرجن سافرات الوجوه الا الدرزيات والنصيريات فانهن يسترن وجههن بمنديل من الشاش فلا يظهر منه الا عين واحدة ويعرف هذا التحجب عند الدروز بالتستيح. واما النساء العربيات فالحضريات منهن يخرجن متحجبات. واما البدويات فنصف سافرات على مثال النصيرية والمتاولة

منشأ التمدن السوري

مما اجمع العلماء عليه ان العلم نشأ في الشرق ثم امتد تدريجاً الى الغرب فتناوله اليونان وعنهم أخذ الرومان فانشأوا التمدن الروماني وانتقل منهم الى الامم الاوربية في القرون الوسطى وحفظ في الكنائس والمعاهد الدينية ثم عاد فانتقل الى الغرب على يد اليونان رسله الاولين فتلقته الفرس والسريان والعرب وغيرهم .

واسبق بلاد الشرق الى الاشتغال بالعلم والادب وادي النيل ووادي الفرات ، فقد كانا حقبة طويلة من الدهر منتجع العلم والادب ومبعث انوارهما في حين ان العالم كان يتخبط في دياجي الجهل . وتعاصر المصريون واهل الجزيرة الفراتية وتبادلوا المعارف فكانوا هدى ونورا لمن خلفهم على مملكة العلم واساساً بنى عليه المتأخرون مدنيتهم

ويرتقي عهد العلم في ارض الفراعنة الى عصر الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى اي منذ نحو ستة الآف سنة قبل أن بنيت اهرام الجيزة. وقد كان في عهد الدولة السادسة منذ نيف وخمسين قرناً دار كتب يعتني بها الحكام اعتناءهم باهم مصالح المملكة. وكان الفراعنة شديدي الحرص على العلم يبالغون في اكرام اهله

ويتفاخرون به واخصهم طوسرسن وطوطمس الثالث ورعميس الثاني فاتح سوريا « انظر القسم التاريخي في الجزء الثاني »

اما في وادي الفرات فان العلم يرتقي الى اقدم أعصر التاريخ أيضاً ولا سيما في بابل وأشور. ويستدل من الآثار البابلية القديمة انه قبل ان يظهر التمدن البابلي جاء تلك البقعة الاكاديون والسومريون في نحو القرن الخامس والاربعين قبل الميلاد اى منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ونشروا فيها مدنيتهم وعلومهم. وكان لديهم الكتابة المسمارية فاقتبسها البابليون منهم ونقشوا بها اخبارهم على آثارهم واخذوا عنهم صنائعهم والصنائع اخص مظاهر التمدن (١)

---

(١) مما لامراء فيه ان الصنائع ولا سيما صناعة الحجر انما هي اقدم مظاهر الحضارة القديمة ويعرف الزمن الذي عرفت فيه هذه الصناعة بالعصر الحجري وقسمه العلماء الى قسمين: العصر القديم والعصر الجديد. ولكل منهما مميزات وآداب وعادات وصنائع واعتقادات خاصة به. وذهبوا الى ان العصر الجديد استمر مئة الف سنة ويعول من ذهبوا هذا المذهب على المشاهدات العلمية في الطبقات الجيولوجية التي وجدوا تحتها الادوات الحجرية الاولى. وهم يرتقون بالعصر الحجري على العموم الى ما قبل ازمنة التاريخ المعروفة. وقد خالفهم كثيرون من العلماء فقالوا بمرافقة هذا العصر لبقية الاعصر التي تلته بدليل ان عهد الحجارة والمغاور لم يزل مستمراً الى الوقت الحاضر عند البدو الفقراء الذين كثيراً ما يتخذون الكهوف مآوي لهم في ايام الشتاء ويتركون فيها كثيراً من الادوات الحجرية عند ارتحالهم عنها في ايام الصيف فيحسبها المقبون من آثار العصور الخالية التي تقدمت التاريخ. على انه مهما يكن من الاسباب والشواهد التي يوردها كل من الفريقين تأييداً لمذهبه في ذلك فان العصر الحجري ابتدأ بلا ريب قبل الاعصر المعدنية. ومما لاريب فيه ان اسبق بلاد المشرقه

وهكذا اسس البابليون تمدنهم على تمدن اولئك القوم . وما زالت العلوم زاهرة عند البابليين الى اوائل القرن العشرين قبل المسيح اي نحو خمسة وعشرين قرنا .

وقد اخذ اهل الشام والعراق عن مؤسسي هذا التمدن كثيرا من اسباب العلم كما يستدل من مزامير داود . وعاصرهم في وادي الفرات بعض الدول السامية . وقد وجدوا في آثار بابل كتابات يستدل منها ان ملكا من ملوكها الذين حكموا هناك منذ ستين قرنا كان محبا للعلم واهله وانشأ مكتبة في «ورو» من اعمال العراق سماها مدينة الكتب وملأها بانفس الاسفار . وعثر المنقبون في الازمنة المتأخرة على بقايا هذه المكتبة ونقلت الى المتحف البريطاني في لندن . واقدم أثر علمي بقي سالما كاملا الى هذا العهد شريعة حمورابي فانها دونت باللغة الاشورية

الى الانتقال الى العصر البرونزي فالحديدي انما هي وادي النيل ووادي الفرات وجزر اليونان وسيا الصغرى . فالمصنوعات المعدنية في هاتيك لاصقاع قديمة جداً والمصنوعات النحاسية اقدم من الحديدية ثم مزجوا النحاس مع القصدير وجعلوا منها البرونز وتدرجوا من ذلك الى المصنوعات المعدنية الاخري كالفضة والذهب وغيرهما . وما زالت صناعة المعادن ترتقي الى أن قلبت صفحة العالم القديم وتوصل الفكر بواسطة فن الرسم الي الاتحاد مع المادة اتحاداً جعلها احسن ممثل له واتم مظهر من مظاهره . وهذه الرسوم التي وجدوها في اشور وبابل وسوريا ومصر فهي ترمز الى حوادث وموقعات تاريخية وتقاليد وعادات وطنية ودينية تعبر عن الفكر تعبيراً واضحاً . وما لبث الفكر أن أصبح اقرب تناولا ووضوحا بواسطة الخط الذي هو جزء من صناعة الرسم وبذلك بدأ التاريخ

« انظر اللغة الفينيقية »

وترتقي الي اوسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد. ودولة موراني في اعتبار العلماء المدققين اقدم دول العرب. ويلي المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون فالحثيون والفرس والهنود والصينيون وغيرهم في جهت اخرى (١)

---

(١) ان العلماء المحدثين مجمعون على ان حضارة القديمة نشأت في وادي الفرات فكانت تلك الارض مهدا لها وهم يضعون تمدن السومريين في اول مرتبة من هذه الحضارة بحيث يجعلونهم المؤسسين الاولين لها والي هؤلاء القوم تعزي الحضارة المصرية الاولى ايضاً فانهم لما غشوا وادي الفرات تخلف فريق منهم وجاءوا الى مصر وكانت تحكمها قبائل من البرابرة كانت متسلطة على افريقيا الشمالية فلم يطل بهم الوقت حتى بسطوا نفوذهم عليها وبثوا تمدنهم وعلمهم بين اهلها وسارت حضارتهم هناك وفي وادي الفرات جنبا الى جنب ومنذ ذلك الحين قامت دول الفراعنة وعلى ذلك فان مصر ابنة كلديا البكر او هي عبارة من مستعمرة للشعوب التي كانت منتشرة في وادي الدجلة والفرات

والسومريون هم الذين نقلوا تقاليد الطوفان الى الامم التي اختلطت بهم. ويليهم في التمدن القديم البابليون او الكلدان على نحو ماتقدم في المتن ثم الساميون الذين هجروا وطنهم واتصلوا الي بلاد الكلدان وارض العيلاميين واخذوا من سكانها مدنيتهم وآدابهم. وقد اختلف في زمن هجرة هؤلاء الساميين الي بلاد الكلدان فان فريقا من العلماء المحدثين يذهبون الى انها كانت قبل الميلاد باربعين قرنا وعندنا ان زمن هجرتهم هذه غير معروف تماما لتعذر وجود آثار صحيحة تدل عليها فان اكثر الباحثين عن الامور الاشورية والكلدانية لم يتمكنوا الى اليوم من ان يقرروا تاريخا صحيحاً اقدم من القرن العشرين قبل المسيح اذ لا يوجد الى الآن كتابة اشورية أوبابلية مؤرخة من اقدم عصور مملكة اشور و اقدم كتابة وجدت تتعلق بالسلالة الخامسة التاريخية التي تبتدىء سنة ١٢٧٣ قبل الميلاد. ومما أجمعوا عليه أن غزوة الرعاة «هيكسوس» لمصر انما هي نتيجة طبيعية للانقلاب الذي احدثته في العالم القديم فتوحات الشعوب الاسيوية وان قبائل سامية فرت من امام الغزاة وما زالت تتنقل من مرحلة الي اخرى حتى اتصلت الي مصر

ولكل من الامم الشرقية والغربية ميزة على سواها هي نتيجة استعداده الفطري. ومنشأ هذا الاستعداد فيما نعلم طبيعة البلاد نتيجة صفتها المكتسبة الناشئة عن الاحتكاك بالامم المجاورة والاختلاط معهن بالزواج والمعاشرة والمعاملة ونحو ذلك. فقد

وغشت ارضها لتاوا استولت عليها ثم قامت مصر بدورها وتلقنت الفتح من غزاتها. سادت على العالم بضعة قرون لى ان قامت دولة اشور وخضدت شوكتها و وقفتها عن المسير الى الامام. وقد ارعبت اشور العالم القديم بالمظالم التي ارتكبتها في تغلبها على الشعوب الضعيفة ولم تر آسيه عصرا كثرت فيه الفظائع و المغارم كعصر الاشوريين. وان ملوك نينوى نسجوا على منوال واحد في التمتع بشقاء الامم المغلوبة التي دانت لهم وكانوا يتفاخرون بالفظائع التي كانوا أتونها. وعندما قاربت أشور الانقراض اخذت تجلي مهمة الاريين اجداد لاوربيين وهم في الاصل من سيبيريا هجروها ار غشيانها بالجليد وانقسموا لي ثلاثة قسام: قسم جاء الي شمالي الهند. القسم الثاني وهو الفرع المادي العجمي اجتاز بلاد ايران ونزل جنوبي بحر قزبين ومنذ القرن التاسع بدأ فتوحاته وحروبه مع اشور وهي الدولة التي انقرضت على يده. والقسم الثالث وهو الاصل اليوناني اجتاز وادي الدانوب واجتاح بلاد تراس واتصل الى اسيه الصغرى وقد ردد هوميروس في قصائده ولا سيما عند وصفه حرب تروادا احدى الحروب التي خاض هذا القسم غمارها في ذلك العصر من هجرته. ولم يطل بهذا الفرع الاخير من الآريين عهد احتكاكه بآسيه ومصر حتى اكتسب مدنية القطرين ونزع من الفينقيين سيادة البحار. وعلى ذلك يكون تمدن الارياسيين انتشر بواسطة اليونان ثم بواسطة الرومان ومنهم اتصل الى بقية الامم الغربية وهكذا انتقل التمدن من الشرق الي الغرب.

والخلاصة ان التمدن القديم نشأ في كلديا ثم اخذ بالتنقل بقدم متثاقل نحو الغرب وبعد ان انتقل اولا من السومريين الى البابليين والساميين على نحو ما تقدم اتصل الي الارياسيين او الآريين اجداد اليونان وهؤلاء نقلوه الي الغرب

امتاز اليونان عن سواهم منذ القدم بسعة التصور والميل الى الفلسفة العقلية وقوة العارضة ونبغوا في الشعر القصصي والتمثيل واحسن مثال لهذا النوع من الشعر عندهم الياذة هوميروس (١) ومثلهم الهنود ويمتازون باستغراقهم في الخيالات والاوهام وقد صنفوا من القصص الخرافية على السنة الحيوانات مالا يقع تحت حصر. ويمتاز الرومان في السياسة والتشريع ولهم في ذلك آثار نفيسة لاتخلو سوريا منها. وأما العرب فيمتازون بسرعة الخاطر وسعة الخيال ودقة الاحساس. وامتاز اليهود بالتوحيد والتدين ومثل هؤلاء الفرس والسريان وغيرهم فلكل شعب منهم ميزة على سواه ترجع في اصلها الى اسباب طبيعية واكتسابية على نحو ماقدمنا

تلك صفوة مايقال في تمدن الشرق في الدور الاول من حياته العلمية بعد تكون الشعوب الاولى واستقرارها وأخذها باسباب العمران على ماتقتضيه سنة الارتقاء في الناموس الطبيعي

---

(١) عني حضرة العلامة سليمان أفندي البستاني بترجمة الالياذة الى اللغة العربيه بانفس مانظم من الشعر القصصي وقد صرف في ترجمتها فيما نعلم خمسه عشر سنة

لغات سوريا

قديما وحديثا

لما كانت سوريا موطن الشعوب الاولى التى تكونت من سكان الارض الاولين وقاعدة تمدنها لزم أن تكون مهد اللغات البشرية ولغاتها ارقى اللغات جميعاً ومرجعها الاصلي الوحيد . ولما كان الساميون في مقدمة الشعوب التى نشأت فيها نسبت هذه اللغات اليهم وسميت سامية لانهم حيثما نزلوا فيها كانوا يتفاهمون بهذه اللغات سواء كان في ما بين النهرين او جزيرة العرب أو ديار الشام .

واللغات السامية اخوات انقرضت امهن قبل زمن التاريخ وسمى علماء اللغات هذه الام اللغة الآرامية نسبة الى آرام اشهر ابناء سام واشهر هذه اللغات العربية والسريانية والعبرانية والحبشية والفينيقية والاشورية والبابلية ولم يبق منها حيا الا الاربعة الاولى وارقاها اللغة العربية .

ولما كانت الفينيقية والعبرانية والسريانية والعربية أعظم هذه اللغات شأنا واكثرها شيوعاً في الديار السورية فيما مضى من الزمن وكانت العربية على الخصوص لغة القرآن وبها يتفاهم ابناء سوريا منذ عدة قرون رأينا ان نفرد لكل منها فصلا مخصوصاً غير غافلين عما كان شائعا او هو شائع اليوم في هذه البلاد من اللغات السنسكريتية كاليونانية التي تشغل مرتبة رفيعة بين اللغات القديمة الحية وقد

اتصل ابناؤها بالناطقين بالضاد اتصالا مكينا باجتماع علمهم الى المسلمين في العصر الاول لظهورهم وانشأوا في سوريا تمدناً مخصوصاً طال امده ثم الفرنساوية وهي الآن لغة العلوم ومظهر التمدن الحديث في الديار الشامية . والايطالية والانكليزية وشأنها في بث آداب الانكلوسكسون في هذه البلاد اصبح خطيرا لا يستهان به وقد شغل جانباً عظيما من اهتمام السوريين . ثم اللغة التركية هي لغة الحكومة الرسمية

وقبل ان نبسط الكلام على كل لغة من هذه اللغات نرى اتماماً للفائدة ان نتكلم على اصول اللغات وفروعها ومنشأ كل لغة منها بحيث يكون القارىء على بينة من أمره فيسهل عليه استيعاب ما سنضمن الفصول الآتية من التفاصيل في تاريخ كل لغة منها

تمهيد — كانت اللغة عند سكان الارض الاولين واحدة ولما انقسموا الى قبائل وتفرقوا في المعمورة انقسمت لغتهم الى عدة لغات او لهجات بحسب تعدد هذه القبائل وعلى التمادي تباعدت هذه اللغات احداها عن الاخرى بدرجات متفاوتة تختلف باختلاف تقارب هذه القبائل واتحادها او تباعدها وتقاطعها . ولما كان ابناء سام في اوائل امرهم اكثر هذه القبائل اتحاداً واعظمهن سطوة امكنهم ان يحفظوا لغتهم اكثر من سواهم

وقد تعاقبت على اللغات القديمة ثلاثة ادوار . ففي الدور الاول كانت كلماتها ذات هجاء واحد . وفي الدور الثاني اصبحت هذه

الكلمات تلحق احداها بالاخرى وزيد على اصول الكلمات بعض احرف . وفي الدور الثالث دخل التصريف على اصول الكلمات للدلالة على معان مختلفة ومن ذلك نتجت الاشتقاقات .

والعلماء يحصرون اللغات التصريفية في اصلين كبيرين عامين : الاصل السامي او السرياني والاصل السنسكريتي.

« لاصل السامي »

يقسم الاصل السامي — ويسمى سرياني عربي — الى فرعين عامين الفرع الشمالي او السرياني والفرع الجنوبي و الغربي .

الفرع العام الشمالي : ان هذا الفرع انقسم الى ثلاث لغات : الآرامية . والكنعانية . والاشورية

اللغة الارامية — هي لغة ابناء آرام وهم اهل سوريا الجنوبية وما بين النهرين وما يليها وهي شقيقة العبرانية و لفنيقية الا انها متميزة عنهما بخصائص تميز الفرنساوية من الايطالية . ومن فروعها — ١ — اللغة التي كتبت بها بعض اجزاء من اسفار الكتاب المقدس كنبوءة دانيال واسفار عزرا ونحميا واستير وقد بقيت آثارها الى القرن التاسع بعد المسيح —٢— اللغة السريانية التي كان يستعملها اهل الرها نصيبين على الخصوص وقد كتبت بها ترجمة الاسفار المقدسة المسماه بسيطة وغيرها — ٣ — اللغة التي كان يستعملها اليهود وغيرهم في سوريا وفلسطين في ايام المسيح وقد كتب الربانيون او ربيون بها التلمود

الاورشليمي والتلمود البابلي وتعرف بالسريانية الكلدانية وسماها بعضهم عبرانية ـ ٤ ـ اللغة التدمرية التي استعملت في تدمر ونواحيها وفي شمالي سوريا لعهد دولة تدمر ـ ٥ ـ اللغة النبطية وكانت لغة اهل العربية الحجرية وقيل انها من الفرع العام الجنوبي لانها اقرب الى العربية منها الى السريانية وهو الاصوب فيما نظن ـ ٦ ـ اللغة السامرية وهي لغة السامرة في عهد ولاية الاشوريين والكلدان والفرس وبها كتبت التوراة السامرية . ومنهم من يردون هذه اللغات الي ثلاثة فروع مهمة : السرياني الحقيقي وهو فصحها . والارامي . والكلداني او النبطي « انظر اللغة السريانية »

٢ ـ اللغة الكنعانية ـ هي لغة الشعوب الكنعانية ولها فرعان : ـ ١ ـ العبرانية وهي لغة اهل الجبال من كنعانيي فلسطين واليوم لغة اليهود الدينية ـ ٢ ـ الفينيقية وهي لغة اهل السواحل من الكنعانيين وهي والعبرانية شقيقتان شديدتا التشابه وقد اندرست من زمن بعيد . ولها ثلاثة فروع : فرع جبيل وفرع صيداء والفرع البوني و القرطجني

٣ ـ اللغة الاشورية ـ للاشورية عدة فروع لامحل لذكرها وقد اندرست اليوم تماماً

الفرع العام الجنوبي : ان الفرع الجنوبي من الاصل السامي هو اللغة العربية وقد انقسم الى لغتين لغة بني قحطان او يقطان ولغة بني اسماعيل .

١ لغة بني قحطان ـ هي لغة بلاد العرب الجنوبية و بعض بلاد الحبشة ولها أربعة فروع : ـ ١ـ الفرع السباوي او الحميرى . ـ ٢ ـ الفرع الحضرموتي ـ ٣ ـ الفرع الميناوي ـ ٤ ـ الفرع العقيلى

٢ لغة بني اسمعيل ـ لها اربعة فروع او لهجات : ـ ١ ـ لغة بلاد العرب ـ ٢ ـ لغة سوريا ـ ٣ ـ لغة مصر ـ ٤ـ لغة المغرب

ومن اللغات التي تفرعت من الاصل السامي لغة بعض اهل الحبشة وهي ذات عدة فروع . ومن هذا الاصل ايضاً تفرعت اللغة الحامية ولها ثلاثة فروع : ـ ١ـ المصري القديم المكتوب بالحروف الهيروغليفية ـ ٢ ـ لغة فريق من اهل الحبشة ـ ٣ ـ اللغة الليبية وهى لغة اهل ليبيا غربي مصر

وقد كانت اللغات السامية والحامية متحدة ثم انفصلت تماما فى عهد عريق في القدم سابق العهد تقدم اللغات وتحسينها

« الاصل "سنسكريتي »

هو الاصل الثاني العام للغات التصريفية الاولى ويسمى مع فروعه اللغات اليافثية نسبة الى يافث وترجمته عندالهنود « ماهو كامل بنفسه » وقد كان موطن هذه اللغة بلاد الهند وكانت اللغة العامة هناك زهاء عشرين قرناً ثم اصبحت على التمادي لغة العلم والدين وهي الاصل العام للغات الهندية على اختلاف فروعها ولهجاتها .ولها فرعان عامان: الهندي الايراني والهندي والاوروباوي

الهندى الايراني

يتشعب من هذا الفرع ثلاث لغات : الزند والفارسي والارمني

الزند - هو لغة الكتب الدينية المنسوبة الى روزواستر الشارع الذي وضع دين الفرس القدماء او صححه

الفارسي - ويعبر عنه بالقلم المسماري وبه دونت الكتابات التي ترتقى الى عهد ملوك الفرس القدماء. ومن فروعه اللغة الكردية

الارمني - هو لغة الارمن وقد وضع حروف هجائها مسروب الراهب في القرن الخامس للمسيح عند تنصر الارمن «ص٢٣٤»

الهندي الاوروباوي :

لهذا الفرع خمس لغات : اليوناني . واللاتيني. والسلتي . والجرماني والسلافي اي الصقلبي .

اليوناني - يتشعب منه عدة فروع منها الايولياني والدوري والاتيكي والمكدوني ومنهم من يجعلون اللغة الالبانية من فروع اليوناني او لهجة من لهجات لغة البلاسج وهم اليونان . وقيل انها اقرب الى السنسكريت الاصلي منها الى اليونانية

اللاتيني - هو ام الايطالية والفرنساوية والاسبانية والبرتغالية والرومانيانية

السلتي - ان هذه اللغة محصورة الآن في بعض جهات فرنسا وجزر بريطانيا ولها فرعان الفرع الغالي وهو لغة أهل الغال في جزر بريطانيا

وفرع بروتون وهو لغة بعض أهل شمال فرنسا ومن هذا الفرع لغة ايرلندا

الجرماني – يشتمل على فرعين عامين : الغوتيك او الغططي والالماني . فالغططي اندثر وقد تفرعت منه ثلاث لغات : – ١ – لغة الدنمرك واسوج – ٢ – لغة الانكلوساكسون التي كانت مع اللغة الفرنساوية اصلا للغة الانكليزية – ٣ – اللغة الالمانية السافلة وفيها عدة لهجات . أما الفرع الالماني فقد تفرعت منه عدة لغات منها اللغة الالمانيه واللغة النمساوية

السلافي أو الصقلبي – يشتمل السلافي على فرعين عامين : فرع السلاف وفرع اللاتيك . فالسلاف قسمان شرقي وغربي . فمن السلاف الشرقي اللغة المكتوبة فيها الطقوس الدينية في كنائس الصقالبة وقد بطلت ان تكون اللغة العامة منذ القرون الوسطى وتقرب منها اللغة البلغارية المشتقة من لغة الصقالبة الجنوبيين . ومن هذا الفرع ايضاً اللغة الروسية ثم اللغة السربية التى يتكلم بها سكان البلاد الواقعة بين الادرياتيك وبين الدانوب . واما الفرع السلافى الغربي فهو لغة اهل بولونيا وبوهيميا وغيرهما . واللغات السلافيه شديدة التقارب والتشابه ماعدا لغة بلغاريا فانها تنفرد عن اخواتها ببعض المميزات

واما فرع الاتيك فمن لغاته لغة قديمة فى بروسيا نسختها الالمانية ولغة أخرى تكلم بها شعب قرضه البولونيون فانقرضت معه

اللغة الفينيقية

افينيقية احدى اللغات السامية وهي والعبرانية فرعان عامان للاصل الكنعاني المشتق من الفرع العام الشمالي السرياني من الاصل السامي . وكثيراً ماسميت كنعانية ولا سيما في نبوءة اشعيا . ولشدة مابينها وبين شقيقتها العبرانية من التشابه والتناسب كان يتعذر التمييز بينهما ولذلك جعلهما علماء اليونان اسمين مترادفين لمعنى واحد . ولئن كانت لغة التكلم تختلف عند الفريقين من بعض الوجوه لاسباب اخصها ان العبرانية كانت لغة اهل الجبال من كنعاني فلسطين والفينيقية لغة أهل السواحل وهذا الاختلاف فى لغة التكلم بين أهل الجبل واهل السواحل سنة طبيعية لااستثناء لها . لئن كان ذلك فان لغة الكتابة عند الفريقين واحدة وليس فى الفينيقة الا مميزات قليلة منها كثرة استعمال الضم في حروفها واهمال الخفض فى التهجئة الاخيرة من الكلمة واما حذف الحركات الطويلة او حروف المد في الكتابة وهوما يعد فى جملة مميزات هذه اللغة فيظهر انه لم يكن قاصرا عليها بل كان شائعاً قديما فى كتابة الفينيقي والعبراني وسائر اللغات السامية . وفى ماخلا هذه الفوارق الضعيفه فان الفينيقيه تتفق فى كل ماهوجوهري مع عبرانيه الكتاب المقدس

منشأ الحروف الفينيقيه — اما منشأ لغة الكتابة عند الفينيقيين فيرجع الى اقدم اعصر التاريخ . والحروف الفينيقية هي باجماع العلماء

المدققين اصل ومصدر حروف الهجاء لسائر اللغات . وبيان ذلك ان فن الكتابة كان في أول أمره قاصراً على صور ورسوم تشير اما الى مادة حقيقية موجودة او الى غرض مجازي لايشار اليه الا بالرمز او الى صوت يدل على كلمة مقصودة او على بعض حروفها

ثم تطرقوا الى التعبير عن الفكر برسم صور دالة على مسمياتها بحقيقتها أو مشيرة الى الغرض المقصود بقرينة ما كما هي الحال في الرسوم التي تشير الى المعارك والحروب ونحو ذلك . وقد وجدوا من هذه الكتابة ستة انواع هيروغليفية : الهيروغليف المصرى ـ العلامات الصينية ـ العلامات المسمارية في بلاد الكلدان ـ الكتابة الحثية في شمال سوريا وفي آسيا الصغرى ـ الكتابة المكسيكية ـ الكتابة السكانوتية . وكلاهما في اميركا

الا ان هذه الصور كانت قاصرة على الماديات وما سهل ادراكه من المجازيات فلم يستطع اصحابها ان يمثلوا بها التصورات المجردة عن المادة كتصور العدل والرحمة والحب والحقيقة والكذب ونحو ذلك ولهذا اضطروا للتوسع في الاستدلال من الصور التي كانوا ينقشونها على الهجاء الاول من مسمياتها بحيث اصبحت تلك العلامات والصور صوتية بعد ان كانت لاتتجاوز حيز التصور . ولكن هذا النوع من الكتابة ظل قاصراً لايفي بالحاجة

وظل الحال كذلك الى ان فكر الفينيقيون في استنباط هجاء الكتابة . وكان بين اللغتين المصرية والسامية او الفينيقية تشابه

تام في خمسة عشر حرفاً أو علامة وهي المعبر عنها عند المصريين بالحروف الصوتيـة (١) فأخذها الفينيقيون وأضافوا اليها سبعة أحرف من عندهم تبعد صورها عن العلامات الهيروغليفية فاصطلحوا علي تأدية لفظها بالخطوط المصرية بحيث الفوا من مجموعها اثنين وعشرين حرفا جعلوها هجاء للغتهم. وكان هذا الهجاء مصدراً وأصلا لحروف الكتابة في جميع اللغات . فمنها ما صدر منها رأساً ومنها ما هو مأخوذ عن أحد فروعها (٢) . ولم يجد العلماء الي اليوم حروف هجاء قبل الحروف الفينيقية . وما وجدوه من الكتابات القديمة انما يرجع بهجائه عن بعد أو عن قرب الى أصل الهجاء الفينيقي خلافا لما يذهب اليه بعض المحدثين من ان الفينيقيين ليسوا بمستنبطي هجاء لغتهم بل نقلوه عن غيرهم. اذ لو كان الامر كذلك لوجدنا لهجائهم أصلا في الآثار المصرية أو الاشورية والبابلية . مع ان ما وجدوه من هذه الآثار حتى اليوم لا يؤيد هذا المذهب . وما ذكرناه من تعويلهم في انشاء هجاء لغتهم على العلامات المصرية لا يصح ان يتخذ دليلا على أنهم ليسوا بمستنبطي الهجاء الاول لسائر اللغات .

---

(١) ان ما كان بين اللغتين المصرية والسامية أو الفينيقية من التشابه يرجع عهده الي عصر الرعاة في مصر . فقد استمرت ولا يتهم عليها من القرن الحادي والعشرين الي القرن السادس عشر قبل الميلاد . وباتصال الفينيقيين بالمصريين في ذلك العصر اتصل نفوذ فينيقيا الي مصر قبل ان يتصل نفوذ مصر الي فينيقيا من حيث الصنائع والدين والآداب ودخلت اللغة المصرية الفاظ وتعبيرات كثيرة من اللغات السامية .

(٢) ان العلماء يردون الحروف في جميع اللغات الى خمسة أصول : الاصل

وقد طرأ على الحروف الفينيقية بعض التغيير فقلب شكلها شيئاً وكيفها قليلا بحيث لم تثبت الكتابة على وضعها الاصلي الى النهاية . وينحصر ما دخل من التبديل على هيئتها في ثلاثة أدوار أو أعصر :

الدور الاول — كانت الكتابة الفينيقية في هذا الدور شائعة عند سائر الشعوب الآرامية وكانت تمتاز فيه بان بعض أحرف منها كان في بدء الامر معوجاً كثير الزوايا ثم صار بعد ذلك مستديراً . ويبتدئ هذا الدور في عهد ولاية الرعاة في مصر السفلى وينتهي في القرن السادس قبل الميلاد

الدور الثاني — انقسمت فيه الكتابة الفينيقية الى قسمين : الكتابة الصيدونية والكتابة القرطاجنية . فالكتابة الصيدونية استعملت من القرن السادس قبل المسيح الى صدر النصرانية . وتمتاز هذه الكتابة بكون احرفها أكثر استدارة واقل تعرجاً من احرف الكتابة في الدور الاول . وكانت ضخمة من وسطها دقيقة من رأسها.

السامي . واليوناني الايطالي . والايباري . والشمالي . والهندي الحميري

الاصل السامي — له فرعان عامان : السرياني والعربي .

الاصل اليوناني الايطالي — له فرعان : اليوناني واللاتيني .

الاصل الايباري — هو لغة أسبانيا .

الاصل الشمالي — هو لغة كان يستعملها قديماً الاسكندينافيون أهل أسوج ونروج والجرمانيون والصقالبة .

الاصل الهندي الحميري — نشأ في بلاد العرب الجنوبية ثم انتقل الى افريقيا واشتقت منه كتابة الاحباش والليبيين وشاع أيضاً في خراسان من أعمال بلاد فارس . ثم انتقل الى الهند . وتفرعت منه أقلام أو فروع عديدة تضمها خمسة أصول لا محل لذكرها هنا . وتألف منه ومن قلم الحميريين في اليمن أصل مستقل .

واما الكتابة القرطاجنية فقريبة من الصيدونية لكن حروفها غير منسوقة على خط مستقيم بل محدبة قليلا.

الدور الثالث — كانت الكتابة الفينيقية في هذا الدور تعرف بالبونية وهي الفينيقية الحديثة. وكانت تستعمل على الساحل الغربي من البحر المتوسط من القرن الثاني قبل الميلاد الى ما بعد استيلاء الرومان على سوريا . واحرفها تمتاز ببساطتها وتعلق أحدها بالآخر حتى اشكلت قرآتها

ومن العلماء من يردون فروع اللغة الفينيقية الى ثلاثة فروع أصلية كبيرة وهى : فرع جبيل وهو أقرب هذه الفروع الثلاثة الى اللغة العبرانية . وفرع صيداء وهو الاهم والاكثر انتشارا . والفرع البوني وهو لغة الفينيقيين الذين هاجروا الى قرطاجنة.

وقد تقربت اللغة الفينيقية من الآرامية أوالسريانية عقب الفتح الاشوري ثم دخلتها ألفاظ وتعابير يونانية بعد غارة اليونان على فينيقية فأحدثت فيها انقلابا كبيرا واو شكت ان تندرس تماما ولا سيما بعد ان أصبحت اليونانية لغة أهل المدن وكبار القوم في الديار السورية. الا انها باختلاطها مع السرياني ظلت لغة قسم من الشعب الى ان ظهرت اللغة العربية التى تقاربها فدفنتها كما دفنت سائر اللغات السامية وقضت عليها القضاء الاخير .وأما في قرطاجنة والمستعمرات الفينيقية في شمالي

فلجميع هذه الحروف أو الاقلام على اختلاف أصولها أم واحدة هي الحروف الفينيقية أو الهجاء الفينيقي الذى نقله الفينيقيون مع متاجرهم الى الامم الاخرى .

افريقيا فان اللغة البونية وهى الفينيقية الحديثة ظلت لغة أهل البلاد الي القرن الثانى بعـد الميلاد وبقيت مستعملة هناك بين بعض طبقات الشعب الى القرن الرابع والخامس من التاريخ المسيحي (١)

وفي اللغة اليونانية شي كثير من اللغة الفينيقية. وهذا الامتزاج يرتقي الى زمن مجيء النحل الفينيقية الي بلاداليونان على عهد قدموس

---

(١) عثرنا مؤخراً بكتابة لاحد العلماء الاوربيين المستشرقين في منشأ اللغات السامية وانتشارها بين الشعوب القديمة يؤخذ منها ان اللغة البربرية الشائعة في بلاد فازان وما جاورها من الواحات وجهات أطلس والصحراء الغربيـة وسائر الجهات الواقعـة في الشمال الغربي من أفريقيا هي واحدة في اعتبار العلماء ولـكنها في اصطلاح القبائل التي تتـكلم بها تنقسم الى لهجات أو لغات كثيرة كاللغة العربية في بلاد الشام وما يليها من بلاد العرب . ولهذه اللغة علاقـة كبرى باللغات السامية ولا تخلو من علاقة باللغة القبطية • وهي ترتقي على الاقل الي زمن تأسيس قرطجنة . وقد عثر السياح سنة ١٨٢٢ بامثلة قـديمة من قلمها الاصلي منقوشة على صخور بين مرزوق وغات . ثم عثروا سـنة ١٨٠٥ بامثلة أخرى منها في واحات طوات . ثم وجدوا كتابات منقوشة في واحات بنغازي وغدامس وغيرها . وقد وجد علماء أوربا تشابهاً شـديداً بين هـذه الـكتابات وبين الـكتابة اللوبية التى وجدوها منذ نحو قرنين على قـبر واقع على نحو ثلاثة أيام من خرائب قرطجنه وحكموا بان الحروف الهجائية اللوبيـة أو النوميدية التي يستعملها البربر في كتابة لغة غير سامية هي احدى المشتقات العديدة الآتية من الـكتابة الآرامية القديمة الاصليـة وانها تشبهها في بعض أجزائها بل تقرب منها أكثر من قربها من اللغة الفينيقية وانها اشتقت منها في عصر يرتقي الى ما قبل العصر الذي وضعت فيه الحروف الفينيقية التي وصلت الينا ، وهـذا التشابه بين الـكتابة الآرامية والـكتابة اللوبية النوميـدية مما حمل العلماء المحدثين على الذهاب الي ان الحروف الفينيقية ليست باصلية وان الفينيقيين ليسوا بمستنبطي الهجاء بل لابد ان تـكون سبقتهم اليه أمة من الامم السامية التي عاصرتهم أو تقدمتهم • وقد ذكرنا في المتن ان الفينيقيين هم أول

الفينيقي وما يليه (١) ولم يبق من اللغة الفينيقية الفصحى الا المقاطيع التي ترجمت الي اليونانيه نقلاعن سنكن يتن المؤلف الفينيقي المشهوره

وقد أثبت بعض العلماء ان اللغة الكنعانية أوالفينيقية والعبرانية لم توجد الا في فلسطين وفينيقية ولبنان وفى المستعمرات الفينيقية ولا أثر لها في مكان آخر . ومن ذلك يستدل ان الكنعانيين أوالفينيقيين هم أول من نزل هذه البقعة من سوريا من الشعوب القديمة . وان وجودهم هناك تقدم وجود كل قبيلة أخرى قديمة مختلفة اللغة . وانهم أول من حرث أرضها واستغلها وأول من بنى المدن وانشأ الممالك فيها . ولم يجيئوا اليها من الخليج الفارسي كما زعم كثير من العلماء نقلا عن هيرودوتس والا لكانوا تركوا هناك أثرا من لغتهم يدل على نزولهم تلك البقاع قبل حلولهم في أرض كنعان . «انظر فينيقية في الجزء الثاني »

من وضع هجاء للغتهم وان تكن الحروف المستعملة عندهم مشتركة بينهم وبين القبائل السامية والكنعانية التي امتزجت معهم وتألف من هذا الامتزاج الشعب الفينيقي المعروف . وكل ما كان يصدر وينشأ من الاعمال في البلاد السامية أو الآرامية والفينيقية بعد هذا الامتزاج كان يسمى فينيقياً أو كنعانياً نسبة الى هؤلاء القوم تبعاً لسنة الارتقاء القاضية ببقاء الاصلح والانسب والاقوى لانهم كانوا أشهر تلك الامم وأكثرها نفوذاً وعلماً وثروة .

(١) قبل ان جاء قدموس الفينيقي بلاد اليونان مع جماعته كانت تسكنها قبائل من البرابرة يعيشون عيشة حيوانية ذليلة في المغاور وشقوق الارض . ولم يكن عندهم أحرف للكتابة فجاءهم قدموس بها من وطنه فاقتبسوها منه ومن قومه ولذلك ترى أسماء أحرف الهجاء ونسقها عند اليونان كاسماء الاحرف السريانيه والعبرانية أو الفينيقية من فروع اللغة السامية الا ما ندر منها .

اللغة العبرانية

هي أحد فرعي اللغة الكنعانية من فروع الاصل السامي الثلاثة. وهي والفينيقية شقيقتان لا تمتاز احداهما عن الاخرى الا بفوارق ضعيفة جداً « ص ٣٥١ » وقد كانت لغة أهل الجبال من كنعانيي فلسطين وهم خاصة الموابيون والعمونيون ابناء لوط. وقد تلقنها ابرهيم الخليل من الكنعانيين بعد توطنه في أرضهم وأصبحت لغة ذريته أبناء يعقوب وهم الاسرائيليون. وبها نزلت شريعة موسى ونقلت الى أهل الارض أول وحي الهي وبها كتب أكثر أسفار العهد القديم. وقد ظلت في الازمنة القديمة لغة التكلم الى السبي البابلي فاصبحت من ذلك الحين مزيجاً من الكلدانية السريانية والعبرانية « ص ١٨٣ و ١٨٤ ج » وهي اليوم لغة اليهود الدينية لا تستعمل الا في طقوسهم ولا يتكلم بها الا عدد قليل منهم هم في الغالب من البيوت الكهنونية القديمة الذين يحرصون على تقاليد الآباء الموروثة. غير انه لا يصح ان يطلق عليها اسم عبرانية محضة كما وردت في اسفار موسى لما طرأ عليها من التحريف كما سيجيء

الا ان اهل المستعمرات الاسرائيلية في فلسطين وجهوا الى هذه اللغة عنايتهم الخاصة في السنوات الاخيرة بحيث اصبح معولهم الاكبر عليها دون غيرها في اكثر معاملاتهم. واذا ثبتت النهضة التي بدت طلائعها في هاتيك البلاد بضع عشرة سنة فلا بد ان يأتي يوم وهو قريب نرى فيه العبرانية سائرة والعربية في فلسطين جنبا الى جنب.

اللغة السريانية

هي احد فروع اللغة الآرامية التي يردونها الى الفرع العام الشمالي من فرعي اللغة السامية على نحو ما قدمنا «ص ٣٤٦» وهي كما روى ابن العبري ثلاثة فروع مهمة -١- السرياني الحقيقي وهو لغة اهل الرها وحاران وما بين النهرين او الشام الخارجة . وهذا الفرع منها افصح لغاتها الثلاثة - ٢ - الآرامي او الفلسطيني وهو لغة اهل دمشق وجبل لبنان وسوريا الوسطى او الشام الداخلة وهو اقل من الاول صراحة - ٣ - الكلداني او النبطي وهو لغة جبال آسيا الداخلية في اشور وبابل وعلى الخصوص لغة جبل العراق وهو اذ العراق أوهوذيا (١) وهذا الفرع أسمج هذه اللغات الثلاثة وأقلها احكاماً

وقد وقفنا لها على تقسيم آخر في آخر سني المشيخة اليهودية جعلت فيه ثلاثة فروع أيضاً : - ١ - لغة بابل - ٢ - لغة انطاكية وكوماجينا - ٣ - لغة اورشليم واليهودية . وكانت لغة انطاكية في عهد المسيح مختلفة عن الكلدانية وعن العبرانية ولذلك سميت كلدانية وسريانية عبرانية وهي اللغة التي تكلم بها المسيح ورسله واستعملت في الطقوس الدينية وكتب بها كثير من المؤلفين «ص ١٨٣ و ١٨٤ ح»

وبدء انتشارها في سوريا يرجع الى عهد تسلط الاشوريين والكلدان والفرس عليها. اما قبل ذلك فكان سوريون يتفاهمون

(١) اقليم متصل لجهة الشرق بسوسيانا أوشوشان وسوس على حدود بلاد عيلام الواقعة بين الخليج العجمي وبلاد مادي .

بالعبرانية والفينيقية . فما لبث هؤلاء الفاتحين ان بسطوا سيادتهم عليها حتى أخذت اللغة السريانية تحل محل هاتين اللغتين وانتشرت في البلاد السورية وفي ما بين النهرين حتى خليج العجم وبلاد العرب الشمالية وفلسطين وظل اسم السريان ذائعاً في الاقاليم الواقعة بين بابل وخليج ايسيكوس ردحاً طويلاً من الزمن كانت السريانية في خلاله اللغة الغالبة ولغة العلوم في تلك الاصقاع . وما زال هذا شأنها الى ان بلغت معظم رقيها في القرن الثاني الى القرن التاسع للمسيح . ولم تكن هذه اللغة تقف عند هذا الحد من الانتشار بل شاعت خارجة عن سوريا حتى اتصلت الى بلاد الحبش (١)

وقد أزهرت على عهد الاشوريين والكلدان بالعلوم الرياضية وغيرها . وكان الفرس يبالغون في اعتبارها واحترام علماء السريان وكانت في أيامهم لغة الفصاحة والعلوم . وهكذا اليونان فانهم لما تغلبوا على السريان وا كتسحوا بلادهم احترموا لغتهم وأقبلوا على تعلمها وكانت

---

(١) ان انتشار اللغة السريانية في بلاد الحبش يرتقي الى عهد الاسكندر . فان هذا الفاتح لما أخضع بلاد الشام نقل نحلة من الصيدونيين والارواديين الى ارابيا السعيدة والبلاد الواقعة بالقرب من بلاد الحبش فحفظت هناك لغتها السريانية الى الازمنة المتأخرة ولذلك فان اللغة التي يستعملها الاحباش في طقوسهم الدينية تسمى كلدانية كما صرح استرابون والسمعاني وغيرهما من قبلها . وهكذا أهل ليبيه الواقعة بين الحبشة والاوقيانوس فانهم كانوا يستعملون لغة تقرب من السريانية والعبرانية لانهم متناسلون من الفينيقيين الذين تملكوا تلك الجهات . ثم بلاد البربر أيضاً فان نحلة من أهل صور ذهبت اليها سنة ٨٨٦ قبل المسيح وبنت فيها قرطاجنه ونشرت اللغة الفينيقية فيها . ولذلك فان لغتها ظلت الى عهد طويل مقاربة للسريانية والعبرانية . « ص ٣٥٦ م و ٣٥٧ ح »

واسطة اتصال العلوم بين اليونان والعرب لانه لما ساد العرب على الممالك البيزنطية وشعروا بمسيس الحاجة الى نشر العلم في البلاد التي تسلطوا عليها لم يروا أقدر من علماء السريان على نقل العلوم التي كانت سائدة في العصر البيزنطي ولا أوفى من الترجمات السريانية التي وضعت بها هذه العلوم فعهدوا بنقلها اليهم . وما لم ينقله هؤلاء العلماء أُخذ عن ترجمات سريانيـة . وكثيرون من آباء الكنيسة والعلماء يعدّونها أم جميع اللغات التي نشأت عن بلبلة الالسنة لانها تفسر الاسماء الاولى باحسن انواع التفسير . وبها كتبت ترجمة الاسفار المقدسة المسماة بسيطة وكتب طقوس السريان والموارنة وغيرهم «ص١٨٤و١٨٥ ح»

على انه مرّ وقت على اللغة السريانية كانت فيه مهملة وشغلت المرتبة الثانية من اهتمام المدارس السورية باللغات الحية . وأول عهد انحطاطها يرجع الي زمن استيلاء اليونان على سوريا فانهم لما بسطوا سيادتهم على هذه البلاد انتشرت فيها لغاتهم وآدابهم وحلت تدريجاً محل اللغـة السريانية فضعف شأنها ولا سيما بعد ان دخل عليها كثير من الالفاظ اليونانية فافسدت هذه الالفاظ الدخيلة صراحتها وسلبتها رونقها القديم ودخلت في دور الانحطاط (١) وما زالت آخـذة بالانحطاط الى ان طفق العرب يستولون على سوريا فزادت ضعفاً وانحطاطاً

وبعد ان دخلت سوريا الكبرى والصغرى في حيازتهم سنة ١١٢١

---

(١) ان بين كثير من الاحرف اليونانية والاحرف السريانيـة والعبرانية والفينيقية تشابهاً كبيراً بعضه يرجع الى زمن هجرة النحـل الفينيقية الى بلاد اليونان والبعض الآخر الى زمن تسلط اليونان على سوريا

وما يليها أخذت تنحرف عن طلاوتها في الديار السورية ولا سيما في قبرس ودخلت في دور الملاشاة. وكان ان ظهر يعقوب الرهاوي السرياني فأخذته الغيرة عليها وكانت لم تزل كالعربية في عصور الجاهلية لا ضابط لها فضبط قواعدها في غراماطيقه المشهور وشرع بتعليمها في المدارس باهتمام وانتظام كما ذكر ابن العبري فاستعادت بعض ما كان لها سابقاً من الشأن الخطير. والى ذلك العهد يرجع منشأ الحروف السريانية المستعملة اليوم وقد نقلت عن الحروف الاسترنكيلية المشابهة للحروف الفينيقية» ص ٣٥٤ »

غير انه لما كانت لغة الفاتحين تسير مع نفوذهم جنباً لجنب وهي مقياس سلطتهم وسطوتهم في البلاد التي يفتتحونها وكانت سطوة العرب ملأت السهل والجبل من الديار الشامية أخذت لغتهم تحل محل اللغة السريانية بحيث بطل على التمادي استعمال العامة لها. الا انها ظلت لغة العلوم وبقي العلماء يستعملونها في كتاباتهم وتآليفهم الى عهد متأخر. ومما يجدر بالذكر من أمرها ان كثيراً من الجهات المتطرفة من لبنان وسوريا حيثما كان نفوذ السريان وعاداتهم واخلاقهم راسخة في نفوس الاهلين وخاصة حيث لم تتوفر للعرب من هاتيك البلاد شروط الفتح كجبل لبنان وغيره محافظة على اللغة واللهجة السريانيتين مدة طويلة كجبال بلاد السريان والكلدان وفي الشمال الشرقي من دمشق ولا سيما في مقاطعة معلولا وجبعدين ونجعة وعين التينة فان سكان هذه الجهات ما برحوا الى اليوم يتكلمون بلغة بينها وبين اللغة السريانية تشابه تام

وان يكن يذهب بعضهم الى انها مزيج من اللغات السامية . فان لهجة السكان هناك ومعظم الفاظ اللغة الشائعة عندهم يدلان على ان لغتهم سريانية مكسرة انحرفت شيئاً عن الوضع الاصلي لتقادم العهد عليها ولاحتكاك الناطقين بها هناك بمن يتكلم العربية من أهل الجوار (١)

وهكذا عدة قرى من جبة بشراي في شمال لبنان كحصرون وبشراي والحدث واهدن وزغرتا وما يحيط بها ويجاورها من القرى والدساكر فان لغة التكلم فيها كانت السريانية أو الكلدانية القديمة حتى القرن الثامن عشر كما صرح مرهج بن نمرون الباني اللبناني في تاريخه اللاهوتي وغيره من العلماء في غير موضع من مؤلفاتهم . ولم تزل لهجة السكان هناك السريانية الي اليوم تدل على ان هذه اللغة كانت اللغة العامة في لبنان وسوريا سحابة قرون طوال .

ومع ما تطرق اليه من الضعف لم تزل لغة الطقوس الدينية عند الموارنة والسريان والكلدان . والموارنة في لبنان يعلمونها في مدارسهم الابتدائية العامة في القرى وفي المدارس الاكليريكية المعدة لتخرج المرشحين الي الدرجات الكهنوتية

وقد تركت في سوريا كثيراً من الآثار التي تدل على ما كان لها من الشأن الخطير في الاعصر السالفة فان أكثر أسماء الاماكن والقرى هناك سرياني ومعظمه محفوظ على أصله السرياني الى هذه الايام .

---

(١) مما زادنا يقيناً ان اللغة المستعملة في عدة أماكن من الاقليم الواقع في الشمال الشرقي من دمشق هي السريانية المكسرة اننا كلفنا مؤخراً احد الراسخي المعرفة بهذه اللغة الواقفين على ما بينها وبين اللغات السامية من الروابط والفوارق

اللغة العربية

هى الفرع الجنوبي العام من اللغة السامية . وتنقسم الى فرعين عامين الفرع القحطاني أو اليقطاني نسبة الى قحطان أويقطان جد العرب العاربة . والفرع الاسمعيلي نسبة الى اسمعيل جد العرب المستعربة « ص ١٦٦ ح »

« ١ » اما الفرع القحطاني فيشمل اللغات الميتة التي كانت شائعة في بلاد العرب الجنوبية وبعض اللغات الحية المستعملة اليوم في بلاد الحبشة وله أربعة فروع — ١ — الفرع السباوي أوالحميري وكان لغة اليمن على الخصوص وبه كتبت أكثر الآثار العربية المعروفة . — ٢ — الفرع الحضرموتى وهو لغة حضرموت القديمة — ٣ — الفرع الميناوي وكان لغة أهل الشمال الشرقى فى اليمن . — ٤ — الفرع العقيلى نسبة الى عقيل أحد بطون العرب القدماء وهو لغة مهره من أعمال اليمن

« ٢ » اما الفرع الاسمعيلى فهو لغة البلاد الممتدة من العراق والجزيرة الى اطراف مراكش ومن شواطئ البحر المتوسط الى الحجاز واليمن وهو الآن اربع لغات أولهجات . — ١ — لهجة بلاد العرب — ٢ —

والمميزات بدرس لغة الاهلين في هاتيك البلاد ومو افاتنا بانموذج من كلماتها ومقاطع ألفاظها وبيان مفصل عما تشتمل عليه من الكلمات التي تقرب من احدى اللغات السامية ولا سيما العبرانية أكثر منها الى السريانية فكان جوابه لنا منطبقاً على ما كنا نعتقده من ان هذه اللغة انما هي سريانية مكسرة بدليل ما فيها من الالفاظ والعلامات السريانية التي لا أثر لها في بقية اخواتها .

لهجة سورية ـ ٣ ـ لهجة مصر ـ ٤ ـ لهجة المغرب.

ومن الفرع الاسمعيلى اشتقت لغة قريش وهى افصح لغات العرب كما سيجى.

واللغة العربية اغنى اللغات السامية وارقاها جميعا وآدابها اساس لآداب كل امة ظهرت في اثناء التمدن الاسلامي او بعده حتي فى اوربا نفسها

وتنقسم اللغة العربية من حيث نشأتها وتدرجها في مراقي الكمال الى قسمين كبيرين يفصل بينهما الاسلام

اللغة العربية قبل الاسلام ـ ان تاريخ اللغة العربيه قبل الاسلام انما هو تاريخ تكون الدول العربية وتدرجها فى مراتب الكمال من الاعصر الجاهلية الاولى الى الثانيـة حيث ادركت قبل الاسلام منزلة تهيأت لها فيها اسباب النهوض كما هى الحال فى كل امة ظهرت على وجه البسيطه

تعدد لغاتها ـ كانت العربيه قبل ان تبلغ مستوى اللغات الراقية لغات متعددة لكل قبيلة لغة خاصة بها مختلفة عن الاخرى لفظاً وتركيباً باختلاف اصول هذه القبائل ومساكنها مع ان الاصل واحد فيها جميعاً . ومنشأ هذا الاختلاف يرتقى الى عهد بعيد وسببه بعد هذه القبائل بعضها عن بعض واختلاطها منذ القديم بمن جاوروها من غير العرب كالاعاجم والفرس والهنود والاحباش والسريان والروم والانباط فاكتسبت من لغاتهم الفاظا وتعبيرات جديدة كما اقتبست

كثيرا من عاداتهم واخلاقهم وهذا شأن كل امة امتزجت بامم اخرى وكان لها بها علاقة ما تؤدي الى احتكاك الافكار وتبادلها او لهامعها رابطة زواج ومساكنة ونحو ذلك . وا كثر الالفاظ الغريبة التى دخلت على اللغة العربية ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز اصله . ويستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الالفاظ . وا كثر مايكون ذلك في اسماء العقاقير او الادوات او المصنوعات او المعادن اونحوها مما كان يحمـل الي بلاد العرب من بلاد الفرس اوالروم او الهند اوغيرها ولم يكن للعرب معرفة به من قبل اوفي اسماء بعض المصطلحات الدينيه او الاوربيه وا كثره منقول من العبرانيه او الحبشيه (١)

---

(١) ان أكثر الالفاظ الاجنبية التي دخلت اللغة العربية فارسي الاصل . وقد دخلها شيء كثير من الالفاظ اليونانية مذ تسلط اليونان على بلاد المشرق التي كان للعرب صلة معها وانتشرت لغتهم في هاتيك الاصقاع . وقد دخلها أيضا كثير من الالفاظ اللاتينية والحبشية والعبرانية ومن اللغة السنسكريتية التي كان يتكلمها الهنود . وأكثر ما دخل العربيـة منها الاصطلاحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها وأسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والطيوب مما يحمل الى بلاد العربية من بلاد الهند . وقد دخلها أيضاً كثير من الالفاظ الفرنساوية والايطالية والانكليزية ولا سيما في المدات المتأخرة لكثرة احتكاك الناطقين بها ولا سيما في مصر وسوريا بهؤلاء الاوربيين وتكاثر العلاقات بين الفريقين . غير ان هذه الالفاظ سهلة التمييز عن غيرها فلا يكاد أمرها يخفى على أحد . لا بضعة ألفاظ منها دخلت على العربية من زمن بعيد وكيفت على شكل صعب معه تمييزها عن غيرها من الالفاظ العربية الاصيلة .

ولمعرفة أصول الالفاظ الاعجمية التي دخلت العربية قاعدة عند علماء اللغة

آثارها الاولى ـ وقد أستدل علماء هذه اللغة مما اتصل اليهم من كتابات العرب والآثار الباقية من اعصر الجاهليه الاولى انهم كانوا منذ ازمنة عريقة فى القدم اهل حذق ودهاء وحكمة ورأي. وارتقوا قبل سواهم من الامم الشرقيه في السياسه والعمران. وعرفوا اساليب التجارة والاقتصاد. وكان لهم عناية خاصه بلغتهم على تفرعها وتشعبها وتفرق كلمه اهل كل فرع منها. ومذ تهيأت لهم اسباب النهوض في عصر جاهليتهم الثانيه نهضوا بهذه اللغه واعدوا لها المنزلة التي تليق بها بين اللغات الحيه

واول اثر كتابي اتصل الينا من آثار هذه اللغه شريعه حمورابي مؤسس الدولة الحمورابيه « ص ٣٤٠ و٣٤١ » التى عثروا عليها في بلاد السوس ودولة حمورابي عربيه فيما يرجح فريق من العلماء وترتقي الى القرن الخامس والعشرين أو الثالث والعشرين قبل الميلاد. ثم سفر ايوب الذى يغلب على الظن ان صاحبه عربي الاصل وقد نظمه شعرا ثم ترجم الى العبرانيه وفقد اصله العربي وهو من آثار القرن العشرين قبل المسيح

اللغة العربية قبيل الاسلام ـ كانت اللغة قبيل الاسلام بلغت شأواً بعيداً من الرقي والكمال مع انها كانت لم تزل كثيرة التشعب ومنازع أهل كل شعبة منها تحول دون اكتمال نموها. ويعزى ما أصابته يومئذ من المنزلة العليا الى الآداب اليونانيه خاصة. فانه لما ساد **اليونان في**

لا محل لايرادها هنا «طالع تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان منشئ الهلال »

الممالك الشرقية كان العرب اسبق أمم الشرق الى اقتباس آدابهم وعلومهم. وقد نالهم منها النصيب الاوفر فاستعانوا بذلك وبما اقتبسوه من الامم الشرقية المجاورة لهم كالفرس والهنود على انشاء التمدن الاسلامي العربي

اللغة العربية بعد الاسلام — ولما ظهر الاسلام ذهب بجميع اللغات التي كان يتكلمها العرب الا لغات أهل الحجاز ونجد وسائر البلاد الشمالية وهم العدنانيون. وترجع الى أصل واحد يعبر عنه «بالمبين» وهو الباقي الى اليوم ومنه لغة بني قريش التي هي لغة القرآن وهي التي حفظت الى اليوم مع ما اختاره علماء اللغة من الفاظ القبائل الاخرى . وقد تغلبت على سائر الالسنة ونسختها تدريجا وانتشرت مع المسلمين حيثما نزلوا .

عصرها الذهبي — واذ كان العرب في مقدمة الامم التي امتازت بدقة الاحساس وسرعة الخاطر وسعة الخيال كان انتشار الآداب اليونانية في البلاد التي كان لهم صلة معها بمثابة مهماز ايقظ هذا الشعور فيهم فهبوا لمباراتهم . وما لبثوا ان استتب لهم الامر في هاتيك البلاد حتى صرفوا عنايتهم الى العلم فقربوا أهله ونشطوهم على التأليف والكتابة في كل مطلب وفن مستعينين بالمؤلفات السريانية واليونانية. ولم يمض عليهم ردح من الدهر حتى نهضت لغة قريش الى أرفع منزلة وملأوا الدنيا شعرا وادبا وفقها وتاريخاً ووضعوا كثيراً من المعاجم حتى عدوا اقدر الامم فيها وفي فلسفة التاريخ ولا سيما بعد ظهور الاسلام . وقد اشتغلوا بالعلم وعنوا به نحو ألف سنة كان الخلفاء في

امتاتها يتبارون في تعزيزه واجلال قدر أهله. ولهم في ذلك من نفيس الآثار والاسفار مالا يقع تحت حصر مما يدل على ان اللغة العربية دخلت في عصرها الذهبي منذ ظهور الاسلام وان تكن قبل ذلك نظمت وضبطت وبلغت منزلة رفيعة من النمو والرقي.

ولما نهضت أوربا لانشاء التمدن الحديث ورأت ما لآداب العرب من سمو المرتبة بين آداب الشرقيين وما لها من الشأن الخطير فى تاريخ تمدنهم عمدت اليها وحملت ما في خزائن العرب من المؤلفات النفيسة في كل فن ومطلب. فاقتبست كثيرا من آدابهم وعلومهم ونقلت شيئاً كثيراً من لغة العرب الى لغاتها ولا سيما الى الاسبانية والبرتغالية. فكان ذلك أساسا لتمدنها الحديث. ولم تقف اللغة العربية عند هذا الحد من الاهمية بل ان أكثر الامم الشرقية العريقة فى الحضارة اقتبس من آدابها شيئاً كثيراً ولا سيما الفرس والهنود. والالفاظ العربية التى نقلت الى لغة الهنود ولغة الفرس وفروعها ولا سيما الفرع التركي تنم على ما كان لآداب اللغة العربية عند هذه الامم من الشأن والمنزلة.

اللغة الفصحى واللغة العامة ـ الا ان ظهور الاسلام واعتناء الخلفاء على اختلاف دولهم بلغة قريش لم يكن ليذهب تماما بآثار اللغات التى تغلبت عليها هذه اللغة لان الاسباب التى ادت الى تعدد اللغات على نحو ما فصلنا لم تستأصل تماما. والنتيجة ان لم يتلاش سببها باقية ما زال هذا السبب موجوداً. فظلت اللغة العربية قسمين فصحى وهي لغة الكتابة

وعامة أو لغة التكلم: ولذلك ادرجت هذه اللغة عند بعضهم في مصاف اللغات الميتة لانها تكتب بشكل مخالف للشكل الذى يتكلمون بها فيه وان تكن بحصر المعنى ارقى اللغات السامية واكثرها نمواً وحياة .

فروع اللغة العامة — وقد تفرعت اللغة العامة الى عدة فروع فظل لكل قبيلة لغة خاصة بها . فلغة البدو مثلا تختلف عن لغة الحضر ولغات اهل فلسطين ودمشق ولبنان وحلب تختلف بعضها عن بعض اختلافا بيناً وهى تختلف جميعاً عن لغة مصر اختلافا كبيرا حتى ان كثيرين من عامة المصريين يحسبون اللغة التى يتكلم بها الوافدون الى مصر حديثا من ديار الشام غير عربية . وهو وهم منشأوه ماحدث بين اللهجتين المصرية والسورية من الاختلاف . وفي كل من هذه اللغات الفاظ وتراكيب ليست فى الاخرى

واللهجات المتعددة للغة واحدة تختلف تعدداً وتفرعاً باختلاف البلدان وتتنوع بحسب تنوع أهلها وامتزاجهم بعضهم مع بعض أو تقاطعهم وتنابذهم . فان في سوريا مثلا ولا سيما في جنوبها وأواسطها يستعملون الاشمام بين الفتح والكسر في جميع الكلمات التي تلفظ عند غيرهم بالفتح . ويقابل ذلك في اللغة الفرنساوية حرفا « œ » المدغمين وأما فى الشمال ولا سيما في شمالي لبنان فانهم يلفظون هذه الكلمات اما بالضم أو بين الضم والفتح ويلفظون غالباً أول الكلمة بالضم وآخرها بالفتح . وهي لهجة مكتسبة من اللغة السريانية لان هذه اللغة ظلت شائعة في تلك الجهات الى الازمنة المتأخرة أى الى أواسط القرن

التاسع عشر . وأثرها ظاهر هناك في كثير من الالفاظ العربية الخاصة باهل تلك البلاد وفي كثير من أسماء القرى « ص ٣٦٤ »

ومن غريب ما يلاحظ في سوريا وعلى الخصوص في لبنان انه كثيرا ما تختلف اللهجة في قرية عنها في قرية أخرى محاذية لها لا تتجاوز المسافة بينهما ربع ساعة علي الا كثر . وأ كثر ما يكون ذلك في القرى المتقاطعة التي لم يتمازج سكانها بالزواج ونحوه من أسباب التآلف والاختلاط علي قرب احداها من الاخري . وكثيراً ما يكون هذا التباين في اللغة دليلا قاطعا علي تباين الاخلاق وبعض التقاليد العائلية الموروثة عند سكان هذه القرى كما يشاهد في كل بقعة من بقاع سوريا ولبنان ومن القطر المصري أيضاً . ولذلك تعليل منطقي طبيعي يدخل في أساس طبائع الامم ومنشأ اخلاقها وآدابها وتناسلها مما يجب في الرجوع باستيعابه الى المطولات .

الخط العربي – ان تاريخ الخط العربي في الحجاز يرتقي الى ماقبل الاسلام بوقت قصير. اما قبل ذلك فلم يكن له أثر في هاتيك البلاد. وأول ظهوره كان عند الانباط في حوران وفى العربية الحجرية وقد كتبوا بالحرف النبطي وهو مشتق من القلم التدمري (١) . وعند بني

(١) ان لغة الانباط في اعتبار الثقاة من علماء اللغات فرع من فروع اللغة الآرامية أو لغة من لغاتها وهي ولغة تدمر اختان متشابهتان والاولى ان تسمي عربية لانها أقرب الي العربية من سائر اخواتها وان تكن الكتابات التي وجدوها على آثارهم في حوران منقوشة باللغة الآرامية فالآرامية كانت في ذلك الحين لغة الكتابة وكانت المخابرات الرسمية تجري بها بين الامم الحديثة في

حمير في اليمن وقد كتبوا بالقلم المسند. وحروف هذا القلم تكتب منفصلة. ولم يكن يكتبه الا خاصة القوم فلا يسمحون للعامة بتعلمه واستعماله الا باذنهم.

ومن العرب من كتبوا العربية عند أول عهدهم بالخط بالحرف العبراني. وقد اقتبسوه من اليهود في جملة ما اقتبسوه من دينهم وآدابهم. واخص من كتب به ورقة بن خال خديجة زوجة نبي الاسلام. ومنهم من كتبوا بالحرف السرياني نقلا عن السريان في العراق. أو بالحرف النبطي نقلا عمن امتزج بهم من الانباط في القرون الأولى للميلاد. وظل النبطي والسرياني مستعملين عندهم الى ما بعد الفتح الاسلامي. فكان النبطي أساساً أو أصلا للخط النسخي والسرياني — أو الفرع المعروف منه «بالسطرنجيلى» (١) أصلا للخط الكوفي الحيري الذي

القرون الاولى قبل الميلاد في بابل وأشور وفارس ومصر وفلسطين وبطرا فلم يسع الانباط الا ان يكتبوا أخبارهم على آثارهم بها دون سواها. وقد تفرعت على التمادي الى عدة فروع عرفت بالاقلام الآرامية أشهرها القلم التدمري في تدمر والنبطي في بطرا عاصمة الانباط وغيرها. وأشكالها متشابهة كتشابه تلك اللغات وهي غير لغة التكلم الا انها تشبهها في أكثر التراكيب والالفاظ. واللغتان مرتبطتان بأمهما القديمة وهي اللغة البابلية الاصلية بحركات الاعراب في أواخر الكلم. والخلاصة ان اللغة التي كتب بها الانباط آرامية لكنها غير الآرامية المعروفة اليوم عند العلماء وقد كان فيها أثر من لغة العرب جعل لها مسحة عربية بحتة وان اختلفت عن اللغة العربية التي عرفت في صدر الاسلام. وبين الانباط والتدمريين في أسمائهم وطبائعهم وسائر حوالهم تشابه تام ينم عن عربيتهم ويدل على ان أصلهم واحد من بقايا العمالقة

(١) السطرنجيلي هو الخط السرياني القديم المربع الذي كان السريان يكتبون به الاسفار المقدسة. وقد كان هذا القلم شائعاً عند السريان على اختلاف طوائفهم كالملكية واليعاقبة والكلدان والموارنة «ص ٢٦٩ ح»

كتب به السريان اوالكلدان فى العراق. ثم انتقل الى العرب فجعلوا له شكله الحاضر.

وعلى هذا فيكون العرب اخذوا الخط عن مصدرن اخذوا النبطي عن الانباط فى حوران والكوفي عن السريان في العراق

الخط النبطي أوالنسخي: كان هذا الخط قاصرا في اول امره على المكاتبات الاعتيادية. ثم ارتقى وتحسن على التمادي حتي صار صالحا للمكاتبات الرسمية ولكتابة المصاحف. واول من عني بتحسينه رجل يدعى مقلة. وقدتفرع على تراخي الزمن الى عدة فروع كالخط الكوفي. والقلم العربي المستعمل اليوم متفرع من الحرف النبطي. والمشهور ان الذي جعل له شكله الحاضر عبد الحميد البغدادي.

الخط الكوفي او الحيري: هو اقدم الخطوط العربية واشهرها لان به كتب القرآن وغيره من النصوص الدينية عند الاسلام. ومنذ أول ظهوره فى بلاد العرب استعمل للمكاتبات الرسمية. واشهر من نقله الى العرب اهل الانبار. واول من كتب به هناك مرامر بن مرة الانباري استعمل أولا في الحيرة احدى مدن العراق العربي بالقرب من الكوفة ولذلك نسب اليهما فسمي بالكوفي او بالحيري. وقد نقله الى العرب بشر بن عبد الملك الكندي اقتبسه من اهل الانبار وجاء الى مكة فتلقنه منه اهلها ولا سيما بنو قريش

ولما كان القرآن كتب بالكوفي شاع هذا القلم بسرعة وتمشى معه جنباً لجنب بحيث لم يطل به الزمن حتى تناول بلاد العربية وامتد

الى سائر الاقاليم والامصار التي دانت لسلطة العرب. ثم تركوه بعد ذلك بثلاثة قرون الا انه ظل مستعملا لكتابة التذكارات وضرب العملة الى القرن الثالث عشر اوالرابع عشر للميلاد . ولم يزل مستعملا في بلاد المغرب الى اليوم.

وقد تفرع من الكوفي في ايام الخلفاء الراشدين قبيل الاسلام وخلفاء بني امية بعده اربعة اقلام على يد رجل يدعى قطبه ثم ظهر الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية فادخل عليه بعض تحسينات . ثم تلاه اسحق بن حماد وغيره فزادوا عليه بحيث لم تمض مدة حتى اصبحت الاقلام العربية ١٢ قلما وهي : قلم الجليل – قلم السجلات – قلم اسطور مار الكبير – قلم الحرفاج – قلم القصص – قلم الديبج – قلم العهود قلم الحرم – قلم المدامرات – قلم الثلاثين – قلم المفتح – قلم الزنبور . وفي ايام المأمون احدثوا خمسة اقلام اخرى وهي : القلم المرصع – قلم الرياسي – قلم النساخ – قلم غبار الحلية – قلم الرقاع .

وقد تعددت فروع الاقلام العربية بين كوفيه ونبطية ومرجعها جميعاً الى اصليها العامين الكوفي والنسخي . واشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة اقلام : النسخي – الثلث – التعليقي – الريحاني – المحقق – الرقاع . واشهر الاقلام المألوفة اليوم في مصر وسوريا – وهما ارقى الامصار العربية – ثلاثة : الثلث والنسخي والرقاع .

الحركات : كان العرب عند اقتباسهم الخط يكتبون بلا حركات

ولا نقط الى ان ظهر ابو الاسود الدؤلي الذي ينسب اليه علم النحو في اواسط القرن الاول للهجرة فوضع للتمييز بين الحرف والاسم والفعل نقطا كانت اساسا للحركات التي وضعت فيما بعد للكلمات . وقد اقتبس ذلك من الكلدان او السريان في العراق . فشاع من ذلك الحين التنقيط عند العرب . وكانوا يجعلونه بلون غير لون الخط . فينقطون الخط الاحمر باللون الاسود والخط الاسود باللون الاحمر وهو الاكثر شيوعاً .

النقط : واما النقط فيرتقي تاريخ ادخالها على الخط العربي الى زمن الحجاج بن يوسف والي العراق على عهد عبد الملك بن مروان على يد نصر بن عاصم . الفت نظره ماتقع في الكلمات المتشابهة الحروف من الالتباس فوضع نقطاً لما يكثر استعماله من هذه الحروف للتمييز بينها كالباء والتاء والثاء والسين والشين ونحوها

على ان العرب ظلوا في التمدن الاسلامي يؤثرون ترك النقط والحركات ولا سيما في المكاتبات الاعتيادية . فكانوا يمشقون الخط مشقاً كما هي الحال اليوم . ولا يستعملون التنقيط والحركات الا في كتابة المصاحف والكتب العلمية .

الادوات الكتابية : اول شيوع الخط عند العرب استعملوا للكتابة قلما من القصب كما هى الحال اليوم في اكثر الانحاء التي يتفاهم أهلها بالعربيه . وكانوا يصنعون المداد من مسحوق الفحم . وكانوا اولا يكتبون على الجلود والرقوق . واستعملوا ايضاً نوعاً من القماش المصري

يعرف بالقباطي . وكانوا يجعلون دفاترهم ادراجا . وفي ايام ابي العباس الملقب بالسفاح استبدلوا الادراج بالكتب الجلدية . الى ان قام جعفر البرمكي فى ايام الرشيد فاستبدل الجلد بالورق فى المكاتبات الرسمية . على ان الكتابة على الجلود والقراطيس ظلت مستعملة بعد ذلك زمناً طويلا . ولما فتحوا مصر اتخذوا البردي « البابيروس » وكان مستعملا فى مصر من زمن عريق في القدم « ص ٩٤ ح » فكان الامويون يكتبون فيه . واما العباسيون فقد استعملوا الكاغد او الورق الصيني . وقد انشأوا له معامل في بغداد ودمشق . ولما فتحوا الاندلس نقلوا اليها صناعة الورق وهناك اخذ الاوربيون عنهم هذه الصناعة .

انتشار الكتابة : لما ظهر الاسلام كان فن الكتابة عند العرب قاصراً على فئة قليلة من رجال الصحابة . وقد انحصرت الكتابة اولا في ايام الخلفاء الراشدين في من كانوا يرأسون دواوين الحكومة من الكتبة وهم وقتئذ يعدون على الاصابع واهمهم كاتب سر الخليفة . ولما افضت الدولة الى بني امية تعدد الكتاب في دواوين الحكومة وتوسعوا فى الوظائف الكتابية فجعلوا لكل مصلحة رئيسية كاتبا . ومن بعد ان كانت الكتابة منحصرة فى اقرباء الخلفاء وذويهم انتقلت الى الوزراء . واول من تولاها من هذه الفئة يحيى بن جعفر البرمكي فى خلافة الرشيد . ثم استقلت الكتابة في آخر ايام الدولة العباسية وعهد بها الي غير الوزراء واصبحت على التمادي من الاعمال الشائعة في مصالح الدولة على اختلاف فروعها

انتشار اللغة العربية — كانت اللغة العربية قبل الاسلام محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية ما بين النهرين وفي جزيرة سينا وما يليهامن صحراء مصرالشرقية.

أما بعد الاسلام ولا سيما في أيامنا هذه فهي شائعة في جميع البلاد الواقعة غربي البحر المتوسط وجنوبيه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطئ البحر الاحمر وفي السودان وغيرها من أواسط افريقيا وعلى شواطئ افريقيا الشرقية وفي زنجبار ودار السلام خاصة. غير الذين يستلمونها للمعاملات الدينية وهم المسلمون المنتشرون في أكثر انحاء المعمور كبلاد فارس وخراسان وافغانستان وتركستان والصين والهند وجزائرها الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الاسلام في القارات الخمس. هذا اذا ضربنا صفحاً عمن يتعلمونها من المشتغلين بالعلوم الشرقية ولغاتها من علماء أوربا ولا سيما علماء المانيا وسويسرا وفرنسا وايطاليا وطلبة العلم في الجامعات الاوربية الكبرى.

انتشارها في سوريا — اما في سوريا على الخصوص فلم تشع العربية بين العامة الا بعد ان تمّ استيلاء العرب على قسميها أي على سوريا الكبرى والصغرى في القرن الثاني عشر للميلاد. ومن ذلك الحين أخذت ترتقي واللغة السريانية آخذة بالانحطاط الى ان تلاشت وبات السوريون ولا غنى لهم عن اللغة العربية. وكتبت بها المؤلفات الضخمة في كل فن ومطلب. ولم يكن الفتح العثماني ليقالل من

انتشارها أو ليضعف من قوة تيارها بل ظلت في عهده لغة السوريين ومرجعهم الاخير في أكثر المخاطبات الرسمية وغير الرسمية الى القرن التاسع عشر حيث قضت السياسة في عهد الحكومة الاستبدادية البائدة ولا سيما حكومة عبد الحميد المشهووة بمصادرة العلم وأهله وأضطهاد الكتاب والقضاء على كل نهضة تبدو طلائعها في البلاد علمية كانت أو اجتماعية او سياسية قبل ان تدرج من المهد — فوقفت الحركة العقلية في سوريا ردحاً من الزمن وشلت أعصابها وضعف معها شأن اللغة العربية وسائر اللغات الحية.

غير ان نشاط السوري بى الاقامة على الصيم المثبط للعزائم والمقعد للهمم. فهبت البلاد من رقدتها هبة المستميت في الذود عن أهم مرافق الحياة. وحملت اليها الرسالات الدينية من الغرب ولا سيما من فرنسا وأميركا وايطاليا روحاً جديدة أحيت آمالها بتجديد قواها. فكان عمل هذه الرسالات فيها على مسحته الاجنبية التي قد لا تتفق أحياناً مع مصلحة الاهلين قدوة للسوريين وموقظاً لشعورهم فانشأوا المدارس الوطنية ورفعوا اللغة العربية الى ارقى منزلة فنبغ فيها الشعراء والكتاب والمؤلفون من كل طبقة وانتشروا في انحاء سوريا وفي كل صقع وجدوا فيه متسعاً للعمل بما ينطبق على تربيتهم واخلاقهم واميالهم كما سيجيء في باب المعارف والعلوم.

اللغة اليونانية

اليونانية احدى اللغات الخمسة المشتقة من الهندي الاورباوي أحد الفرعين العامين للاصل السنسكريتي «ص ٣٤٨و٣٤٩» وهي لغة بلادالیونان وماجاورها من لاقاليم والجزر اليونانية التابعة لها أو لتركيا ولغة فريق من أهل المدن الساحلية في برّ الاناضول حيثما يكثر عدد اليونان

أما في الازمنة القديمة فان اللغة اليونانية كانت تشغل أرفع منزلة عند الامم الغربية والشرقية . فانه لما كان أول قبس من نور العلم انبعث من الشرق وظل الشرق دهراً طويلاً منبت المعرفة وموطن المدنية وكان اليونان أقرب الامم الغربية اليه كانوا بلا ريب أسبق هذه الامم الى تلقي العلوم . وآداب اللغة اليونانية أساس آداب سائر لغات أوربا حتى الحديثة منها الى أيامنا هذه . ولما كان لهم علاقات قديمة بالشرق الادنى ولا سيما بسوريا على ما فصلنا في غير هذا المكان كانت الآداب اليونانية أيضاً أساساً لآداب أكثر الامم التي ظهرت بعد اليونان في الشرق وفي جملتها الامة العربية والفرس في عهد الاكاسرة « ص ٣٣٨ م و ٣٤٢ ح »

ومما يؤثر عن اليونان أنهم لما تغلبوا على السريان والفرس والمصريين رفعوا مقام علمائهم وقربوهم اليهم واحترموا لغاتهم لما رأوا من سعة آدابها وغناها في العلوم ولا سيما الرياضية التي كانت أزهرت

عندهم من ازمنة قديمة. وظلت اللغة السريانية شائعة فى بلاد السريان وسوريا والقبطية في مصر الى ما بعد استيلاء اليونان عليها بزمن طويل . غير ان المغلوبين اقتبسوا من لغة اليونان اكثر مما اقتبس هؤلاء من لغاتهم بمعني ان لغة الفاتحين سارت مع نفوذهم جنباً لجنب فغلبت تدريجاً على لغات البلاد التي افتتحوها . وبعد ان نقلت اليها علوم السريان والفرس والمصريين اصبحت مصدراً لآداب هذه الامم في الاعصر التالية . ولما استولى الرومان على بلاد اليونان استعملوا اللغة اليونانية لاقتباس علومهم وآدابهم . وكانت آداب هذه اللغة اساساً لانشاء التمدن الروماني .

وكانت اللغة اليونانية تشغل مركزاً ممتازاً عند آباء الكنائس الشرقية وبها ترجمت اسفار العهد القديم من الكلدانية والعبرانية . اما اسفار العهد الجديد فبعضها كتب بها والبعض الآخر بغيرها (١)

---

(١) أول نسخة يونانية من التوراة انما هي النسخة السبعينية وهي أقدم نسخ التوراة بعد النسخة السريانية البسيطة . ومن الليتورجيات التي كتبت بها ليتورجيتا مار يعقوب ومار باسيليوس وقد استعملت في انطاكية وأورشليم والاسكندرية بين أواخر القرن الرابع وبدء الخامس لان الشعب في هذه المدائن الثلاثة كان يفهم اليونانية . وفي ما بقي من مدن سوريا كتبت بالسريانية وفي مصر بالقبطية لغة البلاد. وباللغة اليونانية دونت أعمال أكثر المجامع الثمانية العامة التي عقدت في المشرق لانها كانت معروفة من أكثر الآباء الذين حضروها وبعضها دونت أعماله بغير هذه اللغة . وأما المجامع الخصوصية التى عقدت في سوريا ومصر فبعضها كتبت مباحثه باليونانية والبعض الاخر بغير لغة. « ص ١٨٤ و١٨٥ ح »

اما في سوريا فعظم اهتمام القوم باللغة اليونانية كان في عصرها السابع المعروف بالعصر البيزنطي ويبتدئ سنة ٣٣٠ وينتهي سنة ١٤٥٣ للميلاد وهو العصر الذي زهت فيه بيزانس « قسطنطينية » واصبحت مركز الآداب اليونانية . فكانت سوريا في جملة البلاد التي عنيت بلغة اليونان ولقنتها في مدارسها لانها كانت لغة العلوم . وكان اقبال السوريين عليها في ذلك الحين ولا سيما الطبقة الراقية منهم كاقبالهم اليوم على اللغة الفرنساوية وان تكن الحاجة الى الاولى في ذلك العهد تختلف عنها من بعض الوجوه الى الثانية لاسباب أهمها سعة اللغة السريانية التي كانت لغة السوريين العامة في ذلك العصر واشتمالها على ما كان يهمهم تلقينه في مدارسهم من العلوم بحيث كانوا أحياناً في غنى عن اللغة اليونانية . في حين ان الفرنساوية اليوم لغة العلوم في سوريا وغيرها من بلاد المشرق والمغرب واليها مرجع المؤلفين السوريين ولا سيما الحديثي العهد منهم بآداب اللغة العربية في أكثر مؤلفاتهم العصرية من مدرسية وغيرها « انظر اللغة الفرنساوية »

وما زالت اللغة اليونانية من أهمّ لغات العلوم والآداب في سوريا وغيرها من البلاد الشرقية الى الفتح العثماني سنة ١٤٥٣ م فانقرضت دولة الروم وتقلص ظل اللغة اليونانية من المملكة الشرقية وفي جملتها سوريا وتشتت علماؤها في اوربا فكانوا عوناً لها على انشاء تمدنها الحديث

وقد ظهر في العصر البيزنطي كثيرون من رجال الكنيسة في

سوريا وما جاورها من بلاد المشرق ويعدهم اليونان في المنزلة الاولى بين علمائهم

وما زالت هذه اللغة في بعض المدارس الاوربيــة في سوريا ولا سيما مدارس الآباء اليسوعيين في بيروت وغيرها الزامية لفريق من الطلبة كاللغة اللاتينية لمـا يرون فيها من المواد الاساسية لما لاغنى لهم عن تلقينه للطلبة من مبادئ العلوم الوضعية

تلك خلاصــة ما يقال في اللغة اليونانية من حيث انتشارها في سوريا وعلاقتها بالعربية لغة اهلها .

اللغة الايطالية

الايطالية احدي اللغات المشتقة من اللاتيني احد الفروع الخمسة للهندي الاوروباوي السنسكريتي « ص ٣٤٩ » والغرض من التكلم عليها هنا هو ان نبين وجه علاقتها بالسوريين من حيث اسـباب شيوعها فى بلادهم قديماً وحديثاً :

كانت اللغة الايطالية فيما مضى من الزمن كثيرة الشيوع في بعض انحاء سوريا ولا سيما في بيروت وصيداء وصور . ويرتقى عهد انتشارها هناك الى ايام الامير فخر الدين المعني الثاني الذي حكم لبنان وما يحيط به من الديار السورية في القرن السابع عشر كما سيجيء فى الجزء الثاني

فانه بعد رجوعه من توسكانا احدى مقاطعات ايطاليا حيث كان اعتزل مدة الى وطنه لبنان واسترجاعه الولاية عليه وعلى ما جاوره من

الاصقاع وفد الاوربيون الى المدن السورية للاتجار والكسب واخصهم اهل فينيسيا (١) وتوسكانا فهد الامير لهم سبل الاتجار واحبهم وقربهم اليه في مقابل ما لاقاه في بلادهم الجميلة ايام كان مقيما فيها من ضروب الحفاوة والاكرام. فزادت هذه المدن عمراناً بهم وما طال عهد اقامتهم هناك حتي انتشرت لغتهم في طول البلاد وعرضها واصبحت لغة التجارة فيها. وما زالت على انتشارها بين طبقات سكانها حتي ايام احمد الجزار فطرد جميع الاوربيين من صيداء ومن المدن التى كانت داخلة فى ولايته وفي جملتهم الايطاليين. ومن ذلك الحين ضعفت اللغة الايطالية في البلاد السورية ولم يعد لها من الشأن هناك ما كان لها في ايام ابن معن. وهي اليوم محصورة في الجالية الايطالية وفي فئة قليلة من التجار والادباء. وقد اوشكت ان تتلاشى عند الخاصة ايضاً لولا جهاد المدارس الايطالية المجانية دينية كانت اوعالمية المنتشرة في بعض المدن السورية كبيروت والقدس وحلب وسعيها المتواصل الى اعلاء شأنها فى هاتيك الديار

اللغة الفرنساوية

الفرنساوية كالايطالية احدى اللغات المشتقة من اللاتيني احد

(١) هي البندقية أحدي جمهوريات ايطاليا في القرون الوسطى. اشتهر أهلها بالتجارة والاسفار وتملكت البانيا ومقدونيا وجزر الارخبيل وانتشرت تجارتها في انحاء المشرق وسادت فيها ردحاً طويلا من الدهر.

فروع الهندي الاوروباوي السنسكريتي « ص ٣٤٩ » وهى ذات آداب رائعة وقواعد راسخة سهلة المأخذ . ولذلك جعلت منذ اوائل القرن التاسع عشر اللغة الرسمية لدول الغرب

اما فى سوريا فلها الآن شأن خطير ولا سيما في المدن الساحلية من يافا الى طرابلس واسكندرونه ولا سيما في بيروت . وهي لغة المدارس والكتاب والادباء والتجار وكل من بدت عليه مسحة ادب من السوريين اومسكة من مدنية الغرب . وقلما تمر على قرية فيهذه البلاد ساحلا وجبلا الا وتجد فيها من يتكلم اللغة الفرنساوية.اما المدن فحافلة بالمدارس الفرنساوية او بالمدارس الوطنية التى جعلت هذه اللغة في المنزلة الاولى من لغاتها بل قصرت عليها وحدها جل اهتمامها في تلقين طلبتها العلوم على اختلاف أنواعها .

اما في لبنان على الخصوص حيث النفوذ الفرنساوي مستحكم الحلقات بين سكانه ولا سيما بين الموارنة - وهم معظم سكان الجبل فشيوع اللغة الفرنساوية بين ادبائه يكاد يتجاوز شيوعها في اكثر المدن السوريه بالقياس الى عدد سكانه على عدد سكان تلك المدن ونسبة المتعلمين من هؤلاء الى المتعلمين من أولئك « ص ٣٨٩ »

وتاريخ انتشار اللغة الفرنساوية في انحاء سوريه ولبنان يرجع الي اوائل القرن التاسع عشر. واكثر ماكان ذلك في النصف الثانى منه ولا سيما بعد حوادث سنة ١٨٦٠ علي يد الرسالات الدينية الفرنساويه كالآباء اليسوعيين والعازاريين والاخوة المسيحيين وأخيراً

الاخوة المريميين وغيرهم . فكثرت هذه الرسالات في سائر انحاء سوريه ولا سيما في بيروت ودمشق وبعض مدن فلسطين. وشيدت كثيراً من المدارس. فاقبل عليها طلبة العلم من اطراف البلاد. وكانت اللغة الايطالية لاتزال تلقن في المدارس الى ذلك العهد. فحلت محلها اللغة الفرنساوية ولم يطل بها الزمن حتى شغلت المقام الاول بين سائر اللغات الحية في مدارس سوريه. وادرجت اللغة الايطالية هناك في عداد اللغات الثانوية. ومع الوقت بانت في هذه المدارس نسياً منسياً الا في ما هنالك من المدارس الايطالية « ص ٣٨٣ »

« اللغة الانكليزية »

الانكليزية مشتقة من لغة الانكلوسكسون واللغة الفرنساوية. والاولى هي احد الفروع الثلاثة للاصل الغطظي العام المتفرع من اللغة الجرمانية احدى فروع الهندي الاورباوي السنسكريتي. والثانية هي احدى اللغات اللاتينية المتقدمة الذكر « ص ٣٤٩ »

دخلت هذه اللغة سوريه مع الرسالات الدينية الانكليزية والاميركانية. واكثر ما كان انتشارها في اواخر القرن التاسع عشر. فشادت هذه الرسالات كثيراً من المدارس في سائر انحاء سوريه ولا سيما في بيروت وجنوبي لبنان. واخذت تلقن العلوم بهذه اللغة. وما لبثت ان آنست من السوريين ميلاً الي اقتباسها حتى ضاعفت من عزمها وحسنت كثيراً في لوائحها المدرسية بحيث صارت اكثر انطباقا

على حاجات البلاد من سائر المدارس الاجنبيه في سوريا ولا سيما مدارس البنات . وتخرج منها عدد كبير من أدباء السوريين وفضلائهم وكبار رجالهم أكثرهم في مصر والسودان يشغلون كثيراً من الوظائف العاليه في الحكومتين المصريه والسودانيه . واللغه الانكليزيه اليوم تشغل المقام الاول بين لغات المدارس السوريه بعد الفرنساويه .

« اللغة الالمانية »

الالمانيه هي أحد فرعي اللغه الجرمانيه من فروع الهندي الاوروباوي الخمسه « ص ٣٥٠ » وأكثر انتشارهذه اللغة بين المتعلمين من أهل فلسطين حيث كثرعدد الرسالات الالمانيه الدينيه والسياسية. وللالمان هناك كثير من المدارس التي تلقن لغتهم وآدابهم

« اللغة التركية »

هي مزيج من اللغتين الفارسيه والعربيه . اما الاولى فهي من فروع الهندي الايراني أحد الفرعين العامين من اللغه السنسكريتيه وقد تكلمنا عن الثانيه في غير هذا المكان « ص ٣٤٩ و ٣٦٤ » . وهي اللغة الرسمية لحكومة الدولة العثمانية

واللغة التركية قليلة الشيوع في سوريه . وشيوعها في المدارس أقل منه فيما بين العامة مع انه مضى على تولى الاتراك على سوريه نحو أربعة

قرون ولا تزال لغتهم محصورة في فئة قليلة من سكانها وهم النازلون اطراف البلاد على حدود برّ الاناضول أو الذين تقضي عليهم مصالحهم بتعلم التركية اما ترويجاً لمتاجرهم في بلاد لا يعرف سكانها غير التركية كما هي الحال في حلب وعينتاب وانطاكية وغيرها من المدن الملاصقة لبرّ الاناضول وأما لعلاقة لهم بالحكومة لان التركية لغتها الرسمية واما لوظائف يطمعون بها فى حكومة الدولة أو من باب المعرفة بالشيء ونحو ذلك . ولو لم تكن هذه اللغة فقيرة بالعلوم لكان الاقبال عليها عظيما خصوصاً وانها لغة الحكومة الرسمية عدا عن ان السوريين ميالون بطبيعتهم الى تلقن اللغات . فلم يكن يحول دون تحصيلهم هذه اللغة حائل لو تجاوزت فائدتها لهم المنطقة الضيقة التى حشرها فيها الاتراك أنفسهم . اما اليوم وقد اعلن الدستور في الممالك العثمانية فبات الامل وثيقاً بانه لايمضي ردح قصير من الزمن حتى تشغل اللغة التركية المقام الاول بين اللغات الحية في المدارس السوريه وتصبح سبباً في ترقي فريق من ادباء السوريين وفضلائهم الى الوظائف الكبرى فى حكومتهم هذا اذا لم يثن السوريين عنها ما آنسوه في الترك من الاعراض عنهم وقلة اكتراثهم بلغتهم العربيه التي يريدون ان تجعل واللغة التركية في مستوى واحد فى الدوائر الرسميه . ولكن ليس هناك ما يدل على رغبة الترك في التساهل مع العرب بأمر لغتهم مما لا يدعو الى التفؤل بالخير والفائدة وقد بلغ الاستئثار والانانية بزعماء هذه الحركة العدائيه حداً قصياً لاينتظر معه الا اتساع مسافة الخلف بين الفريقين والقضاء على الوحدة العثمانية قضاء مبرماً . . . . .

المعارف والعلوم

في لبنان و سوريا

كانت سوريه منذ القديم ولا تزال الي اليوم منبع المعارف والعلوم الشرقية وعنوان التمدن الشرقي ومرآته وموطن الفلاسفة والمتشرعين ومحط رحال الباحثين في تاريخ الآداب الشرقية من العلماء الغربيين. وتاريخ تمدنها يرتقي الى اقدم اعصر التاريخ الشرقي «ص ٣٤٠ وما يليها» فان الفينيقيين وهم من اقدم النحل السامية التى نزلت سوريه اول من حمل لواء المعرفة والمدنية ونشر العلوم والآداب الشرقية في العالم القديم « انطر فينيقيه في الجزء الثاني »

كان عصر الرومان في سوريه عصر العلوم والمعارف. فانشأوا في بيروت مدرسة للفقه تضارع مدرستى روميه واسكندرية . فكان يأتيها طلاب العلم من سائر الاقطار الشرقية. وكثيرون من العلماء الذين تخرجوا من مدرسة الفقه فى اثينا اتموا دروسهم الفقهية في مدرسة بيروت . وكانت هذه المدينة تعرف لعهدهم بمدينة العلماء ومدينة الشرائع الخ . ولما نقلت مدرسة الفقه الى صيداء اثر ماحل ببيروت من الخراب باتت صيداء كعبة طلاب العلوم وناشرة لواء المعارف في سورية كما سيجيء عند التكلم على بيروت وصيداء فى الاجزاء التالية

واما عصر العرب في سوريه ولا سيا بعد الاسلام فلم يكن شأنه فى العلم والمدنية مع ما انتاب البلاد فى خلاله من النوائب باقل اهمية

من عصر الرومان . ومكاتب سورية ولا سيما مكاتب دمشق وحلب حافلة بالمؤلفات التي وضعت في ذلك العصر في كل فن ومطلب

ولما جاء الصليبيون الى سورية وغلب المسلمون على أمرهم ضعف شأن العلوم في الديار الشامية لانصراف اذهان القوم الى الحروب . ولما اجلوا عن البلاد اخذوا شيئاً كثيراً من علوم الشرقيين وآدابهم وفنونهم وحملوا ما كان في مكاتب سورية من الكنوز العلمية والاسفار النفيسة فملأوا بها مكاتب الغرب وأنديته الادبية .

وكان ما توالى بعد ذلك على سورية من الكوارث والمحن باعثاً على تثبيط عزائم السوريين وفل هممهم واقعادهم عن مواصلة السير الى الامام فتطرق الجهل الى البلاد وظلت ردحا من الدهر مستغرقة في سبات من الفتور لم يسمع لها في خلاله صوت في عالم الادب والعلم .

وما زالت على ذلك حتى قيض الله لها من رجال الغرب من استعادت علومها ونهضتها الادبيـة علي يدهم . ولقد أخذت طلائع النهضة الحديثة تتجلي منذ أواخر القرن الثامن عشر . وما زالت آخذة في الوضوح الى ان بلغت معظم نموها وأجلى بهائها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فباتت سورية ارقى الاقطار الشرقيـة وارفعها منزلة في المعارف والعلوم .

وأول قبس جاءها من الغرب في الدور الاخير من رقيها العلمي كان على يد الرسالات الدينية الفرنساوية. جاءتها أثر ما رأته من انحصار عملها في أوربا ضمن دائرة ضيقة وماشعرت به من اتساع ميدان العمل في الشرق

ولا سيما في الديار السورية حيث آنست من ميل الاهالي الى اقتباس العلم ما شدد عزيمتها وقوى ساعدها فانشأت الاديرة، والى جانب كل دير مدرسة فسيحة الارجاء. وبثت آداب الفرنساويين وعلومهم وتمدن الاوربيين واخلاقهم في صدور الناشئة الجديدة. وما هي أعوام قليلة حتى كانت المدارس الفرنساوية في سائر انحاء سوريه تعد بالمئات يؤمها آلاف مؤلفة من طلاب العلم. فاستعادت سوريه بذلك ما كان لها قديماً من المكانة العالية بين البلاد الراقية وباتت مدارسها مقصداً لطلاب العلم من جميع الاقطار الشرقية.

ثم جاء الاميركان في أوائل القرن التاسع عشر وأبصارهم متجهة نحو التبشير. لكنهم مالبثوا ان استقر بهم المقام حتى رأوا ان الحاجة في الديار الشامية ماسة الى العلم اكثر منها الى الدين ولا سيما انها مهد الاديان ومنبت مؤسسيه وعلمائه فلا ينقصها مبشرون ومنذرون. فجمعوا الى الغرض الديني الذي أموا سوريه من أجله الغرض العلمي. وأول ما بدأوا عملهم في لبنان فاسسوا مدرسة عبيه ثم الكلية السورية الاميركانية في رأس بيروت. وما هي الا فترة قصيرة حتى ملأوا سوريه وجنوبي لبنان مدارس وأندية أدبية تجمع الآفاً من طلبة العلم

وكانت المدارس السوريه الوطنية الى بدء تلك النهضة ابتدائية قاصرة على بعض الجهات. فجاء انتشار المدارس الاجنبية فى لبنان وسورية منبهاً لاذهان الوطنيين لانشاء المدارس والاكثار منه. فنشطوا من عقالهم وأخذوا يتبارون في تشييدها. ولم تنقض مدة قصيرة حتى

باتت سوريه من اقصائها الى اقصائها حافلة بالمدارس على اختلاف درجاتها . فصرت لا تمر ببلدة أوقرية أومزرعة في لبنان وسورية الا وتجد فيها مدرسة أو مدرستين ولا حديث للقوم الا بالعلم والادب. ناهيك بما أنشيء من المدارس العالية في المدن والقصبات من دينية وأدبية مما سيأتي الكلام عليه عند ذكر مدن سوريه .

ولم تقف النهضة العلمية في الديار الشامية عند هذا الحد فقامت الجمعيات الاوربية من المان وتليان وانكليز وغيرهم فأنشأوا كثيراً من المدارس في المدن الكبرى من سوريه وفلسطين. فضاعفت قوة العلم في البلاد وزادت أهلها اقبالا على اقتباس الآداب الغربية

والفضل الاكبر في انشاء النهضة الادبية الحاضرة في هاتيك البلاد للفرنساويين والاميركان. فانهم بانشائهم هذه المدارس فيها فتحوا لاهلها كنوز الآداب الغربية وأوقفوهم على ما حسن من اخلاق الغربيين وعاداتهم وأشربوهم روح المدنيتين العظيمتين الفرنساوية والاميركية. وقد آخذوهم على الخطة التي اتبعوها في تلقين العلوم حيث لم يراعوا فيها حاجات البلاد وسكانها وقصروا همهم على التعليم بلغات وطنهم فبثوا في صدور الناشئة روح التفرنج وصرفوا عواطفهم عن وطنهم بامالتهم الى آداب الاوربيين ومدنيتهم الحديثة . وعندنا انه مهما كان الضرر الذي نشأ عن هذه الخطة بليغاً فانه لا يكاد يذكر بجانب ما لهؤلاء الافرنج من الشأن الخطير في تربية الاخلاق وتهذيب النفوس وترقية العواطف وتنوير الاذهان وبث المبادىء الصحيحة القويمة في

صدور الناشئة السورية . فان لهم في ذلك من الفضل العظيم ملتمساً للعذر عما آخذوهم عليه من تخليق الشبيبة السورية باخلاق قومهم والخروج بها بعض الخروج عن حاجات البلاد ولا سيما ان الروح التي اتخذوها في بث آدابهم وعلومهم في بلادنا انما هي روح شريفة قائمة على أساس الدين . والدين في اعتبار المتمدنين أساس كل رقي أدبي واجتماعي والوطنية احدى فروعه ومظهر من مظاهره . والعلم في اعتبار المتمدنين من أكبر العوامل وأقواها التنمية روح الوطنية. فالاوربيون بتلقيننا علومهم انموا فينا هذه الروح وثبتوا دعائمها وجعلوا لها وجهة مفيدة لولا تشعب اغراض السوريين واختلاف مبادئهم الناشئة عما بينهم من اختلاف العقائد وفساد الحكومة البائدة واعتصامها بمبدأ التفريق بين رعاياها — لولا كل ذلك لباتت معها وطنية السوريين الحاضرة أشد وأصدق وطنية في الشرق ولكان لها فى تكوين الامة السورية وانشاء وحدتها ما كان لوطنية الامم الغربية نفسها من الشأن الخطير في ترقية هذه الامم الى الدرجة التي بلغتها من الحضارة

ولقد نشأ في القرن الماضي فى سوريه كثير من بيوت العلم والادب كان لها شأن خطير في نهضتها العلمية الحاضرة كبيت البستاني وبيت اليازجي وكثير من الافراد في سائر انحاء سوريه ولبنان أتينا بذكر أشهرهم فى الاجزاء التاليه من هذا الكتاب « انظر تاريخ الصحافه السورية »

ولقد ضاقت أرض سورية بمن تخرج في مدارسها من العلماء

والكتاب فساقتهم هممهم الى حيث يجدون جواً ملائماً لنشاطهم وكفاءتهم وارضاً ينفسح فيها ميدان العمل امامهم. فانتشروا فى سائر انحاء المعمورة ولا سيما في الديار المصرية يحدثون العالم بنشاط الشعب السوري ومبلغ رقيه . والى الكتاب السوريين وخاصة اللبنانيين الذين جاءوا القطر المصري منذ نحو ثلاثين سنة خلت ينسب معظم الرقي الادبي الذي تجلى في مصر بابهي مظاهره فى الفترة الاخيرة. وللاسرة الخديوية العلوية فضل عظيم في ابلاغ السوريين المرتبة الادبية التي يشغلونها في وادي النيل . وما من أحد يجهل حكاية مؤسس هذا البيت العظيم مع العائلات اللبنانية الاولى التي استقدمها الى مصر على يد الامير بشير قاسم الكبير وشأن خلفائه من بعده مع أهل العلم من السوريين وعلى الخصوص المغفور له اسماعيل باشا مع المرحوم بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف واشتراك الحكومة المصرية بعدد كبير من نسخها ومبلغ اعتبار سمو عباس الثاني المالك سعيداً لصفات السوريين وتقديره علمائهم وكتابهم قدرهم واشتراك أهل بيته الكريم مع سموه بالانعطاف نحوهم وشغل طائفة كبيرة من نوابغهم وأدبائهم لوظائف مهمة خطيرة الشأن في الحكومة المصرية . كل ذلك يدل دلالة صريحة على مبلغ نشاط السوري وأدبه وعلمه وتفوقه في الصفات الادبية التي هي من مميزات الشعوب الراقية .

وعلماء السوريين وأدباؤهم أساس الحركة الفكرية الحاضرة في المالك العثمانيــة وحجر الزاوية في بناء الدولة. وهم أسبق الشعوب

العثمانية الى الاخذ باسباب رقيها وابرها بها وأحرصها على مصالحها وأكثرها اخلاصاً لرجال الدستور المخلصين. واذا ما بلغت هذه الدولة يوماً ما الشأو الذي نتمناه لها من الرقى والحضارة فلا بد ان يكون للسوريين اليد الطولى فى ذلك. وان لم تكن طلائع هذه اليد بدت الى الآن لاسباب قهرية قضت بها سنة تنازع البقاء مما لا محل لذكره هنا فلا بد ان تظهر قريباً وان غداً لناظره قريب.

تاريخ الصحافة

السورية

قبل ان تنضج الحركة الفكرية في ديار الشام وتعم النهضة العلمية الاخيرة مدنها كان زعماؤها فى بيروت — وهم من أبناء بيوت العلم اللبنانية الذين يعدون اسبق أدباء سوريا الى الاشتغال بالعلم والادب — أول من أقدم على تعزيزها وانمائها في حين كانت البلاد العثمانية تتخبط في دياجي الجهل والغباوة وتمزق شعوبها الفتن الداخلية. وادرك ارباب هذه النهضة ان الصحف مقياس رقي الامم الناهضة ومن اكبر العوامل في تحضير الشعوب الخاملة. وعرفوا ما لها عند الغربيين من الشأن الخطير في تنبيه الاذهان الي مواطن الضعف فيهم فيصلحونها واعداد الافكار لقبول ما صلح من المبادئ فيتذرعون بها لبث التعاليم الصحيحة وحمل العامة على نبذ التقاليد القديمة الموروثة التي لا تتفق مع تعاليم المدنية الحديثة. عرفوا كل ذلك في الصحافة

فعمدوا اليها وظهرت في سنة ١٨٥٧ جريدة «حديقة الاخبار» لصاحبها خليل الخوري اللبناني من الشويفات وهي أول جريدة اخبارية ظهرت في ديار الشام ولم يكن عليها مسحة سياسية لانصراف الافكار حينذاك عن السياسة الي الادب. وكانت نصف اسبوعية. ثم تلتها جريدة «نفير سورية» سنة ١٨٦٠ لصاحبها المعلم بطرس البستاني اللبناني الشهير وهي أول جريدة سياسية ظهرت في ديار الشام. ثم تركها وانشأ المدرسة الوطنية. وما لبث ان فرغ من تنظيمها وتوطيد دعائمها بحيث اصبحت بزمن قصير منتجعاً لطلاب العلم الصحيح حتى عاد الى الصحافة فانشأ سنة ١٨٧٠ مجلة علمية سياسية سماها «الجنان» ثم انشأ في تلك السنة نفسها «الجنة» وجريدة اخرى سياسية كان يحررها حضرة العلامة سليمان افندي البستاني وهو اشهر علماء سوريا. وفي سنة ١٨٦٢ اصدرت الحكومة اللبنانية جريدة «لبنان» الرسمية على أثر تقرير نظام لبنان الحالي «ص ٤٥ وما يليها» وفي سنة ١٨٦٩ انشأ الآباء اليسوعيون مجلة «الكنيسة الكاثوليكية» ثم ابطلوها سنة ١٨٧٠ واصدروا مكانها جريدة «البشير» الاسبوعية ثم جعلوها على التمادي نصف أسبوعية فيومية. وفي تلك السنة نفسها انشأ يوسف الخوري شلفون جريدة «الزهرة» ثم جريدة «النحلة» ثم جريدة «النجاح» ثم جريدة «التقدم» سنة ١٨٧٤ وكانت مرآة النهضة العلمية والادبية هناك في ذلك الحين لان الذين كانوا يكتبون فيها كانوا من نخبة ادباء سوريا ولبنان كاديب اسحق والشيخ اسكندر العازار

وغيرهما وقد اشتهر الاول بالمباحث الادبية والثاني بالمسائل الاقتصادية ودقة التصورات .

وما زالت النهضة العلمية و لادبية آخـذة بالنمو والانتشار حتى عمت تدريجاً الديار السورية وكثرت فيها الصحف الاخبارية والسياسية والمجلات العلميـة والادبيـة وانتشرت المطبوعات بالرغم عما صادف المؤلفون والناشرون لها من العقبات والمعاكسات من الحكومة البائدة في نشرها ولا سيما ما يرمي منها الى غرض سياسي ولو تلميحا. واتصل تأثير نهضتهم هذه الى مصر فجاءها غير واحد من نوابغهم وانصرفوا الى تعزيز شأن العـلم فيها فـكانوا من اركان نهضتها العلمية الحديثة ومن أعظم دعائم صحافتها . ولمـا تـكاثر عددهم في العالم الجديد امه كثيرون من المشتغلين بحرفة الادب فنشأوا هناك كثيراً من الجرائد والمجلات . وصدرت أول صحيفة عربية في الديار الاميركانية سـنة ١٨٩١ وتوالى اصدار الصحف العربيـة هناك حتى بلغت الي اليوم نحو مئة صحيفة بينها عدة صحف يومية لها شأن خطير عند السوريين والاميركان . ولمعشر اللبنانيين الفضل الاكبر في ذلك . ومنـذ أعلن الدستور في الممالك العثمانية سنة ١٩٠٨ زاد اقبال السوريين على مطالعة الصحف السياسية فصدر عدد كبير منها في الديار السورية حتي زادت عن حاجـة البلاد . ومع ما صادفت من اقبال الناس عليها احتجبت جرائد كثيرة منها. ولـكن الجرائد التي ثبتت لم تزل كثيرة. ولهم الآن في مصر صحف خطـيرة الشأن لا تقل منزلة عن الصحف الاوربيـة

الراقية كالمنتظم والاهرام والبصير والاخبار والمقتطف والهلال والزهور الخ . وفى سوريا ولبنان كالنصير والبشير ولسان الحال والاحوال والثبات والروضة والارز الخ . وفى أميركا كمرآة الغرب والهدى والسلام والمناظر وغيرها

ولكي يكون القارئ على بينة من أمر الصحافة السورية ننشر هنا جدولا باسماء الجرائد والمجلات الحية التي لم تزل حتى سنة ١٩١٣ تصدر فى سورية أو خارجاً عنها :

« الجرائد الحيـة »

اسم الجريدة	تاريخ نشأتها	مكانها	اسم الجريدة	تاريخ نشأتها	مكانها
البشير	١٨٧٠	بيروت	الطبيب العامل	»	بيروت
النشرة الاسبوعية	١٨٧١	»	الحارس	»	»
لسان الحال	١٨٧٧	»	الحمارة	»	»
بيروت	١٨٨٨	»	البلاغ	١٩١١	»
الاحوال	١٨٩١	»	الاخاء العثماني	»	»
الاقبال	١٩٠٢	»	القضاء	١٩١٢	»
البرق	١٩٠٨	»	الائتلاف العثماني	»	»
الثبات	»	»	الفتى العربي	»	»
المراقب	»	»	لبنان	١٨٩١	بعبدا
الحقيقه	١٩٠٩	»	الروضة	١٨٩٤	»
ابابيل	»	»	لبنان « رسمية »	١٩٠٩	»
النصير البيروتي	١٩١٠	»	الصفا	١٨٩٨	عاليه
الرأي العام	»	»	المهذب	١٩٠٧	زحله

اسم الجريدة	تاريخ نشأتها	مكانها	اسم الجريدة	تاريخ نشأتها	مكانها
زحلة الفتاة	١٩١٠	زحله	المحامي	١٩١١	طرابلس
الشرقية	١٩١١	»	المدلل	»	»
الحكمة	١٩٠٩	جبيل	السعدان	»	»
مشهد الاحوال	١٩١٠	البترون	الحوادث	»	»
البيرق	١٩١١	الحدث	البرهان	»	»
الخواطر الزحلية	١٩١٢	زحله	اللاذقية	١٩٠٩	اللاذقية
الحق	١٩٠٩	بيت شباب	المنتخب	١٩١٠	»
النتيجة	١٩١٢	»	حمص	١٩٠٩	حمص
الفرائد	»	عبيه	ضاعت الطاسة	١٩١٠	»
دير القمر	»	دير القمر	دليل حمص	١٩١٢	»
الشعب	»	عين زحلتا	التنبيه	»	»
سورية «رسمية»	١٨٦٥	دمشق	الاخاء	١٩١٠	حماه
المقتبس	١٩٠٨	»	السيف	١٩١١	»
الكائنات	١٩١٠	»	نهر العاصي	»	»
النديم	١٩١١	»	المرج	١٩٠٩	مرجعيون
بردي	»	»	القوة	١٩١٢	صور
المهاجر	١٩١٢	»	جبل عامل	١٩١١	صيداء
جحى	»	»	النفير العثماني	١٩٠٧	القدس
المشكاة	»	»	المنادي	١٩١٢	»
الضمير	»	»	الكرمل	١٩٠٨	حيفا
الفرات «رسمية»	١٨٦٨	حلب	العصا	١٩١٢	حيفا
التقدم	١٩٠٩	»	فلسطين	١٩١١	يافا
تشبث	١٩١١	حلب	الجولان	»	القنيطره
طرابلس	١٨٩٣	طرابلس	الزوراء «رسمية»	١٨٦٨	بغداد
الرغائب	١٩٠٨	»	صدى بابل	١٩٠٩	»
الاجيال	١٩١٠	»	الزهور	»	»

اسم الجريدة	تاريخ نشأتها	مكانها	اسم الجريدة	تاريخ نشأتها	مكانها
بين النهرين	١٩٠٩	بغداد	كوكب أميركا	١٨٩٢	نيويورك
الرياض	١٩١٠	«	الهدى	١٨٩٨	«
اخوت	«	«	السهام	١٩١٠	«
الرصافة	«	«	العالم الجديد	١٩١٠	«
النوادر	١٩١١	«	البيان	١٩١٠	نيويورك
المصباح الاغر	«	«	الرموز	١٩٠٢	بونس ابرس
القسطاس	١٩١٢	«	سورية الجديدة	١٩١٠	بوسطن
تفكر	١٩١٢	«	العدل		ريودي جانيرو
معارف	«	«	السلام		بونس ايرس
الاهرام	١٨٧٥	مصر	الشهاب		كندا
المقطم	١٨٨٨	«	المناظر		سان باولو
البصير		اسكندرية	الميزان		«
العمران		مصر	بشراي		«
الرقيب	١٩١١	«	أبو الهول		«

« المجلات الحية »

اسم المجلة	تاريخ نشأتها	مكانها	اسم المجلة	تاريخ نشأتها	مكانها
الطبيب	١٨٧٨	بيروت	التلميذ	«	بيروت
المشرق	١٨٩٨	«	الانيس	«	«
المحبة	١٨٩٩	«	البصائر	١٩١٢	«
الحسناء	١٩٠٩	«	الحقوق	١٩١٠	بعبدا
المورد الصافي	«	«	الحسناء	١٩١٠	بيروت
النفائس	١٩١٠	«	المسرة	١٩٠٩	حريصا

اسم المجلة	تاريخ نشأتها	مكانها	اسم المجلة	تاريخ نشأتها	مكانها
النديم	١٩٠٩	نهر بيروت	زهيرة بغداد	١٩٠٥	بغداد
كوكب البرية	١٩١١	بعبدا	لغة العرب	١٩١١	»
الآثار	»	زحله	الحياة	١٩١٢	»
القمر	»	دير القمر	سبيل الرشاد		»
المقتبس	١٩٠٦	دمشق	المقتطف	١٨٧٦	مصر
النعمة	١٩٠٩	»	الهلال	١٨٩٢	»
العروس	١٩١٠	»	الجامعة	١٨٩٩	»
مجلة الشعب	١٩١٢	»	الزهور	١٩١٠	»
المباحث	١٩٠٨	طرابلس	مجلة سركيس	١٩٠٧	»
البيان	١٩١٢	»	الروايات الجديدة	١٩١٠	»
سمير الصبا	١٩١١	حمص	فتاة الشرق		»
الشبيبة	»	»	طبيب العائلة	١٨٩٥	»
العريس	»	»	السعادة	١٩٠٢	»
جادة الرشاد	»	»	مجلة الاعمال اليدوية	١٩٠٨	»
الانسانية	١٩١١	حماه	النور العباسي	١٨٩٤	اسكندرية
العرفان	١٩٠٩	صيدا	العام الجديد	١٨٩٥	»
النفائس العصرية	١٩٠٨	حيفا			

تأثير المهاجرة

في

لبنان وسوريا

المهاجرة داء عضال يرجع تفشيه في لبنان وسوريه الي أقل من نصف قرن . كان في بادئ الامر قاصراً على فئة قليلة من التجار أكثرهم من الحلبيين ثم اتصلت جذوته باللبنانيين ولا سيما أهل البترون وجبة بشري في شمالي لبنان . وما لبث حتى تناول سائر الديار الشامية من أقصى حدود حلب الى عريش مصر .

والميل عند السوريين الى الاسفار عريق في القدم ورثوه عن آبائهم الفينيقيين وان تكن بلادهم منذ القدم بلاد الاستعمار وفيها من البقاع الفسيحة الخصبة مايغني سكانها مهما كثر عددهم عن الجلاء عنها طلباً للرزق في البلاد النائية والاقطار السحيقة كما كان شأنها لعهد الرومان وغيرهم من الامم الفاتحة التي انما حملها على اجتياح الديار الشامية والتسلط عليها ما كان فيها من الخير الوفير والثروة الطبيعية الطائلة

ولئن كان السوريون لم يعمدوا الى الهجرة قبل النصف الثاني من القرن الغابر فليس لانهم لم يجدوا اسباباً كافية للاخذ بها كالحروب واختلال الامن والتخاذل وظلم الحكام وغير ذلك مما هو متقدم عهداً

على زمن الاستبداد الاخير . بل لان الجهل من جهة ووعورة المسالك وتعذر سبل الانتقال والمواصلة من جهة أخرى كل ذلك كان يحول دون المهاجرة فيؤثر الناس الاقامة في بلادهم مع ما فيها من الحيف وشظف العيش على تجشم مشاق الاغتراب ولا سبيل لهم اليه. وما زالوا كذلك الى ان توفرت لهم اسباب الجلاء وتعددت لديهم وسائل الانتقال. وكان قد هالهم ماصارت اليه البلاد من البؤس والشقاء لقلة الارزاق ولكثرة المظالم والمغارم . ونظروا الى اميركا واستراليا ومستعمرات اوربا الافريقيه فاذا بها تفيض لبنا وعسلا على سكانها وروادها وهم من طبيعتهم اصحاب جد وعمل واقدام وذكاء يشق عليهم ان تكون لهم مواهب طبيعية كهذه ضنت بها الطبيعة على ارقى شعوب الارض ولا ينتفعون بها فقصدوا اليها زرافات ووحدانا طلباً للرزق وانتجاعا للعيش من موارده العذبة

ويرجعون في تعليل مهاجرة السوريين الى اسباب شتى منها ماهو عام ومنها ماهو خاص. اما العام فمنحصر في سببين الاول ضغط الحكومة البائدة وزيغها عن محجة العدل وتقييدها للحرية الشخصية تقييداً لا مثيل له في تاريخ الحكومات المطلقة . والثاني ضيق سبل الرزق على تكاثر السكان واتساع نطاق المطالب العصرية اتساعاً لا يتفق مع شظف العيش الذي صارت اليه حالة السكان، ومرجع كلا السببين الى اصل واحد هو الاستبداد الذي كم الافواه عن النطق بغير التسبيح لحامل صولجانه وترديد آيات الحمد والثناء على اعوانه ورافعي

اعلامه وعقل الالسنة الحرة وغل الايدي العاملة وقيد الارجل الساعية وشل الاعصاب الحساسه" واثبط العزائم الشديدة الرابطة" واقعد الهمم العاليه" وكسر القلوب القوية وحبس الافكار الراقية. وعلى الجملة فانه لم يدع مظهراً من مظاهر الحياة في جسم هذه الامه" الحيه" الا اطفأ جذوته واخمد شعلته . وهذا السبب العام يتناول سائر المالك العثمانية وفي جملتها الديار الشاميه" في ماخلا لبنان .

واما الاسباب الخاصـه" فتتناول كثـيرا من العناصر التي تتألف منها الامه" العثمانيه" . فلكل من هذه العناصر بواعث للهجرة خاصة به نضرب صفحاً عنها لخروجها عن موضوعنا ونقصر الكلام على ما كان متعلقاً منها بالعنصر السوري .

ان من الاسباب الخاصة التي حدت بالسوريين الى الجـلاء عن الديار الشامية طلب الارتزاق وانتجاع الخير . وأول من خص بهذه الميزة من بين العثمانيين عمـوماً والسوريين منهـم خصوصاً انما هم اللبنانيون. فهم وحدهم هاجروا في طلب الرزق. فلم يكن الظلم الباعث لهم على الجلاء عن أوطانهم. ولكنه كان الباعث على انصرافهم عن بقاع سـوريه الخصيبة ومـدنها الفيحاء الى القارتين الامـيركانية والافريقيه" حيث يجتمع لهم هناك الى اتساع سبل الرزق حريه" القول والعمل التي الفوها في جبلهم من أقدم أزمنه" التاريخ .

على ان هناك اسبابا أخرى لاقبال اللبنانيين على المهاجـرة منها ماهو طبيعي ومنها ما هو طارئ . اما الطبيعي فهو انهم كثيرو التناسل

وجبلهم ضيق المساحة . فهو مع وفرة عدد الجالين عنه للعهد الاخير
لايزال من أكثر جبال الارض سكاناً وأوفرها عمراناً . وكانوا قبلا
يرتادون ما يحيط به من البقاع الفسيحة فيجدون فيها متسعاً للعمل
والارتزاق . فلما حال اشتداد الظلم بينهم وبين تلك البقاع واضطر
للعمل في جبلهم القاحل المصخر ولا سيما بعد ان سلخ سهل البقا
عن الاراضي اللبنانية والحق بولاية سورية بسعي فرنقوباشا متصر
لبنان (١٨٦٨ ـ ١٨٧٢) واشتدت بهم الحاجة الى الخروج
معيشتهم عن الحدود التي حشرتهم فيها طبيعة بلادهم وتقاليد
الموروثة بحيث تصير هذه المعيشة منطبقة على روح العصر الحاض
لم يطيقوا بعد كل ذلك الاقامة طويلا على ما انتابهم من شظف العي
وهم على ما يعهد فيهم من صدق العزيمة والجرأة والنشاط فاضط
لهجر الوطن على شدة تعلقهم به ضاربين في بلاد الله الواسعة
الى رزقهم . وهذا السبب يتناول خاصة فئة الفقراء الذين يعتمد
في تحصيل عيشهم على قوة سواعدهم . والذين هاجروا من هذه ا
هم معظم اللبنانيين النازلين على الخصوص في القارة الامير
واستراليا ومستعمرات أوربا الافريقية ويعدون بالالوف بل و
الالوف ويكادون يساوون عدداً الباقين في البلاد . وقد أثروا في
الغربة وتناسلوا ونموا في الجمهوريات الاميركانية ولا س
الولايات المتحدة « حيث بلغ عددهم نحو مائة الف » « والج
الفضية « وعددهم فيها ٦٥ الفاً » وفي البرازيل وفنزويلا نحو ٧٠

وفي المكسيك « نحو عشرة آلاف » واستراليا وغيرها حتى باتوا في هاتيك الانحاء قوة عظيمة لا يستهان بها غير من هاجر منهم الى جزر المحيط والى الترنسفال ومستعمرة الكاب وسواها وغير من نزلوا البلاد الاوربية ولا سيما فرنسا وانكلترا وأصابوا فيها نصيباً وفيراً من النجاح من كل وجه وبينهم تجار معتبرون وكثيرون من أرباب الاقلام والمؤلفين والشعراء والاطباء والحامين وأصحاب الصنائع . ولهم في كل بلاد نزلوها عدة صحف عربية تنطق بلسانهم وتدافع عن مصالحهم « ص ٣٩٦ وما يليها » ولهم جامعات قومية يضرب بها المثل وبهم حنين الى الوطن يحسدون عليه. ومما يجدر بالذكر ان معظم أرباب الثروة والذين أدركوا منزلة عليا من هؤلاء المهاجرين هم من اللبنانيين .

وأما السبب الطاري لمهاجرة اللبنانيين فهو كثرة المدارس في لبنان وشدة اقبالهم عليها انتجاعاً للعلم والعرفان. وغني عن البيان أن شعباً كالشعب اللبناني لا زراعة واسعة له تقوم باوده ولا تجارة فيه ولا صناعات عصرية عامة تجد لها في أسواق المدن السورية منافذ وأبوابا ولا من يسعه من أهله أو غيرهم استثمار معادنه وجعل فائدتها عامة شاملة ولا حكومة قادرة على اصلاح ما فسد من أموره وانشاء موارد للرزق فيه ولا أمر من الامور الخطيرة النافعة بذاتها يستطاع فيه تطبيق العلم على العمل . ان شعباً هذا شأنه لا يسع المتعلمون من ناشئته البقاء حيثماهم في بلاد لا يجدون فيها من وسائل العيش والعمل ما يتفق مع التربية العقلية والادبية التي اقتبسوها من هذه المدارس وشبوا عليها فيضطرون للجلاء

عنها الى حيث يجدون وسطاً ملائماً لهم يعيشون فيه . وهذا السبب الذي يتناول فئة المتعلمين يشمل خاصة ابناء الطبقة الوسطى الذين يلتمسون الرزق من شق اقلامهم أومن بمض ماخلفه لهم آباؤهم من بدرات المال. والسواد الاعظم من أبناء هذه الفئة هاجروا الى مصر وهم فيها جزء معتبر من اجزاء السوريين النازلين في وادي النيل . ولهم على قلة عددهم شأن خطير في النهضة الادبيـة الحاضرة السائدة في مصر بما يشغله كتابهم وأدباؤهم وعلماؤهـم ومحاموهم واطباؤهم من المنزلة الرفيعـة في عالم الادب. ولا يقل عنـه شأنهم فى الارتقاء التجاري والمـالي والاقتصادي والسياسي الذي صارت اليه مصر بما يشغله فريق منهـم في البنوك الـكبرى والمحـلات التجارية من الوظائف الـكتابية والحسابية والمالية ناهيك بما لـكبار رجالهم الذين تولوا كثيراً من مناصب الحـكومة المصرية من المـنزلة الرفيعة عند الانكليز والوطنيين وشهد لهم مصلحو مصر أنفسهم وفي مقدمتهم اللورد كرومر بالتفوق في الذكاء والنشاط والامانة والنزاهة وهي من أخص مميزات النوابغ عند الامم الراقية . « ص٣٨٨ وما يليها »

ولا تزال المهاجرة الى اليوم الشغل الشاغل للاذهان وعدد النازحـين من لبنان وسوريه في ازدياد مطرد برغم ماكان يتوقعـه العقلاء بعـد اعلان الدستور الاساسي في الممالك العثمانية من وقوف تيـارها الجارف . ومن أعظم بواعثها الحاضرة في البقع التابعـة للولايات الخوف من الجندية مع ان الجنـديه فخر الرجال وهي من

الصفات الملازمة للرجولية في كل أمة بل الحجة الدامغة على وطنية الفرد والجماعات . على ان للسوريين بعض العذر في أحجامهم عنها مع ما دمعليه من النشاط والجرأة وماهو مأثور عنهم من التفاني في حب دولتهم والاخـلاص لها والرغبـة في خدمتها خدمة صادقة حملا لمصلحيها على الاعتقاد بصدق وطنيتهم . ذلك ان للمرء من طبعه دافعاً للاحجام عما لم يألفه . والمسيحيون في سوريه لم يتعودوا التجند منذ خمسة قرون . فهم بالطبع يحجمون عنه اليوم ولا سيما ان الحكومة لم تتبع في تجنيـدهم الخطـة التي تلائم طباعهم واخلاقهم وتقاليـدهم الموروثة . وهي ان تجندهم وتبقيهم في بلدانهم ريثما يرسخ في اذهانهم ان ليس في الجنـدية ما يخافونه من الظلم وشظف العيش والحرمان الادبي والديني الذي لم يألفوه . وهـذا ما اضطرت اليـه في البانيا ولكن بعد فوات الفرصة حيث كانت بسياستها الخرقاء نفرت قلوب الالبان منها وهيأت لهم الاسباب للخروج عليها وانشاء مملكة مستقلة اضطرتها حرب البلقان للاعتراف بها والتسليم لمشيئة أوربا في اختيار شكل الحكومة الملائمة لها . وستعمد الى نفس هذه الخطة بتجنيد الاهالي في كل بلاد رأت بتجنيـدهم نفس الصعوبة الـتي وجدتها في البانيا كبلاد العرب وسوريا وارمينيا وغيرها .

***

الى هنا انتهى بنا الكلام على تعريف المهاجرة وايراد ما نعرفه من تاريخها ومنشأها وأسبابها في لبنان وسورية

اما النتائج التي ترتبت عليها فتختلف في لبنان عنها في باقي اقاليم سوريه اختلاف أسبابها في البلادين .

فمن نتائجها عند السوريين عموماً ما هو نافع ومنه ماهو ضار . اما النافع فيتناول السوريين واللبنانيين معاً وهو قاصر على ما نراه في لبنان وسوريه من آثار العمران ورخاء العيش وارتفاع شأن العلم وقلة الجرائم بجلاء أربابها ومعرفة المرء ماله من الحقوق وما عليه من الواجبات . وان يكن فريق من المهاجرين اساءوا فهم الحرية التي اكسبتهم هذه المعرفة وتجاوزوا الحدّ السائغ لهم في تحديدها وتعريف هذه الحقوق والواجبات . ومعظم النفع فيما يلوح لنا أدبي أكثر منه مادي.لان أكثر المهاجرين من الطبقة السفلى.وهم لم يتعلموا مبادئ الاقتصاد المالي والزراعي ولم يألفوا سعة العيش . والمال الذي أتوا به من ديار الغربة أنفقوا معظمه في غير وجوهه النافعة . فشادوا بالجانب الاكبر منه دوراً واسعة وقصوراً فخمة لا تأتيهم بريع بل بالعكس. فيضطرون للانفاق عليها لحفظها وصيانتها . والجانب الباقي وهو القليل خصوه بانفسهم فغيروا ازياءهم وتأنقوا فيها وفي معيشتهم تأنقاً تجاوزوا فيه الحد السائغ لهم. وتوسعوا في الانفاق على معيشتهم العائلية بما لا ينطبق على تقاليدهم ولا يناسب حالتهم وايرادهم .

أما الضار من نتائج المهاجرة عند السوريين فأكثر ما كان ظهوره في اعتبار من وقفنا على رأيهم في هذا الشأن من نخبة رجال العلم والاختبار عند أرباب المال والعمل. فان أرباب التجارة من السوريين

كانوا اذا أثروا في بلادهم آثروا الاقامة فيها واذا أثروا في الخارج عادوا بثروتهم اليها وتمتعوا بها فى آخريات حياتهم. فلما اشتدت وطأة الاستبداد في الممالك العثمانية بات السكن في المدن السورية ولا سيما في بيروت مما يضيق الانفاس ويحرج الصدور. وكانت مصر وهي شقيقة سوريه في اللغة والعادات والاخلاق راتعة في بحبوحة من الامن وصفاء العيش. فهاجر أرباب المال اليها كما هاجر اليها أبناء الطبقة الوسطى وحملة الاقلام. فكانت لهم جميعاً ملجأ اميناً فانتفع الفريق الاول بمضاعفة ثروته واستفاد الفريق الثاني وأفاد من الوجهة الادبية ولكن سورية خسرت بجلاء هاتين الفئتين عنها — وهما أقدر فئات سكانها علي انماء ثروتها المادية والادبية وتقويم معوجها واصلاح شأنها — قسماً كبيراً من ثروتها المالية والادبية. ومنهم من رحلوا الي أوربا فانتفعوا ولكن البلاد فقدت بنزوحهم عنها مالا يذكر بجانبه النفع الذي احرزوه بصفتهم الفردية. ويقدر العارفون ما نقص من ثروة المدن السورية ولا سيما بيروت ودمشق وحلب بجلاء التجار عنها في هذه المدة القصيرة بما لا يقل عن ثمانية ملايين ليرة. وقد تضاعفت بالاستثمار ولكنها خرجت من البلاد ولا يرجى ان تعود اليها بمدة قصيرة لان أصحابها وجدوا في وادي النيل من العدل والامن وصفاء العيش ما لا أمل لهم بالحصول عليه فى بلادهم. وقد ألفوا السكنى فيه. فآثروا الاستمرار على مزاولة أعمالهم خارجاً عن وطنهم واتخذوه وطناً ثانياً لهم. وا كتفوا بالتردد على بلادهم للاصطياف بين حين

وآخر. وهكذا فئة الكتاب والادباء فان الامل برجوعهم الى أوطانهم وهم أدرى الناس بمصير الحال فيها بات عسيراً شاقاً لا يرجى ان يتحقق بعشرات من السنين

اما أرباب العمل فضار المهاجرة عندهم أشدّ بلاء على البلاد وفي يقيننا انها أعظم مصاب منيت به الديار السورية منذ آلاف السنين .

كانت الحكومة في بادئ الامر تشدّد بمنع المهاجرة من سورية . فكان عدد المهاجرين منحصراً في فئة قليلة من المخاطرين. ثم ما لبثوا أن آنسوا من رجال هذه الحكومة ميلا الى التساهل والاغضاء منشأوه الطمع الاشعبي في ابتزاز الاموال من أولئك المهاجرين المساكين واخلاء البلاد من سكانها الاصليين لغرض سياسي يدركه كل من له المام بسياسة الحكومة المركزية أو العنصرية كما يجب ان نسميها . فاندفعوا في تيار المهاجرة وبعد ان كانوا نزراً يسيراً من فلاحي لبنان المسلمين أخذت الغيرة فلاحي سواحل سوريه. ثم تناولت فلاحي البقاع فاعالي سهول حمص وحماة وانطاكيه حتى سهول حلب . ولم يكن اعلان الدستور ليوقف تيار المهاجرة ولا سيما بعد ان اتبعت الحكومة الدستورية الخطة المشار اليها آنفاً في تجنيد المسيحيين .

فكانت هذه المهاجرة أكبر سبب لقلة الايدي العاملة في بقاع سورية الخصيبة . فأجدبت الارض وقلت الحاصلات واقفرت البلاد العامرة وحلّ العسر من جراء ذلك في طول البلاد وعرضها . ناهيك بما أحدثته هذه المهاجرة من تناقص السكان عاماً فعاماً. لان ما يجده

المهاجر في ديار الغربة من سعة الرزق وعطف الحكومات المستعمرة التي هي بحاجة الى الايدي العاملة لاحياء موات مستعمراتها واعتنائها به وتوفيرها له أسباب الراحة حملاً له على الاقامة في بلادها — ان ذلك يحول دون عودته الى بلاده فيؤثر البقاء في الخارج . وبذلك يتناقص عدد السكان . وتناقص السكان في كل أمة أكبر مظهر من مظاهر تقهقرها وانحطاطها وقرب تلاشيها واضمحلالها . وقد قدروا عدد الذين يعودون من المهجر الى سوريه بنحو الثلث والذين يموتون بثلث والذين يبقون حيثما هم بثلث . والثلث الذي يعود اليها لا يعادل مع من يلد لسكانها ٦٠ في المئة من مجموع المهاجرين. واذا تتبعنا حركة المهاجرة في السنوات العشر الاخيرة واتخذنا عدد المهاجرين في خلالها مقياساً للحكم في هذه المشكلة المعضلة بدا لنا هذا الداء الوبيل بافظع أشكاله وأيقنا أنه اذا استمرّت الحال على هذا المنوال لا يمرّ نصف قرن وفي الديار الشامية بضعة آلاف نفس

***

أما في لبنان فمع ما كان لمهاجرة بنيه من النفع الادبي اوالمادي كتحسين الاخلاق وبث روح الحرية بين افراد الشعب ومعرفتهم لحقوقهم واتساع نطاق معارفهم ومداركهم وتكاثر النقود وتوسيع أبواب الراحة في المعيشة وتقليل الجرائم — مع كل ذلك فقد نتج عنها من المضار عظيم لا يستهان به .

ان بمهاجرة اللبنانيين قلت الايدي العامـلة في الارض وتناقص النسل بموت بعض المهاجرين وابتعاد الرجال عن نسائهـم وانتشرت الامراض الفتاكة بعد ان كانت غير معروفة أو نادرة جدا من قبل كالسل الرئوي والزهري ونحوهما. ناهيك بما هنالك من العواقب الوخيمة التي أقل ما يقال فيها انها مقوضة لاركان الجامعة اللبنانية وقاضية على كيان لبنان قضاء مبرما .

وأول مايلفت النظر من المضار المادية ان المال الذي يؤتى به من أميركا الى لبنان ينفق معظمه في وجوه غير نافعة مماثلة للوجوه التى يبدد بها في انحاء سوريه للاسباب التي بسطناها . وهناك أمر آخـر جدير بالنظر وهو ان اللبنانيين كانوا في أول عهدهم بالمهاجرة شديدي التعلق بوطنهم يحنون اليه حنين الطفل الى أمه ويعملون له عاقدين النية على الانقلاب اليه راجعين متى اجتمع لديهم شيء من الوفر يستعينون به على معيشتهم فيه في اخريات حياتهم . ولما رأوا مصير لبنان من سيء الى أسوأ اخـذ فريق منهم يميـل الى البقاء حيثما هو والتجنس بالجنسية الاميركانية. وهذا الميل آخذ فى الانتشار بينهم يوما عن يوم لانهم ما زالوا ينظرون الى لبنان نظر اليائس من رقيه برغم ما اتصل اليهم من اخبار الدستور وحسناته وما عرفوه من توفر الاسباب الممهدة لاصلاح مافسد من أمور جبلهم بسعي مواطنيهم في لبنان ومصر بحيث لو تم هذا الاصلاح فيه بات صالحاً لسكناهم جامعاً لمعدات الراحة التي ألفوها في ديار الاغتراب. ولو ادركوا انهـم اصبحوا قوة عظيمة في

الخارج . وان رجوعهم اورجوع عشرهم الى لبنان بما توفر لديه من المال وما غنمه واقتبسه من آداب الاميركان وخبرتهم يعيد الي لبنان الشيخ الهرم شبابه ونضارته، ويرجع اليه مافقده بنزوحهم عنه من القوي الادبية والمادية، ويولد فيه حركة حياة جديدة تحسده عليها اكثر جبال العالم عمرانا ورقياً . ولا سيما اذا ما انضم الى هذا الفريق منهم من يسعه الرجوع اليه من لبنانيي مصر – وهم خير من انبتت ارض سوريه من رجال العلم والمعرفة وارباب الاصلاح والوطنية والغيرة علي مصلحة لبنان – لو ادرك هؤلاء المهاجرون ذلك لما احجموا عن التأهب للرجوع اليه عملا بمبدأ الوطنية وعرفان الجميل الذي يقضى عليهم باحتضانه فى شيخوخته وعجزه كما احتضنهم هو في طفوليتهم وصباهم . « ص ٤٠ »

وحبذاً لو وجه علماؤنا وادباؤنا في مصر وأميركا اهتمامهم الى هذا الامر الجلل، وحببوا المهاجرين باوطانهم بكل وسيلة في طوقهم. واظهروا لهم ما في البلاد من الاعمال المفيدة ان هم استعملوا أموالهم فيها بتأليف الشركات التجارية وانشاء المعامل الصناعية واستخراج كنوز الارض وتشويق طلاب الاصطياف وخاصة من اخواننا وجيراننا المصريين الى الاصطياف في لبنان ببذل الوسائل التي يلجأ اليها أهل سويسرا وسائر جبال اوربا في ترغيب السياح بارتياد بلادهم الى غير ذلك من الاعمال المفيدة والمشاريع النافعة. وعسى ان لا تنقضي بضعة أعوام حتي يعود معظم المهاجرين الى اوطانهم فيعيدون الب

بهاءها ويستعيدون فيها ما ودعوه عند ركوبهم الباخرة الى ديار الغربة من نعيم العيش وصفائه وما تركوه فيها من البهجة والارتياح اللذين قلما يجتمعان لمرء في غير وطنه .

بماذا يرتقي لبنان وسوريا

مما لامشاحة فيه انه لا يتم لبلاد رقي صحيح اويستقيم لها حال مهما عظمت ثروة ارضها ونمت تجارتها وطاب هواؤها وصحت اجسام أهلها وتوفر الذكاء لهم وجادت قرائح شعرائها وكتابها واتسعت مدارك ناشئتها وغزرت علوم فلاسفتها الا اذا بني هذا الرقي على الاسس المتينة التي قررها علماء العمران والاجتماع بعد خبرة طويلة ومشاهدات متعددة. وأهم هذه الاسس المدارس والجميات والصحف والمصنوعات الوطنية والتضامن والتسامح الديني والمشاريع العمومية وغير ذلك مما يماثل هذه الاركان السبعة ويرجع في جملته الى الاسس الثلاثة الاولى التي هي في اعتبار هؤلاء العلماء مبدأ كل رقي تتطلبه الامم الناهضة كما سيجيء فيما يلي :

المدارس

المدرسة بعد العائلة امتن اسس العمران . فاذا كان نظام الاجتماع يتوقف علي نظام العائلة ولا يقوم هذا بغير ذلك فنظام العمران يتوقف علي المدرسة وهي متممة لنظام العائلة ولا حياة للامة التي تغفلها . والمدارس في لبنان وسوريا كثيرة متوفرة في

كل بقعة فيها من المزارع الحقيرة الى المدن الكبيرة العامرة .
ولكنها علي بلوغها شاؤا بعيداً في تهذيب النفوس وترقية المدارك
ومع انها أحدثت في ديار الشام نهضة علمية باهرة كانت أساساً
للحركة الفكرية التى تجلت بابهي مظاهرها في السنوات الاخيرة
وزادها طلاب الاصلاح في الآونة الحاضرة رسوخا فلم تزل مع ذلك
قاصرة علي لوائح منحصرة في مواد لاتتناول الوسائل الفعالة المؤدية
الى الغرض الحقيقى من انشائها . ولكى تتفق مع مصلحة البلاد
وتنتج منها الفوائد المرجوة يقتضي ان تنطبق لوائحها علي حاجات
الاهلين بان تضاف اليها كتب مدرسية في شؤون البلاد كتاريخ
لبنان وسوريا وجغرافيتها وكتب تبحث في اخلاق الامم وطبائعها
وفي الاسباب التي تذرع بها الغربيون لبلوغ ماتم لهم من الرقي
المادي والادبي وفي ما صلح وفسد من عاداتهم وأمورهم انتقاء
للصالح واجتنابا للقبيح منها وكتب فى الرياضيات والعلوم العالية الى
غير ذلك مما يتلقنه طلبة العلم في هذه المدارس بغير لغة البلاد أولا
يتلقونه قط .ولا بد أيضاً من انشاء مدارس صناعية وافية بالمرام يتحول
فريق من ناشئة البلاد اليها فيتلقنون فيها قواعد الصنائع الفنية
وينصرفون بعد خروجهم منها الى ترقية صناعة البلاد فيعيدون
اليها ما كان لها فى سالف الاعصر من الشأن الخطير في ترقية
البلاد السورية .وهناك أمر جدير بالاعتبار وهو ألا ينتقى للتدريس
الا من صلحت سيرتهم واحرزوا الشهادات العالية في العلوم التي

يلقونها للطلبة وخبروا طرق التعليم الصحيحة . واول ما يقتضي توجيه الاهتمام اليه أن تكون مدارس البنات اتم مما هي عليه الآن بحيث يضاف الى لوائحها علم تدبير المنزل بكل فروعه ويقدم فيها على علم اللغات والعلوم لان حاجة البلاد الي نساء فاضلات عارفات بواجباتهن الزوجية والمنزلية يبني على خبرتهن وادابهن بناء العائلة السورية لاعظم منها الى نساء عالمات عارفات اللغات الاجنبية يجدن العزف على الآت الطرب ...ومن الاسف ان مدارس البنات فى هذه البلاد قاصرة جداً من هذا القبيل وليست في مستوى واحد مع مدارس الذكور على ما في هذه المدارس من النقص الواضح على نحو ماقدمنا .

الجمعيات

الجمعيات من أهم أسس الرقي اذا كانت وافية بالمرام كأن تتناول فى مباحثها والشؤون التي تهتم فيها مالا يخرج عن الغرض الذى تألفت من أجله وتسعي الى غاية وطنية بحتة بطرق مشروعة واضحة توجد في عامة القوم وخاصتهم الثقة بها . والحاجة في لبنان وسوريا اليوم ماسة الى جمعيات أدبية وسياسية تجمع الاكفاء وأصحاب الوطنية الصادقة والغيرة الصحيحة على مصلحة البلاد والمنزهين عن المصالح الذاتية ومن لهم من ماضيهم مايحمل أهل البلاد على تعضيدهم في مهمتهم الشاقة . تسعى الاولى منها الى نشر الآداب الصحيحة . وتقوية روح التضامن والاتحاد بين طوائف البلاد المختلفة . وانماء روح الوطنية في صدور الناشئة . وحمل المدارس الوطنية على تعديل لوائحها تعديلا

ينطبق على حاجة البلاد على نحو ما قدمنا . وتكليف علماء البلاد وكتابها بوضع كتب مدرسية مفيدة في كل فن ومطلب ولا سيما في تاريخ لبنان وسوريا وجغرافيتها « راجع المقدمة في صدر هذا الكتاب » وطبع هذه الكتب على نفقتها والاتفاق مع رؤساء المدارس على تقرير تدريسها وتوزيع الكتب المطولة منها كجوائز على الطلبة الناجحين فيصرفون الوقت الذي يخصونه اليوم بمطالعة كتب الافرنج التي لا تتناول الا الشؤون الاوربية في تصفحها والاستفادة من مباحثها الوطنية .

اما الجمعيات السياسية فمنافعها جمة ايضاً اذا روعيت في تأليفها ولوائحها والطرق التي تتبع في السعي الى تحقيق آمالها ورغائبها القواعد المعمول بها في أوربا وأميركا مع مراعاة حاجات البلاد ومراعاة الظروف والاحوال المحيطة بنا . فان للبلاد كثيراً من الحقوق المهضومة والمصالح الحيوية المهملة . فاذا أحسنت هذه الجمعيات الدفاع عنها وكان رائد أعضائها الصدق في الخدمة والثبات في السعي مقروناً بالحكمة والاعتدال أدت الى هذه البلاد خدماً عظيمة ولا سيما في الاحوال الحاضرة حيث سرت في البلاد روح جديدة تدل على يقظة لم تشهد سوريا أتم منها في سائر الادرار التي تقلبت فيها منذ الفتح العثماني الى اليوم . وما نراه من مساعي بعض هذه الجمعيات ولا سيما جمعية الاتحاد اللبناني وجمعية اللامركزية العثمانية في مصر لادراك الاصلاح المنشود للديار السورية فهو مما يدعو الى الرجاء بان تتحقق آمال الوطن في مستقبل قريب ان شاء الله .

الصحف

الصحف من أمتن أسس الرقي عند الامم التي توفرت لها أسباب العلم والمعرفة. وقد بينا في فصل « تاريخ الصحافة السورية ص ٣٩٤ ومايليها » ما بلغته الصحافتان اللبنانية والسورية في الوطن وفي ديار الهجرة من الاهمية والانتشار. ولا يخفى أن الصحف اذا كانت صادقة اللهجة وطنية النزعة يحررها كتاب مشهود لهم بالبراعة في ما تتناوله أقلامهم من المباحث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تنبه الاذهان الى مواطن الضعف في الامة فتعالجها وتلفت أنظار أولي الامر الى ما اختلّ من شؤون البلاد وهضم من حقوقها فيضطرون لانصافها لان الصحف مرآة الامة وهي تمثل الرأي العام فيها فان طالبت باصلاح فانما تطلبه باسمها . والرأي العام في الامم الحية يثل العروش ويقوض أركان الممالك اذا ما آنست هذه الامم من حكامها غفلة عن مصالحها . وهي تحكم روابط الاخاء بين طوائف البلاد وعناصرها وتزيد ابناءها وطنية واهتماماً بشؤونها بحثهم على الاخذ باسباب الرقي الصحيح وتذكيرهم بواجباتهم نحوها . وللاحزاب الكبيرة في أوربا وأميركا جرائد مخصوصة تنطق بلسانها وتؤدي لها اجلّ الخدم . ولولاها لضعف نفوذ هذه الاحزاب وجهل الناس امرها وقضي عليها في مهدها . وما يقال عن الاحزاب يقال عن الوزارات . وكثيراً ما تسقط وزارة وتقوم اخرى لمقالة تنشر في صحيفة كبرى من الصحف التي تنطق بلسان الاحزاب .

وما احدثته الصحف اللبنانية والسورية والصحف الاوربية التي اخذت مأخذها وشدت ازرها في المدة المتأخرة من التأثير الحسن على الرأي العام في اوربا ببحثها في شؤون لبنان وسوريا وما اتته في الوطن وفي مصر واميركا من الفوائد الجمة بايقاظها روح الوطنية الصادقة في صدور اللبنانيين خصوصاً والسوريين عموماً - كل ذلك يدل دلالة صريحة على ان الصحف تفعل في تكوين وحدة الامة المنقسمة واستعادة مجدها الغابر ما لا يفعله السيف.

ومن المقرر ان التضامن في العمل من اكبر العوامل المؤدية الى نجاحه كما سيجيء. فلو صرف رجال المال والادب في الديار السورية عنايتهم الى تأليف شركات لانشاء الصحف الكبيرة مبنية على قواعد قانونية راسخة وتخص الاسهم التي تصدرها لها بأهل البلاد بحيث تظل وطنية بحتة من كل وجه لافادت البلاد فائدة كبرى. فان الصحف الكبيرة في اوربا واميركا لم تبلغ الاهمية العظمى التي بلغتها الا لانها انشئت بمال الشركات. ومن عرف المنزلة العليا التي لمحرريها في الدوائر الرسمية والمقامات العالية وعرف ان كبار رجال الامم الحية يتزاحمون على التحرير فيها وفي مقدمتهم روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاسبق - ادرك تأثيرها في تأليف وحدة الامم وانشاء حضارتها.

المصنوعات الوطنية

المصنوعات الوطنية في كل بلاد حية راقية من اتم مظاهر

حياتها وارتقائها . والمصنوعات اللبنانية والسورية كانت في كل دور مرّ على لبنان وسورية من ادوار تمدنهما من اوضح الادلة على عراقة هذا التمدن . وفي هذه البلاد كثير من الآثار القديمة والمصنوعات الوطنية التي يستشهد بها المؤرخون الثقاة على تقدم الصنائع فيها في زمن كانت الصنائع الفنية مجهولة في الغرب . وفي اكثر المدن السورية والقرى اللبنانية كدمشق وحلب وعينتاب والزوق وغيرها « ص ١٥٤ وما يليها » كثير من الصنائع الدقيقة التي لم تزل الى اليوم مجهولة في الديار الاوربية ولها قيمة كبيرة عند الغربيين انفسهم وميزة مخصوصة على كثير من نفائس مصنوعاتهم الحديثة .

فجدير باللبنانيين والسوريين ان يوجهوا عنايتهم الخاصة الى الصنائع الوطنية ويعيدوا اليها اهميتها السابقة بانشاء فروع لها في مدارسهم او بانشاء مدارس خاصة بها « ص ٤١٥ » وعندنا ان البلاد السورية ينبغي لها ان تنتظر من صنائعها اكثر مما تنتظره من تجارتها وزراعتها من النفع لابنائها والتأثير على رقيها الصحيح المرجو من نهضتها الحديثة .

التسامح الديني

كان التعصب المذهبي في الديار السورية ولا يزال الى اليوم من اكبر علل انحطاطها ولا سيما في القرن الماضي وما يليه من بدء هذا القرن . فان انقسام كلمة طوائفها وانصراف كل منها الى تعزيز شأنها الخصوصي دون شؤون اخواتها وتعصبها لابنائها في كل امر

يعرض لهم مما يدعو الى دس الدسائس احداها للاخرى كل ذلك حال دون ارتقاء البلاد ووقف سداً منيعاً دون تحقيق بعض الآمال التي كان العقلاء يعقلونها على مساعيهم العائدة الى خير الوطن . ومما زاد الخلاف احكاما والحالة تحرجا ان أعز أمنيـة كانت للحكومة المركزية البائدة ان يظل الخلاف مستحكم الحلقات بين أبناء الوطن الواحد اضعافاً لشأن هذا الوطن فتتوطد سلطتها فيه طبقاً للقاعدة المعروفة «فرق تسد» فكانت تسعى الى هذه الغاية بكل وسيلة ممكنة . ومن نكد الطالع ان مساعيها كانت تصادف هوى من نفوس القوم وهم فى غفلة عن غرضها فيساعدونها بانقسامهم على قضاء مآربها منهم باضعاف جامعاتهم القومية واخماد قوة الرأي العام فيهم . وسيظل هذا التعصب عاملا قويا فى تقهقـر الشعب السوري ان لم يقم فى كل طائفة من طوائفه جمعية تعمل على ملاشاته ببث روح التسامح الدينى فى صـدور السوريين . على انه يتعـذر عليها ادراك الفائدة المرجوة من ذلك ان لم تلق من رؤساء الطوائف انفسهم تعضيداً يزيل تأثير التعصب من النفوس أو يخففه شيئاً . وحبذا لو عمد اولئك الرؤساء الى عقد مؤتمر سنوي عام يبحث في الوسائل الفعالة لاستئصال هـذا الداء العضال بحيث تعقد جلساته مداورة في المعاهد الطائفية . فانهم لو فعلوا ذلك نفعوا طوائفهم وافادوا البلاد فائدة كبري لا تذكر الى جانبهـا الفوائد التي تنتظرها البـلاد من مسـاعي الجمعيات السياسية والادبية. وعندنا ان هذه الجمعيات عاجزة من اتيان عمل جليـل من

وراءه فائدة محسوسة للبلاد قبل ان يتلاشي منها التعصب المذهبي

الاموال الاجنبية والمشاريع العمومية

للمشاريع العموميــة في البلاد الآمنة الغنية التربة التي توفرت فيها أسباب النقل وبني فيها الاخذ والعطاء على قواعد مالية مقررة من علماء الاقتصاد السياسي شأن خطير في مصير هذه البلاد وتوطيد دعائم كيانها وتقرير حالتها الاقتصادية على أسس العمران الراسخة . وكل بلاد لم يقم فيهـا الافراد والجماعات بمشاريع عموميـة نافعـة تتناول مرافقها الحيوية لا تعـد في اعتبار علماء الاقتصاد السياسي من البلاد القابلة للارتقاء ولا يرجى لها نهوض حقيقي . والبـلاد السورية اذا نظرنا اليها من هذا الوجه لا نراها على شيء من ذلك . فلم يظهر فيها الى اليوم من المشاريع العامـة الحيوية ما يدعو الى الامل بان يبلغ فيها الاقبال على هذه المشاريع في وقت قريب ما بلغه في سواها من الاصقاع التي أخذت باسبابه مع ان الطبيعة لم تمنحها عشر ما نفحت به الديار السورية من الثروة الطبيعية والمميزات الاقليمية وما وهبت سكانها من الذكاء والنشاط النادرين .

ومما يدعو الى التشاؤم من هـذه الحال انه مع عجز الحكومة والاهلين في هـذه البلاد عن القيام بهذه المشاريع باموال وطنية فلا يوجد فيها حتى اليوم ميل حقيقي الى تعضيد من قام أو سعى الى القيام فيها بمشروع عام بالاموال الاجنبية . فلاهـم ينهضون من تلقاء أنفسهم ولا يدعون أحداً ينهض بهم . وهو خمول فاضح وجمود معيب مؤذ

الى أسوأ النتائج. والامـة التي يبلغ بها الخمول الى هذا الحد من الانحطاط مصيرها بلا ريب الى الموت العاجل والاضمحلال التام.

فاذا كان رجال لبنان وسوريا المفـكرون يرجون نجاحاً لبلادهم فليشجعوا الاجانب على استثمار أموالهـم فيها. ونحن اذا كان لا ينقصنا المال اللازم لانشاء المشاريع فـلا ريب في انه ينقصنا ما هو متـوفر للافرنج من الخبرة في استثماره ومعرفة الاستفادة به وكيفية التضامن لجمعـه وصيانته من عبث الطامعين فيـه بانشاء الشركات التي لا قيام للمشروعات العامـة من دونها. تنقصنا المعارف الفنيـة والاقتصادية والثقـة الماليـة. وبالتالي ليس لدينا من المواد الاوليـة الضرورية مايصلح أن نتخذه عدة لنا للنجاح في مشروع عام نافع. فلندع الاجانب اذاً يستثمرون أرضنا ويستخرجون كنوزها المـدفونة فيفيدون ويستفيدون. وبارك الله بمن أفاد واستفاد ومالايدرك كله لا يترك جله.

ان ابناء الشرق لايسـعهم النجاح في مشروع خطير مالم يستعينوا عليه باموال الاجانب وبمعارفهم الفنية وخبرة رجالهم. وهذه مصر فمع ما بلغته في الثلاثين سنة الاخيرة من الرقي المادي والادبي لم يسع فرد أو جماعة من أهلها حتى اليوم انشأ شركة وطنيـة نجحت في مشروع عام من غير ان يكون للاجانب يد فيه. فان ما قام فيها من المشاريع العظيمة انما قام باموال هؤلاء الاجانب وباشرافهم وعلمهم. والحكومة المصرية ذاتها على وفرة ثروتهـا وكثرة المصلحين من رجالها الوطنيين لم تـكن لتتمكن من اتيان عمل عظيم لولا خبرة الاجانب

حاول نفر من رجال لبنان وسوريا الاستعانة باموال الاجانب على انشاء مشاريع وطنية نافعة فقامت قيامة السكان عليهم وسد الحاسدون لهم منافذ النجاح في وجههم متظاهرين بالدفاع عن مرافق البلاد وصيانتها من النفوذ الاجنبي وحصر منافع المشاريع النافعة في مواطنيهم. وغرضهم الحقيقي من ذلك ان تظل البلاد طوع مشيئتهم يقضون منها لباناتهم . ومثلهم في ذلك كمثل من يرصد كنزاً مدفوناً فلا هو يستطيع اخراجه ولا يدع أحدا يمسه فيفيد ويستفيد .

وعلى سبيل المثال نورد هنا خبر مشروع نبع العسل وقد ذاع في القطرين الشامي والمصري وتناولته اقلام الكتاب فى كل صقع وناد لما قام حوله من الضجة وصادف من المعاكسات من أهل البلاد انفسهم مع انه أول مشروع حيوي عظيم قام في هذه البلاد التعسة

كثيراً ما فكر ذوو الهمم العالية من اهل لبنان وسوريا في هذا المشروع الحيوي ودرسوه وعرضوه على الموسرين من اهل البلاد وعلى الشركات الاجنبية. وبرز له اناس من رجال المال والعمل في مصر ولبنان وبيروت واستصدروا الاوامر العالية بالتصريح لهم فى انشائه وا كثروا من الحركة والجلبة وهم علي يقين انهم سيبلغون به امنيتهم القصوى وينيلون البلاد من وراء ذلك سعادة ماوراءها سعادة . هذا كان يقينهم ويقين من التف حولهم وشهد جهادهم في هذا السبيل من اعيان البلاد وزعمائها . وما زالوا بين تفكير وتدبير تارة يقدمون وطوراً يحجمون والآمال تتلو الآمال واهل البلاد بين مستحسن

ومستهجن لمشروعهم الى ان حبطت مساعيهم جميعاً برغم ماصادفوه من تشجيع ارباب الاموال وذوي النهضة من أهل البلاد .

انقضت عشرون سنة على هذا الجهاد المستمر على غير جدوى الى ان ظهر من مواطنينا في مصر رجل غيور على مصلحة لبنان مشهود له بالمرؤة والاقدام مقرونين بالذكاء وقوة الارادة وهو حضرة سليم بك شاكر . فاستصدر من حكومة لبنان تصريحاً بانشاء هذا المشروع بتصديق الباب العالي بعد ان اتفق مع صاحب الامتياز الاصلي عليه. وصرف ثلاث سنين متواصلة في مخابرة ارباب الاموال في اوربا في شأنه. وجاب الاقطار الاوربية والاميركانية داعياً اقطاب الاعمال العظيمة اليه والى غيره من المشاريع العمومية النافعة الى ان وفق بعد جهاد عجيب وعقبات كؤود كادت توردهه موارد الهلكة الى شركة انكليزية مشهورة عقد معها اتفاقا على مشروعات جليلة كبرى في لبنان وسوريا وفي جملتها مشروع نبع العسل (١)

---

(١) ان هذه الشركة تألفت لاجل مشروع نبع العسل خاصة ورأس مالها ١٥٠ الف ليرة وهوقابل الزيادة الى ٥٠٠ الف ليرة وسيخصص مايزيد منه عن المال الذي ينفق على المشروع المذكور لدرس المشاريع العمومية في لبنان وسوريا. وقد صدرت الارادة السنية بتأليف هذه الشركة في ٢٦ فبراير سنة ١٩١٣ واقيمت حفلة رسمية شائقة في هذا الشهر نفسه في ظهور عشقوت ايذاناً ببدء العمل في المشروع شهدها جمهور غفير من وجهاء البلاد يتقدمهم مندوبو الحكومة اللبنانية والبطريركية المارونية . واما مجلس ادارتها فمؤلف على الوجه الآتي

وقد صادف من معاكسة مواطنيه اللبنانيين له اضعاف ماصادف من سواهم . وهو وطني صميم من أهل البلاد لاذنب له فى شرع الوطنية الا انه لم يجعل اعضاء شركته منهم . ولم يشفع به لديهم ماعانى في سبيل خدمة هذا الوطن من مشاق الاسفار وما بذله من بدرات الاموال . فهل اذا دعاهم الى الاشتراك في المشروع بعد ماثبت له ولهم عجز أهل البلاد عن النجاح في مشروع وطني عام يرجو أن يتم له نجاح فيه ؟

نحن كنا في ريب من نجاح المشروع على يد رجلنا المقدام لما شهدناه من فشل غيره فيه من قبله ولكننا لما ألفت الشركة وجهز المال وأعدت المعدات أيقنا بالنجاح . وكان على من عرفوا بصدق الوطنية من مواطنينا الكرام ان يوقنوا معنا بمقدرته وصدق وطنيته واخلاصه في عمله فيشجعونه على الثبات ويعملون على ازالة العقبات من امامه عملا بمبادئهم الحرة ولا سيما انه بلغ الى آخر مرحلة من جهاده الطويل ولم يبق له الا أن يجني ثمرة تعبه ويحني رأسه ليوضع

رئيس مجلس الادارة : السير هنري بابنجتون سميث
نائب الرئيس : سليم بك شاكر « لبناني »
اعضاء مجلس الادارة : السيرجون جاكسون مؤسس شركة جاكسون
« الانكليزية الشهيرة
« المستر ستوت
« السير برلوك
« المستر فرند

عنيه اكليل الغار الذي استحقه عن جدارة من وراء جهاده العجيب معرضاً نفسه لمخاطر وعقبات لايدركها الا من عرف مافي محاولة حمل رجال المال في اوربا على استثمار اموالهم في الشرق الادنى في الآونة الحاضرة ولا سيما في بقعة ضيقة كلبنان ليس فيهامايدعو الى طمع بفائدة تغري يبذل المالعن سعة ولايقدرها قدرها الا من خبر طباع اللبنانيين وعرف منازع خاصتهم وعدم اقبال عامتهم الى مالم يألفوه وما دون اتفاق زعمائهم على أمر هام فيه خير لجبالهم من الصعوبة . ولكنهم اعرضوا عن كل ذلك وعادوا الى مناوئته ومناصبته العداء باشد من ذي قبل واحاطوا عمله بالظنون والشبهات وسلقوا من شدوا ازره من رجال الوطن الصادقين بالسنة حداد . ولكنه ثبت وزادت قدمه رسوخا واظهر للملأ أنه الرجل الذي يرجي ان يتم في البلاد أمر جليل على يده تجني منه في مستقبل قريب مالم تجنه في عشرين سنة على يد سواه .

فرجل هذا شأنه في مشروع حيوي عظيم كمشروع نبع العسل وهو مشروع لبناني سوري — يجب ان نخصه بصفحة بيضاء من كتاب كهذا قصرنا مباحثه على شؤون لبنان وسوريا دون سواها وتوخينا فيه خدمة وطننا بتنبيه اذهان مواطنينا الي ماصلح وفسد من هذه الشؤون وذلك اقرارا بفضل الرجل وتنشيطاً له على مواصلة العمل وتشجيعاً لمن نتوسم في كفاءتهم ومقدرتهم المالية الخير لهذا الوطن المسكين على الاقتداء به والنسج على منواله في الثبات على خدمة المصلحة العمومية

نقول هذا ونحن موقنون ان كثيرين ممن يستكبرون هذا الاطراء وهو جدير بابلغ منه ينسبون الينا التحيز الى الرجل لحاجة لنا اليه . على اننا أبعد الناس عن استكبار ماليس بكبير في ذاته لما هو معلوم عند من خبر طبعنا . ولنا فى قول أبي الطيب خير مثال يشفع بنا لدى اهل البصيرة ... ولا نبالي بتهمة يرموننا بها ما زلنا نسند دعوتنا هذه الى مبدأ شريف نخدم فيه مصلحة وطنية لايختلف عاقلان على صحة نظريتنا في تأييدها . وقد عاهدنا النفس على الثبات فى هذا المبدأ والجهاد في بثه بين مواطنينا لعلنا ندرك الغاية التي نرجوها منه . ويقيننا ان صاحب المشروع ثابت على خطته مهما اشتد نقد الناقدين له وكلما زادوه نقداً ومعارضة زاد نشاطاً فى خدمة بلادهم حتى يتم له ما يترتب على مساعيه واعماله الغراء فيهامن النجاح والتوفيق . وحسبنا ان نعلم ان البلاد التي لم تنضج فيها المبادئ الوطنية وقد عزت فيها فضيلة انكار الذات يتعذر على رجل فيها ينكر ذاته ليخدم المصلحة العمومية ان يسلم من النقد . ولايتسنى لكاتب ان يطري مايظهر فيها من الاعمال المفيدة ناظراً في ذلك الى مايعمل لا الى من يعمل ولا تكتنفه المغامز والشبهات ولو أحرز صفات الملائكة

ليس يخلو المرء من ضد ولو   حاول العزلة في رأس الجبل

التضامن

التضامن بين افراد الامة الواحدة وقبائلها المختلفة من انجع وسائل رقيها وقوتها . ومما يدعو الى الاسف ان التضامن بين فئات الشعبين السوري واللبناني يكاد يكون مفقوداً . فان ما هو واقع بين هذه الفئات من المناظرة والتباعد الناتجين على الاكثر من التعصب الديني والانقسام الطائفي لايدع سبيلا لمن يرجون اصلاحا لشأن لبنان وسوريا الى العمل على ازالة نتائجه السيئة • وزوال هذا الانقسام وحلول التضامن محله موقوفان على معالجة العلة الاولى وازالتها . وهي علة متأصلة في جسم الامة تستلزم جهدا متواصلا ووقتا طويلا لاستئصالها من جذورها . وربما تعذر على طلاب الاصلاح والداعين الي الوئام معالجتها ان لم يوجهوا اليها عناية كبري ويتخذون رؤساء الدين عضدا لهم في مهمتهم هذه الشاقة « ص ٤٢١ »

ومما يؤسف له ايضا انه حدث في السنوات الاخيرة بين البيوت الكبيرة وبين عامة الشعب في الديار السورية ولا سيما في لبنان تباعد جديد نشأ على الاكثر مما تلقنه المهاجرون من ابناء البلاد في ديار هجرتهم من الافكار الحرة المتطرفة . فتولد في نفوسهم كره شديد لاصحاب الامتيازات القديمة . وقد سرت هذه الروح الى فئة كبيرة من الذين لم يغتربوا ايضاً وزادت تمكنا من النفوس على عهد مظفر باشا حاكم لبنان الاسبق الذي ساعد بتسامحه مع عامة الشعب على انتشارها ونموها . فاتسعت شقة الخلاف بين فئات الشعب اللبناني المتناظرة

وباتت الحال فوضى . واما في سوريا فنشأ شيء من هـذا التباعد بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وحدثت بسببه اضطرابات في انحاء كثيرة من ديار الشام ولا سيما فى طرابلس ودمشق وبعض مدن فلسطين وحلب وغيرها من المدن التى يوجد فيها بيوت كبيرة لها من سطوتها القديمة مايحملها على الاحتفاظ بامتيازاتها التقليدية على رغم مقاومة الرأي العام لها . غير ان تأثير هـذه الثورة الفكرية في انحاء سورية ظل اضعف منه في لبنان حيث البيوت الكبيرة لم تزل على شيء من نفوذها القديم وثروتها الموروثة . والشعب اللبناني لم يبلغ بعـد من التعليم والاحتكاك بالامم المتمدنة شأواً ينفسح له معه مجال العمل الحر المطلق بحيث يسعه التمييز بين ماهو نافع وبين ماهو ضار من الوسائل التى تتخذ باسمه لصيانة حقوقه. والسواد الاعظم من ابنائه المتعلمين الذين فى استطاعتهم ان ينفعوه متشتتين في انحـاء الارض وصلتهم بالوطن محـدودة لا تمكنهم من الاشراف عليه والاهتمام بالكبائر والصغائر من شؤونه العامة . واما في الوطن فلم يقم على هذا الشعب الى اليوم من العامة زعماء حقيقيون يجمعون الى هيبة الزعامة ثروة تمكنهم من الانفـاق على مايستلزم بذل المـال عن سعة تأييداً لزعامتهم على مثل هـذا الشعب الساذج البسيط . والزعماء الاصليون الذين ورثوا الزعامة عن آبائهم واجدادهم باتوا موضـع الظنون والشبهات لـكره ادعياء الحرية لهم على نحو ما قدمنا. فخلت بذلك البـلاد من الزعماء الحقيقيين. وكل بلاد لا زعماء لهـا لا يرجي ان يستقيم لهـا حال .

وافضل علاج لذلك فيما نرى ان يعود الشعب فيثق بمن آنس منهم رغبة اكيدة في خيره من زعمائه الاصليين الذين خبروا وسائل الرقي الصحيح . ويرجع في تدبير شؤونه العمومية الى آراء علماء البلاد وفضلائها وادبائها الغيورين على مصلحتها. فيدعهم يسعون الى اصلاح شأنه من غير ان يلصق بهم التهم الشائنة أو يعرض عنهم ارضاء لقوم ليس له في ماضيهم مايصح التذرع به للوثوق بهم . ومما لابد للشعب منه ان يعود الى الوثوق باخلاص المقامات الدينية له فيلتف حولها ويتخذها عوناً له على استرجاع ماهضم من حقوقه والاحتفاظ بما هو باق للبلاد من الامتيازات فيكون له في ذلك اكبر ضامن لصيانة مصالحه الحقيقية من عبث العابثين . ولا سيما ان الهيئة الحاكمة في تركيا بل وحكومات اوربا نفسها لاتعترف في هذه البلاد بزعامة مالغير رجال الدين . وقد علمنا بالاختبار ما في طوق هذه الفئة عمله لخير البلاد ان هي آنست من الشعب اليها ميلا حقيقياً يكون لها فيه قوة معنوية عظيمة تتذرع بها لتأييده في مساعيه . ومتى قام فى الشعب افراد متوفرة فيهم شروط الزعامة الحقيقية فليلتف هذا الشعب حولهم وينضوي تحت رايتهم . فليس أحب لهذه السلطات الدينية فيما نوقن من ان يقوم في البلاد زعماء يدركون معنى الوطنية ويعملون لخير الوطن بصدق وامانة ونزاهة فيكونون عوناً لهم على ادراك الغرض الذي يرمون اليه من رفع شأن البلاد واسترجاع ماكان لها سابقاً من الشأن الخطير الذي انما ادركته بفضل امثال هؤلاء الزعماء لما هو معلوم من تاريخ لبنان وسوريا .

الحكومة

مما لامشاحة فيه ان الحكومة للامة بمنزلة الرأس من الجسم فان فسد هذا فسد ذاك واختل نظامه والعكس بالعكس . وهكذا الامة فان صلحت نظاماتها واستقامت سيرة رجالها وحسنت نياتهم صلحت الامة واستقامت احوالها والا فلا . وسوريا ولبنان منيا في الدور الاخير من تاريخهما بحكومات فاسدة ورجال لارائد لهم الا المصلحة الشخصية تنقصهم التربية السياسية والادارية وليس لهم من الفضائل مايحمل على الرجاء بالتمكن من تقويم معوجهم واصلاح مافسد من الشؤون العمومية على يدهم . وعندنا ان افضل علاج لذلك ان تعمل الجمعيات السياسية على اقناع من صلحت نياتهم من حكام البلاد بالتعويل على الكفاءة دون سواها في تعيين الموظفين في مصالح الحكومة على مثال ما هو جار في مصر والانتداب لاجراء الاصلاح في البلاد ووضع قواعده الادارية والمالية على اساس متين من يتوقعون من كفاءتهم وخبرتهم ونزاهتهم فائدة حقيقية للوطن من رجال وادباء لبنان وسوريا وابادئهم النازلين ديار الهجرة ولا سيما وادي النيل . ورفع الرواتب قطعا لدابر الرشوة والجري في ترقية الموظفين على القاعدة المعمول بها في حكومة مصر . والتدقيق في انتقاء موظفي العدلية . والاعتناء بالامور الزراعية والاقتصادية والصحية والمشروعات العمومية واقامة المعارض الصناعية والزراعية . وتنشيء المدارس الوطنية . وتعميم التعليم في البلاد . وضبط الا من . والاعتناء براحة المصطافين . وتوفير

الاسباب المشوقة لهم لارتياد البلاد. فان موسم الاصطياف في لبنان اذا وجهت الحكومة عنايتها اليه بات من أعظم موارد ثروة الجبل. وهناك شؤون كثيرة جليلة لايرجى ان يتم على يد الحكومة شيء منها الااذا كان بين رجالها من عرفوا الرقي الصحيح وخبروا طرقه في البلاد المتمدنة. فالى هذا يجب ان توجه الجمعيات عنايتها اذا كانت ترجو اصلاحا حقيقياً لشأن البلاد

الخلاصة

تلك أسس الاصلاح الحقيقي والرقي التام المنشود التي ينبغي ان نستمسك بها ونعلق عليها آمالنا لبلوغ شأو الامم الراقية ونستعيد ما كان لنا في ما مضى من المجد الأثيل والمنزلة الرفيعة

* * *

قبل ان يتم طبع هذا الجزء من الكتاب حمل الينا بريد سورية انباء الحركة الفكرية التى بدت طلائعها في ديار الشام للمطالبة بالاصلاح. وقد تابعناها في هذا الدور من نشأتها باهتمام عظيم فاذا بها حركة عظيمة لها من الظروف الحاضرة التي تحيط بالدولة ما يساعدها على النمو والانتشار ويدعو الى الرجاء بان تأتي بالفائدة المطلوبة. فعسى القائمون بها ان يصادفوا حظاً في ابلاغها شأواً يحقق آمالهم وآمال الوطن فيهم. وينقذ على يدهم من الاخطار التي تتهدده. ويفسح له مجالاً لبلوغ الرقي الذي ينشده سداً للفراغ الذي أحدثه جموده الاخير في الشرق المتمدن

تمّ الجزء الاول ويليه الجزء الثاني



فهرس الجزء الاول من

دليل لبنان وسوريا

صفحة	
١ ــ ٤	أسماء سوريا
٤ ــ ٧	جغرافيتها
٧ ــ ١١	سوريا القديمة
١٢ ــ ١٥	تقسيمها السياسي الحديث ونظام حكومتها
١٥ ــ ١٨	ولاية حلب
١٨ ــ ١٩	متصرفية الزور
١٩ ــ ٢٤	ولاية سوريه « دمشق »
٢٤ ــ ٣١	ولاية بيروت
٣١ ــ ٣٧	متصرفية القدس
٣٨ ــ ٦٦	متصرفية لبنان
٦٦ ــ ٧٠	الابحر والبحيرات والخلجان
٧٠ ــ ٧١	جزر سوريا ورؤوسها
٧١ ــ ٨٠	جبال سوريا
٨٠ ــ ٨٤	سهول سوريا
٨٤ ــ ١٠٦	أنهر سوريا

صفحة

١٠٧ ـ ١١٠ طرق المواصلات براً وبحراً
١١١ ـ ١١٤ مناخ سوريا
١١٤ ـ ١١٦ هواء لبنان
١١٦ ـ ١٢٠ منظر لبنان
١٢٠ ـ ١٢٤ مميزات لبنان
١٢٥ ـ ١٢٨ طبيعة ارضها وتربتها
١٢٩ ـ ١٣٣ معادنها
١٣٤ ـ ١٤٤ نباتها وشجرها
١٤٥ ـ ١٥٤ حيواناتها
١٥٤ ـ ١٥٩ الصنائع والفنون
١٥٩ ـ ١٦٣ التجارة
١٦٤ ـ ١٧٢ سكان سوريا
١٧٢ المذاهب والاديان في لبنان وسوريا
١٧٢ ـ ١٩٠ الاسرائيليون
١٩١ ـ ١٩٤ المسيحيون
١٩٤ ـ ١٩٥ منشأ الانشقاقات في الدين المسيحي
١٩٦ ـ ١٩٨ البدعة النسطورية
١٩٨ ـ ٢٠٦ البدعة المتوفزية

صفحة

٢٠٧ ـ ٢١٠ البدعة المنوثيلية
٢١٠ ـ ٢١٧ الملكية
٢١٨ ـ ٢٢٤ البروتستنتية
٢٢٥ ـ ٢٢٧ النساطرة
٢٢٧ ـ ٢٣٠ السريان اليعاقبة
٢٣١ ـ ٢٣٥ الارمن الغريغوريون
٢٣٥ ـ ٢٤٢ القبط المنوفيزيون
٢٤٢ ـ ٢٤٦ الاحباش المنوفيزيون
٢٤٦ ـ ٢٥٢ الروم الملكيون الغير الكاثوليك
٢٥٢ ـ ٢٥٧ الكلدان الكاثوليك
٢٥٧ ـ ٢٦١ السريان الكاثوليك
٢٦١ ـ ٢٨٢ الموارنة
٢٨٢ ـ ٢٨٧ الروم الملكيون الكاثوليك
٢٨٧ ـ ٢٨٩ اللاتين
٢٩٠ ـ ٢٩٥ الارمن الكاثوليك
٢٩٥ ـ ٢٩٧ القبط الكاثوليك
٢٩٨ ـ ٢٩٩ الاحباش الكاثوليك
٣٠٠ ـ ٣٠٣ حالتهم السياسية وامتيازاتهم

صفحة

٣٠٤ - ٣٠٩ المسلمون

٣٠٩ - ٣١١ السنية

٣١١ - ٣١٤ الشيعة

٣١٤ - ٣١٥ الطائفة الباطنية

٣١٥ - ٣١٦ الاسمعيلية

٣١٦ - ٣٢٢ الدروز

٣٢٣ - ٣٢٧ النصيرية

٣٢٧ الجرمية

٣٢٧ - ٣٢٩ الوهابيون

٣٢٩ - ٣٣٠ البهائيون

٣٣٠ اليزيدية

٣٣٠ - ٣٣١ الصائبون

٣٣٢ - ٣٣٧ اخلاق السوريين وعاداتهم وتقاليدهم

٣٣٨ - ٣٤٣ منشأ التمدن السوري

٣٤٤ - ٣٥٠ لغات سوريا قديماً وحديثاً

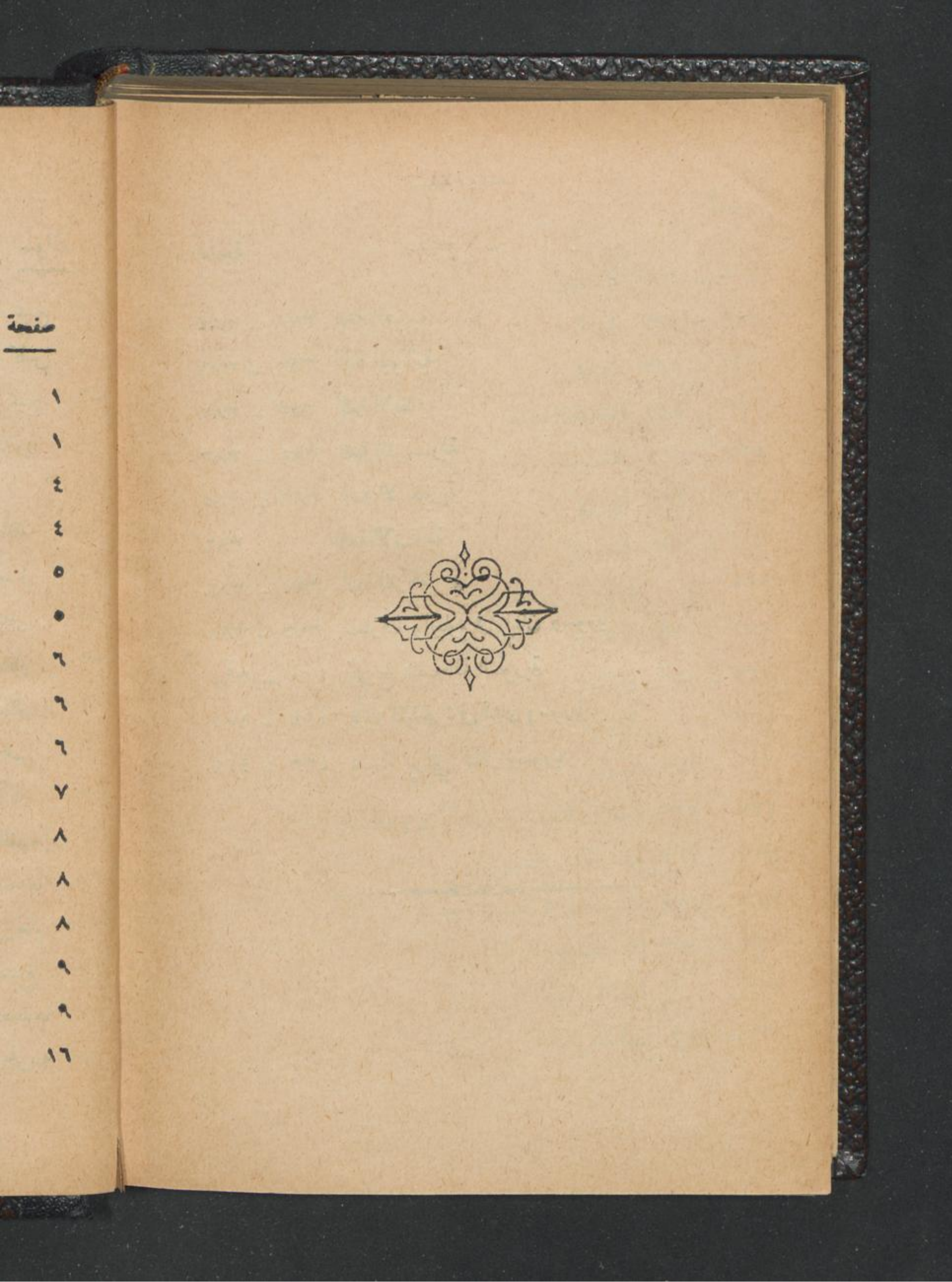
٣٥١ - ٣٥٧ اللغة الفينيقية

٣٥٨ اللغة العبرانية

٣٥٩ - ٣٦٣ اللغة السريانية

صفحة

٣٦٤ ـ ٣٧٨ اللغة العربية
٣٧٩ ـ ٣٨٢ اللغة اليونانية
٣٨٢ ـ ٣٨٣ اللغة الايطالية
٣٨٣ ـ ٣٨٥ اللغة الفرنساوية
٣٨٥ ـ ٣٨٦ اللغة الانكليزية
٣٨٦ اللغة الالمانية
٣٨٦ ـ ٣٨٧ اللغة التركية
٣٨٨ ـ ٣٩٤ المعارف والعلوم فى لبنان وسوريا
٣٩٤ ـ ٤٠٠ تاريخ الصحافة السورية
٤٠١ ـ ٤١٤ تأثير المهاجرة في لبنان وسوريا
٤١٤ ـ ٤٣٣ بماذا يرتقي لبنان وسوريا



اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	١٣	لآرمين	الآراميين
١	١٨	لى	الى
٤	٩	كيلومتر	كيلومتراً
٤	١١	لجغرافية	الجغرافية
٥	١	اطنه	وآطنه
٥	١١	سكندرونة	اسكندرونة
٦	٥	وقمت	وقمت
٦	١١	كلسيس	كلس
٦	١٧	فينقيه	فينيقية
٧	٥	آدوما	آدوم
٨	١	)	
٨	٢	دورا)	(دورا)
٨	١٢	نطاكيه	انطاكيه
٩	١	الامانوس	امانوس
٩	٦	الامانوس	امانوس
١٦	٢	قليس	كلس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	٥	ممبيج	ممبج
١٦	٩	قليس	كلس
١٧	٣	ممبيج	ممبج
١٩	٣	الزو	الزور
٢٠	١٧	ـ بعدلفظة قب	
٢٥	٣	عكار	عكاء
٢٥	١٤	بالسل	بالمسل
٢٦	١٢	بلنياس	باياس
٢٦	١٨	عكاء	عكار
٢٧	٣	عكاء	عكار
٢٧	١٩	حمس	خمس
٣١	٧	آثار	آثار
٣٢	٨	السدس	القدس
٣٢	١٥	مدبحاً	مذبحاً
٣٢	١٦	بريعام	يربعام
٣٥	١٠	سبعة	سبع
٤٥	١٤	فضلناها	فصلناها
٥٢	١	الخربيه	الخربيه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٢	١٠	المرح	المراح
٥٢	١١	قوبه	قصوبه
٥٢	١٣	تريلا بتمره	تريلا
٥٢	١٣	البقنة	البقسه
٥٢	١٣	بكتين	بكشتين
٥٣	٤	عين وزين	عين وزي
٥٤	٤	بدعان	بدغان
٥٤	١٧	الد كواني	دكوانه
٥٥	٢	البقسي	البقسة
٥٥	٣	بابيه	بابا
٥٥	٦	مشيخاً	مشيخة
٥٦	٣	الشاوي	الشاوية
٥٦	١٣	الحدة	الحدث
٥٧	٢	معتبق	معيتيق
٥٧	٤	جاب	جاج
٥٧	٦	بكونا ـ سوراتا	بكوناوصوراتا
٥٧	١٣	بشتليداوعـين	بشتليدهوعين
٥٧	١١	الشميس	شمس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٧	١٧	فرحة بزيون	فرحت
٥٩	٣	تبع طوورزيا	نبع طوورزيا
٥٩	١٠	نهر الخصين	نهر الحصين
١١	١١	سمار – جبيل	سمار جبيل
٥٩	١٣	وطا – سفرينا	وطا سفرتا
٥٩	١٥	تولا زان	تولا – زان
٥٩	١٦	تنوري	تفوري
٥٩	١٩	بجيوش	بحبوش
٥٩	١٩	معز الاحوال	مغر الاحوال
٦٠	٧	بتخلين	بتحلين
٦١	١	ياربتا	باريتا
٦١	٧	ومناط	وحناط
٦١	٩	بدبهلون	بديهون
٦١	١٩	كفر قاصل	كفر قاهل
٦١	١٠	راس منفه	رأس مسقا
٦١	١٧	الجراجد-عبرن	الجر-أجدعبرين
٦٢	١٠	جل ناشي	جبل ناشي
٦٢	١	جزن	جزين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٤	جنسنابا	جنسنايا
٦٣	٣	عقانه	عقماته
٦٦	١٤	اذكر العبارة الآتية: في اوائل سنة ١٩١٣ جعل اوهانس باشا قيومجيان الارمني متصرفاً للبنان	
٧٠	٤	بعد لفظة طبرية :	في الجزء الثالث
٧٩	٧	جبال	جبال
٧٩	١١	شري	شرقي
٨٣	٤	سطوانياً	اسطوانياً
٨٨	١٠	لواسعة	الواسعة
٩٠	١	تموز	تموز
٩١	٧	الجزء الثاني	الجزء الثالث
٩٤	٧	الحية	الحياة
٩٧	١٤	زنوبياً	زنوبيه
٩٨	٥	الغدبر	الغدير
١٠٣	٢	بحر	البحر
١٠٣	٨	لاردن	الاردن
١٠٣	١٢	عد	عدة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٨	٥	يسكنتا	بسكنتا
١٠٩	٦	الممند	الممتد
١١٠	٧	بعد سياسة :	وعادت الى ارتيادها منذ سنة ١٩١٣
١١٠	١٨	بعد الموانى السورية :	ادخل بعض تغيير على هذه المواعيد منذ أول سنة ١٩١٣.
١١٥	٩	ونريده	وتزيده
١١٧	١٤	الحبل	الجبل
١٢٤	١٠	الجريه	الحريه
١٢٩	١٤	بستثمرونه	يستثمرونه
١٢٩	١٤	وقليس	وكلس
١٣٠	٨	رهو	وهو
١٣٦	٨	وكفيا	وبكفيا
١٣٦	١٥	كات	كانت
١٣٧	١٨	والضوبر	والصنوبر
١٤٠	٥	وقليس	وكلس
١٤٤	١١	صاغ	صباغ
١٤٥	١٧	البسطة	البسيطة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٧	يلفعونها	يعلفونها
١٤٨	١٤	المؤلفة	الموآلفة
١٥٢	١٩	لحلوة	الحلوة
١٥٥	٧	وقليس	وكلس
١٥٥	١٢	وتمة ز	وتمتاز
١٥٧	١٨	لخسارة	الخسارة
١٥٨	١٦	الضاعات	الصناعات
١٥٩	٢	فسما	قسما
١٦٣	١٣	لشمال	الشمال
١٦٦	١٣	نظر	انظر
١٦٦	١٩	المسدب	المندب
١١٠	٢٤	ولرومان	والرومان
١٧٠	٢٠	والسوبديه	والسويديه
١٧٤	١٧	بعد الفينيقيين : في الجزء الثاني	
١٨٥	٢٣	فيها	فيما
١٨٥	٢٣	اثبات	هذه اللفظة تحذف
١٨٥	٢٥	بعد السامي : فى الجزء الثاني	
١٨٦	٢٠	لوثني	الوثني

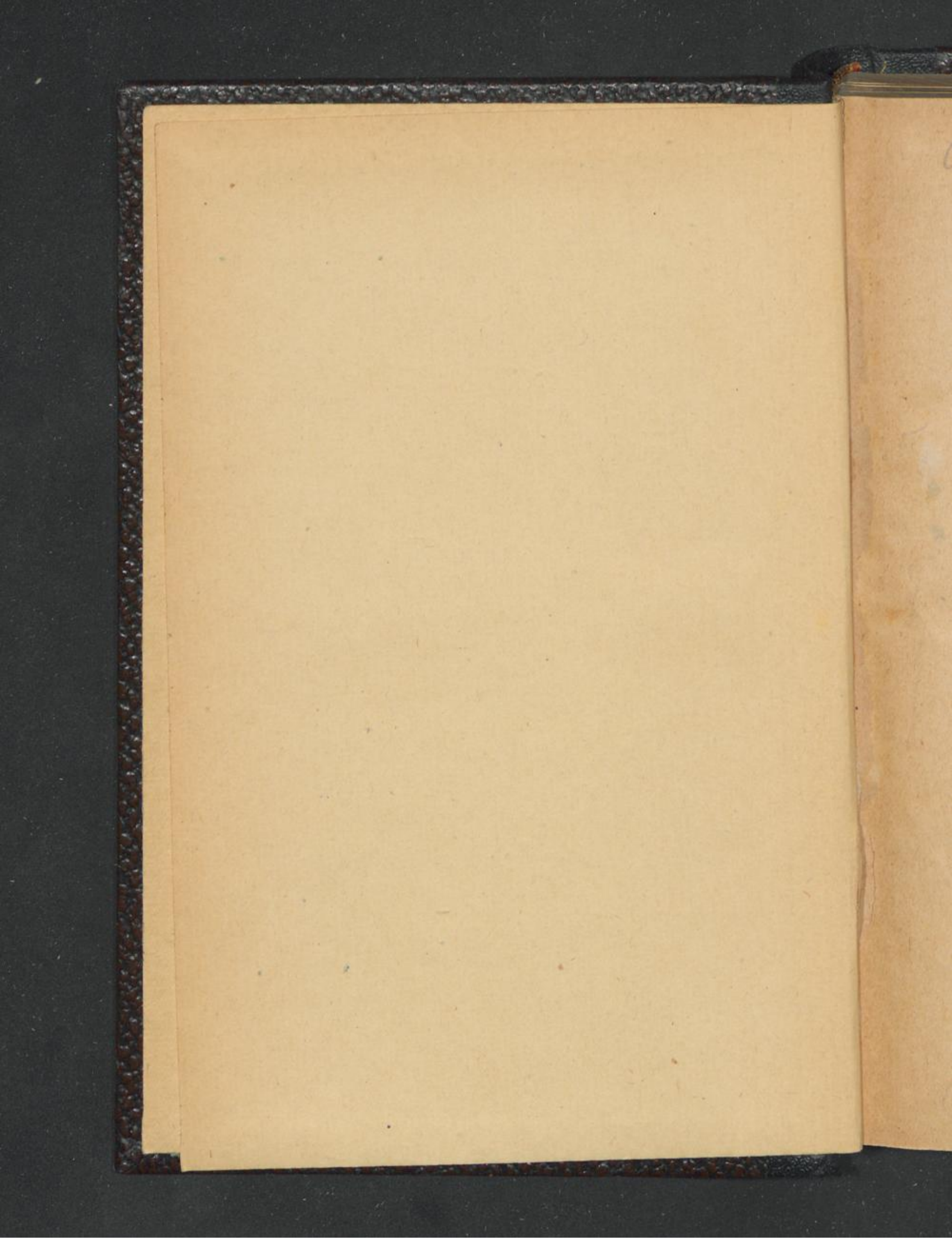
صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٧	١٨	١٢١	١٢٦
١٨٧	١٩	آنيغونس	أنتيغونس
١٨٨	٢	بعد القدس :	في الجزء الثالث
١٩٣	١٥	حونين	حونين
١٩٣	١٩	سوويا	سوريا
١٩٨	٦	بفهم	يفهم
٢٠٢	١٧	بيسيد با	بيسيديا
٢٠٩	١	. انية	نية
٢١٣	١٣	بين	يين
٢٢٣	٢	لانكليز	الانكليز
٢٢٣	١٠	اصلاً	اصلا
٢٣٠	٤	معدن	عدن
٢٣١	٢٣	ثيته	ثبهم
٢٤٠	١٤	مصرباً	مصريا
٢٤٤	٤	ثيكري	تيكري
٢٤٤	٧	أكومين	اكسومين
٢٤٨	٢١	١٠٦١	١٢٦١
٢٥٢	١٦	مخلفة	مختلفة
٢٥٧	٨	٢٥	١٠٠

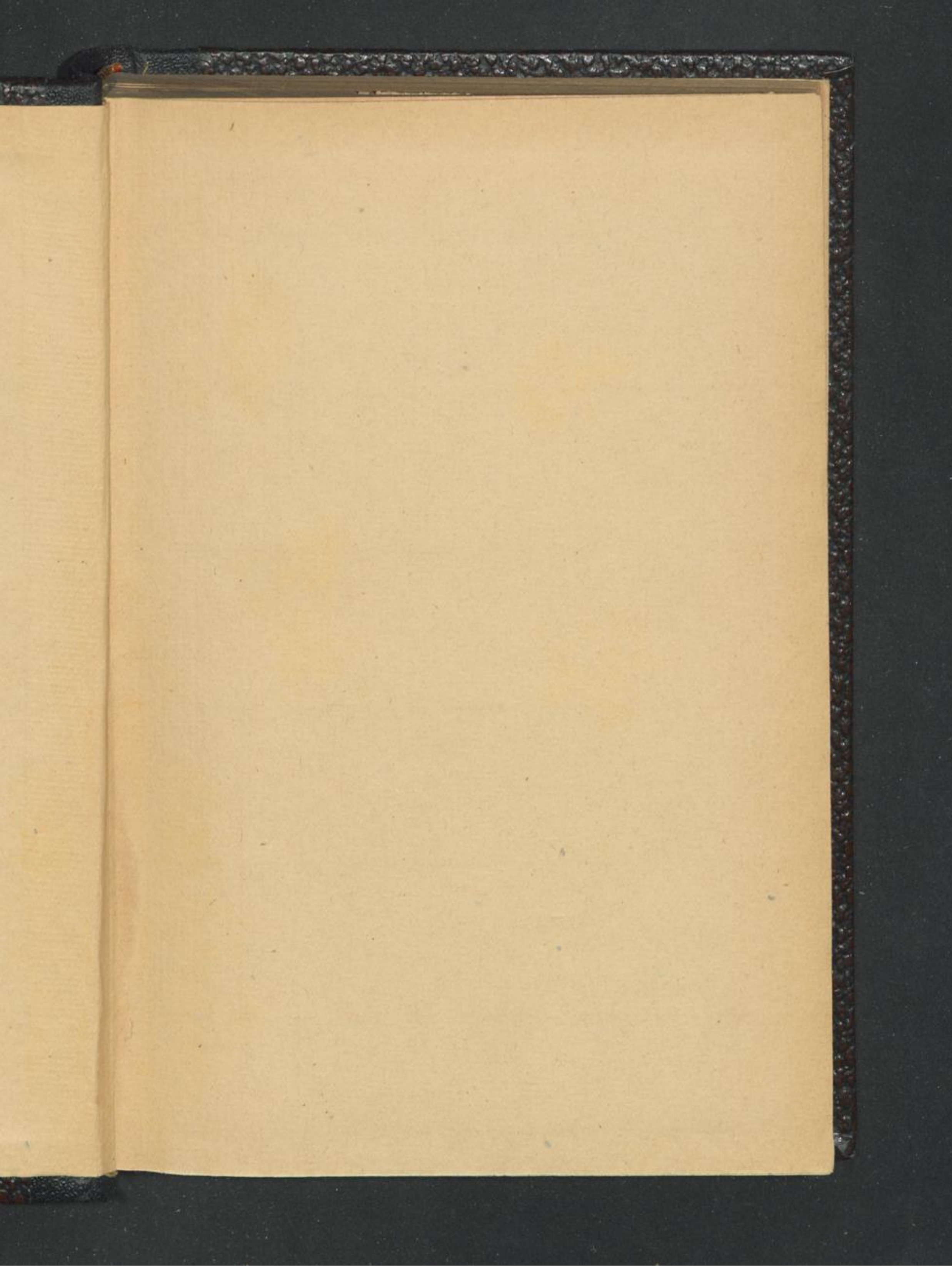
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥٧	٨	سبعة	عشرة
٢٥٧	١٥	ديوفلتيانس	ديوقلتيانس
٢٦٤	٣١	لة رن	القرن
٢٦٤	١٨	بسنيانس	يستنيانس
٢٦٦	١٦	شبده	شيده
٢٦٦	٢١	الثانى	الثالث
٢٧١	٣	وحاروا	وحاربوا
٢٧٢	١١	واللاذقهة	واللاذقية
٢٧٥	٦	لدين	الدين
٢٧٥	١٧	السده	البدء
٢٧	١٧	بعد اسطفانوس :	الدويهي
٢٧٨	١٥	أي تير	الصوري
٢٨١	٣	اهميته	اهمية
٢٨٢	١	٢٢٨	٢٨٢
٢٨٤	٣	شنة	سنة
٢٨٩	٦	الثاني	الثالث
٢٩٤	١٨	نطونيوس	انطونيوس
٢٩٥	١٠	يعوب	يعقوب

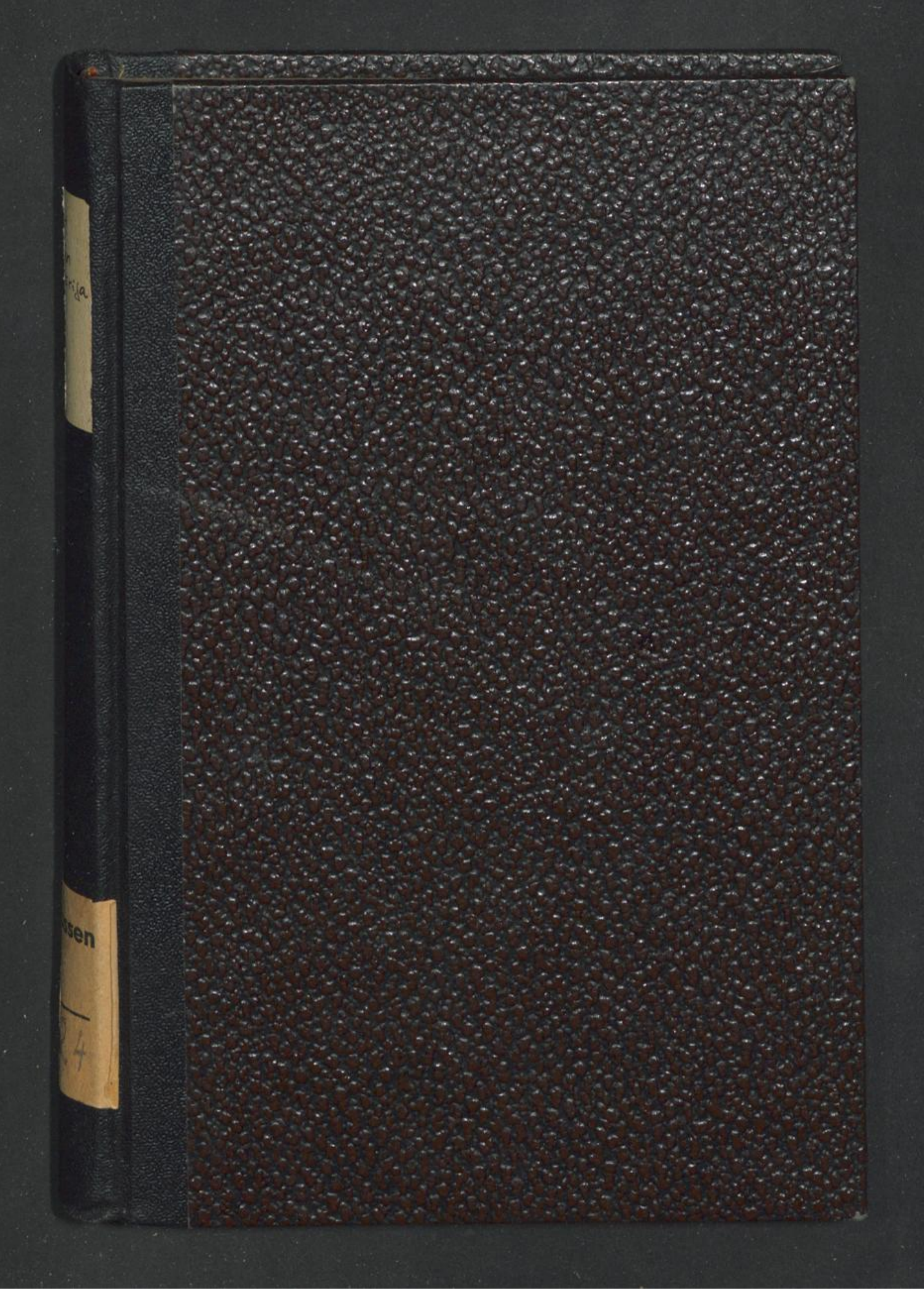
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٩٦	١	عترفوا	واعترفوا
٢٩٨	٦	لحابثة	الحبشة
٣٠٣	٢	فما	فيما
٣٠٧	٦	الثاني	الثالث
٣١٢	٤	الثبي	النبي
٣١٣	١	اناصيها	اقاصيها
٣٢٧	١	٧	٣٢٨
٣٢٧	١	همران	همزان
٣٢٧	٧	اتهزمت	انهزمت
٣٢٩	١٦	وبد	ويعد
٣٣٤	١٥	والقرادي	والقراضي
٣١٥	١٤	تاويخياً	تاريخياً
١٤١	٦	السومرين	السومريين
١٤١	١٧	السـ يين	الساميين
٣٤٢	٣	المجـ رة	المجاورة
٣٤٢	١١	الاريين	الآريين
٣٤٢	١١	اجدد ؛	اجداد
٣٤٢	١٢	غتيانها	غشيانها
٣٤٢	١٣	ا	الثاني

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤٢	١٣	الفر	الفرع
٣٤٢	١٣	السابلسين	البابليين
٣٤٦	٦	لاصل	الاصل
٣٤٦	٨	الغربي	العربي
٣٤٦	١١	الارامي	الآرامية
٣٤٦	١٩	المسح	المسيح
٣٤٨	٦	اللامات	اللغات
٣٥٢	٩	الخشيـة	الحشية
٣٥٢	١٩	استنبااط	استنباط
٣٥٦	١٤	١٨٠٥	١٨٤٥
٣٥٦	١٨	اللاوبـة	اللاوية
٣٥٩		وباإ	وبابل
٣٦٠	٤	الواحة	الواقعة
٣٦٠	٢٠	عن	من
٣٦٠	٩	العبرانيه	والعبرانية
٣٦٢	١١	ولجيل	والجيل
٣٦٢	١٩	لتينة	المتينة
٣٦٦	٤	وتوع	وتنوع
٣٦٦	٢١	لا	الا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٦٨	١	اسق	اسبق
٣٦٨	٣	الهنود	والهنود
٣٧٤	١١	الديبج	الديباج
٣٩٨	١	سم	اسم
٣٩٩	١٧	اريخ	تاريخ
٤٠٠	٤	سم	اسم
٤١١	١٤	اولمادي	والمادى
٤٣٢	١٥	وادبائهم	وافاضلهم







Dalīl Lubnān wa-Sūrija

Būlus Mas‘ad

Miṣr, 1912/1913